

# القبورية في اليمن

الشيخ أحمد بن حسن المعلم

الألوكة

[www.alukah.net](http://www.alukah.net)

# القبورية في اليمن

نشأتها - آثارها - موقف العلماء منها

تأليف فضيلة الشيخ

أحمد بن حسن المعلم

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي بيّن عقائد الأمم الهالكة في محكم الكتاب، وأبان ما ترتب عليها من الشقاوة والهلاك في الدنيا والآخرة ليعتبر بذلك أولو الألباب، وحدد بداية الانحراف نحو الشرك وأسبابه لِتُحذَرَ وَتُجْتَنَبَ تلك الأسباب، وكرّه إلينا الأخذ بسبل الضالين والمغضوب عليهم كما نقرأ صباحاً ومساءً في أم الكتاب، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من افتتح رسالته بالدعوة إلى التوحيد، وختم حياته وهو يحذر من الشرك والتنديد، وأسباب ذلك، وخص منها البناء على القبور على وجه التحديد، ﷺ، صلاة وسلاماً دائمين مستمرين إلى يوم الوعيد، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، الذين فقهوا إشارته وطبقوا عبارته، فحجبوا قبره عن الأنظار لما خشوا أن يترتب على ظهوره من الفتن والأخطار، ورضي الله عن خلفائه الذين كانت خلافتهم على منهاج النبوة فما انحرفوا عنه ذات يمين ولا يسار، وما تخلوا منه عن قليل ولا كثير، ولا نقيير ولا قطمير.

وكان مما عملوا به بمقتضى منصب الخلافة تسوية المشرف من القبور، وتفقد المقابر مما قد يستجد فيها من أمر منكور، أو بناء معمر، وتبعهم على ذلك غالب ولاة الأمور إلى أن انقضت تلك القرون الفاضلة وتصرمت تلك العصور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة معترف بالتقصير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير.

أما بعد: فإن من أبرز أهداف الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله الحفاظ على عقيدة المسلمين صافية نقية كما جاء بها رسول الله ﷺ ومحاربة كل ما يهدد سلامتها ويحط من مكانتها.

ولقد قام الصحابة من ذلك بأوفر نصيب، فجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وألستهم، وتبعهم على ذلك من سار على منهاجهم من التابعين، وتمسك بجبل مودتهم من اللاحقين، وما زالت الطائفة المنصورة من أتباعهم على الحق ظاهرين، ولمن خرج عن الصراط قاهرين، وستبقى هذه الطائفة قائمة على الحق بإذن الله إلى يوم الدين، لا يضرها كيد الكائدين من المخالفين، ولا خذلان القاعدين من المآلفين، ولقد تنوعت أساليب جهادها وميادين حربها لأعدائها ما بين السيف

والسنان والقلم واللسان، وبين جهاد الكفار الظاهرين والمبتدعة والمنافقين، كل بما يليق بحاله ويحقق إزالة منكره وضلاله ممتلين قول الحق سبحانه: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾<sup>١</sup>، وقوله سبحانه: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾<sup>٢</sup>، وبذلك حفظ الله هذا الدين وثبت الإيمان واليقين.

ولكن قضاء الله المبرم وسننه الكونية التي لا تخرم، قضت بانحراف طوائف من هذه الأمة، وأخذها بسنن الأمم الماضية والقرون الخالية في جوانب مختلفة من عقائدها وأعمالها، وكان لكل فرقة حلية وشعار يعرفه من طالع كتب تاريخ العقيدة على تتابع الأعصار، وكان من أبرز شعارات الشيعة الغالية والصوفية الجاهلة التي هي من العلوم خالية - الغلو في الصالحين من الأئمة والأولياء - غلواً حملهم على أن (أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فرما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق)<sup>٣</sup>، ولأجل أنهم قد فارقوا الحياة، ولا يمكن الالتقاء بذواتهم باليات، عمدوا إلى تشييد المشاهد والقباب لتكون ملجئاً إليه يلجؤون وعليه يعولون، كما صور عبّاد الأوثان صور الأنبياء والصالحين وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله كما قرر ذلك الإمام الفخر الرازي<sup>٤</sup>.

ومن منطلق الغلو في البشر تولدت العقائد الضالة، والتصورات المنحرفة، والأعمال الباطلة المرأمة لصرائح آيات الكتاب، وصحيح السنة الذي لا شك فيه ولا ارتياب. ومنذ أن ظهر ذلك الانحراف والعلماء لهم بالمرصاد، ينكرون تلك الضلالات، ويقررون أحكام تلك البدع والمنكرات، بين مصرح وملمح، ومقل ومستكثر، لم يختص بذلك مذهب دون مذهب<sup>٥</sup>، أو عصر دون آخر، وإن كان يقوى الإنكار حيناً، ويضعف حيناً آخر على مقتضى الأحوال، كما أن القبورية نفسها كانت تسفر عن وجهها حيناً وتبرقع بالتقية حيناً آخر.

<sup>١</sup> التوبة (٧٣) .

<sup>٢</sup> النحل (١٢٥) .

<sup>٣</sup> الملل والنحل (١ / ١٢٧) .

<sup>٤</sup> انظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٧ / ٦٠) .

<sup>٥</sup> وليبيان جهود علماء المذاهب المختلفة في الرد على القبورية ألفت رسائل علمية في جهود كل مذهب على حده ، هي : " جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" للدكتور : شمس الدين السلفي الأفغاني ، " جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة" للدكتور عبدالله العنقري ، و " جهود أئمة المالكية" للشيخ : عبدالله العرفج ، أما علماء الحنابلة فجهودهم أكثر من أن تحصر في كتاب .

وفي عصرنا هذا، عصر الصحوة المباركة، التي أقضت مضاجع الكافرين، ودوخت جنود الغازين المعتدين، وأشعرت طوائف الكفر المختلفة؛ أن الجولة القادمة للإسلام، وأن الخصم الحقيقي للكفر وأهله هم أبناء الصحوة ورموزها العظام، السائرون على منهج أسلافهم الصالحين الكرام، فصمم الكفار على محاربة هذا الاتجاه. لتمسكه الصارم بجميع ما تقتضيه لا إله إلا الله، وأرادوا أن يحل محلهم من يُجزي ذلك وفق شهوته وهواه، فشجعت دوائر النظام الدولي الجديد ووكلائها في بلاد المسلمين سائر الفرق الضالة المنتمية للإسلام على الظهور والتصدر والانتشار في الساحة الإسلامية، لتكون البديل المناسب الذي يمكن التعامل معه باسم الإسلام، لإلغاء وجود العلماء العاملين والدعاة الصادقين، وأتباعهم المخلصين.

ومن تلك الطوائف التي وقع عليها الاختيار الصوفية المنحرفة، وقد رأينا آثار ذلك الاختيار في صورة دعم مادي ومعنوي للطرق الصوفية، ودعاة القبور المعاصرين ومنهم رموز في اليمن، حيث قد ثبت اهتمام السفارات الأجنبية بأولئك الرموز، ومؤسساتهم الدعوية العلمية بل إن بعض السفارات قد قدمت الدعم المادي القوي لبناء بعض مشاريعهم التعليمية وغيرها، وبذلك نشطت الصوفية في اليمن نشاطاً ملحوظاً، حيث أقامت الجمعيات والجامعات، وأعادت فتح الأربطة التعليمية القديمة، وأنشأت أخرى جديدة، وأسست دور نشر ومكتبات، لبعث تراثهم الفكري ومنهجهم القبوري، وشرعت في تجديد وترميم المشاهد والقباب، وإعادة الزيارات القبورية لسالف عهدها. وذلك في نظري تهديد مباشر للعقيدة، وتوهين للإتباع، وعمل على نشر الشرك والابتداع، فكان من الواجب على كل قادر أن يذب عن هذا الدين، ويدافع عن عقائد المسلمين، ومن أنجح هذه الوسائل حسب اعتقادي، كشف حقيقة الخصم، وتعرية مبادئه ومناهجه؛ ليحذر الناس، ويتحصنوا عن الاغترار بدعوته والوقوع في فتنته، فجاءت هذه الرسالة التي أكتبها لإتمام متطلبات التخرج في مرحلة الماجستير وسميتها " القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها ".

#### أسباب الاختيار الموضوع:

ولقد كان لاختياري هذا الموضوع أسباب منها:

(١) ابتغاء الأجر والثواب بالأسهام في تنقية العقيدة مما نسب إليها الانحراف والضلال.

٢) رغبتى الذاتية الملحة في معرفة أسرار الفرق القبورية والتأكد مما يقوله الناس عنها وإقامة الدليل على ماصح من ذلك من كتب القوم أنفسهم.

٣) ما سبقت الإشارة إليه من وجود خطورة على عقيدة المسلمين، تمثلها الدعوة القوية للقبورية وتزيين مبادئها وأعمالها ونشر كتبها وفكرها، فالقبورية من أقوى معاول هدم العقيدة وزعزعة قواعد التوحيد؛ لذا وجب بيان حقيقتها، وكشف مساوئها وتحذير المسلمين من خطرهما.

٤) أن التراث الصوفي والشيوعي الذي يُضخ إلى عقول ونفوس الأمة، لو وصل مباشرة إلى القارئ دون تعليق أو تنبيه عليه من قبل من يعرف حقيقته؛ قد يؤثر في النفوس، لما يشتمل عليه من شبهات وتزيين للباطل؛ فلذا لزم قراءة ذلك الفكر قراءة علمية وكشف ما يحتوي عليه من باطل ثم توعية الأمة به من وجهة نظر أهل السنة، ليكون في ذلك حصانة للقارئ والباحث عن الحق من العوام وأشباههم.

٥) أن كثيراً من طلاب العلم والدعاة يعرفون حقيقة القبورية بصورة مجملية، فهم يبغضونها ويحاربونها، ولكنهم يخفقون في بعض الأحيان لعدم المعرفة المفصلة بها، فأردت أن أقدم لهم زاداً يفيدهم في هذا الميدان.

٦) أن من يدرس الصوفية " القبورية " في العالم الإسلامي ويمثل بأقوال وأفعال المتصوفة، لا يكاد يذكر مثلاً عن صوفية اليمن، وكأنه لا يوجد تصوف في اليمن، مغرق في الغلو والضلال، كما هو الحال في بقية بلدان المسلمين، فأردت أن أقدم هذه المادة من فكر صوفية اليمن يستفيد منها الباحثون ويمثلون بها متى شاءوا.

هذه هي أهم الأسباب التي دفعني للكتابة في هذا الموضوع، وهي دوافع وجيهة في نظري، إذ لا أهم من التحذير من الشرك والعمل على حماية التوحيد، فهذان الأصلان هما خلاصة دعوة الرسل عليهم السلام، وأما اعتراض من يقول إن الوقت ليس وقت الردود والصراع داخل الصف الإسلامي، فإن ذلك المعترض عليه أن يوجه هذا اللوم إلى من ينشر الشرك والبدع؛ إذ ذلك هو السبب الحقيقي للصراع والنزاع، كما قرره القرآن قال تعالى: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً

مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة<sup>١</sup>، قال قتادة: ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء يوم القيامة ﴾ إن القوم لما تركوا كتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بأعمالهم أعمال السوء ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره ما افترقوا ولا تباغضوا<sup>٢</sup>.

## منهج البحث

ولما استقر الرأي على البحث في هذا الموضوع بعد المشاورة والتباحث مع الكثير ممن أثق بهم من علماء اليمن، وتشجيعهم لي على المضي في هذا السبيل، عازمت متوكلاً على الله، فجمعت ما تيسر من مراجع المتعلقة بالموضوع وبالأخص كتب التشيع والتصوف، وقد حصلت على بعض كتب الشيعة وكثير من كتب الصوفية اليمنيين وبالأخص صوفية حضرموت منها المطبوع وبعض المخطوطات المصورة ثم قرأتها وجمعت المادة المطلوبة وصنفتها حسب ما يخدم الموضوع. وقد اتبعت في كتابتها هذا المنهج:

(١) حرصت على إكمال صورة الموضوع بأن ذكرت ابتداء القبورية منذ فجر التاريخ كما قصها القرآن الكريم، ثم مررت بقبورية اليهود والنصارى واليونان؛ لإخبار النبي ﷺ عن شبه هذه الأمة بهم ولوقوع ذلك فعلاً ثم مررت بقبورية ووثنية العرب لإكمال التقسيم، وقد أرّخت للقبورية في العالم من كتب التاريخ والتفسير والحديث عند أهل السنة وكذلك القبورية في الأمة وكان كثير من مراجعي هي كتبهم ولكن بواسطة كتب العلماء الثقات والرسائل العلمية المعتمدة، مع ذكر المصدر الأصلي والواسطة التي أخذت عنها، بالإضافة إلى ما تيسر لي الحصول عليه من المصادر الأصلية.

<sup>١</sup> المائدة (١٤).

<sup>٢</sup> تفسير ابن جرير (٦ / ١٠٢).

- ٢) أما قبورية اليمن فلم آخذ أقوالهم إلا من كتبهم أنفسهم بدون واسطة، وقد التزمت دقة النقل والحفاظ على نصوصهم كما هي، حتى أنني أدع كلامهم على ما هو عليه وإن كان فيه أخطاء، وقد أنبه على بعض الأخطاء الفاحشة وغير الفاحشة وقد أدع ذلك لإدراك القارئ.
- ٣) هناك نصوص كثيرة لم يلتزم أصحابها اللغة الفصحى ولم يتقيدوا بقواعد النحو وقد نقلتها كما هي، وإن رأيت شيئاً منها يحتاج إلى توضيح أو ضحته في الهامش.
- ٤) لم أحتج من الأحاديث إلا بحدِيث صححه عالم معتبر من علماء الحديث، وأما الروايات التاريخية فأعتمد منها ما اعتمده العلماء وتناقلوه في كتبهم، ولم أر من وهأها أو انتقدها من حيث السند، وهذه الروايات بالطبع لا يبنى عليها حكم، وإنما يستشهد ويستعان بها على تصوير الموضوع وتجليه ملامحه.
- ٥) عزوت جميع الآيات إلى سورها، وخرجت جميع الأحاديث التي استدلت بها وغالب الأحاديث التي جاءت ضمن النقول عن الآخرين وكافة الآثار التي استدلت بها كذلك إلا ما ندر، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما مع ذكر موضعه من الكتاب والباب إضافة إلى رقم الجزء والصفحة، وما كان في غيرها خرجته من عدد من المراجع التي يطمئن القارئ بالرجوع إليها، مع إيراد حكم علماء الحديث عليها دون أن أبدي رأبي غالباً مكتفياً بحكمهم.
- ٦) شرحت بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات الغامضة حيث أرى لذلك فائدة، وقد أترك بعضها إما لعدم الجدوى من شرحها أو للاختصار وضيق الوقت.
- ٧) لم ألتزم بالتعريف بالأعلام جميعاً وإنما عرفت بالأعلام المهمة، أو من له علاقة بالبحث الذي يرد فيه، وأما الصحابة وكبار المؤلفين وأصحاب الأمهات الحديثية، فلم أتعرض لهم إلا لغرض خاص وذلك لشهرتهم ولثقل أثقل كاهل الرسالة، وهناك جماعة من الأعلام اكتفيت بذكر تاريخ وفاتهم مع الإحالة إلى تراجمهم عند المؤرخين وعلماء التراجم.
- ٨) لقد قصدت إلى جمع أكثر عدد من النصوص والحكايات الصادرة عن القبورية وعرضها على الباحثين المهتمين بدراسة القبورية والصوفية، للاستفادة منها في أبحاثهم ودراساتهم، ولم يكن قصدي الدراسة الوافية لتلك النصوص دراسة عقدية تلزمني بالإسهاب في المعالجة، وإنما علقت على بعض تلك النصوص تعليقات موجزة مناسبة لهذا القصد، ولم أتوسع إلا في مواضع دعت الحاجة إلى التوسع فيها، وأنا أعلم أنني لم أعطِ البحث حقه، غير أنني أرجو أن أكون قد وفقت لفتح هذا الباب والولوج في هذا المسلك الذي ظل مهجوراً لم يقتحم مجاهله أحد حسب علمي



بالصورة التي سرت عليها، ولعل الله أن يسر لي أو لغيري من الباحثين العودة إلى تلك المباحث والتعمق في دراستها وتوسيع نطاقها، لتقديم صورة شاملة ومعالجة شافية لها، نصيحة الله ورسوله وللمؤمنين، وكشفاً للباطل وإزهاقاً له.

(٩) لإتمام الإفادة وتيسير الاستفادة قمت بعمل فهرس للرسالة هي:

(أ) فهرس الآيات.

(ب) فهرس الأحاديث.

(ج) فهرس الآثار.

(د) فهرس الأعلام المترجمين.

(هـ) فهرس المصادر والمراجع.

(و) فهرس الموضوعات.

وقد قمت باختصار أسماء بعض المراجع التي يكثر الرجوع إليها ومنها:

اسم المرجع	الاسم المختصر
فتح الباري .....	الفتح
سير أعلام النبلاء .....	السير
طبقات الخوارج أهل الصدق والإخلاص .....	الطبقات
المشروع الروي .....	المشروع
القاموس المحيط .....	القاموس
كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية ..	كنوز السعادة
هجر العلم ومعاقله في اليمن .....	هجر العلم
بذل الجهود في خدمة ضريح نبي الله هود .....	بذل الجهود
العسجد المسبوك .....	العسجد
قرة العيون في أخبار اليمن الميمون .....	قرة العيون
غرر البهاء الضوي .....	الغرر

وكتب الشيخ الألباني صحيح السنن (أبي داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجة) في الغالب أخرج الحديث من كتاب السنن نفسه، ثم أقول وصححه شيخنا في صحيحه، أي في صحيح ذلك الكتاب.

## خطة البحث :

وعندما عزمت على كتابة رسالة التخرج حسب متطلبات إنهاء مرحلة الماجستير فكرت في الموضوع الذي أطرقه بحيث يكون موضوعاً حياً حاضراً في الساحة، وبحيث تنشر الرسالة وتفيد ولا تبقى على الأرفف ككثير من الرسائل التي كتبت لمجرد الحصول على الشهادة، وقد شاورت في ذلك وباحث كثيراً ممن أثق بهم من مشايخي علماء اليمن وإخواني طلاب العلم، وكان هذا الموضوع يراود نفسي منذ أمد بعيد فشجعتني عليه من شاورته وحفزني على المضي فيه من ناقشته، وعند ذلك توكلت على الله وكتبت هذه الرسالة " القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها " وقد جاءت في مقدمة وتمهيد وخاتمة.

المقدمة وقد أبت فيها أهمية الموضوع والأسباب التي دفعني لاختياره ومنهجي في البحث وخطة الرسالة.

### الباب التمهيدي:

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القبورية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القبورية لغة.

المطلب الثاني: تعريف القبورية اصطلاحاً.

المبحث الثاني: خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك وخطورته

المطلب الثاني: الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك.

المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية.

المطلب الرابع: كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور والعلّة في ذلك.

المبحث الثالث: هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء.

المطلب الثاني: تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعاملهم مع قبر النبي ﷺ.

المسألة الثانية: تعاملهم مع النبي دانيال عليه السلام حين عثروا على جسده.

المطلب الثالث: كيف تصرف التابعون حين اضطروا إلى توسعة المسجد ليشمل الحجرة النبوية موضع القبر

الشريف في خلافة الوليد بن عبد الملك.

المطلب الرابع: هدي الإسلام في زيارة القبور.

(٢) الباب الأول: نشأة القبورية

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: نشأة القبورية في العالم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة القبورية في العالم بأسره.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرء الشرك.

المطلب الثاني: إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين.

المبحث الثاني: القبورية عند اليهود والنصارى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القبورية عند اليهود

المطلب الثاني: القبورية عند النصارى.

المبحث الثالث: قبورية اليونان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية.

المطلب الثاني: قبورية فلاسفة اليونان.

المطلب الثالث: اتباع قبورية المسلمين للفلاسفة في علة زيارة القبور.

المبحث الرابع: القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم الحنيفية السمحة.

المطلب الثاني: القبورية أصل الوثنية عند العرب.

المطلب الثالث: انتشار الأصنام في جزيرة العرب.

المطلب الرابع: الحنفاء من العرب.

الفصل الثاني: القضاء على الوثنية والقبورية على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين إلى نهاية

القرون الثلاثة المفضلة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ.

المطلب الثاني: قضاء النبي ﷺ على الوثنية في جزيرة العرب.

المبحث الثاني: إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب والرد على من زعم المنع من

عودة الشرك إليها مطلقاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب.

المطلب الثاني: الرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب.

المبحث الثالث: خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تصريح العلماء بخلو القرون المفضلة من وجود المشاهد والمساجد على القبور.

المطلب الثاني: ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون.  
المطلب الثالث: الرد على ما استدلوا به على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون.  
المطلب الرابع: التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فساطيط ونحوها.

المطلب الخامس: محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك.

**الفصل الثالث: نشأة القبورية في الأمة الحمديّة والتعريف بأهم الفرق القبورية.**

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: الشيعة رائدة القبورية في الأمة الحمديّة.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف

المطلب الثاني: نشأة الشيعة وأهم فرقها.

المطلب الثالث: عقائد الشيعة الباعثة على القبورية.

المطلب الرابع: دور الشيعة في نشر القبورية في الأمة.

**المبحث الثاني: الصوفية ربيبة الشيعة ناشرة القبورية في الأمة الحمديّة.**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصوفية.

المطلب الثاني: نشأة التصوف.

المطلب الثالث: العلاقة بين التصوف والتشيع.

المطلب الرابع: عقائد الصوفية الباعثة على القبورية.

المطلب الخامس: دور الصوفية في نشر القبورية في الأمة.

**المبحث الثالث: مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة الحمديّة.**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لمحة سريعة عن قبورية السلاطين عبر التاريخ.

المطلب الثاني: الباعث الذاتي لقبورية السلاطين.

المطلب الثالث: الباعث السياسي لقبورية السلاطين.

**الفصل الرابع: نشأة القبورية في اليمن**

وفيه أربعة مباحث:

### المبحث الأول: حال اليمن قبل نشوء القبورية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إسلام أهل اليمن.

المطلب الثاني: رسل النبي ﷺ إلى اليمن.

المطلب الثالث: مذاهب اليمنيين. من فجر الإسلام إلى قيام الدولة الصليحية.

المطلب الرابع: استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له.

### المبحث الثاني: الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن.

المطلب الثاني: لمحة عن الدولة الصليحية مؤسسة القبورية في اليمن.

المطلب الثالث: دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن.

المطلب الرابع: استمرار القبورية الإسماعيلية.

### المبحث الثالث: مساهمة السلاطين في نشر القبورية في اليمن:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السلاطين هم وراء المظاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية.

المطلب الثاني: مساهمة أئمة الزيدية في نشر القبورية في اليمن.

المطلب الثالث: مساهمة الدولة الرسولية في نشر القبورية في اليمن.

### المبحث الرابع: نشأة التصوف وأهم الطرق الصوفية في اليمن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن.

المطلب الثاني: أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن.

### الباب الثاني: آثار القبورية

وفيه مدخل وثلاثة فصول:

المدخل: وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين.

## الفصل الأول: عقائد القبور الضالة.

وفيه ثلاثة مباحث:

### المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القطب

المطلب الثاني: اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن.

المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب.

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون.

### المبحث الثاني: عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية.

المطلب الثاني: إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة.

المطلب الثالث: في الرد على معتقدي الرجعة ورؤية النبي ﷺ يقظة.

المطلب الرابع: لوازم هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من مفساد.

### المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر والالتقاء به.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الخضر عند أهل السنة.

المطلب الثاني: حقيقة الخضر عند الصوفية..

المطلب الثالث: نماذج من دعاوى الصوفية رؤية الخضر عليه السلام.

المطلب الرابع: إبطال دعوى القوم ولاية الخضر وحياته ورؤيتهم له.

## الفصل الثاني: تعظيم القبور.

وفيه ثلاثة مباحث:

### المبحث الأول: اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اعتقاد تعظيم وبركة مقابر مخصوصة.

المطلب الثاني: اعتقادهم بركة قبور معينة بركة عامة.

المطلب الثالث: اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور.

المطلب الرابع: اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور.

المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين.

المطلب السادس: اعتقادهم أن بعض القبور متخصصة في قضاء حاجات معينة.

**المبحث الثاني: ظاهرة البناء على القبور وإلباسها.**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها.

المطلب الثاني: القبور المنسوبة إلى الأنبياء، والقبور المجهولة.

المطلب الثالث: طريقة القوم في اكتشاف القبور المعظمة وإظهارها.

المطلب الرابع: الأنصاب والمشاهد التي لا قبور فيها.

المطلب الخامس: إلباس القبور وكسوتها.

**المبحث الثالث: الزيارات القبورية.**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: زيارة القبور عند القبورية وأصلها الفلسفي.

المطلب الثاني: ظاهرة الزيارات القبورية.

المطلب الثالث: شعائر الزيارات القبورية.

المطلب الرابع: الفساد الأخلاقي في الزيارات وصلته بالعقائد القبورية.

المطلب الخامس: الانحراف العقدي المترتب على تلك الزيارات.

**الفصل الثالث: أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية.**

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول: أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن.**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن من الصوفية (القبورية) من يتعاطى علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق والرمل.

المطلب الثاني: إثبات أن من صوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من العلوم.

المطلب الثالث: إثبات أن منهم من يستخدم الجن.



المطلب الرابع: إثبات أن علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق من علوم السحر.

المطلب الخامس: تعريف الرمل. وأنه من الكهانة وبيان حكمه شرعاً.

**المبحث الثاني: نشر الخرافة في الأمة.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: في تعريف الخرافة.

المطلب الثاني: الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية.

المطلب الثالث: الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الكرامة.

المطلب الرابع: آثار انتشار الخرافة.

**المبحث الثالث: التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدالة الإسلام وتسويته بين الناس.

المطلب الثاني: إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب والعلم والولاية.

المطلب الثالث: مظاهر التمايز الطبقي.

المطلب الرابع: نماذج من الخرافات التي استخدمها القبورية لتعميق سلطتهم واستعلائهم.

**المبحث الرابع: انتشار الجهل والأمية في الأمة.**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية.

المطلب الثاني: أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية.

المطلب الثالث: تجهيل الأمة.

**الباب الثالث: مواجهة علماء اليمن للقبورية.**

وفيه فصلان:

**الفصل الأول: أساليب القبورية في محاربة مخالفيها.**

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: أسلوب الاحتواء والاختراق.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محاولة احتواء المخالف.

المطلب الثاني: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم.

**المبحث الثاني: الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم.

المطلب الثاني: استخدام الخرافة والشعوذة والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف.

**المبحث الثالث: استخدام القوة في محاربة الخصم.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللجوء إلى السلطان.

المطلب الثاني: اللجوء إلى القبائل المسلحة وحملها على إخضاع خصومهم.

المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم.

المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة.

**الفصل الثاني: موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها**

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

**التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد.**

المبحث الأول: موقف علماء اليمن من القبورية الإسماعيلية وجهودهم المشكورة لمواجهتها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية.

المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن.

المطلب الثالث: المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية.

**المبحث الثاني: المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى (صنعاء وما يليها).

المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن).

المطلب الثالث: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية.

المطلب الرابع: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية.

### المبحث الثالث: الردود الواردة في ثنايا كتب الفنون المختلفة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ردود في كتب التاريخ.

المطلب الثاني: ردود على القبورية جاءت على ألسنة الشعراء.

المطلب الثالث: نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد بعض عقائد وأعمال القبورية.

المطلب الرابع: فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية.

### المبحث الرابع: الجهود العملية لمواجهة القبورية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اليمن

المطلب الثاني: دعوة الإرشاد باندونيسيا وأثرها على القبورية على القبورية في اليمن.

المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في مواجهة العملية للقبورية

المطلب الرابع: الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن.

## شكر وتقدير

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى على مننه العظيمة ونعمه الجسيمة، التي من أعظمها عليّ إتمام هذه الرسالة بهذه الصورة، فله سبحانه جزيل الحمد والشكر.

ثم إنني أثنى بشكر كل من أعان برأي أو مشورة أو تصويب خطأ أو دلالة على حق في كافة مراحل عملي، وهم أكثر لا تتحمل هذه المقدمة ذكرهم، ولكن أخص بالشكر شيخي الجليل العلامة حسن ابن محمد مقبولي الأهدل الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على الرسالة ولم يبخل عليّ بنصحه وتوجيهه، كما لم يبخل عليّ بوقته الثمين فجزاه الله خير الجزاء، وأشكر كذلك صاحبي الفضيحة أ.د. إبراهيم بن إبراهيم القريني رئيس قسم الدراسات بكلية التربية جامعة الحديدة، وأ.د. غالب ابن عبدالكافي القرشي الأستاذ بكلية الشريعة جامعة صنعاء عضو المجلس الاستشاري وزير الأوقاف والإرشاد سابقاً على تفضلهما بقراءة الرسالة وإبداء الملاحظات القيمة عليها وتصويب بعض أخطائها ومناقشة ذلك فجزاهما الله خير الجزاء، كما أشكر فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن

عبدالله بكير لتعاونه الكبير معي وإمدادي ببعض ما أحتاجه مما لديه من علم ومصادر ومعرفة بتاريخ حضرموت، وكذلك فضيلة الشيخ العلامة علي سالم سعيد بكير الذي أمدني بعدد من المصادر ما كنت لأحصل عليها إلا من طريقه، وكذلك أمدني بالكثير من الآراء والملاحظات القيمة.

ومثله القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوخ الذي رجعت إليه كثيراً فيما يتعلق بتاريخ اليمن وأعلامها، كما أشكر الأخ الأستاذ وليد بن عبدالرحمن الربيعي الذي حصلت بواسطته على مصورات لعدد من المراجع المخطوطة والمطبوعة النادرة.

كما أشكر الولد البار والصحف الوفي حسين بن علي بن محفوظ الذي لازمني طوال عملي في الرسالة وقام بجهود مشكورة في الطباعة والمراجعة وغير ذلك، وكذا أشكر الأخ الكريم عبدالله بن علي بارجاش الذي تولى طباعة معظم الرسالة، فلهما خالص الشكر ومن الله جزيل الأجر.

وإن أنسى فلن أنسى شكر شقيقي الجليل وأستاذي الفاضل أبي عبدالله حسن باعمر العمودي الذي غرس في نفسي حب التوحيد والاتباع، وكرهه إلي الخرافة والابتداع، وأخذ بيدي منذ نعومة أظفاري إلى مجالس العلماء ويسر لي التعرف على المشايخ الفضلاء، وما زال يتعهدني ويتفقد أحوالي إلى اليوم، وما أحسب هذا العمل إلا ثمرة من ثمار غرسه المبارك، أسأل الله أن يجزيه خير ماجزى معلماً عن تلميذه.

كما أشكر الإخوة الكرام والأبناء الأعزاء الذين تفرغوا معي أياماً متوالية يواصلون الليل بالنهار بالتصحيح والمقابلة وإتمام الطباعة، برئاسة الشيخ الكريم أبي مروان صالح بن مبارك دعكيك، فجزاهم الله خيراً وكتب ذلك في ميزان حسناتهم، وأجرى عليهم من أجر هذه الرسالة إن قبلها وأثاب عليها. ولا أنسى شكر رئاسة الجامعة الوطنية وعمادة الدراسات العليا بها، وكافة المنتسبين إليها على إتاحة الفرصة لي، وقبولي طالباً من طلاب الجامعة، وتقديم كافة التسهيلات، حتى يسر الله لي إتمام الرسالة ومناقشتها فجزاهم الله خيراً ووفقهم للمضي في خدمة الأمة..

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

## الباب التمهيدي

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

تعريف القبورية

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: تعريف القبورية لغة:

القبورية لغة جمع قبوري وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع " قبور " إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء.

وقد سَوَّغَ نسبته للجمع - مع أن له واحداً مستعملاً من لفظه - أنه صار (جارياً مجرى العلم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم كأنصاري نسبة إلى الأنصار، وأصولي نسبة إلى علم الأصول؛ لأنه غلب على علم خاص حتى صار كالعلم عليه)<sup>١</sup>.

وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مقَدَّسي القبور والغلاة فيها سائغاً؛ لأنه قد صار كالعلم عليهم. وأصل القبورية مأخوذ من " القبر " وهو مدفن الإنسان إذا مات، وجمعها قبور، والمقبرة: موضع القبور، وجمعها مقابر. وقبرت الميت قبراً إذا دفنته، وأقبرته " بالألف " أمرت أن يقبر أو جعلت له قبراً<sup>٢</sup>.

### المطلب الثاني: تعريف القبورية في الاصطلاح:

دأب العلماء - رحمهم الله تعالى - على إطلاق وصف " القبورية " على الغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى وقصدها بأنواع العبادات والقربات ودعاء أربابها من دون الله تعالى.

<sup>١</sup> انظر شرح التصريح على التلويح للشيخ خالد الأزهرى (٢/٣٣٦) طبع دار الفكر بيروت، وجمع الهوامع للسيوطي (١٩٧/٢) طبع سنة ١٣٢٧ هـ بعناية مُجَّد بدر الدين النعساني.

<sup>٢</sup> مادة " قبر " في لسان العرب لابن منظور طبع دار الفكر الطبعة الأولى سنة (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

وسأنقل لك طائفة من عباراتهم في ذلك وأكتفي بجماعة من علماء اليمن: فمنهم العلامة بدر مُجَد بن إسماعيل الأمير -رحمه الله -<sup>١</sup> حيث قال في كتابه الشهير "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد": (والنذر بالمال على الميت ونحوه، والنحر على القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله **القبوريون** لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً والأسماء لا أثر لها ولا تُغيّر المعاني).<sup>٢</sup>

ومنهم العلامة حسين بن مهدي النعمي<sup>٣</sup> - رحمه الله - في كتابه " معارج الألباب في مناهج الحق والصواب " ذكره بلفظ القبوريين فقال: (والمشروع فيها - زيارة القبور - إنما هو تذكر الدار الآخرة والإحسان إلى الميت المزور بالدعاء والترحم، والاستغفار، وسؤال العافية. فقلب القبوريون الأمر وعكسوا وعاكسوا مقاصد الشرع، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، والدعاء به، وسؤاله الحوائج، واستنزال البركات، والنصر على الأعداء . فأساءوا إلى أنفسهم وإلى الميت).<sup>٤</sup> الخ. ومنهم شيخ الإسلام مُجَد بن علي الشوكاني<sup>٥</sup> - رحمه الله - أطلق هذا اللفظ في "نيل الأوطار" حيث قال في كتاب الجنائز: (وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعمم وتلكأ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة)<sup>٦</sup> الخ.

<sup>١</sup> انظر ترجمته (ص )

<sup>٢</sup> تطهير الاعتقاد ص ( ٣٧ ) ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعتها القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، طبع دار الفكر ببيروت الطبعة الأولى ( ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م ) ، وقد كرر هذا المصطلح في الصفحات ( ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ) كما أطلقه في كتابه " الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطف " ص ( ٤٧ ، ٥٧ ) حققه مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين عواجي الطبعة الأولى ( ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ) .

<sup>٣</sup> انظر ترجمته: ص ( )

<sup>٤</sup> معارج الألباب في مناهج الحق والصواب تحقيق مُجَد حامد الفقي وتخريج علي بن حسن بن عبدالحميد طبع دار المعرفة بالرياض الطبعة الرابعة ( ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ) ص ( ١٤٠ ) وكرر مثل ذلك في ص ( ١٥٣ ، ٢١٨ ) .

<sup>٥</sup> انظر ترجمته ص ( )

<sup>٥</sup> نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني ( ٩٥/٤ ) طبع مكتبة الباي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ .

وقال في كتابه " الدر النضيد " وهو يتكلم عن حكم التصوير: (فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلاً يشبه فعل الخالق، وإن لم يكن ذلك مقصوداً لهم، وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكاً له ومثلاً ونداً، فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه إلا بالله، وطلبوا منه ما لا يطلب إلا من الله، مع القصد والإرادة)<sup>١</sup>.

ومنهم العلامة السلفي الشيخ محمد بن علي بافضل<sup>٢</sup> - رحمه الله - في كتابه "دعوة الخلف إلى طريقة السلف" فقد قال: (أما استغاثة القبوريين بمن يعتقدون صلاحه من الموتى فغير جائزة شرعاً وعقلاً، بل هو شرك ينبغي التنبيه عليه وإنكاره)<sup>٣</sup>.

بعد هذه النقول التي مرّت بنا يتضح لنا أن العلماء يطلقون لفظ القبوريين، ومثله القبورية على الغلاة في أرباب القبور الذين يعتقدون فيهم النفع والضرر، ويطلبون منهم حاجاتهم، ويلوذون بهم عند خوفهم، ويقدمون لهم أنواعاً من العبادات والقرايين كالدعاء، والندر، والذبح، والحلف بهم. ويتلخص من ذلك أن القبورية عند العلماء هم: (طائفة غلّت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائد ضالة حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم والتقرب إليها بأنواع من العبادات حتى صيرتها أنداداً لله تعالى).

<sup>١</sup> الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص (٦٣) طبع دار ابن خزيمة الطبعة الأولى عام (١٤١٤ هـ) ، وقد كرر ذلك الوصف حوالي عشر مرات في ذلك الكتاب.

<sup>٢</sup> انظر ترجمته ص ( ) .

<sup>٣</sup> دعوة الخلف إلى طريقة السلف ، طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض بدون تاريخ وكرر ذلك الوصف أيضاً (ص ٢٣٧) .

## المبحث الثاني

### خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية

وفيه أربعة مطالب:

#### المطلب الأول: الشرك ١ وخطورته:

إن أعظم انحراف وقع في تاريخ البشرية هو الإشراف بالله، وعبادة غيره معه، ولذلك كانت أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك، وإعادة الناس إلى التوحيد: قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾<sup>٢</sup>، وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾<sup>٣</sup>، وقال الرسول ﷺ: ((بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن

---

<sup>١</sup> الشرك هو : أن يعتقد في غير الله أنه يضر أو ينفع ، أو يقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ودعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه . وانظر : الدر النضيد للشوكاني ص ( ٧٠ ) .

<sup>٢</sup> النحل (٣٦) .

<sup>٣</sup> الأنبياء (٢٥) .



تشبه بقومٍ فهو منهم<sup>١</sup>، فهذه النصوص صريحة في أن أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك، وإعادة الناس إلى التوحيد وماذاك إلا لقبح الشرك، وعظيم خطره على العباد في دنياهم وآخرتهم.

وتظهر تلك الخطورة من أوجه عدّة:-

الوجه الأول - أنه سبب هلاك كثير من الأمم في الدنيا: كما قال تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴾<sup>٢</sup>، فقد ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ لبيان السبب الذي أورد تلك الأمم هذه العاقبة السيئة، وذلك السبب هو شركهم بالله تعالى تعالقال ابن جرير<sup>٣</sup>: ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ يقول: فعلنا ذلك أي الهلاك بهم لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم<sup>٤</sup>.

وقال ابن الجوزي<sup>٥</sup>: ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ المعنى فأهلكوا بشركهم<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> رواه أحمد في المسند (١٢١/٧ - ١٢٢) رقم (٥١١٤ - ٥١١٥)، بتحقيق أحمد شاكر، طبع دار المعارف المعارف بمصر، الطبعة الثانية عام (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، وصححه أحمد شاكر كما صححه الشيخ الألباني في الإرواء (١٠٩/٥ - ١١٠) (رقم ١٢٦٩) طبع المكتب الإسلامي ط الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . .

<sup>٢</sup> الروم (٤٢) .

<sup>٣</sup> هو شيخ المفسرين وعمدتهم الإمام العلم المجتهد محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التصانيف البديعة والمذهب الفقهي المستقل، قال عنه الذهبي: (كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصنيف قل أن ترى العيون مثله) ولد سنة (٢٢٤هـ) وتوفي سنة (٣١٠هـ) رحمه لله، انظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى بن شرف النووي (٧٨/١) طبع دار ابن تيمية بالقاهرة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) والسير للإمام شمس الدين الذهبي (٢٦٧/١٤ - ٢٨٢) طبع دار الرسالة بيروت (الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)

<sup>٤</sup> تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تأويل القرآن" (٣٣/٢١) دار المعرفة بيروت (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

<sup>٥</sup> الشيخ الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرني التيمي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي، الواعظ المشهور، والمؤلف المكثّر من فنون متعددة، حتى أنه وصف بكثرة الخطأ في مصنفاته، قال الذهبي: (له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لم يلحق أن يحرره ويتقنه) ولد سنة (٥٠٩ أو ٥١٠هـ)

الوجه الثاني- أنه السبب في تردّي الإنسان من منزلة التكريم إلى منزلة الإهانة والتحقير، وإلى الاتصاف بأخبث الأوصاف؛ وهو وصف النجس<sup>٢</sup>: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةَ فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>٣</sup>.

قال السيد رشيد رضا<sup>٤</sup> -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (أي ليس المشركون كما تعرفون من حالهم إلا أنجاساً فاسدي الاعتقاد، يشركون بالله ما لا ينفع ولا يضر؛ فيعبدون الرجس من الأوثان والأصنام ويدينون بالخرافات والأوهام ولا يتنزهون عن النجاسات ولا الأوثان، ويأكلون الميتة والدم من الأقدار الحسية، ويستحلّون القمار والزنا من الأرجاس المعنوية، ويستبيحون الأشهر الحرم. وقد تمكّنت صفات النجس منهم حساً ومعنى، حتى كأنهم عينه وحقيقته؛ فلا تمكنوهم بعد العام أن يقربوا المسجد الحرام) الخ ٥ ٥ .

---

وتوفي سنة (٥٩٧هـ) وانظر السير (٣٦٥/٢١-٣٨٤) والبداية والنهاية للإمام ابن كثير (٢٨/١٣-٣٠) طبع دار المعرفة بيروت الطبعة السادسة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)

<sup>١</sup> زاد المسير للإمام ابن الجوزي (١٥٤/٦) المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة سنة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، وانظر أسباب هلاك الأمم : ص (١٠٨-١٠٩) للشيخ محمد سعيد بابا سيلا وهو رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية ضمن إصدارات الحكمة (بريطانيا) الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

<sup>٢</sup> هو في الأصل "القدر" كما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص١٠١٣) تحقيق شهاب الدين أبي عمرو الطبعة الثانية دار الفكر سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، وإنما وُصفوا بذلك مبالغة في تحقيرهم، قال الشوكاني -رحمه الله- : (والمشركون مبتدأ وخبره المصدر مبالغة في وصفهم بذلك حتسكأنهم عين النجاسة أو على تقدير مضاف أي ذوو نجس لأن معهم الشرك وهو بمنزلة النجس) فتح القدير للشوكاني (٣٤٩/٢) طبع دار الفكر سنة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

<sup>٣</sup> التوبة (٢٨) .

<sup>٤</sup> هو العلامة المصلح محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل، شامي النشأة، سكن مصر إلى آخر عمره، من أشهر من دعا إلى السنة ونشر كتبها في مصر، وله تفسير ومجلة المنار الشهيران، ولد بالقلمون من أعمال طرابلس الشام عام (١٢٨٢هـ) وتوفي بمصر عام (١٣٥٤هـ). انظر: الأعلام لخيرالدين الزركلي (١٢٦/٦) طبع دار الملايين بيروت الطبعة الثانية عشرة (١٩٩٧م)، وانظر الدراسة المستقلة بعنوان (السبب محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية للدكتور محمد أحمد درنيقه).

<sup>٥</sup> تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٢٧٥/١٠). طبع دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ .

وقال سيد قطب<sup>١</sup> - رحمه الله - في الظلال: (يجسّم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم فهم بكيانهم وبحقيقتهم: نجس يستقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون، وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة فأجسامهم ليست نجسة لذاتها، إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم)<sup>٢</sup>.

**الوجه الثالث - أنه يجبط الأعمال:** قال تعالى: ﴿ذِكْرُ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>٣</sup>، لقد جاءت هذه الآية في سياق ذكر الأنبياء والرسل الذين اجتباهم الله واصطفاهم، فبين أن تلك الهداية وذلك الاصطفاء إنما هو بتوفيق الله تعالى، ولو لم يصاحبهم ذلك التوفيق فوقوا في الشرك لحبطت أعمالهم.

قال ابن كثير<sup>٤</sup> - رحمه الله -: ثم قال تعالى: ﴿ذِكْرُ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله، وهدايته لهم ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملاسته<sup>٥</sup>.

وقال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَبِطْنِ عَمَلِكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>١</sup>، قال الإمام الألويسي<sup>٢</sup> - رحمه الله -: (وأياً ما كان فهو كلام على سبيل

<sup>١</sup> الداعية الشهير والمجاهد الكبير الذي بذل نفسه رخيصة لله تعالى بعد أن كوّن مدرسة في الدعوة لها ميزات، وسماتها البارزة، وصاحب تفسير (في ظلال القرآن) أشهر التفاسير المعاصرة مع أخطاء يسيرة أخذها عليه بعض العلماء سيما في باب العقيدة، غير أنها مغمورة في بحار حسنات ذلك التفسير وحسنات مؤلفه، غفر الله له وتقبله في الشهداء، قتل مظلوماً شهيداً - إن شاء الله - سنة (١٣٨٧هـ)، وكان مولده سنة (١٣٢٤هـ). انظر: الأعلام للزركلي (١٤٧/٣-١٤٨).

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن سيد قطب (١٦١٨/٣) طبع دار الشروق بيروت الطبعة الشرعية الثانية عشرة. (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

<sup>٣</sup> الأنعام (٨٨).

<sup>٤</sup> المفسر والمحدث والمؤرخ الشهير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي صاحب التفسير الذي قال فيه الشوكاني: (وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها). ولد سنة (٧٠١هـ) وتوفي سنة (٧٧٤هـ)، انظر: البدر الطالع (١٥٣/١) طبع دار المعرفة - بيروت بدون تاريخ.

<sup>٥</sup> مختصر ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي (١٣٩/٢) طبع مكتبة المعارف بالرياض طبعة جديدة (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) (١٩٨٩م)

الفرض؛ لتهييج المخاطب المعصوم، وإقنات الكفرة، والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه، وكونه ينهي عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه) <sup>٢</sup>.

**الوجه الرابع - أنه يحول دون المغفرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ <sup>٤</sup>.**

قال سيدقطب - رحمه الله - في كلامه على هذه الآية: (إن الشرك انقطاع ما بين الله والعباد. فلا يبقى لهم معه أمل في مغفرة. إذا خرجوا من هذه الدنيا وهم مشركون مقطوعو الصلة بالله رب العالمين. وما تشرك النفس بالله وتبقى على هذا الشرك حتى تخرج من الدنيا - وأمامها دلائل التوحيد في صفحة الكون وفي هداية الرسل - ما تفعل النفس هذا وفيها عنصر من عناصر الخير والصلاحية. إنما تفعله وقد فسدت فساداً لا رجعة فيه، وتَلَقَّتْ فطرتها التي برأها الله عليها، وارتدَّتْ أسفل سافلين وهيات بذاتها حياة الجحيم!) <sup>٥</sup>.

**الوجه الخامس - أنه يحرم العبد من الاستفادة من شفاعة الشافعين** <sup>٦</sup> يوم القيامة؛ الشفاعة الموجبة للجنة والمنجية من النار: ففي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يارسول الله من

١ الزمر (٦٥).

<sup>٢</sup> مفتي بغداد في وقته وصاحب التفسير الشهير (روح المعاني)، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، ولد عام (١٢٢٧هـ) وتوفي عام (١٢٧٠هـ) - رحمه الله - . انظر ترجمته في : جلاء العينين لابنه نعمان خير الدين الألوسي طبع مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجده بدون تاريخ ص (٥٧-٥٨) والأعلام للزركلي (١٢٧/٧) .

<sup>٣</sup> روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للشيخ محمود الألوسي طبع دار الفكر بيروت (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) (٣٧/١٣) قلت : وهذه الآية والتي قبلها ردٌّ صارخ على القبورية الذين يثورون ويغضبون على من حذّر من الشرك ؛ بزعم أنه لا يمكن أن يحدث الشرك في هذه الأمة !.

٤ النساء آية (٤٨) وآية (١١٦) .

٥ الظلال (٦٧٨/٢) .

٦ الشفاعة : (السؤال في التجاوز عن الذنوب ممن وقع منه جنابة) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص٤٣٢) للشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق د/ محمد رضوان الدايب طبع دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) و (الشافعون : جمع شافع وهو صاحب الشفاعة). انظر: المعجم الوسيط (١/٤٨٧) مجمع اللغة العربية (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) طبع المكتبة الإسلامية إستانبول .

أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: ((لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه))<sup>١</sup> قال الحافظ: قوله: ((من قال لا إله إلا الله)) احتراز من الشرك<sup>٢</sup> قال ملا علي القاري<sup>٣</sup> في مرقاة المفاتيح: (أي لا يشوبه شك ولا شرك ولا يخلطه نفاق وسمعة ورياء... وقيل: أسعد هنا بمعنى أصل الفعل وقيل بل على بابه وأن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة فإنه ﷺ يشفع في إراحة الخلق من هول الموقف، ويشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار) انتهى محل الغرض منه. ° وهو يفيد ما عنوناً له من أن المشرك محروم من الشفاعة المنجية من النار والموجبة للجنة.

الوجه السادس - أنه أعظم الموانع من دخول الجنة وأعظم أسباب الخلود في النار: قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾<sup>٦</sup>

قال السيد رشيد رضا - رحمه الله -: (أمرهم عليه السلام بالتوحيد الخالص، ووقى عليه بالتحذير من الشرك، والوعيد عليه ببيان أن الحال والشأن الثابت عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئاً

١ البخاري مع الفتح (٤١٨/١١) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، مكتبة الرياض الحديثة مصورة عن طبعة المكتبة السلفية بدون تاريخ .

٢ هوخاتمة الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع المحدثين ممن جاء بعده، وصاحب الفضل عليهم في علم الحديث، ومصطلحه، وعلم الرجال والجرح والتعديل، وصاحب فتح الباري أشهر وأفضل شروح البخاري المطبوعة على الإطلاق، ولد عام (٧٧٣هـ) وتوفي عام (٨٥٢هـ) بالقاهرة - رحمه الله - وانظر: الضوء اللامع (ج ٢/٣٦) للحافظ محمد عبد الرحمن السخاوي طبع دار الحياة بيروت بدون تاريخ والبدر الطالع (١/٨٣-٩٢).

٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر (١/١٩٤) .

٤ العلامة الفقيه علي بن سلطان القارئ الحنفي، من أفاضل علماء زمانه، ولد بمرارة وتوطن مكة ومات بها، وله مؤلفات كثيرة نافعة من أعظمها في الحديث مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح توفي عام (١٠١٤هـ). انظر: البدر الطالع (١/٤٤٥) والأعلام (١٢/٥، ١٣) .

° مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ ملا علي القاري طبع دار الفكر بيروت (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) (٩/٥٢٥) .

٦ المائدة (٧٢) .

مامن ملكٍ أو بشرٍ أو كوكبٍ أو حجرٍ أو غير ذلك بأن يجعله ندأً له أو متّجداً به، أو يدعوهُ لجلب نفعٍ أو دفع ضررٍ، أو يزعم أنه يقربُه إلى الله زلفى فيتخذهُ شفيعاً زاعماً أنه يؤثر في إرادة الله تعالى أو علمه فيحمله على شئ غير ما سبق به علمه وخصصته إرادته في الأزل - من يشرك هذا الشرك ونحوه- فإن الله يحرم عليه الجنة في الآخرة بل هو قد حرّمها عليه في سابق علمه وبمقتضى دينه الذي أوحاه إلى جميع رسله، فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوي إليه إلا النار دار العذاب والهوان، وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بالشرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقدهم ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾<sup>١</sup> و**لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾<sup>٢</sup> فالنافع رضاه: ﴿ **ولا يرضى لعباده الكفر** ﴾<sup>٣</sup> وشرأتواعه (الشرك)؛ انتهى المقصود منه.

### المطلب الثاني: الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك:

إذا عرفت الشرك وخطورته في الدنيا والآخرة، فاعلم أن الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك، والجسم الذي يتجسّد ويسري فيه ذلك الروح الخبيث - الشرك - فالأصنام والأوثان والهياكل ما هي إلا مظاهر يتجسد فيها الشرك الذي يتعلق في الحقيقة بمخلوقات أخرى اعتقدها المشركون، وتعلقت بها قلوبهم ومنحوها صفات الآلهة. يقول الفخر الرازي<sup>٥</sup> -رحمه الله تعالى- في تفسيره عند قوله تعالى تعالى في سورة يونس: ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾<sup>٦</sup>: "... " وأما النوع الثاني الثاني " ما حكاه الله تعالى عنهم في هذه الآية، وهو قولهم: ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ فاعلم أن من الناس من قال: إن أولئك الكفار توهوا أن عبادة الأصنام أشد في تعظيم الله من عبادة الله

<sup>١</sup> البقرة (٢٥٥).

<sup>٢</sup> الأنبياء (٢٨).

<sup>٣</sup> الزمر (٧).

<sup>٤</sup> تفسير المنار (٤٨٣/٦).

<sup>٥</sup> العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، الأصولي المفسر كبير الأذكياء الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة (٥٤٤هـ)، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات.

<sup>٦</sup> يونس (١٨).

سبحانه وتعالى. فقالوا: ليست لنا أهلية أن نشغل عبادة الله تعالى بل نحن نشغل عبادة هذه الأصنام، وأنها تكون شفعاء لنا عند الله. ثم اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام أنها شفعاؤنا عند الله؟ وذكروا فيه أقوالاً كثيرة: فأحدها- أنهم اعتقدوا أن المتولي لكل إقليم من أقاليم العالم روح معين من أوراخ عالم الأفلاك؛ فعينوا لذلك الروح صنماً معيناً واشتغلوا بعبادة ذلك الصنم، ومقصودهم عبادة ذلك الروح، ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عبداً للإله الأعظم ومشتغلاً بعبوديته.

وثانيها- أنهم كانوا يعبدون الكواكب وزعموا أن الكواكب هي التي لها أهلية عبودية الله تعالى، ثم لما رأوا أن الكواكب تطلع وتغرب وضعوا لها أصناماً معينة واشتغلوا بعبادتها، ومقصودهم توجيه العبادة إلى الكواكب.

وثالثها - أنهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام والأوثان، ثم تقربوا إليها كما يفعل أصحاب الطلسمات.

ورابعها - أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر، على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله.

وخامسها - أنهم اعتقدوا أن الإله نور عظيم وأن الملائكة أنوار فوضعوا على صورة الإله الأكبر الصنم الأكبر، وعلى صورة الملائكة صوراً أخرى.

وسادسها- لعل القوم حلولية، وجوزوا حلول الإله في بعض الأجسام العالية الشريفة<sup>1</sup>.

وما ذكره الرازي أمر منطقي إذ لا يُعقل أن الإنسان بسمعه وبصره وعقله، ينحط صنماً أو يصنع وثناً بيده - وهو يعلم مادته ومن أين أخذ- ثم يزعم أن هذا الصنم أو الوثن هو الذي يخلق ويرزق، وهو الذي ينفع ويضر، هذا لا يكون أبداً. فلم يبق إلا ما ذكره الرازي من أنهم يرون أن هذه التماثيل والأصنام هي رموز لمخلوقات معظمة تستحق العبادة لقربها من الله، ومنزلتها عنده كما يفعل القبورية بقبور معظيهم. وبهذا تعلم أن هذه الظاهرة إنما هي جسد يحتضن الشرك الذي هو لها بمنزلة الروح.

**المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية:**

<sup>1</sup> التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي (١٧/٥٩-٦٠) طبع دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية .

إذا كان منهج القبورية هو الغلو في أرباب القبور الذين يُظن أنهم أولياء الله ومقربون لديه، فإن ذلك المنهج هو نفسه أصل الوثنية وعبادة الأصنام كما جاء في البخاري في كتاب (التفسير) عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾<sup>١</sup> قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت) ٢. إذاً أصنام قوم نوح كانت رموزاً لرجال صالحين حمل الغلو أتباعهم على تقديسهم وتعظيمهم وتطور الأمر حتى عبدوهم.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وقصة الصالحين كانت مبدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)<sup>٣</sup>.

#### المطلب الرابع: كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك:

ولما كان أصل الشرك والوثنية هو الغلو في أصحاب القبور؛ تواترت الأحاديث تواتراً معنوياً بالنهي عن تعظيم القبور بأي نوع من أنواع التعظيم، وفهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان العلة من تلك النصوص، وأشاعوا ذلك الفهم وعملوا بمقتضاه، وتبعهم على ذلك سائر علماء أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين، وإليك طائفة من تلك النصوص التي وردت بأساليب متنوعة:

**الأسلوب الأول- في النهي عن زيارة القبور في أول الإسلام وما فهمه العلماء من ذلك:** فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((هَيْبَتِكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا))<sup>٤</sup>. قال العلامة المناوي<sup>٥</sup> -رحمه الله- في "فيض القدير شرح الجامع الصغير": ((كنت هيبتكم عن زيارة القبور)) لحدثان عهدكم بالكفر. وأما الآن حيث انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصرت

<sup>١</sup> نوح (٢٣) .

<sup>٢</sup> البخاري مع الفتح (٦٦٧/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿ وُدًّا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ .

<sup>٣</sup> الفتح (٦٦٩/٨) .

<sup>٤</sup> رواه مسلم في صحيحه مع شرح الإمام النووي طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت بدون تاريخ ( ٤٦/٧ ) ، كتاب الجنائز باب زيارة في القبور والاستغفار لهم .

<sup>٥</sup> العلامة الكبير الشيخ محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، له مشاركة في فنون عديدة وله مؤلفات كثيرة من أشهرها فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ولد سنة (٩٥٢هـ) وتوفي سنة (١٠٣١هـ) رحمه الله (انظر الأعلام ٢٠٤/٦) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمات التعاريف .



أهل يقين وتقوى ((فزوروا القبور)) أي بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبور، أو تقبيل، أو سجود عليه، أو نحو ذلك. فإنه كما قال السبكي<sup>١</sup>: " بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال " (...)<sup>٢</sup>. وقال الشيخ أحمد الرومي الحنفي<sup>٣</sup> في كتابه "مجالس الأبرار ومسالك الأخيار" في شرح هذا الحديث: (هذا الحديث من صحاح المصايح رواه بريدة، فيه تصريح بوقوع النهي في أوائل الإسلام عن زيارة القبور لكونها مبدأ عبادة الأصنام) ثم ذكر قصة عبادة الأصنام في قوم نوح، ثم قال: (فلما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور؛ نهي ﷺ أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور سداً لذريعة الشرك، لكونهم حديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها)<sup>٤</sup>. وقال الشيخ علي محفوظ<sup>٥</sup> في كتابه (الإبداع في مضار الابتداع): (وسر النهي أولاً عن زيارتها؛ أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور في قوم نوح، نهي النبي ﷺ أصحابه في صدر الإسلام عن زيارتها سداً للذريعة، لكونهم حديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم؛ أذن لهم في زيارتها وعلمهم كيفيتها . تارة بفعله، وتارة بقوله، كما مرّ في الأحاديث أول الفصل)<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> القاضي العلامة علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، من كبار علماء عصره غير أنه ممن اصطدم بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعته أمثال ابن القيم وابن كثير والذهبي والمزي وغيرهم ، وله ردود على شيخ الإسلام ابن تيمية أشهرها (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) الذي رد عليه الرد القويم المفحم العلامة ابن عبد الهادي تلميذ مدرسة ابن تيمية -رحمهم الله جميعاً-، ورغم أنه مرجع كثير من القبوريين إلا أنه لم يبلغ مبلغهم في الانحراف بدليل كلامه السالف وهو من متعصبة الأشعرية - رحمه الله تعالى-. وانظر طبقات الشافعية لابنه تاج الدين عبد الوهاب ( ١٠/١٣٩ - ٣٣٨) طبع دار هجر ط ٢ ( ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م )، والدرر الكامنة لابن حجر (٣/٣٩-٤١) طبع دار الجيل - بيروت (١٤١٤هـ - ١٩٩٣هـ)، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي ص (٣٢ - ٣٧) .

<sup>٢</sup> انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي (٥/٥٥) دار الفكر بدون تاريخ .

<sup>٣</sup> العلامة الكبير الشيخ محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري ، له مشاركة في فنون عديدة وله مؤلفات كثيرة من أشهرها فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ولد سنة (٩٥٢هـ) وتوفي سنة (١٠٣١هـ) رحمه الله انظر : (الأعلام ٦/٢٠٤) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمات التعاريف .

<sup>٤</sup> المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد ص (٣٨٥-٣٨٦)

<sup>٥</sup> الشيخ العلامة علي محفوظ المصري الشافعي تخرّج بالأزهر ثم كان من أعضاء كبار العلماء وأستاذاً للوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين توفي سنة (١٣٦١هـ) ، انظر الأعلام (٤/٣٢٣) .

<sup>٦</sup> الإبداع في مضار الابتداع للأستاذ الشيخ علي محفوظ ص (١٩٠) طبع دار المعرفة الطبعة الخامسة سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م).

الأسلوب الثاني - النهي عن اتخاذ قبره عيداً وما فهمه العلماء من ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبليغي حيث كنتم)).<sup>١</sup>

قال المناوي -رحمه الله-: (معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لرفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حدّ التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلّوا عليّ، فظاهره نهي عن المعاودة، والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه، ويؤيده: ((وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبليغي حيث كنتم)) أي " لا تتكلفوا المعاودة إلي فقد استغنيتم بالصلاة علي " -قال-: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء، في يوم أو شهر مخصوص من السنّة، ويقولون هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه، منهي عنه شرعاً وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله)<sup>٢</sup> انتهى.

وقال شمس الحق العظيم أبادي<sup>٣</sup> -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: (وأما الآن فإن الناس في المسجد الشريف إذا سلم الإمام عن الصلاة قاموا في مصلاهم مستقبلين القبر الشريف كالراكعين له<sup>٤</sup> ومنهم من يلتصق بالسرادق<sup>٥</sup> ويطوف حوله وكل ذلك حرام باتفاق أهل العلم وفيه ما يجز الفاعل إلى الشرك) موضع الشاهد قوله: (وفيه ما يجز الفاعل إلى الشرك)<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> رواه أبو داود في سننه مع شرحه عون المعبود في كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ، (٣١/٦) طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية ( ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م ) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٣/١) ط مكتب التربية لدول الخليج العربي ط الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

<sup>٢</sup> بواسطة عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي(٣٢/٦-٣٣).

<sup>٣</sup> الشيخ العلامة محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو الطيب الصديقي العظيم أبادي، من محدثي الهند له عدة مصنفات في الحديث من أشهرها عون المعبود على سنن أبي داود توفي بعد سنة (١٣١٠هـ) رحمه الله ، انظر الأعلام (٣٩/٦).

<sup>٤</sup> في الأصل " الراكعين له" ومعناه غير مستقيم ، وبما أن تلك الطبعة كثيرة الغلط فالظاهر أن الصواب ما أثبتته والله أعلم

<sup>٥</sup> (السرادق كل ما أحاط بشئ من حائط أو مضرب) المعجم الوسيط (٤٢٦/١) والمقصود هنا هو سرادق قبر النبي ﷺ وهو الشبك النحاسي المحيط بالحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقال الطيبي<sup>١</sup> - رحمه الله - في شرح نفس الحديث: (نهامهم عن الاجتماع لها اجتماعهم للعيد نزهة وزينة، وكانت اليهود والنصارى تفعل ذلك بقبور أنبيائهم فأورثتهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظّمون أمواتهم حتى اتخذوهم أصناماً، وإلى هذا الإشارة بقوله: ((اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد))<sup>٢</sup> فيكون المقصود من النهي كراهته أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز ولهذا ورد: ((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>٣</sup>...٤ انتهى موضع الشاهد.

الأسلوب الثالث - نهي عن الصلاة على القبور وإليها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نهي أن يبني على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها))<sup>٥</sup>، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر))<sup>٦</sup>، وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها))<sup>٧</sup>.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في كتابه "الأم" في كتاب الصلاة: (وأكره أن يُبنى على القبر مسجد وأن يسوّى أو يصلى عليه وهو غير مسوّى أو يصلى إليه. قال وإن صلى إليه أجزاءه وقد أساء، أخبرنا مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقى دينان بأرض العرب)). - قال - : وأكره هذا للسنة والآثار وأنه كره - والله أعلم

١ الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، كان كريماً متواضعاً حسن الاعتقاد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مظهراً فضائهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين حينئذ، توفي سنة (٧٤٣هـ) رحمه الله تعالى، وانظر: الدرر الكامنة (٦٨/٢-٦٩)، والبدر الطالع (٢٢٩/١-٢٣٠).

٢ سيأتي تخريجه (ص ١٥).

٣ سيأتي تخريجه (ص ١٥).

٤ بواسطة مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقراري (١٤/٣).

٥ رواه أبو يعلى في مسنده (٢٩٧/٢) طبع دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) تحقيق حسين حسين سليم أسد، وقال الهيثمي: رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (٦٤/٣) كتاب الجنائز، باب البناء على القبور والجلوس عليها وغير ذلك طبع مؤسسة المعارف - بيروت (١٤٠٦-١٩٨٦)، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ (ص ٢٢).

٦ رواه الطبراني في الكبير وغيره، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني، طبع مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) (١٣/٣) رقم الحديث (١٠١٦)، وصححه الشيخ رحمه الله.

٧ رواه مسلم (٦٦٨/٢) رقم (٩٧) تحقيق عبد الباقي طبع دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).

— أن يعظّم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجداً، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده) ١. تأمل قول الشافعي - رحمه الله -: (ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده)، إذن ليست العلة أن في ذلك تضييقاً على المسلمين في مقابرهم، وإن كان ذلك لازم من اتخاذ مقابر المسلمين العامة مساجد على بعض القبور، وليست العلة الخوف من تنجس الأرض لأن الحكم عام في القبر الذي ابتدئ حفره كما هو في القبر المنبوش؛ وإنما العلة عند الشافعي - رحمه الله - خشية الفتنة والضلال على من يأتي بعده، وأي فتنة أو ضلال أعظم من أن يعظّم المخلوق حتى يُصرف لقبه من العبادة والتفديس ما لا يليق إلا بالله عز وجل؟!.

وقال القرطبي ٢ - رحمه الله - في تفسيره في تفسير سورة الكهف - بعد أن ساق كثيراً من الأحاديث التي فيها النهي عن البناء على القبور وتعظيمها -: (وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها)) لفظ مسلم. أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى؛ فيؤدّي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك) ٣.

**الأسلوب الرابع - دعوؤه ﷺ ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، مع إخباره بشدة غضب الله على متخذي قبور أنبيائهم مساجد، مما يؤكد العلاقة بين القبورية "اتخاذ القبور مساجد" والوثنية "صيرورة تلك القبور المعظمة أوثاناً تعبد من دون الله":** ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))

٤.

١ الأم للإمام محمد بن أدريس الشافعي (٢٧٨/١) طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .  
٢ الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي أحد مشاهير المفسرين وكتابه الجامع لأحكام القرآن من أوسع كتب التفسير يميل فيه إلى تتبع الأحكام الفقهية توفي سنة (٦٧١هـ) وانظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفة (٥٣٤/١) والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي (٢٨٧/١) طبع دار طيبة الرياض ط الأولى (١٤٠٥-١٩٨٥).

٣ الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي (٣٨٠/١٠) الطبعة ذات العشرين جزء مصورة ليس عليها اسم دار النشر .

٤ قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي في تخريج كتابه فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر مع فتح المجيد المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد لنفس المؤلف طبع مجموعة التحف النفائس بالرياض، ط الأولى (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م) (٢٨٠/١): (ابن سعد في "الطبقات (٢/٢٤٠-٢٤١) " من طريق مالك . وعبدالرزاق (١/٤٠٦/١٥٨٧)

قال الحافظ ابن عبد البر ١ في (التمهيد) في شرح هذا الحديث: (الوثن: الصنم . وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة، أو غير ذلك من التمثال. وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان، أو غير صنم. وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال ﷺ: ((اللهم لا تجعل قبوري وثناً)) يصلى إليه، ويسجد نحوه، ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك. وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون لها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر.

فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشيةً عليهم امتثال طرقهم) ٢ .

وقد عنون العلامة ابن حجر المكي الهيثمي ٣ - رحمه الله - في كتابه (الزواجر) عنواناً قال فيه: (الكبيرة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد،

---

١ وابن أبي شيبه (١٥٠/٢) (٧٥٤٤/١٥٠) كلهم عن زيد بن أسلم مرسلًا بسند صحيح . ووصله أحمد (٢٤٦/٢) والحميدي (١٠٢٥) وأبونعيم في (الخليّة) (٢٨٣/٦) (٣١٧/٧) عن أبي هريرة بسند صحيح وصححه البزار . انظر (النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (ص ١١٥) .

١ الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُجَدِّد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة . كان إماماً ديناً متقناً ، علامة ، متبحراً ، صاحب سنة واتباع وكان في ابتداء أمره أثرياً ظاهرياً فيما قيل ، ثم تحول مالكيّاً مع ميل يبيّن إلى فقه الشافعي في مسائل ، ولا ينكر له ذلك ، فإنه ممن بلغ مرتبة الأئمة المجتهدين . ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم ، وقوة الفهم ، وسيلان الذهن ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه، بل نستغفر له ونعتذر عنه) ولد سنة (٣٦٨هـ) ومات (٤٦٣هـ)، الترجمة ملتقطة بحروفها من السير للذهبي (١٥٣/١٨-١٦٣) وانظر المقدمتين الضافيتين لكتايبه التمهيد والاستذكار .

٢ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي (٤٥/٥) تحقيق سعيد أحمد أعراب (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

٣ العلامة الفقيه الشيخ أحمد بن مُجَدِّد بن حجر الهيثمي السعدي الشافعي من أجل وأعظم علماء الشافعية في وقته، وأحد الشيخين الذين تفردا بالاعتماد من شراح المنهاج، والآخر هو شمس الدين مُجَدِّد بن أحمد الرملي، واعتماد أهل الحجاز واليمن على مارجحه ابن حجر في تحفته، وهو من جانب آخر أشعري محارب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما يتعلق ببعض مسائل التوحيد والاتباع، وخصوصاً شدّ الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ، غير أنه مع ذلك ضد القبوريين في مسائل البناء

وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها). ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على ما عنون له، ثم قال (" تنبيه " عدُّ هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذه مما ذكرته من هذه الأحاديث)، ثم ذكر وجه الدلالة على تلك الكبائر، إلى أن قال وهو موضع الشاهد: (وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: " لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد بعدي " ١، أي لا تعظّموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له، أو نحوه، فإن أراد ذلك الإمام بقوله: (واتخاذها أوثاناً) هذا المعنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبيرة بل كفر بشرطه، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بُعد، نعم قال بعض الحنابلة: قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركاً به عين المحادة لله ورسوله وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم إجمالاً) ٢ الخ.

وقال المألا علي القاري -رحمه الله- في "مرقاة المفاتيح " : (أي لا تجعل قبوري مثل الوثن في تعظيم الناس، وعودهم للزيارة بعد بدئهم، واستقبالهم نحوه في السجود، كما نسمع ونشاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد ((اشتد)) استئناف كأنه قيل: لم تدعو بهذا الدعاء؟ فأجاب بقوله اشتد ((غضب الله)): ((ترحموا على أمتي وتعطفوا لهم، قاله الطيبي، وتبعه ابن حجر، والأظهر أنه إخبار عما وقع في الأمم السابقة؛ تحذيراً للأمة المرحومة من أن يفعلوا فعلهم، فيشتد غضبه عليهم) ٣ انتهى محل الغرض منه.

فهذه نصوص أرباب المذاهب الأربعة: المالكية، والشافعية، والحنابلة، والأحناف، متفقة على أن الغلو في القبور وتعظيمها بالصلاة لها أو إليها يجعلها أوثاناً تعبد من دون الله.

**الأسلوب الخامس: لعنة ﷺ لليهود والنصارى وإخباره بلعن الله لهم كونهم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر أمتي مما صنعوا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم**

على القبور، وتعظيمها وفي مسألة الاستغاثة بغير الله، وانظر ترجمته في جلاء العينين ص (٤٠) و النور السافر لعبد القادر بن شيخ العيدروس ص (٢٥٨-٢٦٣) طبع دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) .  
١ كذا قال . والحديث إنما هو بلفظ الدعاء لا بلفظ النهي.

٢ الزواجر عن اقتراف الكبائر للشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي (١/١٤٨-١٤٩) طبع دار المعرفة ببيروت (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م) .

٣ المرقاة (٢/٤٥٨) .

منه: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً))<sup>١</sup>.

وعنها عليه السلام قالت: لما كان مرض رسول الله ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسناتها وتصاويرها، قالت: فرجع النبي ﷺ رأسه فقال: ((أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))<sup>٢</sup>.

وعن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي علوجه طرف خميصة<sup>٣</sup> له فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه وهو يقول: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) تقول عائشة رضي الله عنها: (يحذر ما صنعوا)<sup>٤</sup>.

هذه الأحاديث الثلاثة يشدد فيها النبي ﷺ النكير، ويؤكد بلعن الفاعلين لذلك، وأنهم شرار الخلق عند الله تعالى، وذلك لقبح ذلك الفعل وعظيم أثره في الانحراف عن العقيدة الصحيحة، وفتح الباب للشرك الوثنية وقد بينت عائشة رضي الله عنها أن الصحابة فهموا ما قصده النبي ﷺ وعناه، ومن أجل ذلك لم يبرزوا قبره خشية أن يتخذ مسجداً، وأنه إنما قال ذلك محذراً لأئمة أن تصنع كما صنع أولئك.

قلت: وبالفعل عمل الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر العلماء في العصور المختلفة علبت قبره وحجبه عن الناس، وبالغوا في ذلك غاية المبالغة كما سيأتي في كلام النووي<sup>٥</sup> والسمهودي<sup>١</sup> -رحمهما

---

١ البخاري مع الفتح (٢٠٠/٣) كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ومسلم مع النووي (١٢/٥) كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها، طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

٢ البخاري مع الفتح (٢٠٨/٣) كتاب المساجد، باب بناء المسجد على القبر، ومسلم مع النووي (١١/٥) كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

٣ (الخميسة كساء أسود مربع له علمان) القاموس المحيط ص (٧٩٧).

٤ البخاري مع الفتح (٤٩٤/٦-٤٩٥) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم مع النووي (١٣/٥) الكتاب والباب المتقدمين.

٥ الإمام العلامة شيخ الشافعية وعمدتهم، وأحد أئمة الحديث في زمانه، محيي الدين يحيى بن شرف النووي صاحب التصانيف المفيدة المباركة، التي لاقت القبول عند سائر علماء المسلمين ببركة إخلاصه، ولد بنوى سنة (٦٣١هـ) وتوفي بها سنة (٦٧٦هـ)، وانظر البداية والنهاية (٢٧٨/٣-٢٧٩)، وطبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي (٣٩٥/٨-٤٠٠).

الله-، وإليك كلام بعض العلماء على هذه الأحاديث وإشارتهم وتصريحهم بأن هذه النصوص تمنع من تعظيم القبور حتى لا تعبد من دون الله، ويفتن بها الناس، وتؤدي إلى ما أدى إليه غلوّ الأولين في قبور معظيهم، حيث صارت أوثاناً تعبد من دون الله.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كلامه على حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: (وكأنه علم أنه مرتحل فخاف أن يعظّم قبره كما فعل من مضى فلعنّ اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم) ٢.

ويناسب هذا المقام ما ذكره الإمامان النووي وابن حجر في شرحهما على الصحيحين في الكلام على قصة موت موسى عليه السلام، وسؤال ربه أن يديه من الأرض المقدسة.

قال النووي -رحمه الله-: (قال بعض العلماء: وإنما سأل الإذناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس) ٣.

وقال ابن حجر: (لكن حكى ابن بطلال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليُعَمِّي موضع قبره لئلا يعبد الجاهل من أمته) ٤.

من هذه النقول الثلاثة يتبين ما فهمه العلماء من أحاديث النهي عن اتخاذ المساجد على القبور؛ وهو خشية التعظيم المفضي إلى العبادة كما حصل للأمم السابقة بغلوها في أنبيائها وصالحيتها إلى أن عبدتهم من دون الله، وتحولت القبرية إلى وثنية وشرك، أجاز الله أمة محمد عليه السلام من ذلك.

وقال العلامة ابن دقيق العيد ه -رحمه الله تعالى- في شرح عمدة الأحكام في حديث عائشة الثاني: (وقوله عليه السلام): ((بنوا على قبره مسجداً)) إشارة إلى المنع من ذلك وقد صرح به الحديث

---

١ مؤرخ المدينة النبوية وفقهها في وقته، علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي القاهري الشافعي، نزيل الحرمين، صاحب أضخم كتاب مطبوع في تاريخ المدينة وهو كتاب (وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى)، ولد سنة (٨٤٤هـ) وتوفي سنة (٩١١هـ) انظر الضوء اللامع للسخاوي (٢٤٥/٥-٢٤٨) .

٢ الفتح (٥٣٢/١).

٣ النووي على مسلم (١٢٨/١٥) .

٤ الفتح (٢٠٧/٣).

٥ الإمام المجتهد المحدث محمد بن علي بن وهب المصري الدار، والشافعي ثم المالكي المذهب، أحد من قيل إنهم من المجددين لهذا الدين، وصاحب المصنفات المستعذبة المفيدة، ولد في البحر قرب ينبع سنة (٦٢٥هـ) وتوفي سنة (٧٠٢هـ) انظر البداية والنهاية (٢٧/١٤) والدرر الكامنة في إعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن حجر رحمة الله تعالى (٩٦-٩١/٤).



الآخر: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)) ١.

وقد علق الصنعاني - رحمه الله - على كلامه هذا فقال: (قوله: ((إشارة الى المنع من ذلك)). أقول: من حيث إنه جعل شرار خلق الله هم المصورون، ومعلوم أن من فعل شيئاً يكون به من شرار خلق الله أنه فعل محرماً وقد صرح به في حديث آخر، يريد الحديث الذي أخرجه الشيخان بلفظ: ((قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) زاد مسلم: ((والنصارى)) وحديث عائشة بلفظ: ((الرجل الصالح)) أعم من قبور الأنبياء. والكل محرم فإنه ذريعة إلى تعظيم الميت، والطواف بقبره، والتماس أركانه، والنداء باسمه، وبالجملة أنه يصير صنماً يعبد) انتهى محل الغرض منه. ولا يزال بعده كلام قوي متين في النعي على القبوريين فلينظرهناك ٢.

ومما يناسب هذا المقام ما قرره العلامة الشيخ محمد بن سالم البيهاني ٣ - رحمه الله - في كتابه (إصلاح المجتمع) إذ قال وهو يتحدث عن الشرك: (ومن الشرك تعظيم القبور الذي فتن به المسلمون في مختلف الجهات، حتى بنوا عليها القباب، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت، وطافوا بها وحجوا إليها، ونذروا لأصحابها بجزء معلوم من أولادهم وأقاموا لها الحفلات والمواسم، وجاءوا إليها متوسلين ومستغيثين. وهذا يطلب منهم الولد، ووثانٍ يطلب منهم شفاء المريض، وثالث يريد منهم النصر على الأعداء، وأن ينصفوا له من فلان الظالم، ونسبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكون معجزة لنبي مرسل، وكتبوا عنهم الشطح، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدّع أنه شريك لله) الخ كلامه رحمه الله ٤ .

الأسلوب السادس - النهي المباشر للأمة عن البناء على القبور، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم، وإخباره ﷺ أنه لا يفعل ذلك إلا شرار الخلق عند الله تعالى: فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم

١ الإحكام للإمام ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني (٢٥٧/٣-٢٥٨) طبع المكتبة السلفية (١٤٠٩هـ).

٥ المصدر السابق (٢٥٨/٣).

٣ ستأتي ترجمته في الباب الثالث (ص).

٤ إصلاح المجتمع للشيخ محمد بن سالم البيهاني ص (١٣٠) طبع مؤسسة طيبة الخيرية (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

خليل...)) إلى أن قال: ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك))<sup>١</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر وأن يقعد عليه ويبنى عليه))<sup>٢</sup>. ولفظ أبي داود: ((نهى أن يقعد على القبر ويبنى عليه))<sup>٣</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد))<sup>٤</sup>. ففي هذه الأحاديث التي مرت النهي الصريح عن أي نوع من أنواع التعظيم للقبور ومن ذلك: النهي عن اتخاذها مساجد، والنهي عن مجرد البناء عليها، وعن تخصيصها، والكتابة عليها. وقد توجه النهي أول ما توجه إلى قبور الأنبياء والصالحين. لماذا؟ لأنها هي التي يخشى الغلو في أربابها عكس قبور سائر الناس، والفتنة بها أعظم من غيرها. وهذا هو الواقع المشاهد فإنه ما من مشهد إلا ويزعم أنه بني على ولي صالح، ذي مناقب وكرامات عظيمة يرجى نفعه ويخاف انتقامه، أو يزعم أنه على نبي من أنبياء الله كما ظهر ذلك تخميناً في أماكن كثيرة من بلاد الله، ولكثير من الأنبياء، مع تصريح العلماء أنه لا يُعلم على التحقيق واليقين إلا قبر نبينا محمد ﷺ، وزاد بعضهم قبر الخليل عليه السلام في الموضوع المشهور باسمه في فلسطين<sup>٥</sup>.

١ النووي علم المسلم (١٣/٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المسجد على القبور.

٢ النووي على مسلم (٣٧/٧) كتاب الجنائز باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه.

٣ رواه أبو داود (٢٣٥/٢) كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر طبع دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت ط الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م)، والنسائي في سننه (٨٦/٤-٨٨) كتاب الجنائز رقم (٢٠٢٧، ٢٠٢٨، ٢٠٢٩) طبع مكتب المطبوعات الإسلامية بجلب عناية عبد الفتاح أبو غده الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، و ابن ماجه في سننه (٤٩٨/١) كتاب الجنائز باب ماجاء في النهي عن البناء على القبور وتخصيصها والكتابة عليها طبع دار إحياء الكتب العربية (١٣٧٢-١٩٥٢) تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه الشيخ الألباني، ينظر صحيح أبي داود للشيخ الألباني (٦٢١/٢).

٤ رواه أحمد (٣٢٤/٥) تحقيق أحمد محمد شاكر، وابن خزيمة في صحيحه (٧/٢) كتاب الصلاة باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد تحقيق محمد مصطفى الأعظمي طبع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٢٤/٥): (إسناده صحيح. وهو في "مجمع الزوائد" (٢٧/٢) وقال: "رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن" وهو فيه أيضاً (١٣/٨) وقال: "رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بحدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقيته رجاله رجال الصحيح".)

٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤١/٢٧). طبع مكتبة المعارف الرباط بالمغرب بدون تاريخ.

ثم لاحظ كيف قرَنَ النبي ﷺ من يتخذ المساجد على القبور بمن تقوم عليهم الساعة وقد صرَّح عليه الصلاة والسلام في أحاديث صحيحة أن أولئك الذين تقوم عليهم الساعة لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه كما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله)) ١، فالذين تقوم عليهم الساعة لم يستحقوا أن يكونوا شرار الخلق إلا بالكفر التام والخلو التام من الإيمان، إذاً فمقارنتهم بالذين يتخذون القبور مساجد يدل على خطورة النهاية التي تصل إليها القبورية بأصحابها.

وهذا يظهر من تعليق العلماء على تلك الأحاديث: يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرح حديث جندب رضي الله عنه: (قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فرمما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها، مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد؛ فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: ((ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)) والله أعلم بالصواب) ٢.

وقال العلامة صديق حسن خان ٣ في كتابه "السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج" في شرحه لحديث جابر رضي الله عنه: ((وأن يبنى عليه)) قال النووي: فيه كراهة البناء عليه، قال: أما البناء عليه، فإن كان في ملك الباني فمكروه. وإن كان في مقبرة (مسبلة) فحرام نص عليه

١ النووي على مسلم (١٧٨/٢) كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان .

٢ النووي على مسلم (١٢/٥ - ١٣) .

٣ محيي السنة وقامع البدعة، الإمام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، أحد مجدددي علوم السنة في الهند، وصاحب المصنفات الذائعة والمؤلفات النافعة التي يجنح فيها إلى الاجتهاد وينفر عن التقليد تبعاً لشيخه وأستاذه الذي تتلمذ على كتبه، ونسج على منوالها شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله ، ولد سنة (١٢٤٨هـ) وتوفي سنة (١٣٠٧هـ). انظر كتاب: السيد صديق حسن خان آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف للدكتور

اختر جمال لقمان .

الشافعي والأصحاب، قال في (الأم): ورأيت الأئمة بمكة يأمرّون بهدم ما بيني، ويؤيد الهدم قوله: ((ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)) انتهى.

وأقول: فإن البناء على القبر حرام لا مكروه في أي مكان ولأجل أي قبرٍ كان، وهذا بالأدلة الثابتة الصحيحة في الصحيح وغيره، من طرق تُوجب العلم اليقين:

(فمنها): الأمر بالتسوية كما تقدم.

(ومنها): النهي عن البناء كما مر هنا.

(ومنها): النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن فاعل ذلك وغير ذلك مما هو مبين في كتب السنة.

وبالجملة فما هذه أول شريعة صحيحة محكمة، وسنة قائمة صريحة تركها الناس واستبدلوا بها غيرها. وقد صارت هذه البدعة وسيلة لضلال كثير من الناس، "ولا سيما العوام" فإنهم إذا رأوا القبر عليه الأبنية الرفيعة، والستور العالية، وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليه، سبب عن ذلك الاعتقاد في ذلك الميت ولا يزال الشيطان الرجيم وإبليس اللعين يرفعه من رتبة إلى رتبة حتى ينادى مع الله، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ﷻ ولا يقدر عليه سواه فيقع في الشرك. هذا أمر العوام.

وأما الخواص فلهم عرس ١ الموتى على قبورهم وطوافها، والمراقبة عندها وانتظار وصول الفيض من أصحابها، والاستمداد بهم في الفرج بعد الشدة وإيجاب النذور لهم ووضع الأموال في المقابر إلى غير ذلك من الكبائر، والإشراك، والبدع، وكل ذلك ضلالة على ضلالة وظلمة فوق ظلمة ﴿ وسيعلم

## الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ٢.

وأما تخصيص قبور الفضلاء بهذه الداهية الدهيئة، والمعصية الصماء، والفاقرة العظمى فلا وجه له) الخ ٣ وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره "تفسير سورة الكهف": (وأما تعليية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يُهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول

١ كذا في الأصل ولم أتبين المراد به.

٢ الشعراء (٢٢٧) .

٣ السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج للشيخ صديق حسن خان إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر (٣/٨٢-٨٣-٣٨٤) .

منازل الآخرة، وتشبهاً بمن كان يعظم القبور ويعبدها و باعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال هو حرام)١.

وكان -رحمه الله تعالى- قد صرح في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾٢. وهو يتكلم عن سد الذرائع بأن ما ورد من الأحاديث في النهي عن البناء على القبور وتخصيصها... الخ. إنما هو لسد الذريعة المؤدية الى ما وصلت إليه الأمم السابقة من التدرج في عبادتها من دون الله وهذا نص كلامه -رحمه الله-: (قال علماءنا: ففعل ذلك أوائلهم ليأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان: أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدها فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسدّ الذرائع المؤدية الى ذلك فقال: ((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد)) وقال: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد))٣.

هذه أقوال أهل العلم على هذه الأحاديث ونحوها، وكلها تؤكد أن المقصد من ذلك النهي والتشديد هو سدّ ذرائع الشرك، وألا يصل الحال بهذه الأمة كما وصل بالأمم السابقة حتى حلّت بها الوثنية والشرك وذلك يؤكّد ما عتوّنا له أول الفصل والله الحمد.

الأسلوب السابع - الأمر بتسوية القبور المشرفة مع قرن ذلك بطمس التماثيل: فعن ثمامة بن شُفي -رحمه الله - قال: (كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس ٤ فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها)٥. وعن أبي الهيثج الأسدي -رحمه الله- قال: قال لي علي بن أبي طالب: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع

١ الجامع لأحكام القرآن (٣٨١/١٠) .

٢ البقرة (١٠٤) .

٣ تفسير القرطبي (٥٨/٢) .

٤ (هي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط افتتحها معاوية ﷺ ودانت بالإسلام زمناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية) انظر معجم البدان لياقوت بن عبد الله الحموي (٧٨/٣) طبع دار صادر، بيروت ط ثانية (١٩٩٥ م).

٥ مسلم كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (٣٥-٣٦) مع النووي .

تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته<sup>١</sup>. وهكذا فهم الصحابة رضوان الله عليهم الأمر، فسوّوا القبور المشرفة، وأمروا بذلك وصار هذا شعارهم ودينتهم.

فهذا فضالة بن عبيد رضي الله عنه يطبق ما سمع ويأمر بتسوية القبر؛ امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسويتها، وهذا علي رضي الله عنه يبعث رئيس شرطته أبالهاياج الأسدي ٢ لطمس القبور كما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أنه يطبق ما عرفه وفهمه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وهذا عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور كذلك. قال عبدالله بن شرحبيل بن حسنة -رحمه الله-: (رأيت عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور فقبل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسوي) ٣ وعن عمرو بن شرحبيل قال: (لا ترفعوا جدثي - يعني القبر - فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك) ٤، وسيأتي مزيد بيان لهذا في الباب الأول إن شاء الله ٥.

وأما العلماء ممن جاء بعد الصحابة والتابعين وإلى عصرنا الحاضر، فستأتي نماذج من كلامهم الدال على أنهم فهموا ذلك المعنى، وعملوا بمقتضاه، وصرحوا بأنه من باب سد الذريعة المفضية إلى الوثنية والشرك بالله تعالى.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مخصصة قال الراوي عن طاووس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي أن تبنى القبور أو تخصص (قال الشافعي) وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما بيني فيها فلم أر الفقهاء يعيرون ذلك) ٦.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الكبرى" في جواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع: (المنقول المعتمد كما جزم به النووي في شرح المهذب حرمة البناء في المقبرة المسبلة، فإن بُني فيها هُدم ولا فرق في ذلك بين قبور الصالحين والعلماء وغيرهم، وما في الخادم مما يخالف ذلك ضعيف لا يلتفت إليه،

١ المصدر السابق (٣٦/٧).

٢ تحذير الساجد من اتحاد القبور مساجد ص (٨٨) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني .

٣ رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجنائز باب في تسوية القبر وما جاء فيه (٣٤١/٣) طبع الدار السلفية بالهند بومبي الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ، وأبو زرعة في تاريخه بسند صحيح إلى عبدالله وانظر تحذير الساجد (٨٨).

٤ رواه ابن سعد في الطبقات (١٠٨/٦) دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧م) وصحح إسناده الشيخ الألباني وانظر: تحذير الساجد ص (٩٨) .

٥ الفصل الثاني من الباب الأول .

٦ الأم (٢٧٧/١) .

وكم أنكر العلماء على بابي قبة الإمام الشافعي - رحمه الله - وغيرها، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكاراً) انتهى محل الغرض منه ١.

وقال في جواب سؤال آخر: (يحرم بناء القبر في المقبرة المسبلة؛ وهي التي اعتاد أهل البلد الدفن فيها، ومثلها الموقوفة لذلك، سواء كان مدمكاً أم مدمكين لأن الكل يسمى بناء ولوجود علة تحريم البناء في ذلك وهي تحجير الأرض على من يدفن بعد بلاء الميت، إذ الغالب أن البناء يمكن إلى ما بعد البلى، وأن الناس يهابون فتح القبر المبني، فكان في البناء تضيق للمقبرة ومنع الناس من الانتفاع بها فحرم، ووجب على ولاية الأمر هدم الأبنية التي في المقابر المسبلة، ولقد أفتى جماعة من عظماء الشافعية بهدم قبة الإمام الشافعي - رحمه الله - وإن صُرفت عليها ألوف من الدنانير لكونها المقبرة المسبلة وهذا - أعني البناء في المقابر المسبلة - مما عمّ وطم، ولم يتوقّف كبير ولا صغير فإننا لله وإنا إليه راجعون) ٢.

وقال شيخ الإسلام الشوكاني - رحمه الله - في النيل في شرح حديث علي رضي الله عنه: (قوله: " ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " فيه أن السنة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً ومن كان غير فاضل، والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرّم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك، والقول بأنه غير محظور لوقوعه من السلف والخلف بلا نكير - كما قال الإمام يحيى ٣ والمهدي ٤ في الغيث - لا يصح لأنه غاية ما فيه أنهم

١ الفتاوى الكبرى للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيثمي المكي (١٧/٢) طبع دار الفكر ببيروت ( ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م )

٢ المرجع السابق (٢٥/٢) .

٣ ستأتي ترجمته في الباب الأول (ص ١٠٢) .

٤ الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى ، من كبار أئمة الزيدية ومن عليهم المعول في الفقه بل إن كتابه (الأزهار) هو عمدتهم عمدتهم بلا منازع . بلغ درجة الاجتهاد وهي شرط من شروط الإمامة عند الزيدية فبويع له بالإمامة سنة (٧٩٣هـ) ولم يتم له الأمر ، له عدد كبير من المصنفات من أشهرها:

- الأزهار وشرحه الغيث المدرار .

- البحر الزخار الجامع لمذهب علماء الأمصار .

- المنية والأمل في الملل والنحل . =

سكتوا عن ذلك والسكوت لا يكون دليلاً إذا كان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني، ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولاً القبر والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك كما سيأتي . وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفسد ييكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستعاثوا.

وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه - فإننا لله وإنا إليه راجعون - ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب الله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين ١ أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإن قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعنم وتلكأ وأبي واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه - تعالى - ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً:

**لقد أسمعت لونايت حياً ولكن لاحياة لمن تنادي**

**ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد ٢**

وقال صديق حسن خان: (أقول: الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها، من غير فرق بين نبي وغير نبي، وصالح وطالح، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره ﷺ ولم يرفع قبورهم، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها، ومات ﷺ

---

= وغيرها كثير ، توفي - رحمه الله - سنة (٨٤٠هـ). انظر البدر الطالع (١/١٢٢-١٢٦)، بلوغ المرام في شرح مسك الختام للقاضي حسين بن أحمد العرشي ص (٤١٠) ، طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت عني بطبعة الأب أنستاس ماري الكرملي .

١ في المطبوع المقبورين وهو خطأ.

٢ نيل الأوطار (٤/٩٥) .



ولم يرفع قبره أصحابه، وكان من آخر قوله: ((لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، ونهى أن يتخذ قبره وثناً، فما أحق الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشعار الذي أرشدهم إليه ﷺ، وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لا يناسب العلم والفضل؛ فإنهم لو تكلموا لضجوا من اتخاذ الأبنية على قبورهم وزخرفتها لأنهم لا يرضون بأن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته، فإن رضوا بذلك في الحياة كمن يوصي من بعده أن يجعل على قبره بناء، أو يزخرفه فهو غير فاضل، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قبره ما هو مخالف لهدي نبيه ﷺ، فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبور، وتشبيدها، وما أسرع ما خالفوا وصية رسول الله ﷺ عند موته فجعلوا قبره على الصفة التي هو عليها الآن وقد شدّ من عضد هذه البدعة ما وقع من بعض الفقهاء من تسويغها لأهل الفضل حتى دونوها في كتب الهداية والله المستعان... ١.

#### الأسلوب الثامن - إنكاره على من طلبوا أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها:

كما في قصة ذات أنواط والحديث بذلك أخرجه الترمذي - رحمه الله - في سننه في كتاب الفتن، باب " لتركبن سنن من كان قبلكم " من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلِّقون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال لهم النبي ﷺ: ((سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم)) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ٢ .

فانظر - رحمك الله - كيف عظم رسول الله ﷺ سؤالهم له أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون وذلك بعدة أمور، منها: التسييح الذي يقال عند سماع الأمر العظيم، ومنها: تشبيه طلبهم ذلك بطلب قوم موسى حين قالوا له: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾<sup>٣</sup>، ومنها: الإخبار بالسنة

<sup>١</sup> الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خان (١٧٥-١٧٦) طبع دار الندوة الجديدة ببيروت (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

<sup>٢</sup> سنن الترمذي (٤/٤٧٥) طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الأولى (١٣٨٢هـ -

١٩٦٢م) تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض، وقال الشيخ الألباني في صحيحه (٢/٢٣٥): (صحيح)، طبع مكتب

التربية العربي لدول الخليج، ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

<sup>٣</sup> الأعراف (١٣٨).

الماضية من أتباع هذه الأمة لغيرها من الأمم السابقة فيما وقعوا فيه من الفتن والضلال وإقسامه على ذلك .

فهذا كله برهان واضح على خطورة تلك المظاهر الوثنية وما تجرّه على الأمة من انحراف في عقيدتها ولهذا حذر العلماء - رحمهم الله - من وجود مثل تلك الأماكن التي يعظمها العوام ويتبركون بها ويعتقدون فيها شيئاً من النفع والضرر، أو يقومون عندها بشعائر تعبدية مبتدعة أو شركية، قال الإمام أبو بكر الطرطوشي ١ - رحمه الله - في كتابه " الحوادث والبدع " بعد سياق هذا الحديث: (فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة وشجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها) ٢ .

وقال الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي ٣ - رحمه الله - في كتابه " الباعث على إنكار البدع والحوادث " وهو يتكلم عن البدع والمحدثات المستقبحة: (ومن هذا القسم أيضاً: ما قد عمّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة لتخليق الحيوان والعمد ٤ وسرّح مواضع في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالندى لها؛ وهي ما بين عُيونٍ وشجرٍ وحائطٍ وحجر. وفي مدينة دمشق - صانها الله تعالى من ذلك - مواضع متعددة كعويّنة الحمى خارج باب

---

١ الإمام العلامة مُجّد بن الوليد بن مُجّد الفهري المعروف بالطرطوشي، ولد بطرطوشه ببلاد الأندلس، ثم رحل إلى أهل بلده في طلب العلم ثم إلى المشرق العربي، واستقر به المقام بالإسكندرية حتى توفي بها رحمه الله ، ولد سنة (٤٥١هـ) وتوفي سنة (٥٢٠هـ) انظر الأعلام (١٣٣/٧-١٣٤) ومقدمة كتابه الحوادث والبدع تحقيق عبدالمجيد تركي، طبع دار الغرب الإسلامي ط الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٢ الحوادث والبدع للإمام مُجّد بن الوليد الطرطوشي (ص ١٠٥) .

٣ الإمام الحافظ المجتهد شهاب الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة ، قال عنه السخاوي (كان عالماً راسخاً في العلم، مقرئاً محدثاً نحويّاً ، يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والانطراح والتصانيف العدة ) ولد سنة (٥٩٩هـ) وتوفي - رحمه الله - سنة (٦٦٥هـ) . انظر : البداية والنهاية (٢٥٠/١٣-٢٥١)، والإعلان بالتبويخ (ص ٦٠) طبع دار الكتاب العربي طبعة مصورة عن نسختي الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمور (١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م).

٤ التخليق: أي طليها بالخلوق (والخلوق : طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة) لسان العرب (٩١/١٠) ، و(العُمْد : جمع عمود ) وانظر المعجم الوسيط (٢٦٦/٢).

توما، والعمود المخلوق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق - سهّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها- فما أشبهها بذات أنواط الوارد في الحديث...١) وذكر الحديث السابق .

فانظر كيف فهم العلماء- رحمهم الله تعالى - من هذا الحديث النهي عن هذه المظاهر الوثنية القبورية وأنها تؤدي إلى الشرك بالله تعالى وعبادة غيره كما قال ابن القيم ٢-رحمه الله تعالى:- (فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت . ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر . أي تقبل العبادة من دون الله تعالى فإن النذر عبادة وقرية، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه، ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقى ٣ في كتاب " تاريخ مكة " عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾<sup>٤</sup> قال: (إنما أمرنا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثره وأصابه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلوق)<sup>٥</sup> . وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة القبور وهي أصل فتنة عبادة الأصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين وقد تقدّم<sup>٦</sup> .

١ الباعث على إنكار البدع والحوادث للشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي ص ( ١٠١ ) طبع دار الراجحة للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى ( ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م )

٢ العلامة المحقق الأصولي الفقيه النحوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، صحب الإمام ابن تيمية ووافق في كثير من آرائه دون تقليد وأوذي وحبس معه حتى مات شيخه فأفرج عنه ، تعتبر كتبه شجى في حلوق المبتدعة وقرّة عين لأهل السنة ، لاسيما زاد المعاد الذي لا تكاد تخلو منه مكتبة عالم موافق له أو مخالف رحمه الله ، ولد سنة (٦٩١هـ) وتوفي سنة (٧٥١هـ) . انظر ترجمته : في البداية والنهاية (٢٣٤/١٤-٢٣٥) والدرر الكامنة (٤٠٠/٣-٤٠٣) .

٣ الإمام الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى المكي صاحب أول تاريخ موجود لمكة المكرمة ، مات سنة (٢٥٠هـ) انظر :مقدمة كتابه أخبار مكة طبع مطابع دار الثقافة بمكة تحقيق رشدي الصالح ملحق الطبعة الثامنة ( ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ) ، الأعلام (٢٢٢/٦) .

<sup>٤</sup> البقرة ( ١٢٥ ) .

<sup>٥</sup> أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى ( ٢ / ٢٩ - ٣٠ ) .

<sup>٦</sup> إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ( ١ / ٢١٢ ) طبع دار المعرفة ببيروت بتحقيق محمد حامد الفقي .

وعلى ذلك فإن تنبيه رسول الله ﷺ لأصحابه، هو تنبيه للأمة كلها ألا يتبعوا الأمم الضالة فيما سلكوه من سبل الضلال، ومن أهمها وسائل الشرك .

### الأسلوب التاسع - نفيه ﷺ أن يذبح لله في مواضع الشرك وأعياد الجاهلية:

فقد روى أبو داود من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: (نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة<sup>١</sup> فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: أوف بنذرِك فإنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم))<sup>٢</sup> .

فالرسول ﷺ استوضح السائل عن سر تخصيصه لذلك المكان بالذبح فيه، لأنه ربما كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يذبح له من دون الله، أو كان فيه عيد من أعيادهم، وخشي أن يكون ذلك السائل أراد التشبه بهم في ذلك، أو أنه بقي لديه شيء من آثار تعظيم ذلك المكان، فلما أجاب السائل بالنفي أجاز النبي ﷺ نذره وأمره بالوفاء به، معلناً له وللأمة كلها أنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ومن ذلك يفهم أنه لو كان في ذلك المكان وثن يعبد، أو عيد من أعياد الجاهلية، لكان ذلك النذر بتخصيص ذلك المكان معصية ولما جاز الوفاء به، وما ذاك إلا لاستئصال كل ما يؤدي إلى تعظيم الأماكن التي يؤدي تعظيمها إلى إفساد العقيدة، وإيجاد نوع من التعظيم القلبي الذي يوجب الشرك بالله في ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>٣</sup> - رحمه الله - في "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم": (وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه:

١ بضم الموحدة وبعد الألف نون وقيل بفتح الباء : هضبة من وراء ينبع . انظر : عون المعبود ( ١٤٠/٩ )  
٢ رواه أبو داود ( ١٤٠/٩ ) مع عون المعبود وقال الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول : ( وإسناده صحيح ) ( ١٤٠/١١ ) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ طبع دار الفكر بيروت ط الثانية ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) ، وكذلك صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ( ٦٣٦/٢ ) .

٣ شيخ الإسلام وعلم الأعلام ومجدد القرن الثامن أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، لا يفي بالتعريف به أسطر قليلة، كيف وقد أفردت لترجمته مؤلفات جلييلة، كان رحمه الله أمة في عصره وبعد عصره، جمع الله له من أبواب الخير ما لم يجمعه لسواه منذ القرون الأولى للإسلام؛ جاهد في الله حق جهاده بسنانه ولسانه وبنانه حتى أتاه اليقين، وهو مجدد منهج السلف الصالح وليس مبتدعاً فيه كما ير يد أن يلبسه ذلك أعداء السنة الذين يجارونهم بالطعن في ذاته الشريفة، ورافع لواء التوحيد وليس مخترعاً سبيله، توفي رحمه الله مسجوناً في ذات الله

أحدها - أن قوله ((فأوفِ بنذرك)) تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خالياً من هذين الوصفين فيكون الوصفان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به .

الثاني - أنه عقب ذلك بقوله: ((لاوفاء لنذر في معصية الله)) ولولا اندراج الصورة المسؤول عنها في هذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط والمنذور في نفسه - وإن لم يكن معصية - لكن لما سأله النبي ﷺ عن الصورتين قال له: ((فأوفِ بنذرك)) حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك، فكان جوابه ﷺ فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبين ما لا وفاء فيه .

الثالث - أنه لو كان الذبح في موضع العيد جائزاً لسوغ ﷺ للناذر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به بل لأوجب الوفاء به إذ كان الذبح بالمكان المنذور واجباً . وإذا كان الذبح بمكان عيدهم منهياً عنه فكيف بالموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيدهم...)) ثم أخذ يتكلم عن العيد واشتقاقاته ثم قال: (... ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة

---

من أجل إعلان كلمة الحق في زمن يضيق بها أهله، وتصغر عن فهمها عقولهم، وتتضرر به مصالحهم فنشر بذلك ذكره وعلا قدره ومات واندرس ذكرٌ وقدُرُ مناوئيه فلايكاد يذكرهم أحد بخير . ولد سنة (٦٦١هـ) وتوفي رحمه الله سنة (٧٢٨هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للإمام للذهبي (٤/١٤٩٦ - ١٤٩٧) طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ، والبداية والنهاية (١٣٥/١٤ - ١٤٠) ، والتذكرة والإعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به لعماذ الدين الواسطي طبع دار العاصمة بالرياض ط الثانية (١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م) تحقيق د. عبد الرحمن الفيرواني ، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر بن علي البزار طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الثانية (١٣٩٦هـ) تحقيق زهير الشاويش ، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون لمحمد عزيز شمس وعلي العمران طبع دار عالم الفوائد مكة ط الأولى (١٤٢٠هـ) .

<sup>١</sup> اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور ناصر العقل (١/٤٤٠) - (٤٤٣) ط الأولى (١٤٠٤ هـ) ليس عليه اسم الدار ، مع شيء من الاختصار .

التي يعظمونها، بالتعبيد فيها، أو لمشاركتهم في التعبيد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيها، ونحو ذلك .  
إذ ليس إلا مكان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه .  
فإن كان من أجل تخصيص البقعة - وهو الظاهر - فإنما نهي عن تخصيص البقعة لأجل كونها  
موضع عيدهم، ولهذا لما خلت من ذلك أذن في الذبح، وقصد التخصيص باق، فعلم أن المحذور  
تخصيص بقعة عيدهم.

وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً، فكيف نفس عيدهم؟. هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع  
شركهم بعبادة الأوثان كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان... فإذا كان ﷺ قد نهي  
أن يذبح في مكان كان الكفار يعملون فيه عيداً - وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك  
العيد، والسائل لا يتخذ المكان عيداً ، بل يذبح فيه فقط - فقد ظهر أن ذلك سداً للذريعة إلى بقاء  
شيء من أعيادهم؛ خشية أن يكون الذبح هناك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة؛ وذريعة لانتهازها عيداً<sup>١</sup>

وقال الملا علي القاري - رحمه الله - في شرح المشكاة: (وهذا كله احتراز من التشبه بالكفار في  
أفعالهم) ٢ .

٢ المرقاة (٦/٦٠٩) .



## المبحث الثالث

### هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء:**

من مزايا الإسلام شموله وكماله، ووسطيته واعتداله، وموازنته بين المصالح والمفاسد؛ بحيث لا يث على جلب منفعة يترتب عليها حدوث مفسدة، أو تفويت مصلحة أعظم منها، ومن هذا المنطلق جاءت نظرتة إلى مقابر المسلمين، فحفظت للأموات كرامتهم وشرعت ما فيه مصلحتهم، ونهت عن تقديس القبور تقديساً يؤدّي إلى تعظيمها في نظر الأحياء وافتتانهم بها والاعتقاد في أصحابها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله.

فنهى رسول الله ﷺ عن امتهان المقابر يجعلها مواطن لقضاء الحاجة ١، وعن وطء القبور ٢، والجلوس عليها ١، وعن كسر عظام الميت ٢، وحذر علماء المسلمين وفقهاؤهم من نبش القبور لغير

---

١ لما رواه ابن ماجه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( لأن أمشي على جمرة أوسيف أو أخصف نعلي برجلي ، أحب إليّ من ان أمشي على قبر مسلم ، وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق ) ، كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (٤٩٩/١) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (٢٦١/١) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ط الثالثة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .

٢ للحديث السابق .



مصلحة تعود على الميت أو ضرورة تلجئ إلى ذلك ٣، وأرشد الرسول ﷺ المشي بين القبور أن يجلع نعليه ٤، وهذه الأمور فيها غاية الحفاظ على قبور المسلمين، وغاية التكريم لأمواتهم. وحتى لا يؤدي تكريم أموات المسلمين، والحفاظ عليهم إلى تقديسهم والعلو فيهم، فقد نهى رسول الله ﷺ عما يؤدي إلى ذلك. فنهى عن الصلاة على القبور وإيها ٥، ونهى أن تتخذ مساجد ٦، وعن تخصيصها والبناء عليها والكتابة عليها ٧، وأمر بتسوية القبور المشرفة التي ترفع فوق الحد الذي يسمح به الشرع ٨، وقد عقل الصحابة والتابعون لهم بإحسان، والأئمة المقتدى بهم ذلك، وحافظوا على ذلك الهدي الصالح، والطريقة الرشيدة حتى نهاية القرون المفضلة، عندما آلت ولاية المسلمين إلى الروافض والباطنية فغيروا وبدلوا وأماتوا سنة الرسول ﷺ وأصحابه، ونشروا سنة اليهود والنصارى في بلاد المسلمين، وتبعهم على ذلك جهلة الحكام، ومنحرفو المتصوفة، حتى شاع ذلك في بلاد

١ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (( لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر مسلم )) . رواه مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه (٣٧/٧ - ٣٨) مع النووي.

٢ لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (( إن كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره حياً )) رواه أحمد (٥٨/٦) وأبو داود في كتاب الجنائز باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان؟ (٢٣١/٢)، وابن ماجه كتاب الجنائز باب في النهي عن كسر عظم الميت (٥١٦/١)، وصححه شيخنا الألباني في صحيح أبي داود (٦١٨/٢).

٣ انظر المجموع للإمام النووي تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي (٢٤٦/٥، ٢٦٦ - ٢٧٧) طبع مكتبة الإرشاد جده بدون تاريخ.

٤ لحديث بشر مولى رسول الله ﷺ وفيه: ( أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشي بين القبور عليه نعلان فقال: (( يا صاحب السبتيتين ويحك ألق سبتيتك )) . فنظر فلما عرف رسول الله ﷺ خلعهما فرمى بهما ) رواه أبو داود في كتاب الجنائز = باب المشي في النعل بين القبور (٢٣٦/٢) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (٦٢٢/٢)، وكذا روى نحوه ابن ماجه في كتاب الجنائز باب ماجاء في خلع النعلان في المقابر (٤٩٩/١) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (٢٦١/١).

٤ ورد ذلك من حديث ابن عباس وأبي مرثد الغنوي وقد سبقا مع تخريجهما ص (١٣) .

٤ صح بذلك الأحاديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انظر طائفة منها ص (١٦ - ١٧).

٥ كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقد سبق (ص ١٩)

٦ صح ذلك من حديث فضالة بن عبيد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقد سبقا مع تخريجهما ص (٢٣) .

٧ الكشف المبين عن حقيقة القبورين زيارة هود وما فيها من ضلالات ومنكرات للباحث ص (٣٩ - ٤٠) ط الأولى

(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

المسلمين، وصار هو الغالب على كثير منها رغم تحذير العلماء وتقرير الفقهاء، وصيحات الغيورين على سنة المصطفى ﷺ) ١.

### المطلب الثاني: تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء:

وفيه مسألتان:

#### المسألة الأولى - تعاملهم مع قبر النبي ﷺ:

لقد مرت بنا أحاديث لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى؛ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ١، وأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ ٢، بل كان آخر ذلك في حال نزول الموت به ﷺ ٣، وقد صرحت عائشة رضي الله عنها أنه كان ((يحذر ما صنعوا))، وصرحت أن الصحابة لم يبرزوا قبره لتلك العلة. وهذا الذي فهمته عائشة من أحاديث الرسول ﷺ التي لعن فيها اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - هو الفقه الصحيح والفهم الثاقب اللائق بما ﷺ، وليس هو فهمها وحدها ﷺ، وإنما فهم الصحابة جميعاً، والدليل على ذلك أنهم دفنوه كما يدفن سائر المسلمين لم يميزوه بشيء عن سائر الموتى إلا وضع قطيفة في لحده؛ حيث لا يخشى من ذلك أي تأثير علققائد الناس إذ لم تكن ظاهرة لهم ولا يمكن أن يفتتن بها أحد. وأما هيئة القبر فإنه كسائر القبور، فقد روى البخاري - رحمه الله - عن سفيان التمار أنه (رأى قبر النبي ﷺ مسنماً) ٥. قال الحافظ: (أي مرتفعاً) مرتفعاً) ٦.

قلت: الارتفاع المشروع فقط، يفسره مارواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أمه اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لامشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء) ٧ وزاد الأمر وضوحاً مارواه الأجرى في كتاب صفة قبر النبي ﷺ من طريق إسحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المدني قال: رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبدالعزيز فرأيت مرتفعاً نحواً من أربع أصابع ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه) ٨.

فهذه الروايات تبين ما كان عليه قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه، وأنها ليس عليها أي أثر من آثار التعظيم والتقدیس، وإنما هي قبور عادية كسائر القبور، لا مخصصة، ولا مرتفعة، وليس عليها تواييت،

ولا سرح، ولا ثياب، ولا أي شيء مما ابتدعته القبورية فيما بعد، وهذا كله يحقق لنا هدي النبي ﷺ وأصحابه في القبور، وأن ما خالفه إنما هو هدي اليهود والنصارى الذين استحقوا اللعن على ذلك. وكما فهم الصحابة رضي الله عنهم من تلك الأحاديث أنه لا يجوز إضفاء ملامح العظمة على قبر النبي ﷺ وقبور المسلمين، كذلك فهموا أنه لو أبرز قبر النبي ﷺ لربما أدى إلى ان يفتتن الناس به، وأن يعملوا عنده ما لا يجوز، وذلك جعله يدعو ربه أن يجنبه إياه، ولقد استجاب الله دعاءه، وحماه بما فعله الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعون رحمهم الله كما قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

### فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدرانِ

#### حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزّةٍ وحمايةٍ وصيانِ

ففي عهد الصحابة رضي الله عنهم كان في بيت عائشة -رضي الله عنها- وكان لا يدخل عليه ولا يصل إليه أحد إلا بإذنها، ولم يُنقل أن الناس كانوا يستأذنونها لزيارتها، وإنما يسلمون من المسجد ثم ينصرفون، ثم دفن معه أبو بكر ثم عمر ولم يدفن عمر رضي الله عنه إلا بإذنها -رضي الله عنه- وقد روى قصة دفنه مع صاحبيه البخاري -رحمه الله- في صحيحه ٩، ومما يؤيد أن القبر كان بعيداً عن أنظار الناس وعن وصولهم إليه؛ قصة القاسم بن محمد المتقدمة قريباً في هذا البحث، وأنه عندما رغب في رؤية القبر استأذن عائشة في ذلك فكشفت له عن القبور، أي أنها فتحت الباب وكشفت الستارة التي على الباب الذي في الجدار

١ من ذلك حديثان عن عائشة وحديث عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انظر فيما تقدم ص (١٦-١٧) وحديث

جندب بن عبدالله وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما (ص ١٩) .

٢ كما في حديث جندب السابق في الهامش ١ .

٣ كما في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما السابقين في الهامش ١ .

٤ مسلم مع النووي (٣٤/٧) كتاب الجنائز باب جعل القطيفة في القبر .

٥ البخاري مع الفتح (٢٥٥/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٦ المرجع السابق (٢٥٧/٣) .

٧ رواه أبو داود (٢٣٤/٢) كتاب الجنائز باب تسوية القبور ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/٤) كتاب الجنائز باب تسوية القبور وتسطيحها طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ، ورواه الحاكم أيضاً (١/٧٠٠ - ٧٠١) طبع دار المعرفة بيروت ط الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، وقال الأرنؤوط في نخب تاريخ جامع الأصول (١١/٨٢) " إسناده حسن " .

٨ الفتح (٢٥٥/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٩ البخاري مع الفتح (٢٥٦/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

الذي بنته عندما دفن عمر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ليكون حائلاً بينها وبين القبور ١، وهذا دليل دليل قوي على أن القبور كانت في غاية الصيانة والبعد عن وصول الناس، حتى أقرب الناس إلى عائشة لا يرونها إلا بإذن منها رضي الله عنها،

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه عن هشام بن عروة عن أبيه: (لما سقط عليهم الحائط ٢ في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدم ففرعوا وظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة، لا والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم، ما هي إلا قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه) ٣، فانظر كيف كان ذلك الجمع الحاضر لتلك الحادثة غير مميز لمواقع القبور بعضها من بعض مما يؤكد أنها كانت محجوبة عنهم لا يعرفون عنها شيئاً.

ومما يؤكد أن القبر الشريف كان محجوباً عن الناس، لا يصلون إليه إلا بطريقة غير مأذون فيها، ولا مقرة من أهل العلم وأولي الأمر، حديث علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله- أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فنهاه، وقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم)) ٤. فأنت ترى أن الرجل كان يدخل من فرجة، إذأ هناك جدار محيط بالقبر مغلق عليه غير أن فرجة فتحت بأي سبب من الأسباب استغلها ذلك الرجل، فصار يدخل إلى عند القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فنهاه ذلك الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله-، والجدار الذي أشرت إليه هو جدار حجرة عائشة رضي الله عنها التي سبق أن أشرت إليها فيما مضى وهذا -رواية سقوط جدار عائشة- من أوضح الأدلة على ما ذكرت من حجب القبر عن الناس

١ انظر وفاء الوفاء (٥٤٤/٢) طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ط الرابعة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٢ أي حائط بيت عائشة رضي الله عنها وذلك عندما أراد عمر بن عبدالعزيز رفع الحائط حول الحجرة الشريفة حيث رأى بعض

الناس يصلون إلى القبر فلما حفر حول الحائط القديم انهدم فبدت تلك القدم، انظر الفتح (٢٥٧/٣) .

٣ البخاري مع الفتح (٢٥٥/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٤ رواه أحمد في المسند (٣٦٧/٢)، وأبو داود في كتاب المناسك باب زيارة القبور (٦٢٢/١) برقم (٢٠٤٢)، وأبو يعلى

الموصللي في مسنده (٣٦١/١) رقم (٤٦٩)، وقال المحقق عبدالقادر الأرناؤوط في تحريج كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد

الوهاب طبع دار السلام الرياض ١٤١٣هـ (ص ٩٠): وهو حديث صحيح بشواهده وطره حسنة .

وكذلك -رواية زين العابدين- على موقف علماء السلف ممن يحاول أن يصل إلى القبر ظاناً أن في ذلك فُرْبَى وفضيلة، والله أعلم.

### المسألة الثانية - تعاملهم مع قبر النبي دانيال عليه السلام<sup>١</sup>:

لقد تعلّم الصحابة من رسول الله ﷺ أن سبب حدوث الشرك في العالم هو الغلوّ في الصالحين، وفهموا من نهيه المكثف آخر حياته، وفي مرض موته، أن قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز تعظيمها، وأن اليهود والنصارى استحقوا اللعن حينما بنوا المساجد على قبورهم، وصوّروا فيها صورهم، لذلك تعاملوا مع قبره بالشكل الذي سبق في المسألة الأولى من هذا المطلب.

وعندما انسابت جيوش المسلمين في أرجاء الأرض فاتحةً -تقتلع الشرك من النفوس، وتقتلع وسائله ومظاهره من على وجه الأرض، ووصل جيش أبي موسى الأشعري مدينة تَسْتُر<sup>٢</sup> -وجدوا رجلاً يعظّمه أهل البلد، ويستنزلون به الغيث، ويتوسلون به إلى ربهم، ويذكرون أنه النبي دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل الذين أُتِيَ بهم إلى هذه الجهة أيام بختنصر، فخشى أن يبقى بين الناس فيفتنون به، ويغْلُون فيه، فعمل على إخفائه، وإبعاده عن تناول الناس، وطمس قبره؛ حتى لا يعرفه أحد أبداً، ولم يشفع كونه نبياً أو صالحاً أن يبرزه أو يميّز قبره.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تاريخه: (وقال يونس بن بكير عن مُجْدِبْنِ إِسْحَاقَ عَنْ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ: لَمَّا افْتَتَحْنَا تَسْتُرَ وَجَدْنَا فِي بَيْتِ الْهَرَمَزَانِ سَرِيرًا عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَصْحَفٌ، فَأَخَذْنَا الْمَصْحَفَ فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، فَدَعَا لَهُ كَعْبًا فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، قَالَ: فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ، قَرَأْتُهُ مِثْلَمَا أَقْرَأَ الْقُرْآنَ هَذَا، فَقُلْتُ: لِأَبِي الْعَالِيَةِ مَا كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: سِيرِكُمْ وَأَمْرِكُمْ وَلِحُونُ كَلَامِكُمْ وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ، قُلْتُ: فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ؟ قَالَ: حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ دَفَنَاهُ وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا، لِنَعْمِيَّتِهِ عَلَى النَّاسِ فَلَا يَنْبَشُونَهُ قُلْتُ: فَمَا يَرْجُونَ مِنْهُ؟ قَالَ: كَانَتْ السَّمَاءُ إِذَا حَبَسَتْ عَنْهُمْ بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيَمْطُرُونَ، قُلْتُ: مَنْ كُنْتُمْ تَنْظُونَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ دَانِيَالٌ، قُلْتُ: مِنْذُكُمْ وَجَدْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ؟ قَالَ: مِنْذُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، قُلْتُ مَا

١ يقال إنه أحد أنبياء بني إسرائيل الذين أسرههم بختنصر وسار بهم إلى بابل وأنه مات ببلد السوس، انظر البداية والنهاية

(٢/ ٣٢٥) وانظر خبره (٢/ ٤٠-٤٢) .

٢ تَسْتُرُ: هي أعظم مدينة بخوزستان من بلاد العجم. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٩).

تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع. وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية<sup>١</sup>.

قلت: قد يطعن البعض في هذه الرواية لقوله فيها: (منذ ثلاثمائة سنة) إذ من المعلوم أن آخر رسل وأنبياء بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام، وأنه لا نبي بينه وبين نبينا مُحَمَّد ﷺ، وأنه من المتفق عليه أن ما بين عيسى ومُحَمَّد عليهما الصلاة والسلام أكثر من ثلاثمائة سنة بكثي ر، وكان ابن كثير قد أجاب عن هذا الإشكال فقال: (ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري<sup>٢</sup> والفترة التي كانت بينهما أربعمئة سنة، وقيل ستمائة، وقيل ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر، فإنه قد يكون رجلاً آخر، إما من الأنبياء، أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال؛ لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم)<sup>٣</sup>. قلت: كيفما كان الأمر فموضع الشاهد محفوظ لنا وهو أن الصحابة منهجهم الذي تلقوه من النبي ﷺ هو طمس القبور، وإخفاؤها سواء كانت لأنبياء أو صالحين أو غيرهم، بل كلما كان العبد ذا منزلة أعظم كانت عنايتهم بإخفاء قبره أكبر لأن خوف الفتنة حينئذ أشد.

### المطلب الثالث: كيف تصرف التابعون حين اضطروا إلى توسعة المسجد ليشمل الحجرة النبوية موضع القبر الشريف في خلافة الوليد بن عبد الملك!؟

كان الوليد بن عبد الملك<sup>٤</sup> من أشهر خلفاء بني أمية، وهو أكثرهم عنايةً بالبناء والعمران حتى لقب مهندس بني أمية<sup>٥</sup>، وكان بين بني أمية وآل علي بن أبي طالب ﷺ عداً تاريخي كما هو معلوم، فلا يرضى خلفاء بني أمية أن يتميز عنهم آل علي ﷺ بأي فضيلة، وكان بيت فاطمة ﷺ ضمن أبيات

١ البداية والنهاية (٤٠/٢) .

٢ البخاري مع الفتح (٤٧٧/٦-٤٧٨) كتاب الأنبياء باب قول الله: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ ولفظه: (أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي) من حديث أبي هريرة ﷺ.

٣ البداية والنهاية (٤٠/٢ - ٤١) .

٤ ولي الخلافة سنة (٨٦ هـ) وتوفي سنة (٩٦ هـ) .

٥ الشامل في تاريخ المدينة (٣٩٦/١) للدكتور عبد الباسط بدر الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .

النبي ﷺ الواقعة على الحد الشرقي للمسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فتوافقت رغبة الوليد في بناء المسجد، وتشيينه بما يليق به وبعظمة الخلافة في عهده مع الرغبة في إلغاء تلك الميزة التي يتميز بها بنو علي رضي الله عنهم بسكناهم في بيت فاطمة رضي الله عنها جوار المسجد، وبين أبيات النبي ﷺ، فصمم على تنفيذ ذلك المشروع وهو توسعة المسجد من جوانبه الأربعة، وإدخال حجر أمهات المؤمنين وحجرة فاطمة وحجرة عائشة رضي الله عنهن جميعاً في المسجد إضافة إلى أن بعض المؤرخين قد ذكروا أن بعض جدران الحجرة قد بدأ فيه الخلل نتيجة القدم<sup>١</sup>، وعندما وصل خطابه بذلك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء العشرة<sup>٢</sup> ووجوه الناس، وأخبرهم بما أمر به الوليد فأذكروا ذلك، وكرهوه، ورأوا أن بقاء بيوت النبي ﷺ على حالها أدعى للعبرة، والاتعاظ، فكتب عمر بن عبد العزيز للوليد فرد بإنفاذ الأمر وعزم على عمر بذلك فنفذ ما أمر به<sup>٣</sup>، وعارض في ذلك سعيد بن المسيب، قال ابن كثير - رحمه الله -: (كأنه خشى أن يُتخذَ القبر مسجداً والله أعلم)<sup>٤</sup>.

وأصرح من ذلك ما نقله السمهودي عن عروة بن الزبير أنه قال: (نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ ألا يجعل في المسجد أشد المنازل فأبي وقال: كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه، قال قلت: فإن كان ولا بد فاجعلوا له حوجواً - قال السمهودي: (أي وهو الموضع المزور خلف الحجرة)<sup>٥</sup>.

١ انظر لهذه المبررات كلها المرجع السابق (١/٣٩٥ - ٣٩٦).

٥ وهم : سعيد بن المسيب (ت ٩٣هـ) وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٤هـ) وعروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٤هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٦هـ)، وأبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (ت ٩٤هـ)، وسليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها (ت ١٠٠هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت ١٠٠هـ). هؤلاء هم الفقهاء السبعة يجمعهم هذان البيتان =

إذا قيل من في العلم سبعة أبحرٍ روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيدالله عروة قاسم سعيد أبوبكر سليمان خارجة

ولعل تكلمة العشرة هم: سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦هـ)، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف (ت ١٠٤هـ)، وأبان بن عثمان (ت ١٠٥هـ). وانظر: سير أعلام النبلاء (٤/٣٥٤)، و الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (١/٢٩١-٢٩٤). للشيخ محمد الحسين الحجوي الثعلبي الفاسي طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (١٣٩٧هـ - ١٩٩٧ م) .

٣ البداية والنهاية (٩/٧٤) .

٥ المرجع السابق (٩/٧٥) .

٥ وفاء الوفاء (٢/٥٤٨) .

قلت: وهذا العمل الذي أشار به عروة - رحمه الله - هو الذي ذكره الإمام النووي - رحمه الله - حيث قال: (ولما احتاجت الصحابة<sup>١</sup> رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلح إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قال في الحديث: ((ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً))<sup>٢</sup> والله أعلم بالصواب)<sup>٣</sup>. هذا ما فعله أهل العلم وأولو الأمر عندما اضطروا إلى ذلك سترًا للقبر سترًا كاملاً، فلا يُنظر، ولا يتمكن أحد من الصلاة إليه، وما ذاك إلا أنهم فهموا الأحاديث الناهية عن الصلاة على القبور وإليها، وعن اتخاذ القبور مساجد، وفهموا العلة في ذلك النهي، فعملوا على إزالة تلك العلة وفي هذا أبلغ رد على شبهة القبوريين الذين يحتجون بأن قبر النبي ﷺ في مسجده<sup>٤</sup>.

١ الصحيح أن ذلك في عهد كبار التابعين أما الصحابة فلم يبق بالمدينة أحد منهم آنذاك إلا على قول في كل من السائب ابن يزيد وسهل بن سعد ولكن ابن عبد الهادي جزم أنه لم يوجد حينذاك أحد بها من الصحابة . انظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي للشيخ محمد أحمد بن عبد الهادي تحقيق الشيخ عقيل بن محمد المقطري طبع مؤسسة الرياض بيروت الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٢م) ص (٣٠٣) ، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث (١١٦/٣) للشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي تخريج وتعليق الشيخ صلاح محمد عويضة طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

٢ تقدم تخريجه ص (١٧)

٣ شرح مسلم (١٢/٥-١٣)

٤ انظر ذلك وأضف إليه ما سبق نقله عن النووي وابن حجر من شرحهما لحديث موسى عليه السلام حيث صرحا بأنه قصد إخفاء قبره خشية الفتنة على قومه، ثم انظر إلى معاكسة القبورية لذلك حيث يقول أحد مؤلفيهم المعاصرين : (... ومع ذلك فإن النبي ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج قد عرفهم ووصف لهم قبر موسى عليه السلام وقال : ((لو كنت هناك لأريتكم إياه)) .هو بنفسه عليه الصلاة والسلام يتولى تعريفهم بهذا الموطن المبارك من أجل ماذا!!! من أجل إقامة الصلوات والروابط بين المؤمنين وأنبيائهم وصلحائهم وأوليائهم بالتأدب معهم وسلوك طريقتهم وزيارتهم في حياتهم وبعد مماتهم ، وهو مقصد سامي سعت إليه شريعتنا له أثر بيّن على القلوب ، فالمرء يوم القيامة مع من أحب ، ولا ينبغي أن يصرف ولاؤنا إلى غير هؤلاء القوم الذين اصطفاهم بارئهم ، ومن بين خلقه اجتنابهم ) . انظر الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود، لفهمي بن علي بن عبيدون الترمي الحضرمي ، دار الفقيه للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .



## المطلب الرابع هدي الإسلام في زيارة القبور:

كما هو الشأن في سائر شرائع الإسلام أنها تكون في غاية من الاعتدال والسماحة، وصادرة عن حكمة بالغة تضمن لمن عمل بها على بصيرة: الفوز، والنجاح، والسعادة، دون أن يتعرض بسببها لأي نوع من أنواع الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة.

كذلك كانت شرعية زيارة القبور في الإسلام حينما كان الناس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبادة غير الله نهاهم الرسول ﷺ عن الزيارة، حتى يكون هناك برزخ فاصل بين العهدين عهد الشرك وعهد التوحيد، وعهد الجاهلية وعهد الإسلام حتى يذهب ما في النفوس من الالتفات إلى الأرض وما عليها مما يقديسه الناس، وعهد السموّ الروحي والصفاء القلبي والذهني الذي لا يبقى معه التفات إلى غير الله ﷻ.

وفعلًا حينما حصل ذلك؛ خاطب النبي ﷺ أمته قائلاً: ((كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها))<sup>١</sup> ((فإنها تذكر الموت))، وفي رواية: ((فإن في زيارتها تذكرة))، وفي أخرى: ((فإنها تذكر الآخرة))<sup>٢</sup>، وفي ثالثة: ((فزوروها ولتزدكم زيارتها خيراً))<sup>٣</sup>، وفي رواية رابعة: ((فإن فيها عبرة))<sup>٤</sup>، ومن حديث أنس رضي الله عنه: ((ثم بدا لي أنها تُرّق القلب وتُدمع العين وتُذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هجرًا))<sup>٥</sup>.

١ رواه مسلم في كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة وانظر لشرح النووي (٤٦/٧).

٢ انظر تخريجها في المرجع السابق (٤٦/٧).

٣ رواه الترمذي في كتاب الجنائز باب ماجاء في الرخصة في زيارة القبور من حديث بريدة وقال: وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة (٣/٣٦١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (١/٣٠٧-٣٠٨)، والنسائي في كتاب الضحايا باب الإذن في أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام من حديث بريدة واللفظ له (٧/٢٣٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (٣/٩٢٣) طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ط الأولى (١٤٠٩-١٩٨٨)، ورواه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في زيارة القبور من حديث أبي هريرة (١/٥٠٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (١/٢٦٢).

٤ رواه أحمد (٣/٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري وقال الأرناؤوط في تحقيقه للمسنَد (١٧/٤٢٩): حديث صحيح، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولى (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٥ رواه أحمد من حديث أنس (٣/٢٥٠، ٢٣٧)، وصححه بطرقه وشواهده الأرناؤوط في تحقيقه (٢١/٢٢٣)، وكذا روى نحوه الحاكم (١/٣٧٦) والبيهقي في السنن (٤/٧٧).

وبهذا يشرع لنا الرسول ﷺ زيارة القبور مع بيان العلة فيها وهي تذكرة الموت، والدار الآخرة، وتزهد في الدنيا، وترق القلب وتدمع العين، وينبغي أن يحرص الزائر أن تزيده زيارته للمقابر خيراً، وهذا كله فيما يخص الزائر.

أما الأموات فإن لهم فيها نصيباً أيضاً حيث كان ﷺ إذا زارهم يدعو ويستغفر لهم، كما روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: (كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم للاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد))<sup>١</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا هي زارت القبور ما تقول: قال: ((قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون))<sup>٢</sup>.

ففي هذه الأحاديث بيان أن من مقاصد الزيارة وعللها السلام على الأموات والدعاء والاستغفار لهم، قال الإمام الصنعاني -رحمه الله- في "سبل السلام" بعدما شرح أحاديث الإذن بالزيارة: (والكل دالٌّ على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار... فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً)<sup>٣</sup>.

فهذه هي زيارة القبور عند أهل السنة كما علمهم إياها رسول الله ﷺ فمن أتى بها على هذا الوجه ولهذه الغاية ظفر بالأجر والفائدة المترتبة عليها، ومن زارها لغير ذلك فهي ردٌّ عليه. ثم إنها إما أن تكون بدعية، وإما أن تكون شركية بحسب ما يحصل فيها من أعمال ويقارنها من اعتقاد وقصد. ذلك هو هدي الإسلام في زيارة القبور، وتلك هي أهداف وغايات الزيارة واضحة ناصحة بعيدة عن كل ذريعة تؤدي إلى الشرك بأربابها والغلو في أصحابها، وقد جاءت بعض القيود التي تسد الثغرات الموصلة إلى ذلك:

١ مسلم مع النووي (٤٠/٧-٤١) كتاب الجنائز باب ما يقال عند زيارة القبور والدعاء لأهلها .

٢ المصدر السابق (٤٤/٧) .

٣ سبل السلام شرح بلوغ المرام للإمام محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني (٢/٢٣٠-٢٣١) طبع دار الكتاب العربي ط الثانية (١٤٠٦هـ-١٩٨٦) .

**القيد الأول:** ألا تتخذ أعياداً: قال ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا

عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)<sup>١</sup>، وقد سبق كلام العلماء عليه ونص المناوي على أن من ذلك: (اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو أشهر مخصوص من السنة) ودعا ولاية الأمر إلى إنكار ذلك عليهم<sup>٢</sup>.

ونفهم من هذا أنه ليس من هدي الإسلام تعيين يوم معين من سنة، أو شهر، أو أسبوع، يخصص لزيارة القبور كما هو شأن القبورية.

**القيد الثاني:** ألا تُشدّ إليها الرحال، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي))<sup>٣</sup>، وروى الإمام أحمد -رحمه الله تعالى - في مسنده عن عبدالرحمن بن هشام بن الحارث أنه قال: (لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو جاء من الطور فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من الطور صليت فيه، قال: أما لو أدركت قبل أن ترحل ما رحلت إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي وهذا والمسجد الأقصى))<sup>٤</sup>.

فهذا النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مقصود به أن يشد رحله مسافراً إلى مكان بعينه لعبادة الله تعالى فيه، هذا هو الظاهر المتبادر إلى الذهن وهو الذي فهمه ذلك الصحابي أبو بصرة الغفاري، واحتج به على أبي هريرة ﷺ، وسكت أبو هريرة ﷺ فلم يرد عليه وهذا دليل التسليم لما روي ولما أخذ واستنبط من تلك الرواية؛ فإن قال قائل: إن أبا هريرة ﷺ قد روى ذلك الحديث

١ تقدم تخريجه (ص ١٣).

٢ انظر كلامه رحمه الله (ص ١٣).

٣ رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري وانظر الفتح (٧٠/٣) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب مسجد بيت المقدس واللفظ له، ومسلم نحوه في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (١٠٤/٩-١٠٦) مع النووي .

٤ رواه مالك في الموطأ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ (١٠٨/١-١٠٩) في كتاب الجمعة باب ماجاء في الساعة التي في يوم الجمعة، وأحمد في المسند (٧/٦) وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل في سياق تخريجه لحديث أبي هريرة برقم (٩٧٠) وانظر (١٤١/٤-١٤٣) من الإرواء وأبو بصرة هو حُمَيْل (مثل حُمَيْد لكن آخره لام وقيل بالجيم) بن بصرة ابن وقاص الغفاري، صحابي سكن مصر ومات بها.

كما في الصحيحين ١، قيل له: إن هذا مما يؤكد قبول أبي هريرة لما أتاه به أبو بصرة رضي الله عنهما، ومن المعلوم أن أبا هريرة لم يقل أنه سمع ذلك الحديث من رسول الله ﷺ، فالغالب أنه يرويه عن أبي بصرة، ولم يثبت عن أبي هريرة أي رد لما جاء به أبو بصرة لا في الصحيحين ولا في مسند أحمد؛ حيث جاءت القصة كاملة، وهذا يؤكد ذلك القبول والرجوع من أبي هريرة لما جاء به أبو بصرة، كما فهم ذلك أيضاً أبو سعيد الخدري رحمه الله، فقد روى أحمد في مسنده أن شهر ابن حوشب قال: لقينا أبا سعيد ونحن نريد الطور، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (( لا تُعمَل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد... )) الحديث ٢.

وكذلك فهمه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ فعن قزعة رضي الله عنه قال: سألت ابن عمر رضي الله عنهما آتي الطور؟ فقال: (دع الطور ولا تأتها وقال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) ٣، وعلى ذلك درج الصحابة والتابعون وتابعوهم لم يثبت أن أحداً منهم سافر إلى قبر، أو مشهد لمجرد الزيارة، ولم يصرح أحد منهم باستحباب ذلك العمل.

وأما الفقهاء المتأخرون فقد اختلفوا في ذلك ونقل خلافهم الإمام النووي ٤، وشيخ الإسلام ابن تيمية ٥، والحافظ ابن حجر ٦ - رحمهم الله -، وقد بحث هذه المسألة بحثاً مستفيضاً العلامة صديق حسن خان - رحمه الله - في شرحه لمختصر مسلم المسمى (السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح

---

١ البخاري مع الفتح (٦٣/٣) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم كتاب الحج باب فضل المساجد الثلاثة (١٦٧/٩ - ١٦٨) مع النووي .

٢ رواه أحمد في المسند (٩٣/٣) وقال الإرنأؤوط في تحقيقه: صحيح وقدرناه أحمد من غير طريق شهر مما يدل على أن شهر حفظ هذا الحديث وانظر (٩١/١٧) من تحقيق المسند (وشهر هو بن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن) قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب تحقيق أبي الأشبال ص (٤٤١) : صدوق ، كثير الإرسال والأوهام، من الثالثة (ت ١١٢هـ) طبع دار العاصمة بالرياض ط الأولى (١٤١٦هـ) .

١ رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٤-٣٧٥) في كتاب الصلوات باب في الصلاة في بيت المقدس ومسجد الكوفة، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص (٢٢٦) طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الرابعة (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) وقال : رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في أخبار مكة ص (٣٠٤) ، وقزعة هو ابن يحيى البصري قال عنه الحافظ في التقريب : ص (٨٠١) ثقة من الثالثة.

٤ صحيح مسلم (١٠٥/٩-١٠٦) .

٥ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٦٦٥-٦٦٦) .

٦ الفتح (٦٤/٣) .

مسلم ابن الحجاج) وقد استغرق بحثه أربعاً وثلاثين صفحة من الحجم الكبير (من ص ٨٤ - ١١٧) من الجزء الخامس من طبعة قطر؛ وبعد إيراد مختلف الأقوال ومناقشتها قال: (وأما السفر لغير زيارة القبور كما تقدم نظائره، فقد ثبت بأدلة صحيحة ووقع في عصره ﷺ وقرره النبي عليه السلام فلا سبيل إلى المنع منه والنهي عنه، بخلاف السفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنه، ولم يقر أحداً من أصحابه، ولم يشر في حديث واحد إلى فعله واختياره ولم يشرعه لأحد من أمته لا قولاً ولا فعلاً...) إلى أن قال: (وحاصل الكلام وجملة المرام في هذا المقام أن مسألة السفر لزيارة قبر من القبور " أي قبر كان " أقل درجاتها أن تكون من المشتبهات والمؤمنون وقآفون عند الشبهات) ١.

---

١ السراج الوهاج (١١٦/٥).

## بين يدي هذا الفصل

إننا عندما نبحث عن القبورية في العالم لسنا مجرد مؤرخين، يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث ويصوروا مجتمعات، ويصفوا ما وصلوا إليه من أحوال العالم مجرد السرد التاريخي، وإنما نبحت ذلك منطلقين من سنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسول ﷺ، وهي أن هذه الأمة ستأخذ مأخذ الأمم السابقة، وستسلك سبيلها في كل جوانب حياتها بما في ذلك الجوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فإذا ثبت أن تلك الأمم عظمت القبور وآثار الصالحين وتدرجت في ذلك حتى عبدت أولئك الصالحين-في نظرها- فإن من هذه الأمة من سيفعل ذلك، وهذا ما أخبر عنه رسول الله ﷺ وما يشاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخبر به النبي ﷺ ففيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كنفارس والروم؟ فقال ومن الناس إلا أولئك))<sup>١</sup>.

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟))<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتبعن سنن من كان قبلكم الفتح (١٣ / ٣٠٠).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١٣ / ٣٠٠).

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ كاملاً. والذي يهمننا إثباته هو مشابهة هذه الأمة للأمم قبلها في قبوريتهم، وتعظيمهم للأنبياء والصالحين، وانتشار عقائدهم الباطلة لدى كثير منهم، وهذا ما سوف نبينه في هذا الفصل إن شاء الله.

## الفصل الأول

نشأة القبورية في العالم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول

## نشأة القبورية في العالم بأسره

### وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرء الشرك.

من المعلوم المتفق عليه أن الله تعالى خلق الخلق جميعاً على فطرة التوحيد، فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وجرى له في الجنة ما جرى، ولم يكن من ذلك شيء يخالف التوحيد أو يقدر فيه، ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته، وهو قول جمع من العلماء .

وعلى تعاليم رسالة آدم نشأ بنوه وعلى نهجه ساروا، حتى لقد صرح عكرمة رضي الله عنه بأنهم داموا على ذلك عشرة قرون، وهذا الذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة .

أما القرآن ففي قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِن كَثُرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>٢</sup> .

ففي الآية الكريمة أن الدين الذي أمر الله رسوله أن يقيم وجهه عليه هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم أكد ذلك بقوله ﴿ذلك الدين القيم﴾ فالدين الحنيف والدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه .

قال ابن كثير - رحمه الله - : (فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره)<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> تفسير الطبري ( ٢٩ / ٦٢ ) .

<sup>٢</sup> الروم ( ٣٠ ) .

<sup>٣</sup> تفسير ابن كثير ، طبعة دار الشعب ( ٦ / ٣٢٠ ) .



وقد أكدت ذلك السنة وفصلته وذلك فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترون فيها من جدعاء؟))<sup>١</sup> ثم يقول أبو هريرة: (واقرأوا إن شئتم ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾<sup>٢</sup>).

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة رضي الله عنه ومحدث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالهم الشياطين عن دينهم))<sup>٣</sup>، الحديث وقد رواه غيره فزاد فيه ((حنفاء مسلمين)) ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: ﴿ فطرت الله ﴾ لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام)<sup>٤</sup>.  
ونكتفي بهذه النصوص الواضحة الصريحة التي لاخلاف على معناها، لإثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرود الشرك عليها.

### المطلب الثاني: إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:

كانت عداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمره الله بالسجود له، فأبى فلعنه الله وطرده بسبب ذلك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسه: أن يعمل على كل ما فيه الإساءة إليه وإلى جلب سخط الله عليه،

<sup>١</sup> أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص ( ٩١٤ ) .

<sup>٢</sup> البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الفتح ( ٢٤٥/٣-٢٤٦ ) ، ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ( ٢٠٤٧/٤ ) .

<sup>٣</sup> الروم ( ٣٠ ) .

<sup>٤</sup> سيأتي تحريجه في الصفحة القادمة .

<sup>٥</sup> فتح الباري ( ٢٤٨/٣ ) .

وكان أول عمل عمله إغراؤه بالأكل من الشجرة، ذلك العمل الذي كان سبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتفِ إبليس بعبادة آدم وحده بل ضمَّ إلى ذلك عداوة ذريته وأعلنها صريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم عن السبيل، والعمل على جعل مصيرهم مقترناً بمصيره هو إلى نار جهنم ﴿ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين، قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾<sup>١</sup>، ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين، قال فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴾.

وقد حذر الله عباده المؤمنين وجميع بني آدم من تلك العداوة وخطورتها، وخطورة الهدف الذي يسعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾<sup>٢</sup> وقال: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾<sup>٣</sup>.

ولكن لأمرٍ أرادَه اللهُ نسي بنو آدم تلك العداوة، وجعلوا ذلك التحذير الذي حذرهم اللهُ إياه ولم ينسَ هو ذلك، بل عمل على جلب الأنصار والجنود من الإنس والجن، فسلطهم على بني آدم حين غفلوا عما أوصاهم به اللهُ، فأجلب عليهم هو وجنوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعوهم في الشرك، وهو ما

<sup>١</sup> الأعراف (١٦-١٨).

<sup>٢</sup> سورة ص (٨٢-٨٥).

<sup>٣</sup> فاطر (٦).

<sup>٤</sup> يس (٦٠-٦٢).

رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجل كما في حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نخلته<sup>١</sup> عبداً حلالاً، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب))<sup>٢</sup>

ولم يكن ذلك في عهد النبي ﷺ وإنما من فجر التاريخ قبل أن يبعث نوح عليه السلام، بل إن مبعث نوح إنما كان لإرجاع الناس إلى الجادة بعد ذلك الانحراف الخطير، وكان الباب الذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أولئك الناس: باب الغلو في الصالحين، فكانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتمثال لرجال صالحين أحبهم قومهم وغلوا فيهم فصوروهم، ثم تدرج بهم الحال حتى عبدوهم من دون الله تعالى! ولما جاءهم نوح ينعي عليهم ذلك المسلك الخاطيء، ويدعوهم إلى العودة إلى الصراط المستقيم أبوا وعاندوا وتواصوا بالصبر على تلك الآلهة والاستمرار على الإشراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾<sup>٣</sup> .

وهذه كما هو واضح أسماء بشر كانوا صالحين محبوبين لدى قومهم، حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنزالهم فوق منزلتهم، وتطور الأمر حتى عبدوهم، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية

<sup>١</sup> نخلته أعطيته النووي على مسلم (١٩٧/١٧) .

<sup>٢</sup> اجتالتهم (أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطن) نفس المصدر (١٩٧/١٧)

<sup>٣</sup> مسلم مع الشرح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٩٧/١٧)

<sup>٤</sup> نوح (٢٣) .

أنه قال: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت)<sup>١</sup>

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)<sup>٢</sup> وقد تواطأ المفسرون عند تفسير هذه الآية على ذكر هذا الأثر وأثراً أخرى كلها تؤدي نفس المعنى.<sup>٣</sup>

وقد صرح القرطبي - رحمه الله تعالى - بأنه من أجل أن عبادة الأوثان ابتدأت بسبب الغلو في الصالحين حذر النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، قال: (قلت: وبهذا المعنى فسّر ماجاء في صحيح مسلم من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسته رأتاها بالحبشة - تسمى مارية فيها تصاوير - لرسول الله ﷺ فقال رسول ﷺ: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> البخاري والفتح (٦٦٧/٢).

<sup>٢</sup> الفتح (٦٦٩/٨).

<sup>٣</sup> انظر: تفسير الطبري (٦٢/٢٩) للإمام الطبري، معالم التنزيل (٢٣٢-٢٣٣/٨) للإمام الحسين بن مسعود البغوي تحقيق وتخريج مُجدد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش طبع دار طيبة بالرياض الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، زاد المسير (٣٧٣/٨) لأبي الفرج ابن الجوزي طبع المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) والكشاف (٤١٤/٤) للشيخ محمود بن عمر الزمخشري طبع دار الكتاب العربي بيروت (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، والمحزر الوجيز (١٢٢/١٥) لأبي مُجدد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحالي الفاروق وآخرين، الطبعة الأولى قطر سنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م). وتفسير القرطبي (٣٠٧/١٨-٣١٠) وتفسير القرآن العظيم (٢٦٢/٨) لابن كثير. الدر المنثور (٢٩٣/٨-٢٩٥) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (دار الفكر - بيروت ط الأولى سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). وفتح القدير (٣٠٠/٥) للشوكاني.<sup>٤</sup> الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/١٨)، والحديث تقدم تخريجه (ص ١٨).

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (وقال غير واحد من السلف: " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدهم " فهؤلاء جمعوا بين الفتنين، فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: عن عائشة - رضي الله عنها - ثم ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي - ثم قال: " فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور " وهذا كان سبب عبادة اللات، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾<sup>١</sup> قال: (كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره)<sup>٢</sup>، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان يلت السويق للحاج)<sup>٣</sup> فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث، ويعوق، ونسر، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدها، كما أشار إليه النبي ﷺ قال شيخنا: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاس الكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة

<sup>١</sup> سورة النجم آية ( ١٩ ) .

<sup>٢</sup> سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً .

<sup>٣</sup> سيأتي تخرجه (ص ٦٤) .

<sup>٤</sup> هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

حسَم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ، وألا يقصد المصلي ما قصده المشركون سداً للذريعة<sup>١</sup>.

وبهذه الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الصريحة، وما علق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أساس الوثنية، وأن الوثنية هي الوعاء الذي أحتوى على الشرك بالله عز وجل وجسده.

<sup>١</sup> إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ( ١٨٤/١ ) لابن القيم .

## المبحث الثاني

القبورية عند اليهود والنصارى:

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: القبورية عند اليهود:

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبات قبورية اليهود، فقد أغنتنا الأحاديث المصرحة بذلك عن الصادق المصدوق عليه السلام والمخرجة في الصحيحين وغيرهما، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>١</sup> وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ

قال: في مرضه الذي مات فيه ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>٢</sup>.

فهذان الحديثان في الصحيحين - وسيأتي غيرهما في المطلب الثاني - قاطعان على قبورية اليهود، وأريد أن اليهود ليسوا قبورين فقط ولكنهم أيضاً ميالون إلى عبادة غير الله بشكل أوضح وأصرح، كما نقل ذلك عنهم القرآن وذلك في موضعين من قصة موسى عليه السلام.

**الموضع الأول:** بعد نجاتهم من ملاحقة فرعون وخروجهم من البحر وإهلاك الله لعدوهم وهي نعم عظيمة تستوجب شكر مسديها وإفراده بالعبادة وعدم الالتفات إلى غيره، لكن النفوس الدنيئة لا تكون نظرتها إلا إلى الأسفل دائماً، لذلك عندما مروا على القوم المشركين العاكفين على أصنامهم مالت نفوسهم إلى تقليدهم ومحاكاتهم في ذلك، قال تعالى: ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغىكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾<sup>٣</sup>

وهذا في غاية الصراحة فهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشرك والاستعداد النفسي له.

<sup>١</sup> أخرجه البخاري (٥٣٢/١) مع الفتح كتاب الصلاة باب "حدثنا أبو اليمان"، ومسلم (١٢/٥) مع النووي كتاب

المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

<sup>٢</sup> تقدم تخريجه (ص ١٧).

<sup>٣</sup> الأعراف (١٣٨-١٤٠).



الموضع الثاني: حينما ذهب موسى لميقات ربه وتركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهوه بالتمرد وكادوا يقتلونه حينما وقف في طريقهم قال تعالى: ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى . قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾<sup>١</sup>

وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشركهم واتخاذهم الآلهة من دون الله .

### المطلب الثاني: القبورية عند النصارى:

الأمة النصرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبياء والصالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المسيح وأمه وغيرهما من الأحرار والرهبان، وهذا صريح نص القرآن، حيث يقول الله تعالى فيهم: ﴿ اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> طه من ( ٨٣ - ٩١ ) .

<sup>٢</sup> التوبة ( ٣١ ) .

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقيم عليهم الحجة بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله فقال: ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم ﴾<sup>١</sup>، ثم أمره أن ينهاهم عن الغلو في الدين وتقليد سلفهم الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقال: ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾<sup>٢</sup>، فمن غلّوهم أنهم اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دونه وتلك العلة- التي هي الغلو- هي العلة المشتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحينهم مساجد كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))<sup>٣</sup>

وهذه الكنيسة التي رأتها أم حبيبة وأم سلمة هي قطعاً كنيسة نصارى فهذا إثبات قاطع لقبوريتهم وقد حذر النبي ﷺ من الاقتداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالوا: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا)<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> المائدة ( ٧٦ ) .

<sup>٢</sup> المائدة ( ٧٧ ) .

<sup>٣</sup> تقدم تخريجه ( ١٨ ) .

<sup>٤</sup> تقدم تخريجه ( ١٨ ) .

وقد بين ابن كثير رحمه الله في تاريخه: أن تلك القبورية عند النصارى إنما حدثت فيهم بعد أن حرفوا دينهم، وقالوا بالتثليث، قال رحمه الله تعالى: (ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة؛ حدثت فيهم الطامة العظمى، والبلية الكبرى، واختلف البتاركة<sup>١</sup> الأربعة وجميع الاساقفة<sup>٢</sup> والقساوسة<sup>٣</sup> والشمامسة<sup>٤</sup> والرهبان<sup>٥</sup> في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية، وهو المجمع الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا "الملائكة"، ودحض من عداهم وأبعدهم، وتفردت الفرقة التابعة لعبدالله بن أديوس الذي اثبت أن عيسى عبد من عباد الله، ورسول من رسله، فسكنوا البراري، والبوادي، وبنوا الصوامع<sup>٦</sup>، والديارات<sup>٧</sup>، والقلايات<sup>٨</sup>، وقتنوا بالعيش الزهيد، ولم يخاطبوا أولئك الملل والنحل، وبنت الملائكة<sup>٩</sup> الكنائس الهائلة، الهائلة، عمدوا إلى ماكان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي<sup>١٠</sup>)<sup>١١</sup>.

<sup>١</sup> ويقال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الاساقفة انظر : المعجم الوسيط ( ٦١/١ ) .

<sup>٢</sup> جمع أسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران ، المصدر السابق ( ٤٣٦ /١ ) .

<sup>٣</sup> جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشمامس ، المصدر السابق ( ٧٣٤/٢ ) .

<sup>٤</sup> جمع شماس من يقوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس ، المصدر السابق ( ٤٩٤ /١ ) .

<sup>٥</sup> جمع راهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملادها زاهداً فيها معتزلاً أهلها . ، المصدر السابق ( ٣٧٦ /١ ) .

<sup>٦</sup> جمع صومعة و صومع وهو بيت العبادة عند النصارى ، المصدر السابق (١/ ٥٢٣ ) .

<sup>٧</sup> جمع دير وهو دار الرهبان ، المعجم الوسيط ( ٣٠٧ /١ ) .

<sup>٨</sup> القلايات جمع قلاية وهي الصومعة . المصدر السابق ( ٧٥٧/٢ )

<sup>٩</sup> أي الفرقة التي سميت الملائكة .

<sup>١٠</sup> الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة ، المصدر السابق ( ١١٢ /١ ) .

<sup>١١</sup> البداية والنهاية ( ١٠١/٢ ) .

ثم قال: رحمه الله تحت عنوان " بناء بيت لحم والقيامة " <sup>١</sup> (وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنّت أمه هيلانة القيامة يعني على قبر المصلوب وهم يسلمون لليهود أنه المسيح). <sup>٢</sup>  
وبما مر من نصوص قرآنية ونبوية وتاريخية تضح قبورية النصارى وغلّوهم في أنبيائهم وصالحهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى.

---

<sup>١</sup> وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة .  
<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١٠١ / ٢ ) .

## المبحث الثالث

### قبورية اليونان

وفيه ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية:

الأمة اليونانية أمة عظيمة سادت وظهرت على مسرح التاريخ القديم قروناً من الزمن، وقد أنشأت حضارة متميزة وظهر فيها علوم ومعارف وفلسفة وصلت إلى الأمم الأخرى، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر، وهذا لا مرأى فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كانت هذه الأمة أمة وثنية قبورية تآله كل ما أعجبت به من مظاهر الكون، وعباقرة وأبطال البشر، بل وجماليات النساء! فهناك (آلهة السماء) و(آلهة الأرض) و(آلهة الخصب) و(الآلهة الحيوانية) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمة، وقد ذكر المؤرخون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد<sup>١</sup> وكانت كذلك أمة قبورية تقدر قبور موتاها، فقد كان الموتى في العصور المبكرة من تاريخ اليونان يُعْتَبَرُونَ أرواحاً قادرة على أن تفعل للناس الخير والشر وتسترضى بالقرابين والصلاة<sup>٢</sup>. وكان اليونان في عصرهم الزاهر يرهبون هذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضونها بطقوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقاء شرها<sup>٣</sup>، وكان الإله في

<sup>١</sup> انظر: الفكر الإغريقي تأليف مُجَّد الخطيب (دمشق، الطبعة الأولى عام (١٩٩٩ م))، دار علاء الدين للنشر

والتوزيع والترجمة ص (٢٨ - ٥٢).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٣٥ - ٣٦).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٣٥ - ٣٦).

أول الأمر من الأسلاف والأبطال الموتى، كما كان المعبد في الأصل قبراً، ولا تزال الكنيسة حتى الآن في معظم البلاد مكاناً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين<sup>١</sup>.

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها كانت في بدايتها أمواتاً من ذوي التميز في جوانب مختلفة من الحياة، تدرج بهم الشيطان حتى صيروهم آلهة من دون الله، وقبور أولئك الموتى هي الأصل في المعابد التي ترتع فيها تلك الآلهة.

### المطلب الثاني: قبورية فلاسفة اليونان:

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاسفة اليونان على الوثنية والقبورية، وبقي ذلك هو اعتقادهم وتفكيرهم ولم يغنهم ما وصلوا إليه في مختلف العلوم- التي أصبحوا فيها أساتذة العالم- لم تغنهم تلك العلوم، ولم ترتفع بتفكيرهم في الجانب الإلهي من حياتهم، بل ظلوا يتخبطون في ظلمات الجهل ومسالك الضلال، ذلك أن هذا الجانب ليس بمقدور العقول تصوّره التصوّر الصحيح، والوصول إلى حقيقته، وإنما مصدره هو الوحي الذي ينزله الله على رسله، فيبلغونه للناس ويقودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بذلك من أركان الإيمان ومقوماته، وحيث إن أولئك الفلاسفة مصدرهم في مجثمهم عن الحقيقة هو العقل، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تاهوا في أودية الضلال وما وصلوا إلا إلى نظريات متناقضة، وقضايا فجّة غير ناضجة، وبقي ما ترّبوا عليه من الوثنية والقبورية؛ هو الذي يوجه تفكيرهم ويستحوذ على أعمالهم وطقوسهم، وقد شهد المتلقون لفلسفة اليونان من علماء المسلمين على قذواتهم من فلاسفة اليونان بالقبورية وأبانوا كيف يتصور أولئك الفلاسفة إمداد أرواح الموتى لمن دعاهم وتشفع بهم.

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٣٦ ) .

يقول الفخر الرازي في كتابه المطالب العالية: (إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها، إذا اعترتهم مشكلة من المشكلات، وكان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض) <sup>١</sup>.

وما أن القوم فلاسفة وليسوا مقلدين لما كان عليه الآباء والأجداد فقد خرجوا تعلقهم بالقبور تخريباً علمياً مبنياً على نظريتهم العامة في الإلهيات، حيث يؤمنون بنظرية الفيض أي أن " العقل الفعال " الذي هو مواز للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.

وما أن أرواح الموتى القديسين هي كذلك آلهة صغيرة حسب العقيدة اليونانية العامة فإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالباً منها الشفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائته في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى الحاذاة فكذلك الفيض لا بدّ فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة <sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> المطالب العالية ( ٧-٢٢٨ ) بواسطة جهود الحنفية في إبطال عقائد القمورية ( ١-٤١٦ ) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني ، دار الصمعي الرياض ، الطبعة الأولى ( ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ) .

<sup>٢</sup> انظر الاستغاثة في الرد على البكري ( ٢/٤١٠-٤١١ ) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ( ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م )

### المطلب الثالث: إتيان قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور:

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجاه القبور وأهلها وإنما هو اتباع للأمم السابقة، تصديقاً لحديث الرسول ﷺ في حديث ذات أنواط حيث طلب بعض أصحابه أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط فقال لهم: ((الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون﴾<sup>١</sup> لتركبن سنن من كان قبلكم))<sup>٢</sup>، وجاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: ((لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟))<sup>٣</sup>، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: من الناس إلا أولئك))<sup>٤</sup>.

ويظهر من سبب ورود الحديث الأول أن بعضاً من هذه الأمة ستبغ اليهود فيما انحرفوا فيه من التفاتهم إلى التعلق بالمخلوقين، وهذا هو أساس القبورية.

<sup>١</sup> الأعراف (١٣٨) .

<sup>٢</sup> الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٤/٤٧٥) . وأحمد (٥/٢١٨) .

<sup>٣</sup> تقدم تخريجه ص (٤٧) .

<sup>٤</sup> تقدم تخريجه ص (٤٧) .



كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهود والنصارى وإنما يتعداه إلى سائر فارس والروم، ومن الروم اليونان الذين نُقلت فلسفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسدت عقائد قوم من المسلمين.

وممن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة الحمديّة قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوسائل المشروعة وغيرها: " الوجه الثاني أن يدعو له الرسول ﷺ فهذه أيضاً مما يتوسل به إلى الله تعالى، فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مستحب، ولا الرسول دعا له، فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه، ولكن بعض الناس الذين دخلوا في دين الصابئة والمشركين، ظنوا شفاعته الرسول ﷺ لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التي تفيض على الرسول ﷺ تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ﷺ ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة، وانعكس شعاعها على حائط أو غيره؛ حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة وجعل هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه.

وقالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ومن أخذ عنهم كابن سينا وأبي حامد وغيرهم) <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> الاستغاثة (٢/٤١١-٤١٢).

قلت: هذا فرع من فروع نظرية الفيض التي يعتقدونها الفلاسفة، وطبيعي على هذا الاعتقاد أن يكون هناك توجه إلى النفوس الفاضلة لتكون واسطة بين المستشفع والمخالق المعطي سبحانه، تلك الواسطة هي " الشافع " وقد قرر ذلك من أتباع الفلاسفة قوم كما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه " المظنون به على غير أهله " والفخر الرازي في كتابه " المطالب العلية " ونقل عن الاثنين أحد قبورية حضرموت وهو عبد الرحمن بن محمد العيدروس في كتابه " بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود " وجعل ذلك هو علة زيارة القبور، وسيأتي نص كلام الغزالي منقولاً من كتابه، وكلام الرازي عن العيدروس في مطلب علة الزيارة عند القبورية ، وبهذا يتضح أن زيارات القبورية لم تكن هي الزيارات الشرعية التي علتها الاعتبار والاتعاض مجال الموتى ورقة القلب وتذكر الآخرة والدعاء للأموات والسلام، عليهم وإنما لاستمداد من الأموات على طريقة الفلاسفة.

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر، وحتى لا يقول قائل إن ذلك من أتباع الفلاسفة في علة الزيارة إنما هو مذهب مهجور لدى قبورية اليوم لا وجود له عندهم .

أقول له ولكل من يدافع عنهم: انظر إلى محمد علوي مالكي -باعث القبورية في مكة من جديد ووارث أحمد زيني دحلان ويوسف النبهاني - انظر إليه وهو يحكي أحوال الزائرين للنبي ﷺ: (تختلف أحوال الزائرين في استفادتهم من زيارتهم واستمدادهم من الله بواسطة نبيهم المصطفى وحببيهم

<sup>٢</sup> انظر ص ( ٣٢٤ )

المجتبى ﷺ وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية والواردات الربانية بواسطة الحضرة  
المحمدية،<sup>١</sup>

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول. صلاة تشهدك  
بها من مرآته، ونصل بها إلى حضرتك من حضرة ذاته، قائمين لك وله بالأدب الوافر، مغمورين منك  
ومنه بالمدد الباطن والظاهر)<sup>٢</sup>

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.

<sup>١</sup> شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد (١٢٤) السيد مُجَدِّد بن السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسيني، ط الأولى (١٤١١ هـ-١٩٩١ م).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١١٧).

## المبحث الرابع

القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية السمحة:

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام، ملة التوحيد الحنيفية السمحة، براءً من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام مثنياً عليه وعلى أتباعه بذلك: ﴿إِنَّ

إبراهيم كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴿<sup>١</sup> وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك، ومقدمهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم ﴿<sup>٢</sup> قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴿<sup>٣</sup>

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿<sup>٤</sup> ملة أبيكم إبراهيم هو ستماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿<sup>٥</sup>

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، قال رسول الله ﷺ: ((وعرضت عليّ النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء إن ائتمن أفشين، وإن سألن ألحفن، وإذا سلن بجلن، وإذا أعطين لم يشكرن، ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وأشبهه من رأيت به معبد بن أكنم الخزاعي، فقال معبد: يا رسول أتخشى عليّ من شبّه فإنه والدي، فقال: لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام))<sup>٦</sup>، وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> النحل ( ١٢٠ - ١٢٣ ) .

<sup>٢</sup> الممتحنة ( ٤ ) .

<sup>٣</sup> الحج ( ٧٨ ) .

<sup>٤</sup> الحاكم في المستدرك ( ٦٠٥/٤ ) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، طبع دار المعرفة بيروت

بإشراف د. يوسف المرعشلي .

وكان سبب انحرافهم ووقوعهم في الشرك هو الغلو في الصالحين كما سيأتي في قصة عبادتهم للآلات أو للأماكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجارة الحرم والطواف بها حيثما حلوا .

المطلب الثاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:

كما هو الشأن -بعد كل رسالة من الرسائل السابقة- تأتي بعدها فترة ينقص العلم ويثبت الجهل، ويجد الشيطان سبيلاً إلى نفوس الناس وعقولهم، فينحرف بهم عن الصراط المستقيم، وقد مر معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهور عمرو بن لحي الخزاعي الذي كان أول من غير حرفة العرب عنه إلى عبادة الأصنام، وكان سبب وقوعهم في الوثنية هو الغلو في الصالحين منهم وتعظيم قبورهم حتى اتخذوها أصناماً، قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **اللات والعزى** ﴾<sup>٢</sup>: (كان اللات رجلاً يلت السوق للحاج)<sup>٣</sup>.

والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي .

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث -راداً على من زعم أن اللات هو عمرو بن لحي: (والصحيح أن اللات غير عمرو بن لحي، فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً، وتقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام، وهو يؤيد هذه الرواية)<sup>٤</sup>. فهذا وجه من أوجه القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العرب، وهناك وجه آخر وهو تعظيم آثار الصالحين ومنازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع.

<sup>١</sup> انظر: السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ( ٤ / ٢٤٢-٢٤٤ ) .

<sup>٢</sup> النجم (١٩) .

<sup>٣</sup> البخاري كتاب التفسير باب ( أفرايتم اللات والعزى ) ( ٨ / ٦١١ ) مع الفتح .

<sup>٤</sup> الفتح ( ٨ / ٦١٢ ) .

قال ابن هشام في سيرته: قال: ابن إسحاق: (ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد - إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة، وأعجبهم، حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات) <sup>١</sup>

فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فالحرم شرفه الله تعالى بهما حيث بنى فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، فكان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشتهر به وهو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كان سبباً في ضلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك.

### المطلب الثالث: انتشار الأصنام في جزيرة العرب:

بعد تلك البدايات البسيطة والبداية أخذ إبليس يرقى العرب في سلم الوثنية حتى أصبحت ديناً تدين به، له شعائره<sup>٢</sup> ومشاعره<sup>٣</sup> وطقوسه<sup>٤</sup> وعقائده وتنوعت العبادات من طواف وتمسح ودعاء واستشفاع واستقسام<sup>٥</sup> بالأزلام بين يدي تلك الأصنام إلى نذر الأموال ونحر النعم وغير ذلك، كما

<sup>١</sup> سيرة ابن هشام ( ٧٧/١ ) طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ

شليبي

<sup>٢</sup> جمع شعيرة مناسك العبادة ومعالمها انظر القاموس المحيط ص ( ٥٣٥ ) .

<sup>٣</sup> جمع مشعر موطن العبادة . المصدر السابق ص ( ٥٣٥ )

<sup>٤</sup> جمع طقس وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى . انظر : المعجم الوسيط ( ٥٦١ / ٢ ) .

<sup>٥</sup> قال ابن جرير ( ٤٩/٦ ) : ( وأن تستقسموا بالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعتل من القسم ، قسم الرزق والحاجات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القداح

انتشرت الأصنام في الجزيرة العربية انتشار النار في الهشيم بدءاً ببيت الله الذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيد، حيث يقول الله تعالى عنه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾<sup>١</sup>.

هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام -التي كسرها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة في جوف الكعبة وحولها- ثلاثمائة وستين صنماً<sup>٢</sup>، كما كان في جوف الكعبة أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبل)<sup>٣</sup>، ولم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صنمها الذي يعرف بها وتعرف به وتعبد له أبناءها<sup>٤</sup>، بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنمه الخاص به<sup>٥</sup>، وحتى المسافر لا يقيم أثناء سفره في بقعة إلا تخير من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له<sup>٦</sup>.

---

وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها "نهاني ربي" وعلى بعضها "أمرني ربي" فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمرني ربي مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك وإن خرج الذي عليه "نهاني ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسك، وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها).  
<sup>١</sup> الحج (٢٦).

<sup>٢</sup> البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) (٨ / ٤٠٠)  
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

<sup>٣</sup> الأصنام لابن الكلبي ص (٢٧).

<sup>٤</sup> انظر: الأصنام ص (١٣) و (١٦) و (١٨) الدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة (١٣٤٣هـ-١٩٢٤م).

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (٣٣).

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص (٣٣).



ولم يكف الشيطان بذلك بل دلهم على أصنام قوم نوح التي كانت مطمورة في رمال ساحل جدة فاستخرجها مؤسس الوثنية في الجزيرة العربية عمرو بن لحي الخزاعي وفرقها على العرب فعظمت وعبدت فيهم<sup>١</sup>.

وبذلك انطمست ملة إبراهيم وغاب التوحيد وحل الشرك محله، حتى صارت الدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي ﷺ فقالوا - كما حكاها القرآن -: ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ، وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾<sup>٢</sup>.

#### المطلب الرابع: الحنفاء من العرب:

ذلك هو الجؤ المظلم الذي وصلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغالب عليها، ولكن بقي بصيص ضئيل من النور الخافت الذي نجا من أطباق الظلمة، ولكنه لم يهد أصحابه صراطاً مستقيماً، ولم يسلك بهم سبيلاً قويمًا<sup>٣</sup>، وقد تمثل ذلك في بقاء مجموعة صغيرة جداً متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية، وربما كان بمكة منهم نصيب أوفر، أولئك هم من سُموا بالحنفاء نسبة إلى الحنيفية ملة إبراهيم، وتمثل تمسكهم بالحنيفية في رفضهم للوثنية من حيث عبادة الأوثان وتقريب القرابين لها، واعتقاد نفعها وضررها وشفاعتها كما هو شأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطرتهم التي من الله عليهم ببقائها صافية نقية من كدورات الوثنية، غير أنهم لم يهتدوا إلى مراد الله تعالى وما يجب له من العبادة، حتى لقد نقل أهل السير عن زيد بن عمرو بن نقيل قوله: (اللهم إني لو أعلم أيّ الوجوه إليك أحب عبدتك به

<sup>١</sup> أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح باب " ودأ ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق " وانظر: ابن هشام ( ٧٨/١ - ٨٠ ).

<sup>٢</sup> سورة ص ( ٧ - ٥ ) .

<sup>٣</sup> لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير .

ولكني لا أعلمه<sup>١</sup> ولذلك تفرقوا في البلاد يبحثون عن دين إبراهيم، فمنهم من دخل النصرانية كورقة بن نوفل، ومنهم من لم يدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

---

<sup>١</sup> ابن هشام ( ٢٢٥/١ ) عن ابن إسحاق قال حدثني : هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء ، وهذا حديث حسن لمكان ابن إسحاق وأما بقية أصحاب السند فمن أصح الأسانيد .

وقد ذكرت أسماء بعض هؤلاء فمنهم: قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأميمة بن أبي الصلت، وأبو قيس بن أبي أنس، وخالد بن سنان، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجداد النبي ﷺ<sup>١</sup> وقد ذكر غيرهم أيضاً، غير أن من هؤلاء الذين ذكروا من تنصر، وكل هؤلاء لم يدركوا الإسلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفترة الأولى من الوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي ﷺ وينصره ولكنه مات في فترة الوحي.<sup>٢</sup>

---

<sup>١</sup> السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة وتحليل) ص (٧٢) للدكتور مهدي رزق الله أحمد الأستاذ المشارك بكلية التربية جامعة الملك سعود الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض .

<sup>٢</sup> نفس المصدر (٧٧) .

<sup>٣</sup> انظر خبره في البخاري كتاب بدء الوحي (١ / ٢٢) مع الفتح .

## الفصل الثاني

القضاء على الوثنية والقبورية على عهد النبي ﷺ والصحابة

والتابعين

إلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية فيها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ:**

عرفنا في مطلب القبورية عند العرب كيف فشيت عبادة الأصنام، وشملت جميع أطراف جزيرة العرب، وأنه لم يبقَ على أصل التوحيد إلا أفراد يعدون بالأصابع، منبذون من قومهم يلقون منهم السخرية والاستهزاء والمقت، وكيف سيطرت الجاهلية على جميع أوجه الحياة حتى أظلم الكون، واستوجب أهله مقت الله وغضبه، إلا أولئك الحنفاء القلائل وبقايا من أهل الكتاب مشردين في الصحاري والقفار متوارين في صوامعهم وأديرتهم، وقد صور النبي ﷺ تلك

الحالة، وذلك فيما رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه قال: ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب))<sup>١</sup>، هكذا كانت الدنيا بما فيها جزيرة العرب عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف انجابت تلك الظلمة، وزالت تلك الجاهلية؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني.

### المطلب الثاني: قضاء النبي صلى الله عليه وسلم على الوثنية في جزيرة العرب:

لقد بعث الله صلى الله عليه وسلم رسوله صلى الله عليه وسلم بما بعث به إخوانه المرسلين من قبله؛ لإزالة الشرك، ونشر التوحيد، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾<sup>٢</sup>، فشمّر الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله سراً وجهراً وليلاً ونهاراً، وكان أول ما أعلنه من دعوته حين أمره الله تعالى أن يصدع بها أن قال: ((يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))<sup>٣</sup>، فاستجاب له السابقون الأولون، وحاربه بقية قومه واستهجنوا ما جاء به واستنكروه، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾<sup>٤</sup>.

لكن الله أبى إلا أن يتم نوره ويعلي كلمته ولوكره الكافرون، ومضى صلى الله عليه وسلم في دعوته وتربى على ذلك أصحابه، وانطلقوا دعاءً إلى ذلك، فاتسعت دائرة الحق وانتشر نور الإسلام بعد جهد كبير وزمن غير قصير؛ حمل عليه العناية الفائقة

<sup>١</sup> صحيح مسلم (٢١٩٧/٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و

أهل النار.

<sup>٢</sup> النحل (٣٦).

<sup>٣</sup> المسند (٤٩٢/٣، ٣٤١/٤)، والطبراني في الكبير (٤٥٨٢) من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد، وله شاهد من طريق طارق ابن عبدالله المحاربي أخرجه ابن حبان (٦٥٦٢) كتاب التاريخ، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر مقاساة المصطفى صلى الله عليه وسلم ما كان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية (١٣١٤هـ-١٩٩٣م) بتحقيق شعيب الأرنؤوط. وصححه الحاكم (٦١٢/٢) كتاب التاريخ، ذكر أخبار سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، ووافقه الذهبي .  
سورة ص (٤ - ٧).

التي أولاهها رسول ﷺ للتربية وغرس العقيدة في النفوس حتى تمكنت منها، ثم توالى المحن وصب العذاب على أصحابه ليشنّد عودهم وتصلّ نفوسهم، حتى إذا تهيئوا لإقامة دولة التوحيد؛ هياً لهم الملاذ الأمن والقاعدة الصلبة التي تبنى عليها تلك الدولة، وذلك بإسلام الأوس والخزرج ومبايعتهم للنبي ﷺ، ثم هجرته إليهم، وحينما استقر في المدينة وثبت دعائم الدولة انكفاً يدعو إلى الله بأسلوب آخر، بالقوة والجهاد لمن يعترض سبيل تلك الدعوة كما أمره الله تعالى بذلك حيث قال:

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون قنّة ويكون الدين كله لله فإن اتهاوا فإنّ الله بما يعملون بصير﴾<sup>١</sup>، وكما صرّح هو ﷺ عن حقيقة دعوته ووسيلته لتحقيقها حيث قال: ((بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم))<sup>٢</sup>.

وتوالى الحروب بينه وبين الكافرين مع استمراره في الدعوة والتربية، حتى أذن الله بالفتح ففتحت مكة، وعلى أثر ذلك دخل الناس في دين الله أفواجا كما قال تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾<sup>٣</sup>.

وعند ذلك علت راية التوحيد خفاقة على ربوع الجزيرة العربية، وكانت الدولة والكلمة للإسلام، وزال الشرك وقضي عليه، حتى بعث النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة علياً عليه السلام بهذا الإعلان النهائي المشعر بأنه لا مكان للشرك في هذه الجزيرة، ولاحق لمشرك أن يمارس شركه فيها، فكان هذا الإعلان في موسم الحج ليسمعه كل من شهد الموسم ويعود لإبلاغه إلى قومه: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين

<sup>١</sup> الأنفال ( ٣٩ )

<sup>٢</sup> تقدّم تحريجه في الباب التمهيدي ص ( ٤ ) .

<sup>٣</sup> سورة النصر .

كفروا بعباد أليم<sup>١</sup> ، وكان عليّ يتبع ذلك بقوله: (ألا لا يحجّن بعد هذا العام

مشرك، ولا يطوفن بالببيت عريان)<sup>٢</sup>.

وبالفعل لم يعد ذلك الموسم من السنة العاشرة إلّا وقد طهّرت الجزيرة من الشرك والمشركين، وأجلب أهلها للاستجابة لدعوة الله، وحققوا توحيد، وصاروا من حزبه بعد أن كانوا من حزب الشيطان، فما حج رسول الله ﷺ حجته الوحيدة الشهيرة بحجة الوداع إلّا وكل من حضر الموسم - وهم عدد كبير لم تشهد الجزيرة تجمعا مثله من قبل - كلهم مسلمون موحدون وبذلك أكمل الله الدين وأتم النعمة على عباده المؤمنين وانتهت مهمة خاتم المرسلين، ونزلت في يوم عرفة من ذلك العام آخر آية من كتاب الله معلنة ذلك: ﴿اليوم

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾<sup>٣</sup>.

وحين رأى الشيطان تلك الفتوح وذلك الإقبال على دين الله وتلك النهاية للشرك والمشركين في جزيرة العرب، أصابه اليأس وغلب عليه القنوط من عودة الشرك إليها وقيام دولة له فيها كتلك التي هوت وتلاشت بقيام دولة الإسلام، وقد أخبر النبي ﷺ بيأسه ذلك فقال: ((إنّ الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))<sup>٤</sup>، وقال ﷺ: ((واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها))<sup>٥</sup>، وقال: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك))<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> التوبة (١-٣).

<sup>٢</sup> البخاري مع الفتح (٣١٧/٨-٣١٨)، كتاب التفسير، باب (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ) ، وباب (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله).

<sup>٣</sup> المائدة (٣) .

<sup>٤</sup> صحيح مسلم (٢١٦٦/٤) ، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان وبعثه سرايا لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً.

<sup>٥</sup> رواه البخاري مع الفتح (٢٠٩/٣) ، في الجنائز باب الصلاة على الشهيد ، ومسلم (١٧٩٥/٤) في الفضائل ، باب إثبات حوض النبي ﷺ ، تحقيق عبد الباقي .

<sup>٦</sup> مسلم (١٥٢٣/٣) ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

وليس معنى ذلك أن لا يتطرق أي نوع من الشرك على أي حال من الأحوال،  
وإنما المقصود نوع خاص من عبادة الشيطان، كما سيأتي إيضاحه في المبحث  
الثاني إن شاء الله.



## المبحث الثاني

إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب

والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً

و فيه مطلبان:

### المطلب الأول: الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب:

رغم البشارات العظيمة التي رأيناها في المبحث السابق، فإن النبي ﷺ أُنذر كذلك بعودة الشرك والوثنية إلى هذه الجزيرة المباركة في أحاديث كثيرة صرّح فيها بعبادة الأوثان مطلقاً، أو عبادة أوثان مخصوصة من أوثان العرب في جاهليتها، أو بلحوق أقوام من أمته بالمشركين، وهذا كله يدل على أن الأحاديث التي يُفهم منها امتناع عودة الشرك إلى جزيرة العرب ليس على إطلاقها، وإنما هي محمولة على معانٍ أو أحوال مخصوصة، والداعي إلى حملها على تلك الأحوال والمعاني المخصوصة هو وجوب الجمع بين النصوص الصحيحة؛ حتى تتمكن من إعمال جميع النصوص ولا نلجأ إلى التحكم بإبطال بعضها مع صحة أسانيدنا إلى النبي ﷺ كما صرّح بذلك علماء الأصول والمصطلح<sup>١</sup>

ومن هذه الأحاديث حديث ثوبان رضي الله عنه الطويل الذي أخبر فيه النبي ﷺ ببلوغ الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها وفيه: (( لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ))<sup>٢</sup>.

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (( لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخصلة ))<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> انظر: الموافقات ( ٢٩٩/٤ ) للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي ، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ، والاعتبار في النسخ و المنسوخ من الآثار (٥٤) للإمام أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني، تحقيق الدكتور عبد لمعطي قلعجي، نشر جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م).

<sup>٢</sup> أبو داود ( ٤٩٩/٢ ) كتاب الفتن ودلائلها ، باب ما ذكر الفتن ودلائلها، وابن ماجه ( ١٣٠٤/ ٢ )، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن. وصححه شيخنا الألباني في صحيح ابن ماجه ( ٣٥٢/٢ ) .

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (( لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ أن ذلك تام قال: ((إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم))<sup>٣</sup>.

فهذه الأحاديث الثلاثة صحيحة أسانيداً، صريحة متونها، في أن الأوثان ستعبد في جزيرة العرب، وأن أقواماً من أمة محمد ﷺ سيلتحقون بالمشركين، ومن باب الإنصاف فإنه يفهم من حديث عائشة رضي الله عنها أن ذلك كائن بعد أن يبعث الله الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، ومع تسليمنا بذلك إلا أننا نقول: إنه ليس في الحديث ما يمنع وقوع الشرك وعبادة الأوثان قبل ذلك الريح، وهذا ما سنثبتته في المطلب الثاني إن شاء الله.

**المطلب الثاني: الرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب:**

إن الأحاديث التي أوردنا بعضها في المطلب الأول لتردُّ على من منع عودة الشرك في هذه الأمة، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى أن هذه الأحاديث دالة قطعاً على أن الحديث الذي يستدلون به ((إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب))، ليس على عمومته بل هو مخصوص، ومعلوم عند أهل الأصول أن العام الذي قد دخل عليه التخصيص تضعف دلالاته بذلك، ولا يكون كالمسلم من ذلك الذي لم يتطرق إليه تخصيص، وعلى هذا فإننا نقول إن كان النبي ﷺ ذكر بأس الشيطان مقراً له فإن

<sup>١</sup> البخاري مع الفتح (٧٦/١٣)، كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، ومسلم مع النووي (٣٢/١٨)، كتاب الفتن.

<sup>٢</sup> الصف (٩).

<sup>٣</sup> مسلم مع النووي (٣٣/١٨) كتاب الفتن و أشرط الساعة .

<sup>٤</sup> تقدم تخريجه ص (٧٢).

ذلك محمول على حال مخصوص وهو أن تجتمع الأمة على عبادة الأوثان أو نحو ذلك من المعاني والأحوال.

وإن كان مجرد إخبار عن حال الشيطان حين بُهر بانتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجاً فهذا ليس بدليل أصلاً؛ لأن يأس الشيطان ليس بحجة على أحد، وهو لا شك مخلوق كسائر الخلق معرض لسوء التقدير وخلف الظن، وطروء سائر ما يطرأ على المخلوقين من أمل وقنوط ويأس واستبشار، ولا يلزم أن يتحقق كل ما يطرأ عليه، وما يأسه هنا إلا من هذا القبيل، أيسر في ذلك الوقت الذي رأى فيه إقبال الخير واندحار الشر، ثم عاد إليه الأمل والرجاء منذ أن أوشك الرسول ﷺ على الرحيل، وتحقق له شيء مما أمله على يد مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وأتباعهما من المرتدين في نواحي الجزيرة العربية، وإن كان هذا الحال لم يدم طويلاً حيث قضى أبو بكر ومعه سائر الصحابة على تلك الردة، وأعادوا المرتدين إلى حظيرة الإسلام، إلا أن ما حصل كان دليلاً على أن يأس الشيطان لم يكن قاطعاً ولا ثابتاً، بل كان قابلاً للتحول إلى الأمل والرجاء.

الناحية الثانية إن مما يدل على أن ذلك الحديث ليس دالاً على عدم وقوع الشرك في جزيرة العرب هو وقوعه بالفعل وإليك نماذج من ذلك الوقوع:

**النموذج الأول** الردة الواقعة عند وفاة النبي ﷺ وهي معلومة لدى الجميع امتلأت بها كتب السير والتواريخ وكتب السنة والحديث<sup>١</sup>، ومجرد الردة يعتبر عبادة للشيطان على أي صورة كانت، فمجرد الكفر بالله يعتبر عبادة للشيطان، لأنه استجابة وطاعة للشيطان وتلك هي العبادة بعينها. ومع ذلك فقد صرح العلماء برجوع طوائف من العرب إلى عبادة الأوثان.

<sup>١</sup> وقد أورد ابن كثير أخبار الردة وقتال المرتدين بإسهاب في تاريخه (٦/٣١١-٣٣٢).

فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض<sup>١</sup> وغيره أنهم قالوا: (كان أهل الردة على ثلاثة أصناف، صنف عادوا إلى عبادة الأوثان، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي، وكان كل منهما، ادعى النبوة قبل موت النبي ﷺ فصدق مسيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم، وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم - إلى أن قال - وصنف ثالث استمروا على الإسلام، ولكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي ﷺ وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم كما وقع في حديث الباب، ثم نقل عن ابن حزم أن العرب انقسمت إلى أربعة أقسام "٠٠" والثالثة أعلنت بالكفر والردة "٠٠")<sup>٢</sup>.

وقد أقر الحافظ هذه الأقوال، كما أقرها غيره من العلماء والمؤرخين، ومن نقل ذلك عن القاضي عياض -مقرأ له -أحد مؤرخي حضرموت المعتمدين لدى القبورين وهو صالح بن علي الحامد في كتابه " تاريخ حضرموت " <sup>٣</sup>، فهذه الحادثة تنقض الاستدلال بحديث: ((يأس الشيطان)) وحديث: ((ما الشرك أخشى عليكم)) على استحالة عودة الشرك إلى جزيرة العرب نقضاً صريحاً.

النموذج الثاني - التصريح بالوهية علي بن أبي طالب ﷺ من قبل عبدالله بن سبأ اليهودي وأتباعه أيام خلافته بالعراق.

<sup>١</sup> هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي توفي سنة (٥٤٤هـ) انظر ترجمته في السير (٢٠/٢١٢) والبداية والنهاية (٢٢٥/١٢).

<sup>٢</sup> الفتح (٢٧٦/١٢).

<sup>٣</sup> تاريخ حضرموت (ص ١٤٦) لصالح بن علي الحامد، طبع مكتب الإرشاد بجدة بدون تاريخ.

روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عكرمة - رحمه الله - قال: (أتى علي عليه السلام بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم " لا تعذبوا بعذاب الله " ولقتلهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " من بدل دينه فاقتلوه " )<sup>١</sup>.

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث: (وزعم أبو المظفر الإسفرائيني في " الملل والنحل " أن الذين أحرقهم علي عليه السلام طائفة من الروافض ادعوا فيه الألوهية وهم السبائية، وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهودياً، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما روينا في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي عليه السلام: إن هنا قوم على باب المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالفنا ورازقنا فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر اتني بفعلة معهم مرورهم<sup>٢</sup>، فخذ لهم أخذوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لن قلم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك أن يرجعوا فخذف بهم فيها حتى احترقوا وقال:

<sup>١</sup> البخاري مع الفتح ( ٢٦٧/١٢ ) .

<sup>٢</sup> ، الفعلة : جمع فاعلٍ ، أي عامل . والمرور: جمع مَرٍّ وهو " المسحاة " القاموس المحيط ص ( ٦١٠ ) .

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قبراً

وهذا سند حسن) <sup>١</sup>.

وقد اعترف الرافضة أنفسهم بهذه الحادثة، فقد أورد الدكتور عبد الرسول الغفار في كتابه "شبهة الغلو عند الشيعة" عدد من الروايات عن أئمة الشيعة تؤيد ما ذكره الحافظ. <sup>٢</sup>

وهذا شرك لا ريب فيه وعبادة للشيطان على جميع وجوه التفسير لذلك الحديث، فإن قال قائل: إن هذا ليس في جزيرة العرب، قلت: هل الشرك ممتنع في خصوص الجزيرة أم في عموم الأمة؟ الذي أعرفه من كلام القوم هو أن الشرك ممتنع في عموم الأمة. وعلى ذلك فهذه الحادثة ردٌ صريح عليهم.

**النموذج الثالث القرامطة الذين أعلنوا عن كفرهم بأقوالهم وأفعالهم، وأجمع العلماء والمؤرخون على كفرهم وقد خرجوا في هذه الأمة وفي جزيرة العرب، وكان مقر ملكهم البحرين، ووصل من كفرهم أنهم أثاروا على مكة فقتلوا النبي، وانتهكوا حرمة البيت، واقتلعوا الحجر الأسود من موضعه واحتملوه معهم إلى مقر ملكهم، ومكث عندهم بضراً وعشرين سنة ثم أحمادوه، وعندما فعل قائلهم الخبيث فعلته رفع عقيرته متبججاً بما فعل معلناً كفره وإلحاده قائلاً:**

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصبَّ علينا النار من فوقنا صبا

لأننا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً <sup>٣</sup>

<sup>١</sup> الفتح (٢٧٠/١٢).

<sup>٢</sup> انظر: شبهة الغلو عند الشيعة (٥٦-٦٠) للدكتور عبدالرسول الغفار، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م) دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان.

<sup>٣</sup> مرآة الجنان وعبارة اليقظان (٢٧٢/٢) لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م) دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

وهذا النموذج رد آخر صريح على من يزعم أن الشرك لن يعود إلى جزيرة العرب، إلا إن كان يفهم من الحديث أن عبادة الشيطان لا تكون إلا بعبادة الأصنام خاصة فإن صاحب هذا الفهم ربما سلم له ذلك ولكن ما الدليل على تخصيص عبادة الشيطان بذلك دون سواه من أنواع الكفر والإلحاد؟ الواقع أنه لا دليل على ذلك، وأن جميع أنواع الكفر - من شرك وإلحاد وغيرها من أنواع الكفر - هي من عبادة الشيطان، بل جميع المعاصي من عبادة الشيطان.

قال الإمام الرازي - رحمه الله -: " المسألة الرابعة " قوله: ﴿ لا تعبدوا الشيطان ﴾ معناه لا تطيعوه بدليل أن المنهي عنه ليس هو السجود له فحسب، بل الانقياد لأمره والطاعة له فالطاعة عبادة) ، وهذا يشمل جميع أنواع المعاصي .

وقد عدَّ الشنقيطي - رحمه الله - الحكم بغير ما أنزل الله من عبادة الشيطان فقال: (واتباع الشرائع المخالفة لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ وقوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عَصِيًّا ﴾ (٣) .

النموذج الرابع - علي بن الفضل الجدني الذي ظهر في اليمن عام (٢٧٨هـ) وقتل بعاصمة مملكته المذيخرة عام (٣٠٤هـ) هذا الرجل أجمع - كذلك - على كفره وإلحاده العلماء والمؤرخون ونقلوا عنه الإلحاد الصريح والكفر البواح، فهل يقول القبوريون أنه ليس بكافر؛ لأن جزيرة العرب لن يعود إليها الشرك إلى قيام الساعة أم بماذا يجيئون عنه؟

<sup>١</sup> تفسير الرازي ( ٩٦/٢٦ ) .

<sup>٢</sup> يس ( ٦٠ ) .

<sup>٣</sup> مريم ( ٤٤ ) .

<sup>٤</sup> أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن ( ٤ / ٨٣ ) مُجَّد الأمين الشنقيطي طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ .

النموذج الخامس رؤساء وقادة الحزب الاشتراكي اليمني الذين أعلنوا الإلحاد وحاربوا الله ورسوله والمؤمنين، وأحلوا المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، واستهزأوا بالله ورسوله، اتفقت كلمة العلماء المعبرين - المعاصرين لهم - على كفرهم وإلحادهم في الجملة، وهو دليل قاطع على أن الشرك قابل أن يعود إلى جزيرة العرب وإلى سواها من بلاد العالم الإسلامي، ولا يمكن للقبورين أن يردوا هذا الدليل بأي حجة مقنعة، فلم يبق بعد هذه النماذج شبهة للقبورين إلا: الهوى والإصرار على التمسك بالقول وإن ظهر خطؤه.

**ومما يدل على إمكان وقوع الشرك في هذه الأمة تواطؤ جميع المؤلفين في الفقه، وكذا كتب أحاديث الأحكام على تخصيص باب أو كتاب في كل مؤلفاتهم الشاملة باسم باب الردة، ولو كان الأمر مستحيلاً لما أضعوا الجهد والوقت في الكلام على أمر مستحيل الوقوع، إنهم ما فعلوا ذلك إلا وهم يعلمون يقيناً أن ذلك ممكن، وأن ما يستدل به القبوريون لا يدل على شيء من ذلك.**



### المبحث الثالث

خلو الثلاثة القرون المفضلة من مظاهر القبور وآثارها

وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول: تصريح العلماء بخلو القرون المفضلة عن وجود المشاهد والمساجد على القبور:**

سبق في الباب التمهيدي الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد والأمر بتسوية القبور، وعرفنا كيف طبّق الصحابة والتابعون تلك الأحاديث، وكيف فعلوا بقبر النبي ﷺ عند موته، ثم كيف فعلوا عندما اضطروا إلى إدخال موضع قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر، وكيف تصرف الصحابة إزاء قبر دانيال حين وجدوه أيام الفتوح، وعرفنا مما سبق حذرهم الشديد من ظهور تعظيم القبور وتقديسها خشية الافتتان بها، وعلى ذلك فلا غرو أن يسير التابعون لهم بإحسان على طريقهم، وكذلك تابعوهم رضي الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة، وهذا ما صرح به العلماء رحمهم الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى وهو يتكلم عن مشهد رأس الحسين ﷺ: (...دَعَّ خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال

استقامتها فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ في قوته وعتوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أُحْدِثَ مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل البيت ولا صالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة والملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قوي بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي عليه السلام بناحية النجف، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك وإنما دفن علي عليه السلام بقصر الإمارة بالكوفة. وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا إنه علي، وإنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا هذا قبر علي، وقد قال قوم إنه قبر المغيرة بن شعبة والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع<sup>١</sup>.

ويؤيد ما قرره شيخ الإسلام مقاتله الإمامان الذهبي وابن كثير، يقول الذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البويهى الذي قال عنه قبل ذلك: (وكان شيعياً جلدأ أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال) ثم قال: وبه ختم ترجمة عضد الدولة: (قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالذولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى).<sup>٢</sup>.

وقال ابن كثير في حوادث سنة (٣٤٧ هـ): (وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بوية وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرأً وشامأً وعراقأً وخراسان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، وكثر السب والتكفير منهم للصحابة)<sup>٣</sup>.

ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي - رحمه الله - في كتابه (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) وهو يتحدث عن قبر فاطمة رضي الله عنها قال: (وإنما أوجب عدم

<sup>١</sup> مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٦٥ - ٤٦٧).

<sup>٢</sup> السير (١٦ / ٢٥٠ - ٢٥٢).

<sup>٣</sup> البداية والنهاية (١١ / ٢٣٣).

العلم بعين قبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجسيصها)¹.

ثم قال تحت عنوان: " بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة المشرفة ": (اعلم أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم - كما قال المطري ممن توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته- مدفونون بالبقيع وكذلك سادات أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وسادات التابعين رضي الله عنهم).

وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرقوا في البلدان.

وقال المجد: " لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور وتجسيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلا أفراداً معدودة "².

ويؤيده أيضاً ما ذكره الشافعي- رحمه الله تعالى - في كتابه الأم قال: (ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة)، قال الراوي عن طاووس: (إن رسول صلى الله عليه وسلم نهى أن تبنى القبور أو تجصص - قال الشافعي -: (وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما بينى فيها فلم أر الفقهاء يعيرون ذلك)³.

وحتى قبورية اليمن يعترفون بذلك، فهذا الشلي يقول وهو يتحدث عن مقابر تريم: (إن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره، بل ولا جهته لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنته المتأخرون)⁴.

**المطلب الثاني: ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون:**

¹ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ( ٣ / ٩٠٦ ) لنور الدين محمد السهمودي توفي ( ٩١١ هـ ) .

² المصدر السابق ( ٣ / ٩١٦ ) .

³ الأم ( ١١ / ٢٧٧ ) للإمام محمد بن إدريس الشافعي .

⁴ محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي من كبار صوفية حضرموت عاش بمكة وله عدد من المؤلفات أشهرها "المشعر الروي" يعد من أكثر كتب التراجم سخافة وخرافة شحنه بما لا يقبله عقل ولا يقره نقل ومع ذلك فهو عمدة من عمد تاريخ حضرموت قال علوي ابن طاهر الحداد في جني الشماريخ ص (٣١) : ( ولا يحتاج الآخذ من المشعر أن يتطلب حجة في كل شيء ، رآه فيه . فإن صاحب المشعر من العلم والاطلاع والاستقراء بالمحل العالي وقد شهد له الحبيب الإمام القطب الحداد بالثقة والصدق كما جاء في مجموع كلامه ولا يحضرنى الآن نقله بالحرف وناهيك بذلك ناهيك ) توفي

سنة (١٠٩٣ هـ) انظر ترجمته: في المشعر وقد ترجم لنفسه (١٧/٢).

⁵ المشعر ( ١٤٧/١ ) .

القبورية فرقة مبتدعة كسائر الفرق المبتدعة الضالة، يجمعها جميعاً تتبع المتشابه من القول والإعراض عن المحكم الصريح، فبرغم الأدلة القطعية على النهي عن البناء على القبور وتجسيصها واتخاذها مساجد والكتابة عليها وغير ذلك من الأدلة المحكمة، إلا أنهم تركوا ذلك كله واحتجوا بأمر لا يجوز الاحتجاج بها، إما لعدم ثبوتها أو لعدم دلالتها على المطلوب، وسأذكر هنا ما استدلوا به من وجود مبان على القبور في القرون المفضلة وهي:

(١) أن الصحابة رضي الله عنهم بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ فأقرهم على ذلك، ولم يأمرهم بهدمه.

(٢) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٣) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص.

(٤) أن محمد بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن العباس رضي الله عنه.

(٥) أن فاطمة بنت الحسين امرأة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ضربت على قبره القبة سنة ثم رُفعت.

(٦) أن عائشة رضي الله عنها أمرت بفسطاط ف ضرب على قبر أخيها عبدالرحمن حين مات بذي طوى.

(٧) أن خارجة بن زيد قال: (رأيتني ونحن شبان في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مضعون حتى يجاوزه).

قلت: هذه سبعة آثار استدلت بها القبوريون على وجود أصل لما دَرَجوا عليه من البناء على القبور في عهد

السلف الصالح رضي الله عنهم، وسأرد - بحول الله - على ذلك مبيناً أنه لا أساس لما تمسكوا

به إلا ما يفعله من قال الله فيهم: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله﴾<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تجد هذه الشبهات في رسالة (الجواب المشكور) ، وهي عبارة عن فتوى أجاب فيها المفتي عن أسئلة تتعلق بالقبور والبناء عليها ووقع عليها عدد من علماء الهند وأرسلت إلى الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود فقام هو بإحالتها إلى دار الإفتاء التي أجابت عليها بكتاب شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور انظر مقدمة شفاء الصدور (ص ٥-٦) وقد طبع في دار العصمة بالرياض (١٤٠٩هـ) تحقيق عبد السلام آل عبد الكريم . ورسالة (إحياء المقبور من أدلة

استحباب بناء المساجد والقباب على القبور) لأحمد عبد الله الصديق الغماري الطبعة الثانية ، نشر مكتبة القاهرة بمصر .

<sup>٢</sup> آل عمران (٧) .

## المطلب الثالث: الرد على ما استدلووا به من الشبهات على وجود مبان على القبور في تلك القرون:

**الشبهة الأولى -** قولهم بأن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ فأقرهم على ذلك، وهم يريدون بذلك ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي بصير ﷺ، حيث ذكر قصة مجيئه إلى النبي ﷺ بعد صلح الحديبية، وإرسال المشركين يطلبون إرجاعه إليهم وكيف سلمه إليهم، ثم قتل أبو بصير ﷺ أحد الرسولين ثم خرج إلى سيف البحر ومكث هناك، ولحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو وجماعة من المسلمين، وأنهم شكّلوا عصابة لقطع الطريق على المشركين والاستيلاء على قوافلهم، حتى أرسل المشركون للنبي ﷺ يرجونه قبولهم لديه فأرسل النبي ﷺ إليهم كتاباً بذلك، فجاء الكتاب وأبو بصير ﷺ في حال الموت، فمات وكتاب رسول ﷺ على صدره فصلى عليه أبو جندل. والقصة إلى هنا- في البخاري وغيره- مُسنّدة، غير أن فيما ساقه ابن عبد البر زيادة **((وبنى على قبره مسجداً))**، وهذا موضع الشاهد الذي احتجّ به القبوريون كما فعل الغماري في رسالته إحياء المقبور حيث قال: **(الدليل الثامن: أن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ) ثم ساق القصة عن الاستيعاب وفيها تلك الزيادة.**

قلت: نعم ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب ولكنه ساق القصة من طريق عبد الرزاق عن معمر -قال الزهري في حديثه -: غير أن عبد الرزاق لم يذكر موضع الشاهد وإنما وقف عند قوله: **(فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم، إلا أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم) ٣، وإلى هنا ساق القصة ابن عبد البر ثم قال: (وذكر موسى بن عقبة هذا الخبر في أبي بصير بأتم ألفاظٍ وأكمل سياقه)، ثم ذكر القصة وفيها موضع الشاهد (فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً) ٤.** فأنت ترى أن ابن عبد البر فرّق بين رواية عبد الرزاق الموصولة الصحيحة وبين هذه الرواية التي نقلها عن موسى بن عقبة، وقد دمجهما الغماري تديساً

<sup>١</sup> الاستيعاب في أسماء الأصحاب ( ٤/٢١-٢٣ ) ، للحافظ ابن عبد البر ، بجماش الإصابة لابن حجر طبع ( دار الكتاب العربي ) ، بدون تاريخ .

<sup>٢</sup> إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور ( ٣٨ ) .

<sup>٣</sup> عبد الرزاق في مصنفه ( ٥ / ٣٣٧ - ٣٤٢ ) .

<sup>٤</sup> الاستيعاب ( ٤ / ٢٢ - ٢٣ ) .

على القارئ ليتوهم أن القصة كلها بذلك الطريق الصحيح المسند والواقع خلاف ذلك.

وبعد أن عرفنا أن قصة المسجد إنما هي من رواية موسى بن عقبة نعود لنقول: هناك اعتراض على الاستشهاد والاستدلال بالقصة من ناحيتين: **الناحية الأولى من جهة السند:** فموسى بن عقبة رواها عن الزهري مرسلة، وقد رواها من طريق موسى بن عقبة البيهقي في دلائل النبوة من طريقين عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلة<sup>١</sup>، كما رواها ابن عساكر في تاريخه، ذكره الشيخ الألباني وقال: (رواية موسى بن عقبة في تاريخ ابن عساكر (١/٣٣٤/٨) رواه بإسنادين عنه عن ابن شهاب مرسلًا أو معضلاً بلفظ: (وجعل عند قبره مسجداً)<sup>٢</sup>.

وبناء على ما تقدم فإن هذا المرسل لا يحتج به كما هو مقرر عند علماء الحديث، هذا لو كان سالمًا من المعارضة، فكيف وهو مخالف لما في البخاري، حيث لم يذكر تلك الزيادة هو ولا أحد ممن خرّج تلك القصة سوى موسى بن عقبة، ثم هو مخالف للأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي في المنع من بناء المساجد على القبور ولعن فاعل ذلك، مع تأخر تلك الأحاديث أو بعضها عن هذه الحادثة؛ إذ كان لعن أولئك في مرض موت الرسول ﷺ.

**الناحية الثانية من جهة المتن:** في اللفظ الذي ذكره ابن عبد البر (وبنى على قبره مسجداً)، هذا اللفظ قد خالفه ثلاثة من الحفاظ، رَوَاهُ بلفظ: (وجعل عند قبره مسجداً)، وهم: البيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخه وتقدم العزو إليهما، والثالث الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال في شرح الحديث الذي ساقه البخاري في كتاب الشروط من صحيحه: (وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً)<sup>٣</sup>، وظاهر أن (عند قبره) يختلف قطعاً عن (على قبره)، فبناء المسجد على القبر هو الذي فيه النزاع، والذي قد وردت الأحاديث بتحريمه ولعن فاعله، وأما البناء عند القبر فيختلف باختلاف قصد الباني وليس فيه نهي لذاته فلو فرضنا أن هذا اللفظ صحيح فإنه لا دليل فيه على مطلوب القبورية.

**وهناك ناحية ثالثة** وهي على افتراض أن السند صحيح وأن اللفظ هو كما أورده الغماري: (على قبره مسجداً)، فإن التعارض قائم لا شك ولا إمكان

<sup>١</sup> دلائل النبوة (٤/١٧٢-١٧٥)، للإمام البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، طبع دار الكتب العلمية

بيروت الطبعة الأولى سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)

<sup>٢</sup> تحذير الساجد ص (١١٨)

<sup>٣</sup> فتح الباري (٣٥١/٥)

للجمع، والتاريخ معروف، فقصه أبي بصير قبل السنة الثامنة سنة الفتح، والأحاديث الناهية عن اتخاذ المساجد على القبور في آخر أيام النبي ﷺ، بعضها قبل موته ﷺ بخمسة أيام<sup>١</sup> وبعضها وهو مختصر<sup>٢</sup> فهي ناسخة لتلك القصة وبهذا لا يبقى للقبورية أي استدلال بهذه القصة.

**الشبهة الثانية من شبهات القوم:** أن عمر بن الخطاب ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

قلت: قصة ضرب عمر ﷺ الخيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها رواها ابن سعد من طريق محمد بن المنكدر، وعن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه، فلفظ محمد بن المنكدر عن عمر: (أنه مرَّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف فقال: (لو أني ضربت عليهم فسطاطاً، فكان أول فسطاط ضرب على قبر) ٣، ولفظ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه (أمر بفسطاط فضرب على قبرها لشدة الحر يومئذ فكان أول فسطاط ضرب على قبر بالبيع) ٤، وهناك لفظ ثالث عن عبدالله بن ربيعة قال: (رأيت عمر بن الخطاب صلى على قبر زينب بنت جحش سنة عشرين في يوم صائف ورأيت ثوباً مد على قبرها وعمر جالس على شفير القبر) ٥.

وهذه الألفاظ جميعها مبينة أن الفسطاط الذي ضرب أو الثوب الذي مد كما في الرواية الثالثة؛ إنما مَدَّ لإِظلال الحفارين ووقايتهم من حر الشمس في ذلك اليوم الصائف، فأبي دليل فيه على بناء المساجد والمشاهد على القبور؟!، هذا إن صح، ولم أكلف نفسي البحث في أسانيدنا لأنها حتى لو صحت لم تدل على قصد المستدل، وهذا واضح فبطل الاستدلال بهذه القصة.

**الشبهة الثالثة من شبهات القوم:** قصة عثمان بن عفان ﷺ حين ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص، ولفظها عند ابن سعد من طريق الواقدي سنده إلى ثعلبة بن أبي مالك قال: (رأيت يوم مات الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفان ضرب على قبره فسطاطاً في يوم صائف، فتكلم الناس فأكثرُوا في الفسطاط فقال عثمان: (ما أسرع الناس إلى الشر وأشبهه بعضهم إلى بعض، أنشدكم الله من حضر نشدتي: هل علمتم عمر بن الخطاب ضرب على قبر زينب

<sup>١</sup> هو حديث جندب بن عبدالله ﷺ تقدم تخريجه ص (١٩) .

<sup>٢</sup> هو حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وكلا الحديثين تقدم تخريجهما (١٧) .

<sup>٣</sup>، <sup>٢</sup>، <sup>٣</sup> والثلاثة الآثار رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى (١١٢/٨-١١٣) ، طبع دار صادر بيروت، وطريق موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث وهو التميمي رواه الحاكم في المستدرک (٤/٢٤) ، كتاب معرفة الصحابة (ذكر زينب بنت جحش) .

بنت جحش فسطاطاً؟ قالوا: نعم، قال: فهل سمعتم عائباً؟ قالوا: لا) ،قلت: الحديث في سنده الواقدي ومع ذلك فهو من حيث الدلالة كالذي قبله لادليل فيه على ما يريدون.

**الشبهة الرابعة من شبهاتهم:** أن محمداً بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن عباس رضي الله عنه، قلت: الأثر رواه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن عمران بن أبي عطاء قال: (شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناءً ثلاثة أيام) <sup>١</sup> وكذلك أخرجه الحاكم من طريق هشيم إلا أنه قال: (حدثنا أبو حمزة، ثنا عمران بن أبي عطاء، فجعلها اثنتين أبا حمزة وعمران مع أن الصحيح أن أبا حمزة هو عمران نفسه فلا أدري أهى غلطة مطبعية أم أنه وهم من الحاكم - رحمه الله-، ولم يعلق الذهبي على ذلك، ولا محقق الكتاب في طبعته الجديدة <sup>٢</sup>، وكذلك رواه الخطيب في "موضح أوهام الجمع والتفريق" من طريقين: أحدهما عن سفيان عن عمران بن أبي عطاء، وأخرى عن هشيم عن أبي حمزة الأسدي يريد بذلك إثبات أن عمران بن أبي عطاء هو أبو حمزة الأسدي) <sup>٣</sup>، وعمران الذي يدور عليه الأثر من رجال مسلم وقال عنه الحافظ في التقریب: (صدوق له أوهام) <sup>٤</sup>، فالأثر ثابت رغم ذلك؛ لأنه يحكي مشاهدة ورؤية فلا يضر ما قيل عنه من أوهام، غير أن الأثر لا يفيد القوم شيئاً إذ أنه لا يخرج عما سبق من الآثار، إذ بقاء الفسطاط -الذي جاء مصرحاً به في رواية الجميع كان لمدة ثلاثة أيام فقط- دالٌّ أنه كان لغرض آخر غير ما ترمي إليه القبورية؛ فإما أن يكون بُني على الحفارين ثم ظلَّ كذلك وهذا الأقرب وإما لأمر آخر، ولكن أن يحتج به على بناء المشاهد والمساجد على القبور فهذا لا يقوله عاقل منصف.

**الشبهة الخامسة:** قصة فاطمة بنت الحسين وضربها القبة على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قلت: هذا الأثر قد علقه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، في باب "ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور" قال: (ولما مات الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه

<sup>١</sup> رواه ابن سعد في الطبقات ( ١١٣/٨ ) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متهم بالكذب .

<sup>٢</sup> ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجنائز (في الفسطاط يضرب على قبر ) ( ٣٣٥/٣ - ٣٣٦ ) .

<sup>٣</sup> الحاكم في المستدرک ( ٧٠٢/٤ )، كتاب معرفة الصحابة ( ذكر وفاة عبدالله بن عباس رضي الله عنه ) .

<sup>٤</sup> موضع أوهام الجمع والتفريق ( ٣٣٢/٢ ) ، للخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعي، طبعة دار

المعرفة بيروت الطبعة الأولى سنة ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>٥</sup> تقریب التهذيب ( ٧٥١ )، للحافظ ابن حجر .



ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رُفعت فسمعوا صائحاً يقول: (ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا) <sup>١</sup> وهذا الأثر قد حملَ نقدَه وتفنيده معه؛ لأمر:

**الأمر الأول -** إيراد البخاري له في هذا الباب دال على استنكاره له، قال الحافظ - رحمه الله -: (ومناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر وقد يكون في جهة القبلة فتزداد الكراهة) <sup>٢</sup>.

**والأمر الثاني** نكزُ الهاتف فإنه مُشعرٌ بقبح ما صنعت تلك المرأة. قال ابن المنير - كما نقل عنه الحافظ - : (إنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت بالقرب منه تعليلاً للنفس، وتخياً باستصحاب المألوف من الأُنس ومكابرة للحس، كما يتعلل بالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنازل الخالية، فجاءتهم الموعدة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا، وكأنهما من الملائكة أو من مؤمني الجن، وإنما ذكره البخاري لموافقته للأدلة الشرعية لا لأنه دليل برأسه) <sup>٣</sup>، إذاً فعلى رأي ابن المنير إنما أورد البخاري ذلك للاستئناس به لما ذهب إليه من كراهة اتخاذ المساجد على القبور وليس لتأييد ذلك.

قال القسطلاني - رحمه الله - في شرحه على البخاري: (ومطابقة الحديث للترجمة من جهة أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة فيه فيسألنرم اتخاذ المسجد عند القبر، وقد يكون القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهية وإذا أنكر الصائح بناءً زائلاً وهو الخيمة فالبناء الثابت أجدر، ولكن لا يُؤخذ من كلام الصائح حكم لأن مسالك الأحكام الكتاب والسنة والقياس والإجماع ولا وحي بعده عليه الصلاة والسلام، وإنما هذا وأمثاله تنبيه على انتزاع الأدلة من مواضعها واستنباطها من مظانها) <sup>٤</sup>. وبهذا يظهر أن الدليل هو لنا وليس للقبورية.

**الشبهة السادسة من شبهات القوم:** أن عائشة رضي الله عنها أدركت أخاها عبد الرحمن بعد موته -حين رفعوا أيديهم عن دفنه بنبي طوى- فأمرت بفسطاط فضرب على قبره.

<sup>١</sup> البخاري مع الفتح (٢٠٠/٣).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (٢٠٠ / ٣).

<sup>٣</sup> المصدر السابق (٢٠٠ / ٣).

<sup>٤</sup> إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢ / ٤٣٠)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، دار

إحياء التراث بيروت بدون تاريخ.

قلت: هذا الأثر علقه البخاري -رحمه الله تعالى- قال: (رأى ابن عمر رضي الله عنهما فسقاطاً على قبر عبدالرحمن فقال: انزعه يا غلام فإنما يظله عمله) <sup>١</sup>. وقال الحافظ في شرحه: (وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ابن سعد في روايته له موصولاً من طريق أيوب بن عبدالله بن يسار قال: (مرَّ عبدالله بن عمر على قبر عبدالرحمن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فسقاط مضروب فقال: يا غلام انزعه فإنما يظله عمله، قال الغلام تضربني مولاتي. قال: كلا فنزعه)، ومن طريق ابن عون عن رجل قال: (قدمت عائشة ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن عبدالرحمن بن أبي بكر فأمرت بفسقاط فضرب على قبره ووكلت به إنساناً وارتحلت فقدم ابن عمر...) فذكر نحوه، وقد تقدّم توجيه إدخال هذا الأثر في هذه الترجمة)، قلت: يعني ما ذكره في الأثر السابق أثر فاطمة بنت الحسين وهو أن البخاري قاس الفسقاط على المسجد في الكراهة.

وهذا الأثر كذلك يجب أن يستدل به على محاربة الصحابة لتلك المظاهر لا على إثباتها وتأسيسها، فعائشة رضي الله عنها نصبت تلك الخيمة ولم يتبين لنا ما هو السبب في ذلك، ولا لأي غرض كان نصبها، ثم ذهبت فلما جاء ابن عمر رضي الله عنهما استنكر ذلك وعبر عن استنكاره بالأمر بنزع ذلك الفسقاط، رغم إخبار الغلام له بأن من أمر به هو عائشة رضي الله عنها، ورغم ما يكته الصحابة جميعاً لعائشة رضي الله عنها من التقدير والاحترام، إلا أن ذلك لم يمنع ابن عمر من تغيير ما رأى أنها أخطأت فيه.

ولم يذكر بعد ذلك لنا محدث ولا مؤرخ أن عائشة اعترضت على ما فعله ابن عمر، وهذا دليل على أنها رجعت إلى ما رآه ابن عمر، خصوصاً وأن عائشة رضي الله عنها ليست ممن يسكت على ما يرى خلافه، ومن أجل ذلك كثرت استدراكاتها على الصحابة حتى جمعها الزركشي - رحمه الله - في كتاب مستقل سماه (الإجابة لما استدركته عائشة رضي الله عنها على الصحابة) ولم يذكر هو ولا غيره أن عائشة رضي الله عنها استدركت على ابن عمر ما فعل، فسقط هذا الدليل والحمد لله.

**الشبهة السابعة:** أثر خارجة بن زيد -رحمه الله- أحد الفقهاء السبعة أنه قال: (رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان رضي الله عنه وإن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه).

قلت: الأثر علقه البخاري <sup>٢</sup> بنفس اللفظ، وقد تعرض له العلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني <sup>١</sup> - رحمه الله- في كتاب البناء على القبور وردّه من أحد عشر

<sup>١</sup> صحيح البخاري كتاب الجنائز باب (الجريدة على القبر) (٢ / ٤٥٧).

<sup>٢</sup> في الصحيح كتاب الجنائز (الجريدة على القبر) (٢ / ٤٦٥).

وجهاً، وأكتفي بوجهين اثنين فقط أراهما مزيلين للإشكال، قال رحمه الله: (ثانياً في تهذيب التهذيب في ترجمة خارجة: " قال ابن نمير وعمرو بن علي: مات سنة (٩٩ هـ) وقال ابن المديني وغير واحد: مات سنة مائة"، فظاهر هذا أن الأكثر على أن موته كان سنة مائة والجمع أولى بأنه مات أواخر سنة (٩٩ هـ)، وفي تاريخ ابن عساكر أنه توفي وعمره سبعون سنة، وذكر لذلك قصة أن خارجة قال: " رأيت كأني بنيت سبعين درجة، فلما فرغت منها هويت وهذا السنة لي سبعون سنة وقد أكملتها، قال فمات فيها " .

ونقل مثله ابن خلكان عن طبقات ابن سعد، فإذا أنقصنا سني عمره من سني الهجرة لموته بقي تسع وعشرون، فيكون مولده آخر سنة تسع وعشرين، وعثمان قتل سابع ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فيكون سن خارجة يوم قتل عثمان ست سنين تقريباً، فكيف يكون شاباً في زمن عثمان؟ .

وقد راجعت طبقات ابن سعد، " طبع أورباً" فظهر أنه روى هذه القصة عن الواقدي) - قلت: والمعلمي - رحمه الله - يشير بذلك إلى ضعف القصة حيث ظهر تناقضها - ثم قال (ثالثاً: إذا سلم إسناده ولم نعتبر هذه علة قاذحة فيه، فإنه ينبغي الجمع بأن يتأول الأثر بأن قوله: (شبان) مجاز، أراد أننا غلمان أقوياء أصحاء كأننا شبان، ويؤيد هذا كلمة (غلمان) الثابتة في التاريخ وإن حذف في التعليق، ويؤيده أيضاً أنه لو كانوا أبناء تسع سنين ونحوها لما ذهبوا يتواثبون على قبر رجل من أفاضل السابقين، ولا سيما وبجواره قبر ابن رسول الله ﷺ، وهذا ممنوع في الشرع اتفاقاً لأن من روى عنه إباحة الجلوس على القبر لا يبيح التوثب عليه. وقوله: (إن أشدنا وثبة... الخ) يدل أن أكثرهم يقصر فيقع على القبر والذي يجاوزه يقع على القبور المجاورة، وأبناء الصحابة ﷺ لم يكونوا يبلغون التمييز إلا وهم عارفون آداب الدين ملتزمون لها مثل خارجة بن زيد، وعلى هذا فلا دلالة في الأثر لأن الغلام الذي عمره ست سنين - وإن كان قوياً - يشق عليه أن

<sup>١</sup> هو العلامة المحدث المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، رحل في طلب العلم والمعاش، فمكث مدة في الهند ثم استقر في مكة المكرمة أميناً لمكتبة الحرم المكي، حقق عدداً كثيراً من كتب الحديث والرجال، وألف في الرد على أهل البدع والباطل من أشهر كتبه " التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل " وله كتاب بعنوان " البناء على القبور " لم يكمله، وفي الموجود منه ما يدل على تحقيق بالغ وعلم غزير كما أن له كتاباً بعنوان " القائد إلى تصحيح العقائد " توفي رحمه الله بمكة سنة (١٣٨٦ هـ) انظر ترجمته بقلم عبد الله ابن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي في مقدمة التنكيل ص (٩) طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء = والدعوة والإرشاد بالرياض (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) وهجر العلم (١٢٦٦/٣) طبع دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر سورية الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) .

يثب أكثر من ذراعين ونصف على وجه الأرض وهذا هو عرض القبر عادة تقريباً.

ويشبه أن يكون قبر عثمان بن مظعون أ عرض قليلاً من القبور المعتادة، ويكون خارجة أراد بذلك القول: الإخبار عن عرض القبر ليخبرهم أن السنة توسعة القبر) <sup>١</sup>.

وبهذا تنقطع حجة القبوريين في جميع ما استدلوا به من وجود مظاهر القبورية في عهد السلف الصالح وسأثبت - إن شاء الله - إضافة لما سبق خلاف ذلك: وهو إنكار السلف لكل ما هو من هذا القبيل والتنصيص على منع إقامة الفساطيط وما هو أعلى منها في المطلب الرابع.

### **المطلب الرابع: التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فساطيط ونحوها:**

تقدم في الباب التمهيدي في الأسلوب السابع: أمر النبي ﷺ بتسوية القبور المشرفة، وذلك عن فضالة بن عبيد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذلك تطبيقهما لذلك، فأمر فضالة بتسوية قبر <sup>٢</sup> صاحبهم الذي مات برودس، كما بعث علي رضي الله عنه أبا الهياج الأسدي لذلك الغرض <sup>٣</sup>، وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يأمر بتسوية القبور بما في ذلك قبر ابنته أم عمرو بنت عثمان <sup>٤</sup>، ومن ذلك تعامل أبي موسى وأصحابه مع قبر دانيال وقد مر <sup>٥</sup> وأما قضية الفساطيط فقد مرّ معنا قصة عائشة في وضع فسطاط على قبر أخيها عبد الرحمن وكيف أزاله ابن عمر ولم تعترض على ذلك <sup>٦</sup>، وكذلك ما فعلته فاطمة بنت الحسين ومائنه به على خطئها من الهاتفين، وكيف أدخل البخاري ذلك في باب كراهية اتخاذ المساجد على القبور <sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> البناء على القبور ص ( ٣٣-٣٤ ) ، للعلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، تحقيق حاكم بن عيسى المطيري ، الطبعة الأولى ( ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ) ، دار أطلس الرياض ، وقد رد في هذا الكتاب وبأسلوب قوي وحجج رصينة ساطعة شبهة اتخاذ المسجد على أصحاب الكهف فليرجع إليها من أراد معرفة الحقيقة .

<sup>٢</sup> انظر : ص ( ٢٤ ) .

<sup>٣</sup> انظر : ص ( ٢٤ ) .

<sup>٤</sup> الباب التمهيدي ص ( ٢٤ ) .

<sup>٥</sup> انظر : ص ( ٣٧-٣٨ ) .

<sup>٦</sup> انظر : ص ( ٨٧ ) .

<sup>٧</sup> انظر : ص ( ٨٧ ) .

وقد أوصى بعض الصحابة والتابعين بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم أو رفعها، فأوصى أبو هريرة رضي الله عنه (ألا يضربوا على قبره فسطاطاً) <sup>١</sup>، وأوصى بمثل ذلك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه <sup>٢</sup>، وكذلك أوصى بمثل ذلك سعيد بن المسيب <sup>٣</sup>، وقال محمد بن كعب القرظي (هذه الفساطيط التي على القبور

محدثة) <sup>٤</sup>، وقال عمر بن شرحبيل: (لا ترفعوا جدثي ° فإنني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك <sup>٥</sup>).

فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتابعين في وضع القبور وتسويتها والمنع من عمل أي شيء يؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها.

**المطلب الخامس: محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك:**

لقد نشأت الشيعة -يوم نشأت- غالبية في حبتها غالبية في بغضها، وكانت الرفضة من أكثر فرق الشيعة غلواً، ولا عجب فإن مُنشئها ومؤسسها الأول كان يهودياً غالبياً، يحمل أسوأ ما عند اليهود من عقائد، وينطوي على أبشع ما لديهم من حقد على الإسلام والمسلمين، ذلك هو أحد أهم رؤوس أهل الرفض عبد الله بن سبأ

<sup>١</sup> رواه عبد الرزاق (٤١٨/٣) كتاب الجنائز باب لا يتبع بالجمرة، وابن أبي شيبة في كتاب الجنائز: في الفسطاط يضرب على القبر (٣٣٥/٢)، وزاد الشيخ الألباني -رحمه الله- عزوه إلى الربيعي في وصايا العلماء (١٤١/٢)، وابن سعد (٣٣٨/٤) قال: وإسناده صحيح تحذير الساجد ص (١٤٣).

<sup>٢</sup> ابن أبي شيبة في نفس الباب السابق (٣٣٥/٢ - ٣٣٦)، وعمر بن شبة في أخبار المدينة الطبعة التي علّق عليها الشيخ عبد الله الدويش (ص ٩٦ - ٩٧) دار العليان بريدة الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، وعزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساکر (٩٦/٧) وقال: إسناده ضعيف، لكن له طرق أخرى عند ابن عساکر فهو بها صحيح. انظر: تحذير الساجد ص (١٤٣). وقال الشيخ الدويش معلقاً على سند ابن شبة: رجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن الرجال قال في التقريب: (صدوق ربما أخطأ). قلت: ومن كان هذا حاله فحديثه حسن عند ابن حجر -رحمه الله -

<sup>٣</sup> رواه ابن سعد في الطبقات (١٤٢/٥).

<sup>٤</sup> ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٦/٣)، قال الشيخ الألباني في تحذير الساجد ص (١٤٣): ورجاله ثقات غير ثعلبة ثعلبة وهو ابن الفرات، قال أبو حاتم وأبو زرعة: (لا أعرفه) كما في "الجرح والتعديل" (٤٦٤/٢ - ٤٦٥) طبع دار الفكر طبعة مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الهند سنة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

<sup>٥</sup> الجذث: القبر، انظر: القاموس المحيط ص (٢١٣).

<sup>٦</sup> رواه ابن سعد (١٠٨/٦) وصحح إسناده الشيخ الألباني في تحذير الساجد ص (١٣٤).

اليهودي<sup>١</sup>، فلا غرابة أن تحمل تلك الفرقة بذور القبورية والوثنية في طياتها منذ نشأتها الأولى، ففي الوقت الذي كانت الأمة -كل الأمة- تحارب القبورية وتطمس آثارها، كان هؤلاء الغلاة يحاولون إنشاء المشاهد والقباب على قبر الحسين عليه السلام في كربلاء، ولكن يقظة الخلفاء والأمراء وما يجري في عروق الأمة من مقاومة لتلك القبورية كان يقف حائلاً قوياً وسداً منيعاً دون تمكين الرافضة من تلك الغاية.

وبنظرة عابرة إلى تاريخ كربلاء يتبين ذلك، فقد زعم مؤرخو الرافضة أن أول بناء أقيم على قبر الحسين عليه السلام كان بعد دفنه مباشرة<sup>٢</sup>، ولم أر في تواريخ أهل السنة ما يؤيد ذلك، وقد اختلفوا فيمن أقام تلك المباني فقيل: بنو أسد الذين تولوا دفنه، وقيل المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكلا الاحتمالين لم يقيموا عليه دليلاً معتبراً، وعندني أنه إن كان ذلك ثابتاً فالمختار أحرى به؛ لأنه كان شيعياً متعصباً نذر نفسه للقضاء على قتلة الحسين مع ما عنده من انحرافات وكذب على الله حتى زعم أنه يُوحى إليه<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> هو عبدالله بن سبأ الهمداني وقيل الحميري، اليماني النسب والدار، اليهودي الديانة، أسلم زمن عثمان وهاجر إلى الحجاز ثم إلى الشام ومصر، وهناك تحرك في تحريض الثوار على عثمان عليه السلام حتى قتلوه، ثم عاد فاندس في أصحاب علي عليه السلام وغرس فيهم العقيدة الضالة عقيدة ألوهية علي عليه السلام، فما كان من علي عليه السلام إلا أن زجرهم عن ذلك فلما لم ينزجروا أحرقهم بالنار. وهل أحرق معهم؟ ربما الأصح أنه هرب ولم يحرق، ثم كَوَّن فرقة هي من أبحث فرق الشيعة وتسمى السبئية، أخرجها جمهور السنة والشيعة من فرق المسلمين، وقد أثبت وجود هذه الشخصية الخبيثة مؤرخو السنة والشيعة على السواء، غير أن بعض المعاصرين من آيات الشيعة وجد أن ترقيع ذلك الثوب المهلهل لا يجدي، فقرر عدم وجود شخص اسمه عبدالله بن سبأ، وأتم سيف بن عمر الضبي الإخباري المشهور باختراع هذه الشخصية، غير أن باحثي أهل السنة فندوا تلك الدعوى، ورد على ذلك المؤلف الشيعي عدد من باحثي أهل السنة في مواضع مختلفة ومناسبات مختلفة، وأجمع ذلك -حسب علمي- هي رسالة الشيخ سليمان بن حمد العودة التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام (١٤٠٢ هـ) بعنوان (عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام)، ونشرتها دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، فليرجع إليها من أراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل.

<sup>٢</sup> تاريخ كربلاء (حائر الحسين عليه السلام)، للدكتور عبد الجواد الكلدار، طبع مدبولي الصغير بالقاهرة بدون تاريخ ص (١٥١).

<sup>٣</sup> هو كذاب ثقيف المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أظهر التشيع أيام معاوية فنفي إلى الطائف، فلما قام عبدالله بن الزبير وفد إليه فأرسله إلى العراق، وهناك اتصل بالشيعة وزين لهم أمر إمامة محمد بن الحنفية بدون أمره، وأظهر المخاريق وزعم أن جبريل أتته بالوحي، وتتبع قتلة الحسين ثم قامت الحرب بينه وبين مصعب بن الزبير أمير العراق من قبل أخيه عبدالله وبعد جولات هزمه مصعب وقتله وقتل جمعاً من أصحابه، وفيه تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجاج:

ولكن كيف تم له ذلك؟ وإن تم فكيف يُقَرَّ ويُترك في ظل دولة ابن الزبير، ثم في ظل دولة بني أمية؟، وهم كما يقول مؤرخ كربلاء: (أقاموا المخافر والمسالح<sup>١</sup> المدججة بالعتاد والسلاح والرجال على أطراف كربلاء لمطاردة الزوار ومعاقبتهم بأقسى العقوبات من القتل والصلب والتمثيل بهم)<sup>٢</sup>.

إن أولئك الزوار المزعومين - الذين وضعت دولة بني أمية العتاد والسلاح والرجال لمنعهم من الزيارة - إنما كانوا يزورون ذلك المكان المقدس المعلم بالبناء المزعوم، فكيف يُعقل أن يترك البناء طيلة تلك الفترة دون أن يتعرضوا له، مع وجود ما قيل من المنع من الزيارة والمعاقبة لمن ظفر به من الزوار.

وقد زعم مؤرخ كربلاء أن أول من تعرّض لهدم ما على القبر من بناء هو أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين، ولم يرجع ذلك إلى مصدر معتمد، وإنما عزاه إلى منظومة بعنوان " مجالي اللطف " للشيخ محمد السماوي<sup>٣</sup>.

قلت: إن صح هذا فإنه قد يكون هناك مبانٍ يسيرة بُنيت خلسة في حال غفلة من الرقباء، فلما عرف بها المنصور بادر إلى هدمها..

ثم زعم مؤرخ كربلاء أنه في عهد هارون الرشيد وفي آخر أيامه بالذات: (هدم الحائر وكرب موضع<sup>٤</sup>

القبر المطهر وقطع السدرة التي كانت نابذة عنده ليمحو بعد ذلك كل أثر له)°، وهذا إن صح فهو شبيه بما فعله أبو جعفر المنصور، وقد أورد بعد ذلك قصة توحي بأنه كان للحائر نظام معين وله خدم وسدنة موظفون للقيام بواجب الخدمة

سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( إن في ثقيف كذاباً ومبيراً ) أما الكذاب فرأيناه - تعني المختار - وأما المبير فما أخالك إلا إياه ) رواه مسلم .

وفيه يقول سراقه البارقي :

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً  
أري عيني ما لم ترّياه

عليّ جهادكم حتى الممات  
كلانا عالم بالترهات

ترجمه الذهبي في السير ( ٥٣٨/٣ ) وما بعدها ، وابن كثير في البداية والنهاية ( ٢٨٩/٨ ) وما بعدها .

<sup>١</sup> المخافر : جمع مخفر وهو مكان الخفارة والحراسة ، والمسالح : جمع مسلحة وهم القوم ذوو السلاح . القاموس ص (

٢٨٧ ) ، والمعجم الوسيط ( ٢٤٦/١ ) .

<sup>٢</sup> تاريخ كربلاء ص ( ١٨٣-١٨٤ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٤ ) .

<sup>٤</sup> الحائر : موضع قبر الحسين ﷺ ، وكربّه : أثاره للزرع . انظر : القاموس ص ( ١٦٦ )

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ص ١٨٦ )

وأوقاف هي تلك الأموال التي أجزتها أم موسى وهي أم المهدي ابنة يزيد بن منصور وقد عزي تلك القصة إلى الطبري في تاريخه في حوادث عام (١٩٣ هـ)

وعلى كل حال فاحتمال أن يكون الشيعة - في الفترة ما بين عصر المنصور والرشيد - قد تمكنوا من عمل شيء ما من البدع وأحدثوا شيئاً ما من المعالم على قبر الحسين - غير بعيد، ولكن حينما فطن لها الرشيد فعل ما يجب عليه من إزالة لما أوجب الشرع إزالته، وأما كون القبر قد صار له نظام معين وإدارة وسدنة.... الخ فهذه مزاعم لا دليل عليها، ولا تتماشى مع واقع ذلك العصر.

ثم ذكر أن القبر وما عليه من بناء وما حوله من دور قد هدمت في أيام الخليفة المتوكل أربع مرات خلال خمسة عشرة سنة، وأطال في ذلك جداً وكانت مراجعه في ذلك في الغالب كتب الشيعة وبعض كتب مؤرخي أهل السنة، والذي يظهر أن بناءً بشكل ما قد أقيم على القبر، وذلك بعد عهد الرشيد وفي أيام الخلفاء الذين تنبوا مذهب الشيعة وهم المأمون والمعتصم والواثق، إما برضى منهم أو بانصرافهم عن مراقبة تلك البقعة وما يدور فيها، لعدم الحساسية التي كانت لدى أسلافهم، من ذلك؛ فتمكن المتربصون من الرفض مما يريدون، حتى إذا كانت خلافة المتوكل ورجع عن التشيع والاعتزال وأحاط به أهل السنة قام بما يجب عليه من طمس تلك المعالم المخالفة للشرع تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ الذي رواه عنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا الذي يمكن أن يكون قد حصل وأما ما كثر به الدكتور عبد الجواد الكلام وسؤد به الصفحات فهو مما لا تطمئن إليه النفس، إذ يبعد أن يحصل ذلك أربع مرات في خلال خمس عشرة سنة مع إصرار المتوكل على منع أي إحداث في ذلك الموضوع، وقد ذكر بعد ذلك أن المنتصر بن المتوكل كان قد أعاد البناء على قبر الحسين ووضع عليه ميلاً عالياً يرشد الناس إليه، واعتمد في ذلك على مراجع شيعية فقط.

غير أن مؤرخي السنة قد ذكروا ميل المنتصر إلى آل أبي طالب ومحبته لهم وإرجاع بعض ما كان لهم من الأوقاف وغيرها<sup>١</sup>، ومن هنا فلا يستبعد أن يجيبهم إلى شيء من ذلك، غير أن كل ما يمكن أن يقال: أنه فعله، إنما هو وضع علامة على قبر الحسين عليه السلام فقط، ليعرف موضع القبر، والشيعة عندما يستमितون في إثبات ذلك إنما يريدون الاستدلال على عراقية ما هم عليه من القبورية المعاصرة وأن جذورها ممتدة إلى القرون المفضلة.

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١٨٦) .

<sup>٢</sup> تاريخ الخلفاء (٣٥٦) لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة مصر،

الطبعة الأولى (١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م)



وبهذا تعرف أن القرون الثلاثة المفضلة مضت وليس هناك قبور معظمة، ولا مشاهد أو قباب ولا غيرها من مظاهر القبورية، ولا شيء من طقوس ومراسيم العبادات القبورية، وما حاول فعله الرافضة من ذلك فقد جوبه بردع قوي من خلفاء المسلمين وأمرائهم.

ولا يقدر فيما قرره العلماء من خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية، وجود بعض قبور للخلفاء قد أبرزت وبني عليها، إذ أن ذلك لم يدخل فيما قصدوه بالنفي، حيث إن الكلام هو في مشاهد من يعتقد فيهم الصلاح ويُصدون للتبرك، وذلك غير موجود في قبور الأمراء والسلاطين، على أن هذه القبور التي بُني عليها إنما كانت في القرن الثالث بعد الجولة التي ظهر فيها الرفض والتجهم أيام المأمون والمعتصم والوائق، وقد نص المؤرخون على أن أول خليفة أبرز قبره هو الخليفة محمد المنتصر بن المتوكل العباسي المتوفى سنة (٢٤٨ هـ) بطلب من أمه الرومية الأصل<sup>١</sup>.

ثم بنيت عليه قبة عرفت فيما بعد باسم القبة الصليبية ودفن مع المنتصر فيها الخليفان المعتز (ت ٢٥٥ هـ) والمهتدي (٢٥٦ هـ)، وقد قرر المستشرق (هرستفيلد) أنها أول قبة في الإسلام، وأقره على ذلك عدد من المؤرخين المعاصرين<sup>٢</sup>، وهذا تأكيد ثان على ما سبق تقريره من أن القرون المفضلة مرت وليس فيها مشاهد ولا قباب على قبور الأئمة والأولياء ومن يرى فيهم الصلاح.

<sup>١</sup> ذكر ذلك الطبري في حوادث سنة (٢٤٨ هـ). وعنه ابن كثير في البداية والنهاية نفس السنة (١٠ / ٣٥٤) ونص كلام ابن كثير في ترجمة المنتصر ابن المتوكل: (وهو أول خليفة من بني العباس أبرز قبره بإشارة من أمه حبشية الرومية) ،قلت: اسمها حبشية وأصلها رومية فهي نصرانية قبورية .

<sup>٢</sup> مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٤٦/١) للدكتورة سعادة ماهر محمد طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية مصر بدون تاريخ، وموسوعة العتبات المقدسة (١٢ / ٢٢٩) لجعفر الخليلي الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م) مؤسسة الأعلمي بيروت ، ومعالم الحضارة العربية الإسلامية ص (٣٤) للدكتور قصي الحسين الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، والعمارة الإسلامية ص (٤٣) للدكتور كامل حيدر دار الفكر اللبناني بيروت.

## بين يدي هذا الفصل

إننا عندما نبحث عن القبورية في العالم لسنا مجرد مؤرخين، يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث ويصوروا مجتمعات، ويصفوا ما وصلوا إليه من أحوال العالم مجرد السرد التاريخي، وإنما نبحت ذلك منطلقين من سنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسول ﷺ، وهي أن هذه الأمة ستأخذ مأخذ الأمم السابقة، وستسلك سبيلها في كل جوانب حياتها بما في ذلك الجوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فإذا ثبت أن تلك الأمم عظمت القبور وآثار الصالحين وتدرجت في ذلك حتى عبدت أولئك الصالحين-في نظرها- فإن من هذه الأمة من سيفعل ذلك، وهذا ما أخبر عنه رسول الله ﷺ وما يشاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخبر به النبي ﷺ ففيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كنفارس والروم؟ فقال ومن الناس إلا أولئك))<sup>١</sup>.

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟))<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتبعن سنن من كان قبلكم الفتح (١٣ / ٣٠٠).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١٣ / ٣٠٠).

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ كاملاً. والذي يهمننا إثباته هو مشابهة هذه الأمة للأمم قبلها في قبوريتهم، وتعظيمهم للأنبياء والصالحين، وانتشار عقائدهم الباطلة لدى كثير منهم، وهذا ما سوف نبينه في هذا الفصل إن شاء الله.

## الفصل الأول

نشأة القبورية في العالم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول

## نشأة القبورية في العالم بأسره

### وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرء الشرك.

من المعلوم المتفق عليه أن الله تعالى خلق الخلق جميعاً على فطرة التوحيد، فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وجرى له في الجنة ما جرى، ولم يكن من ذلك شيء يخالف التوحيد أو يقدر فيه، ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته، وهو قول جمع من العلماء .

وعلى تعاليم رسالة آدم نشأ بنوه وعلى نهجه ساروا، حتى لقد صرح عكرمة رضي الله عنه بأنهم داموا على ذلك عشرة قرون،<sup>١</sup> وهذا الذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة .

أما القرآن ففي قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِن كَثُرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>٢</sup> .

ففي الآية الكريمة أن الدين الذي أمر الله رسوله أن يقيم وجهه عليه هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم أكد ذلك بقوله ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ ﴾ فالدين الحنيف والدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه .

قال ابن كثير - رحمه الله - : (فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره)<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> تفسير الطبري ( ٢٩ / ٦٢ ) .

<sup>٢</sup> الروم ( ٣٠ ) .

<sup>٣</sup> تفسير ابن كثير ، طبعة دار الشعب ( ٦ / ٣٢٠ ) .

وقد أكدت ذلك السنة وفصلته وذلك فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترون فيها من جدعاء؟))<sup>١</sup> ثم يقول أبو هريرة: (واقرأوا إن شئتم ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾<sup>٢</sup>).

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة رضي الله عنه ومحدث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالهم الشياطين عن دينهم))<sup>٣</sup>، الحديث وقد رواه غيره فزاد فيه ((حنفاء مسلمين)) ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: ﴿ فطرت الله ﴾ لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام)<sup>٤</sup>.

ونكتفي بهذه النصوص الواضحة الصريحة التي لاخلاف على معناها، لإثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرء الشرك عليها.

### المطلب الثاني: إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:

كانت عداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمره الله بالسجود له، فأبى فلعنه الله وطرده بسبب ذلك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسه: أن يعمل على كل ما فيه الإساءة إليه وإلى جلب سخط الله عليه،

<sup>١</sup> أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص ( ٩١٤ ) .

<sup>٢</sup> البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الفتح ( ٢٤٥/٣-٢٤٦ ) ، ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ( ٢٠٤٧/٤ ) .

<sup>٣</sup> الروم ( ٣٠ ) .

<sup>٤</sup> سيأتي تحريجه في الصفحة القادمة .

<sup>٥</sup> فتح الباري ( ٢٤٨/٣ ) .

وكان أول عمل عمله إغراؤه بالأكل من الشجرة، ذلك العمل الذي كان سبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتفِ إبليس بعبادة آدم وحده بل ضمَّ إلى ذلك عداوة ذريته وأعلنها صريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم عن السبيل، والعمل على جعل مصيرهم مقترناً بمصيره هو إلى نار جهنم ﴿ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين، قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾<sup>١</sup>، ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين، قال فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴾.

وقد حذر الله عباده المؤمنين وجميع بني آدم من تلك العداوة وخطورتها، وخطورة الهدف الذي يسعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾<sup>٢</sup> وقال: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾<sup>٣</sup>.

ولكن لأمرٍ أراد الله نسي بنو آدم تلك العداوة، وجهلوا ذلك التحذير الذي حذرهم الله إياه ولم ينسَ هو ذلك، بل عمل على جلب الأنصار والجنود من الإنس والجن، فسلطهم على بني آدم حين غفلوا عما أوصاهم به الله، فأجلب عليهم هو وجنوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعوهم في الشرك، وهو ما

<sup>١</sup> الأعراف (١٦-١٨).

<sup>٢</sup> سورة ص (٨٢-٨٥).

<sup>٣</sup> فاطر (٦).

<sup>٤</sup> يس (٦٠-٦٢).

رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجل كما في حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نخلته<sup>١</sup> عبداً حلالاً، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب))<sup>٢</sup>

ولم يكن ذلك في عهد النبي ﷺ وإنما من فجر التاريخ قبل أن يبعث نوح عليه السلام، بل إن مبعث نوح إنما كان لإرجاع الناس إلى الجادة بعد ذلك الانحراف الخطير، وكان الباب الذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أولئك الناس: باب الغلو في الصالحين، فكانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتمثيل لرجال صالحين أحبهم قومهم وغلوا فيهم فصوروهم، ثم تدرج بهم الحال حتى عبدوهم من دون الله تعالى! ولما جاءهم نوح ينعي عليهم ذلك المسلك الخاطيء، ويدعوهم إلى العودة إلى الصراط المستقيم أبوا وعاندوا وتواصوا بالصبر على تلك الآلهة والاستمرار على الإشراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾<sup>٣</sup> .

وهذه كما هو واضح أسماء بشر كانوا صالحين محبوبين لدى قومهم، حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنزالهم فوق منزلتهم، وتطور الأمر حتى عبدوهم، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية

<sup>١</sup> نخلته أعطيته النووي على مسلم (١٩٧/١٧) .

<sup>٢</sup> اجتالتهم (أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطن) نفس المصدر (١٩٧/١٧)

<sup>٣</sup> مسلم مع الشرح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٩٧/١٧)

<sup>٤</sup> نوح (٢٣) .

أنه قال: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت)<sup>١</sup>

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)<sup>٢</sup> وقد تواطأ المفسرون عند تفسير هذه الآية على ذكر هذا الأثر وأثراً أخرى كلها تؤدي نفس المعنى.<sup>٣</sup>

وقد صرح القرطبي - رحمه الله تعالى - بأنه من أجل أن عبادة الأوثان ابتدأت بسبب الغلو في الصالحين حذر النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، قال: (قلت: وبهذا المعنى فسّر ماجاء في صحيح مسلم من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسته رأتاها بالحبشة - تسمى مارية فيها تصاوير - لرسول الله ﷺ فقال رسول ﷺ: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> البخاري والفتح (٦٦٧/٢).

<sup>٢</sup> الفتح (٦٦٩/٨).

<sup>٣</sup> انظر: تفسير الطبري (٦٢/٢٩) للإمام الطبري، معالم التنزيل (٢٣٢-٢٣٣/٨) للإمام الحسين بن مسعود البغوي تحقيق وتخرّيج مُجَّد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش طبع دار طيبة بالرياض الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، زاد المسير (٣٧٣/٨) لأبي الفرج ابن الجوزي طبع المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) والكشاف (٤١٤/٤) للشيخ محمود بن عمر الزمخشري طبع دار الكتاب العربي بيروت (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، والمحزر الوجيز (١٢٢/١٥) لأبي مُجَّد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحالي الفاروق وآخرين، الطبعة الأولى قطر سنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م). وتفسير القرطبي (٣٠٧/١٨-٣١٠) وتفسير القرآن العظيم (٢٦٢/٨) لابن كثير. الدر المنثور (٢٩٣/٨-٢٩٥) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (دار الفكر - بيروت ط الأولى سنه ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). وفتح القدير (٣٠٠/٥) للشوكاني.<sup>٤</sup> الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/١٨)، والحديث تقدم تخريجه (ص ١٨).



وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (وقال غير واحد من السلف: " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدهم " فهؤلاء جمعوا بين الفتنين، فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما الفتتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: عن عائشة - رضي الله عنها - ثم ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي - ثم قال: " فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور " وهذا كان سبب عبادة اللات، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾<sup>١</sup> قال: (كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره)<sup>٢</sup>، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان يلت السويق للحاج)<sup>٣</sup> فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث، ويعوق، ونسر، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدها، كما أشار إليه النبي ﷺ قال شيخنا: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاس الكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة

<sup>١</sup> سورة النجم آية ( ١٩ ) .

<sup>٢</sup> سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً .

<sup>٣</sup> سيأتي تخرجه (ص ٦٤) .

<sup>٤</sup> هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

حسَم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ، وألا يقصد المصلي ما قصده المشركون سداً للذريعة<sup>١</sup>.

وبهذه الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الصريحة، وما علق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أساس الوثنية، وأن الوثنية هي الوعاء الذي أحتوى على الشرك بالله عز وجل وجسده.

<sup>١</sup> إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ( ١٨٤/١ ) لابن القيم .

## المبحث الثاني

القبورية عند اليهود والنصارى:

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: القبورية عند اليهود:

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبات قبورية اليهود، فقد أغنيتنا الأحاديث المصرحة بذلك عن الصادق المصدوق عليه السلام والمخرجة في الصحيحين وغيرهما، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>١</sup> وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ

قال: في مرضه الذي مات فيه ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>٢</sup>.

فهذان الحديثان في الصحيحين - وسيأتي غيرهما في المطلب الثاني - قاطعان على قبورية اليهود، وأريد أن اليهود ليسوا قبورين فقط ولكنهم أيضاً ميالون إلى عبادة غير الله بشكل أوضح وأصرح، كما نقل ذلك عنهم القرآن وذلك في موضعين من قصة موسى عليه السلام.

**الموضع الأول:** بعد نجاتهم من ملاحقة فرعون وخروجهم من البحر وإهلاك الله لعدوهم وهي نعم عظيمة تستوجب شكر مسديها وإفراده بالعبادة وعدم الالتفات إلى غيره، لكن النفوس الدنيئة لا تكون نظرتها إلا إلى الأسفل دائماً، لذلك عندما مروا على القوم المشركين العاكفين على أصنامهم مالت نفوسهم إلى تقليدهم ومحاكاتهم في ذلك، قال تعالى: ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغىكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾<sup>٣</sup>

وهذا في غاية الصراحة فهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشرك والاستعداد النفسي له.

<sup>١</sup> أخرجه البخاري (٥٣٢/١) مع الفتح كتاب الصلاة باب "حدثنا أبو اليمان"، ومسلم (١٢/٥) مع النووي كتاب

المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

<sup>٢</sup> تقدم تخريجه (ص ١٧).

<sup>٣</sup> الأعراف (١٣٨-١٤٠).

الموضع الثاني: حينما ذهب موسى لميقات ربه وتركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهوه بالتمرد وكادوا يقتلونه حينما وقف في طريقهم قال تعالى: ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى . قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾<sup>١</sup>

وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشركهم واتخاذهم الآلهة من دون الله .

### المطلب الثاني: القبورية عند النصارى:

الأمة النصرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبياء والصالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المسيح وأمه وغيرهما من الأحرار والرهبان، وهذا صريح نص القرآن، حيث يقول الله تعالى فيهم: ﴿ اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> طه من ( ٨٣ - ٩١ ) .

<sup>٢</sup> التوبة ( ٣١ ) .

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقيم عليهم الحجة بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله فقال: ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نقعاً والله هو السميع العليم ﴾<sup>١</sup>، ثم أمره أن ينهاهم عن الغلو في الدين وتقليد سلفهم الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقال: ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾<sup>٢</sup>، فمن غلّوهم أنهم اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دونه وتلك العلة- التي هي الغلو- هي العلة المشتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحينهم مساجد كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))<sup>٣</sup>

وهذه الكنيسة التي رأتها أم حبيبة وأم سلمة هي قطعاً كنيسة نصارى فهذا إثبات قاطع لقبوريتهم وقد حذر النبي ﷺ من الاقتداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما قالوا: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا)<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> المائدة ( ٧٦ ) .

<sup>٢</sup> المائدة ( ٧٧ ) .

<sup>٣</sup> تقدم تخريجه ( ١٨ ) .

<sup>٤</sup> تقدم تخريجه ( ١٨ ) .

وقد بين ابن كثير رحمه الله في تاريخه: أن تلك القبورية عند النصارى إنما حدثت فيهم بعد أن حرفوا دينهم، وقالوا بالتثليث، قال رحمه الله تعالى: (ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة؛ حدثت فيهم الطامة العظمى، والبلية الكبرى، واختلف البتاركة<sup>١</sup> الأربعة وجميع الاساقفة<sup>٢</sup> والقساوسة<sup>٣</sup> والشماس<sup>٤</sup> والرهبان<sup>٥</sup> في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية، وهو المجمع الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا "الملائكة"، ودحض من عداهم وأبعدهم، وتفردت الفرقة التابعة لعبدالله بن أديوس الذي اثبت أن عيسى عبد من عباد الله، ورسول من رسله، فسكنوا البراري، والبوادي، وبنوا الصوامع<sup>٦</sup>، والديارات<sup>٧</sup>، والقلايات<sup>٨</sup>، ووقفوا بالعيش الزهيد، ولم يخاطبوا أولئك الملل والنحل، وبنيت الملائكة<sup>٩</sup> الكنائس الهائلة، الهائلة، عمدوا إلى ماكان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي<sup>١٠</sup>)<sup>١١</sup>.

<sup>١</sup> ويقال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الاساقفة انظر : المعجم الوسيط ( ٦١/١ ) .

<sup>٢</sup> جمع أسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران ، المصدر السابق ( ٤٣٦ /١ ) .

<sup>٣</sup> جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشماس ، المصدر السابق ( ٧٣٤/٢ ) .

<sup>٤</sup> جمع شماس من يقوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس ، المصدر السابق ( ٤٩٤ /١ ) .

<sup>٥</sup> جمع راهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملادها زاهداً فيها معتزلاً أهلها . ، المصدر السابق ( ٣٧٦ /١ ) .

<sup>٦</sup> جمع صومعة و صومع وهو بيت العبادة عند النصارى ، المصدر السابق (١/ ٥٢٣ ) .

<sup>٧</sup> جمع دير وهو دار الرهبان ، المعجم الوسيط ( ٣٠٧ /١ ) .

<sup>٨</sup> القلايات جمع قلاية وهي الصومعة . المصدر السابق ( ٧٥٧/٢ )

<sup>٩</sup> أي الفرقة التي سميت الملائكة .

<sup>١٠</sup> الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة ، المصدر السابق ( ١١٢ /١ ) .

<sup>١١</sup> البداية والنهاية ( ١٠١/٢ ) .

ثم قال: رحمه الله تحت عنوان " بناء بيت لحم والقيامة " <sup>١</sup> (وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنّت أمه هيلانة القيامة يعني على قبر المصلوب وهم يسلمون لليهود أنه المسيح). <sup>٢</sup>  
وبما مر من نصوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى وغلّوهم في أنبيائهم وصالحهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى.

---

<sup>١</sup> وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة .  
<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١٠١ / ٢ ) .



## المبحث الثالث

### قبورية اليونان

وفيه ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية:

الأمة اليونانية أمة عظيمة سادت وظهرت على مسرح التاريخ القديم قروناً من الزمن، وقد أنشأت حضارة متميزة وظهر فيها علوم ومعارف وفلسفة وصلت إلى الأمم الأخرى، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر، وهذا لا مرأى فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كانت هذه الأمة أمة وثنية قبورية تآله كل ما أعجبت به من مظاهر الكون، وعباقرة وأبطال البشر، بل وجماليات النساء! فهناك (آلهة السماء) و(آلهة الأرض) و(آلهة الخصب) و(الآلهة الحيوانية) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمة، وقد ذكر المؤرخون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد<sup>١</sup> وكانت كذلك أمة قبورية تقدر قبور موتاها، فقد كان الموتى في العصور المبكرة من تاريخ اليونان يُعتبرون أرواحاً قادرة على أن تفعل للناس الخير والشر وتسترضى بالقرابين والصلاة<sup>٢</sup>. وكان اليونان في عصرهم الزاهر يرهبون هذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضونها بطقوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقاء شرها<sup>٣</sup>، وكان الإله في

<sup>١</sup> انظر: الفكر الإغريقي تأليف مُجدد الخطيب (دمشق، الطبعة الأولى عام ١٩٩٩م)، دار علاء الدين للنشر

والتوزيع والترجمة ص (٢٨ - ٥٢).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٣٥ - ٣٦).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٣٥ - ٣٦).

أول الأمر من الأسلاف والأبطال الموتى، كما كان المعبد في الأصل قبراً، ولا تزال الكنيسة حتى الآن في معظم البلاد مكاناً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين<sup>١</sup>.

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها كانت في بدايتها أمواتاً من ذوي التميز في جوانب مختلفة من الحياة، تدرج بهم الشيطان حتى صيروهم آلهة من دون الله، وقبور أولئك الموتى هي الأصل في المعابد التي ترتع فيها تلك الآلهة.

### المطلب الثاني: قبورية فلاسفة اليونان:

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاسفة اليونان على الوثنية والقبورية، وبقي ذلك هو اعتقادهم وتفكيرهم ولم يغنهم ما وصلوا إليه في مختلف العلوم- التي أصبحوا فيها أساتذة العالم- لم تغنهم تلك العلوم، ولم ترتفع بتفكيرهم في الجانب الإلهي من حياتهم، بل ظلوا يتخبطون في ظلمات الجهل ومسالك الضلال، ذلك أن هذا الجانب ليس بمقدور العقول تصوّره التصوّر الصحيح، والوصول إلى حقيقته، وإنما مصدره هو الوحي الذي ينزله الله على رسله، فيبلغونه للناس ويقودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بذلك من أركان الإيمان ومقوماته، وحيث إن أولئك الفلاسفة مصدرهم في مجثمهم عن الحقيقة هو العقل، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تاهوا في أودية الضلال وما وصلوا إلا إلى نظريات متناقضة، وقضايا فجّة غير ناضجة، وبقي ما ترّبوا عليه من الوثنية والقبورية؛ هو الذي يوجه تفكيرهم ويستحوذ على أعمالهم وطقوسهم، وقد شهد المتلقون لفلسفة اليونان من علماء المسلمين على قذواتهم من فلاسفة اليونان بالقبورية وأبانوا كيف يتصور أولئك الفلاسفة إمداد أرواح الموتى لمن دعاهم وتشفع بهم.

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٣٦ ) .

يقول الفخر الرازي في كتابه المطالب العالية: (إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها، إذا اعترتهم مشكلة من المشكلات، وكان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض).<sup>١</sup>

وبما أن القوم فلاسفة وليسوا مقلدين لما كان عليه الآباء والأجداد فقد خرجوا تعلقهم بالقبور تخريباً علمياً مبنياً على نظريتهم العامة في الإلهيات، حيث يؤمنون بنظرية الفيض أي أن "العقل الفعال" الذي هو مواز للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.

وبما أن أرواح الموتى القديسين هي كذلك آلهة صغيرة حسب العقيدة اليونانية العامة فإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالباً منها الشفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائته في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى الحاذة فكذلك الفيض لا بدّ فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> المطالب العالية (٧-٢٢٨) بواسطة جهود الحنفية في إبطال عقائد القمورية (١-٤١٦) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني، دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

<sup>٢</sup> انظر الاستغاثة في الرد على البكري (٢/٤١٠-٤١١) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي، دار الوطن، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

### المطلب الثالث: إتيان قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور:

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجاه القبور وأهلها وإنما هو اتباع للأمم السابقة، تصديقاً لحديث الرسول ﷺ في حديث ذات أنواط حيث طلب بعض أصحابه أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط فقال لهم: ((الله أكبر! إنها السنن، قلت والذني نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم إله قال: إنكم قوم تجهلون﴾<sup>١</sup> لتركبن سنن من كان قبلكم))<sup>٢</sup>، وجاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: ((لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟))<sup>٣</sup>، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: من الناس إلا أولئك))<sup>٤</sup>.

ويظهر من سبب ورود الحديث الأول أن بعضاً من هذه الأمة ستبغ اليهود فيما انخرقوا فيه من التفاتهم إلى التعلق بالخلقين، وهذا هو أساس القبورية.

<sup>١</sup> الأعراف (١٣٨).

<sup>٢</sup> الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٤٧٥/٤). وأحمد (٢١٨/٥).

<sup>٣</sup> تقدم تخريجه ص (٤٧).

<sup>٤</sup> تقدم تخريجه ص (٤٧).

كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهود والنصارى وإنما يتعداه إلى سائر فارس والروم، ومن الروم اليونان الذين نُقلت فلسفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسدت عقائد قوم من المسلمين.

وممن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة الحمديّة قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوسائل المشروعة وغيرها: " الوجه الثاني أن يدعو له الرسول ﷺ فهذه أيضاً مما يتوسل به إلى الله تعالى، فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مستحب، ولا الرسول دعا له، فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه، ولكن بعض الناس الذين دخلوا في دين الصابئة والمشركين، ظنوا شفاعته الرسول ﷺ لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التي تفيض على الرسول ﷺ تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ﷺ ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة، وانعكس شعاعها على حائط أو غيره؛ حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة وجعل هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه.

وقالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ومن أخذ عنهم كابن سينا وأبي حامد وغيرهم) <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> الاستغاثة (٢/٤١١-٤١٢).

قلت: هذا فرع من فروع نظرية الفيض التي يعتقدونها الفلاسفة، وطبيعي على هذا الاعتقاد أن يكون هناك توجه إلى النفوس الفاضلة لتكون واسطة بين المستشفع والمخالق المعطي سبحانه، تلك الواسطة هي " الشافع " وقد قرر ذلك من أتباع الفلاسفة قوم كما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه " المظنون به على غير أهله " والفخر الرازي في كتابه " المطالب العلية " ونقل عن الاثنين أحد قبورية حضرموت وهو عبد الرحمن بن محمد العيدروس في كتابه " بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود " وجعل ذلك هو علة زيارة القبور، وسيأتي نص كلام الغزالي منقولاً من كتابه، وكلام الرازي عن العيدروس في مطلب علة الزيارة عند القبورية ، وبهذا يتضح أن زيارات القبورية لم تكن هي الزيارات الشرعية التي علتها الاعتبار والاتعاض مجال الموتى ورقة القلب وتذكر الآخرة والدعاء للأموات والسلام، عليهم وإنما لاستمداد من الأموات على طريقة الفلاسفة .

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر، وحتى لا يقول قائل إن ذلك من أتباع الفلاسفة في علة الزيارة إنما هو مذهب مهجور لدى قبورية اليوم لا وجود له عندهم .

أقول له ولكل من يدافع عنهم: انظر إلى محمد علوي مالكي -باعث القبورية في مكة من جديد ووارث أحمد زيني دحلان ويوسف النبهاني - انظر إليه وهو يحكي أحوال الزائرين للنبي ﷺ: (تختلف أحوال الزائرين في استفادتهم من زيارتهم واستمدادهم من الله بواسطة نبيهم المصطفى وحببيهم

<sup>٢</sup> انظر ص ( ٣٢٤ )

المجتبى ﷺ وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية والواردات الربانية بواسطة الحضرة  
المحمدية،<sup>١</sup>

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول. صلاة تشهدك  
بها من مرآته، ونصل بها إلى حضرتك من حضرة ذاته، قائمين لك وله بالأدب الوافر، مغمورين منك  
ومنه بالمدد الباطن والظاهر)<sup>٢</sup>

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.

<sup>١</sup> شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد (١٢٤) السيد محمد بن السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسيني، ط الأولى (١٤١١ هـ-١٩٩١ م).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١١٧).

## المبحث الرابع

القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية السمحة:

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام، ملة التوحيد الحنيفية السمحة، براءً من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام مثنياً عليه وعلى أتباعه بذلك: ﴿إِنَّ



إبراهيم كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴿<sup>١</sup> وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك، ومقدمهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم ﴿<sup>٢</sup> قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴿<sup>٣</sup>

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿<sup>٤</sup> ملة أبيكم إبراهيم هو ستماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿<sup>٥</sup>

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، قال رسول الله ﷺ: ((وعرضت عليّ النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء إن ائتمن أفشين، وإن سألن ألحفن، وإذا سلن بجلن، وإذا أعطين لم يشكرن، ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وأشبهه من رأيت به معبد بن أكنم الخزاعي، فقال معبد: يا رسول أتخشى عليّ من شبّهه فإنه والدي، فقال: لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام))<sup>٦</sup>، وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> النحل ( ١٢٠ - ١٢٣ ) .

<sup>٢</sup> الممتحنة ( ٤ ) .

<sup>٣</sup> الحج ( ٧٨ ) .

<sup>٤</sup> الحاكم في المستدرک ( ٦٠٥/٤ ) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، طبع دار المعرفة بيروت

بإشراف د. يوسف المرعشلي .

وكان سبب انحرافهم ووقوعهم في الشرك هو الغلو في الصالحين كما سيأتي في قصة عبادتهم للآلات أو للأماكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجارة الحرم والطواف بها حيثما حلوا.

المطلب الثاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:

كما هو الشأن -بعد كل رسالة من الرسائل السابقة- تأتي بعدها فترة ينقص العلم ويثبت الجهل، ويجد الشيطان سبيلاً إلى نفوس الناس وعقولهم، فينحرف بهم عن الصراط المستقيم، وقد مر معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهور عمرو بن لحي الخزاعي الذي كان أول من غير حرفة العرب عنه إلى عبادة الأصنام، وكان سبب وقوعهم في الوثنية هو الغلو في الصالحين منهم وتعظيم قبورهم حتى اتخذوها أصناماً، قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿اللّات والعزى﴾<sup>٢</sup>: (كان اللات رجلاً يلت السوق للحاج)<sup>٣</sup>.

والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي.

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث -راداً على من زعم أن اللات هو عمرو بن لحي: (والصحيح أن اللات غير عمرو بن لحي، فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً، وتقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام، وهو يؤيد هذه الرواية)<sup>٤</sup>. فهذا وجه من أوجه القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العرب، وهناك وجه آخر وهو تعظيم آثار الصالحين ومنازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع.

<sup>١</sup> انظر: السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (٤ / ٢٤٢-٢٤٤).

<sup>٢</sup> النجم (١٩).

<sup>٣</sup> البخاري كتاب التفسير باب (أفرأيتم اللات والعزى) (٦١١/٨) مع الفتح.

<sup>٤</sup> الفتح (٦١٢ / ٨).

قال ابن هشام في سيرته: قال: ابن إسحاق: (ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد - إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة، وأعجبهم، حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات) <sup>١</sup>

فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فالحرم شرفه الله تعالى بهما حيث بنى فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، فكان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشتهر به وهو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كان سبباً في ضلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك.

### المطلب الثالث: انتشار الأصنام في جزيرة العرب:

بعد تلك البدايات البسيطة والبداية أخذ إبليس يرقى العرب في سلم الوثنية حتى أصبحت ديناً تدين به، له شعائره<sup>٢</sup> ومشاعره<sup>٣</sup> وطقوسه<sup>٤</sup> وعقائده وتنوعت العبادات من طواف وتمسح ودعاء واستشفاع واستقسام<sup>٥</sup> بالأزلام بين يدي تلك الأصنام إلى نذر الأموال ونحر النعم وغير ذلك، كما

<sup>١</sup> سيرة ابن هشام ( ٧٧/١ ) طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ

شليبي

<sup>٢</sup> جمع شعيرة مناسك العبادة ومعالمها انظر القاموس المحيط ص ( ٥٣٥ ) .

<sup>٣</sup> جمع مشعر موطن العبادة . المصدر السابق ص ( ٥٣٥ )

<sup>٤</sup> جمع طقس وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى . انظر : المعجم الوسيط ( ٥٦١ / ٢ ) .

<sup>٥</sup> قال ابن جرير ( ٤٩/٦ ) : ( وأن تستقسموا بالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعتل من القسم ، قسم الرزق والحاجات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القداح

انتشرت الأصنام في الجزيرة العربية انتشار النار في الهشيم بدءاً ببيت الله الذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيد، حيث يقول الله تعالى عنه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾<sup>١</sup>.

هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام -التي كسرها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة في جوف الكعبة وحولها- ثلاثمائة وستين صنماً<sup>٢</sup>، كما كان في جوف الكعبة أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبل)<sup>٣</sup>، ولم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صنمها الذي يعرف بها وتعرف به وتعبد له أبناءها<sup>٤</sup>، بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنمه الخاص به<sup>٥</sup>، وحتى المسافر لا يقيم أثناء سفره في بقعة إلا تخير من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له<sup>٦</sup>.

---

وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها "نحاني ربي" وعلى بعضها "أمري ربي" فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمري ربي مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك وإن خرج الذي عليه "نحاني ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسك، وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها) .  
١ الحج ( ٢٦ ) .

٢ البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب ( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ) ( ٨ / ٤٠٠ ) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

٣ الأصنام لابن الكلبي ص ( ٢٧ ) .

٤ انظر : الأصنام ص ( ١٣ ) و ( ١٦ ) و ( ١٨ ) الدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ( ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م ) .

٥ المصدر السابق ص ( ٣٣ ) .

٦ المصدر السابق ص ( ٣٣ ) .

ولم يكف الشيطان بذلك بل دلهم على أصنام قوم نوح التي كانت مطمورة في رمال ساحل جدة فاستخرجها مؤسس الوثنية في الجزيرة العربية عمرو بن لحي الخزاعي وفرقها على العرب فعظمت وعبدت فيهم<sup>١</sup>.

وبذلك انطمست ملة إبراهيم وغاب التوحيد وحل الشرك محله، حتى صارت الدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي ﷺ فقالوا - كما حكاه القرآن -: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ، وَأَنْتَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امشوا واصبروا على آهتكم إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾<sup>٢</sup>.

#### المطلب الرابع: الحنفاء من العرب:

ذلك هو الجوّ المظلم الذي وصلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغالب عليها، ولكن بقي بصيص ضئيل من النور الخافت الذي نجا من أطباق الظلمة، ولكنه لم يهد أصحابه صراطاً مستقيماً، ولم يسلك بهم سبيلاً قويمًا<sup>٣</sup>، وقد تمثل ذلك في بقاء مجموعة صغيرة جداً متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية، وربما كان بمكة منهم نصيب أوفر، أولئك هم من سُموا بالحنفاء نسبة إلى الحنيفية ملة إبراهيم، وتمثل تمسكهم بالحنيفية في رفضهم للوثنية من حيث عبادة الأوثان وتقريب القرابين لها، واعتقاد نفعها وضررها وشفاعتها كما هو شأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطرتهم التي من الله عليهم ببقائها صافية نقية من كدورات الوثنية، غير أنهم لم يهدوا إلى مراد الله تعالى وما يجب له من العبادة، حتى لقد نقل أهل السير عن زيد بن عمرو بن ثعلبة قوله: (اللهم إني لو أعلم أيّ الوجوه إليك أحب عبدتك به

<sup>١</sup> أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح باب " ودأ ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق " وانظر : ابن هشام ( ١ / ٧٨ - ٨٠ ) .

<sup>٢</sup> سورة ص ( ٥ - ٧ ) .

<sup>٣</sup> لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير .

ولكني لا أعلمه<sup>١</sup> ولذلك تفرقوا في البلاد يبحثون عن دين إبراهيم، فمنهم من دخل النصرانية كورقة بن نوفل، ومنهم من لم يدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

---

<sup>١</sup> ابن هشام ( ٢٢٥/١ ) عن ابن إسحاق قال حدثني : هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء ، وهذا حديث حسن لمكان ابن إسحاق وأما بقية أصحاب السند فمن أصح الأسانيد .

وقد ذكرت أسماء بعض هؤلاء فمنهم: قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأميمة بن أبي الصلت، وأبو قيس بن أبي أنس، وخالد بن سنان، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجداد النبي ﷺ<sup>١</sup> وقد ذكر غيرهم أيضاً، غير أن من هؤلاء الذين ذكروا من تنصر، وكل هؤلاء لم يدركوا الإسلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفترة الأولى من الوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي ﷺ وينصره ولكنه مات في فترة الوحي<sup>٢</sup>.

---

<sup>١</sup> السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة وتحليل) ص (٧٢) للدكتور مهدي رزق الله أحمد الأستاذ المشارك بكلية التربية جامعة الملك سعود الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض .

<sup>٢</sup> نفس المصدر (٧٧) .

<sup>٣</sup> انظر خبره في البخاري كتاب بدء الوحي (١ / ٢٢) مع الفتح .

## الفصل الرابع

نشأة القبورية في اليمن

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول:

حال اليمن قبل نشوء القبورية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إسلام أهل اليمن:



من مناقب اليمينيين التي سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور مبادرتهم إلى اعتناق الإسلام بشكل لم يشابههم فيه أحد من قبائل وأقطار الجزيرة العربية الأخرى، وقد تعددت التأويلات لسبب تلك المسارعة لاعتناق الإسلام من قبل اليمينيين، وأقوى تأويل - والله أعلم - هو ما جعل الله في نفوسهم من الإيمان، وفي قلوبهم من الرقة ومحبة الخير، وما أدخره الله لهم بمحض فضله من إنعام وفضل. ودليل ذلك الأحاديث المستفيضة في فضائل أهل اليمن<sup>١</sup>، كما كان لقرب اليمن من مكة مهبط الوحي على النبي ﷺ وموضع بعثته علاقة بذلك، وإن كان هذا لم ينفع بعض القبائل التي كانت أقرب إلى مكة من اليمن، وبحسب طبيعة البشر في الاختلاط والتعايش والتفاعل كان وصول أخبار الرسول ﷺ إلى اليمن وتأثر أهلها به في وقت مبكر من حياة الدعوة الإسلامية، وقد كان الوافدون من اليمينيين إلى مكة لأغراض مختلفة هم الرواد الذين رجعوا إلى قومهم مبشرين بهذا الدين ودعاة إليه، بعد أن أسلموا وعرفوا شيئاً من الإسلام على يد الرسول ﷺ، ومن أشهر أولئك:

(١) ضماد بن ثعلبة الأزدي ﷺ<sup>٢</sup>

(٢) الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ<sup>٣</sup>

(٣) عمرو بن أمية الدوسي ﷺ<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> منها حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: (أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان يمان ها هنا، ألا إن القسوة وغلو القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه. وحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن. ومسلم في كتاب الإيمان، باب فضائل أهل اليمن، وغيرها كثير.

<sup>٢</sup> الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة (٣/١٧٥١) تأليف الدكتور عبدالله الحميري، طبع مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)

<sup>٣</sup> المصدر السابق (٣/١٧٥٢)

<sup>٤</sup> المصدر السابق (٣/١٧٥٣)

٤) قيس بن نمط بن قيس بن مالك الهمداني رضي الله عنه<sup>١</sup> .

٥) عبد الله بن قيس بن أم غزال الأرحبي رضي الله عنه<sup>٢</sup> .

٦) ذباب بن الحارث بن عمرو السعدي رضي الله عنه<sup>٣</sup> .

وكان في إسلام هؤلاء ورجوعهم أثر في انتشار الإسلام في قومهم، وتهيئتهم لقبوله .

ومن وفد عليه صلى الله عليه وسلم وتوطن المدينة مهاجراً أبو موسى الأشعري ورفقته الأشعريون ، وأبو هريرة رضي الله عنه وغيرهم .

وفي عام الوفود بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقدوم وفود اليمن، وبالفعل توالى تلك الوفود وكانت من أفضل الوفود العربية، فسُرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا لها، وعادت مؤمنة صادقة، فنشرت الإيمان والإسلام في ربوع اليمن .

#### المطلب الثاني رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن:

ولما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتمتع به اليمنيون من نفوس طيبة قابلة للإيمان والإسلام، وتأكد لديه صدق توجه اليمنيين نحو دين الله، وأن الإسلام قد أصبح منتشرًا فيهم، أحب صلى الله عليه وسلم أن يعمق مفاهيم الإسلام في نفوسهم، وينشر تعاليمه بينهم، ويضع لهم من يعلمهم ويرشدهم ويحكم بينهم بشرع الله ويسوسهم بنظامه الخالد، فأرسل رسله معلمين ودعاة وحكاماً ، فأحسن اليمنيون وفادتهم، وأكرموا نزلهم، وأخذوا عنهم دين الله، وعملوا به، وتحاكموا إليه .

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٤/٣ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٤/٣ )

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٦/٣ )

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١٧٦٨-١٧٧١/٣ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ١٧٦٣/٣ ) .

وكان من أشهر من أرسلهم رسول الله ﷺ إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه، اليمن الأعلى بما في ذلك الجند، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه وكان عاملاً على زبيد وعدن

وساحل اليمن كله .<sup>١</sup>

ومهد النبي ﷺ لمعاذ طريقه، وكشف له حقيقة الجهة التي وجهه إليها، وزوّده بأروع التوجيهات والوصايا فقال: ((إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس)) .<sup>٢</sup>

ولعل النبي ﷺ خص معاذاً بهذا دون أبي موسى؛ لأن أبا موسى من أهل البلد، ويعرف طبيعتها وطبيعة أهلها، ثم وصى النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى معاً فقال: ((بشراً، ولا تنفراً، ويسراً ولا تعسراً، وتطاوعاً ولا تحتلفاً))<sup>٣</sup>، فخرجا مستلهمين هذه الوصايا، ناصحين مخلصين لمن أرسلوا إليهم، واتجه كل منهما إلى عمله، وكانا يتزاوران ويتعهد أحدهما الآخر.

فدخل في الإسلام على أيديهما من لم يكن قد أسلم من قبل، وتعلم العلم منهما من كان مسلماً مؤمناً، وعمّ الإيمان والعلم أرض الفقه والإيمان.

<sup>١</sup> فتح الباري (٦١/٨).

<sup>٢</sup> الحديث والمحدثون (٣٨٥/١ - ٣٨٦).

<sup>٣</sup> البخاري (٩٦/٦ - ٩٧) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعوة النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، ومسلم (١٩٦/١ - ١٩٧) مع شرح النووي باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

<sup>٤</sup> البخاري (١١٠٤/٣) كتاب الجهاد باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، ومسلم (١٣٥٩/٣) كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيشير وترك التنفير.

كما أرسل رسالاً آخرين لأغراض مختلفة منهم: علي بن أبي طالب<sup>١</sup>، وخالد بن الوليد<sup>٢</sup>، وجريير بن عبدالله البجلي<sup>٣</sup>، وخالد بن سعيد بن العاص<sup>٤</sup>، وطاهر بن أبي هالة<sup>٥</sup>، ويعلى بن أمية<sup>٦</sup>، وعمرو بن حزم<sup>٧</sup>، وزباد بن لبيد البياضي<sup>٨</sup>، وعكاشة بن ثور<sup>٩</sup>، أجمعين، وكان لهم أعظم الأثر على اليمنيين، اليمنيين، وقد لقوا منهم المحبة والوفاء والتعاون الذي يعزّ مثاله.

### المطلب الثالث: مذاهب اليمنيين منذ فجر الإسلام حتى قيام الدولة الصليحية:

وصل الإسلام إلى اليمن نقياً صافياً لم تشبهُ أي شائبة، فلم يدخل على يد مذهب فقهية أو فرقة عقائدية أو طريقة صوفية كما حصل في بعض البلاد الإسلامية، وإنما دخل على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ سادات أهل السنة وقدوتهم الذين أمرنا رسول الله ﷺ بالرجوع إلى ما كانوا عليه عند الاختلاف<sup>١٠</sup>، وبقي منهجهم وسبيلهم محفوظاً بحفظ الله في هذا البلد المبارك إلى اليوم، وإن زاحمه

<sup>١</sup> الحديث والمحدثون (١٧٢٤/٣).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١٧٢٢/٣).

<sup>٣</sup> المصدر السابق (١٧٢٩/٣).

<sup>٤</sup> المصدر السابق (١٧٢٩/٣).

<sup>٥</sup> المصدر السابق (١٧٢٩/٣).

<sup>٦</sup> المصدر السابق (١٧٣٥/٣).

<sup>٧</sup> المصدر السابق (١٧٣٣/٣).

<sup>٨</sup> تاريخ حضرموت للحامد (١٣٥/١).

<sup>٩</sup> الحديث والمحدثون (١٧٣٢/٣).

<sup>١٠</sup> وذلك في قوله ﷺ: (( وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة )) رواه أبو داود (٦١١/٢)، و الترمذي (٤٤/٥)، وابن ماجه (١٥/١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٤١/٢).

غيره من المذاهب والمناهج في بعض الفترات، وإن حاولت السلطات المتنفذة في كثير من الأحيان طمسه وإحلال مذاهبها محله إلا أنها لم تفلح في ذلك.

### التشيع:

ومن المذاهب التي وصلت إلى اليمن في وقت مبكر التشيع؛ وذلك أن أهل اليمن قد كان موقفهم مع أمير المؤمنين علي عليه السلام واضحاً ومعروفاً، فهم أقوى القبائل التي كانت معه وأكثرها عدداً<sup>١</sup>، ولاشك أن ذلك سوف يعكس نفسه على قبائلهم وأهاليهم الباقين في اليمن؛ ولذلك تحدثت مصادر التاريخ اليمنية عن تعسف بسر بن أرطاة<sup>٢</sup> وإلي معاوية على اليمن، وشدته في معاملة بعض القبائل اليمنية، وبالخصوص قبيلة همدان التي كانت من أكثر القبائل مناصرة لأمير المؤمنين علي عليه السلام حتى نسبوا إليه ذلك البيت الذائع:

فلو كنت بواباً على باب جنة      لقلت لهمدان ادخلوا بسلام<sup>٣</sup>

فالتشيع في اليمن لا يستطيع أحد إنكاره، ولكن أي فرق الشيعة كانت في اليمن في ذلك الوقت؟ يتضح مما مرّ في بحث نشأة الشيعة أن الفرق الشيعية لم تتميز عن بعضها إلا في وقت متأخر، ولذا فإنني أرجح أن التشيع الذي كان موجوداً في اليمن قبل وفود الزيدية والإسماعيلية إنما كان التشيع السالم من الغلو كما سبق وصفه.

نعم هناك إشارة إلى وجود شيعة اثني عشرية في اليمن في حوالي النصف الثاني من القرن الثالث، وذلك عندما ذكر المؤرخون علي بن الفضل الجدني، والذي أصبح زعيم القرامطة في اليمن، فقد

<sup>٢</sup> الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص (١٧) .

<sup>٣</sup> بسر بن أرطاة (ت ٨٦) ، انظر ترجمته : تاريخ بغداد (٢١٠/١) ، والسير (٤٠٩/٣) .

<sup>٣</sup> الصليحيون في اليمن ص (١٨) .

ذكروا أنه كان شيعياً اثني عشرياً، وأنه حجّ ثم زار قبر الحسين بعد الحج، وهناك التقى بميمون القداح، كما قيل: إن ابن الفضل أخذ ذلك المذهب في عدن من قوم من الاثني عشرية، لقيهم هناك

قلت: إن صح هذا فالاحتمال بوجود فئة صغيرة في عدن وارد ولم تشتهر، أو يعطها المؤرخون اهتماماً، كما أن هناك احتمالاً آخر، وهو أن أولئك القوم كانوا من التجار الذين ينزلون عدن لفترة ثم يغادرونها، وما عدا ذلك فإنه لم يرد تفصيل عن أي فرقة شيعية واضحة في اليمن في تلك الفترة.

### الدعوة الإسماعيلية:

#### أ- القرامطة:

كان المذهب الإسماعيلي هو أول مذهب واضح متميز من مذاهب الشيعة وصل إلى اليمن، حيث وصل الداعيان: علي بن الفضل الجدني، والحسن بن فرج بن حوشب<sup>٢</sup> إلى ميناء غلافقة سنة (٢٦٨ هـ) مبعوثين من قبل داعية الإسماعيلية ميمون القداح، غير أنهما لم يعلنوا الدعوة إلا سنة (٢٧٠ هـ)، وكانت دعوتهما في غاية السرية والحيلة والحذر، ثم أعلن الثورة علي بن الفضل وكشف عن وجهه الحقيقي، وفعل ما هو مشهور في تاريخ اليمن مما ليس هنا محل تفصيله إذ لا يتعلق بموضوعنا، غير أن

<sup>١</sup> كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ( ٨١ ) ، وقرة العيون في أخبار اليمن الميمون، لابن الديع الشيباني تحقيق القاضي الأكوخ الطبعة الثانية ( ١٤٠٩ هـ ).

<sup>٢</sup> انظر: لترجمة علي بن الفضل وتفصيل فتنته: كشف أسرار الباطنية ( ٨١-٨٢ و٩٤-١١٤ ) ، وقرة العيون ص ( ١٣١-١٥١ ) ، وقد تحدث عن هذه الفتنة كل مؤرخي اليمن الذين أرتخوا لهذه الفترة .

<sup>٣</sup> أبو القاسم الحسن بن حوشب، المشهور بمنصور اليمن توفي سنة (٣٠٢ هـ) انظر أخباره: افتتاح الدعوة ص (١٦-٣٧) للقاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي دار الأضواء بيروت الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) ، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ص ( ٣٧ ) تأليف شمس الدين علي بن الحسين الخزرجي الأنصاري دار الفكر دمشق ط الثانية مصورة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

المهم أن علي بن الفضل قد سلك طريق القرامطة أصحاب البحرين، وكشف عما يعتقدوه وفعل ما أمّته عليه نزواته وأحبه هواه، وبذلك كان أمدُّ دعوته قصيراً، وإن كان شرها مستطيراً، ولم يَقم أحد بدعوته بعد موته والقضاء على دولته<sup>١</sup>.

ب \_ العبيديون (الفاطميون):

أما الحسن بن حوشب المشهور بـ " بمنصور اليمن " فقد بقي محافظاً على تعليمات ميمون القداح، ملتزماً بالانتماء إليه وإلى ذريته التي ملكت المغرب العربي، وأنشأت هناك الدولة الإسماعيلية الباطنية، وكان على اتصال مستمر معهم<sup>٢</sup>، إلا أن دولته لم تدم طويلاً إذ قُضي عليها ككيان سياسي في حياة علي بن الفضل، واضطر منصور إلى التخلي والبعث عن المعتك السياسي حتى مات سنة (٣٠٢ هـ)<sup>٣</sup>، ثم عادت الدعوة الإسماعيلية إلى دور السّتر والسرية، وقد رتب لها الدعاة الذين يقومون بها، ويبثون تعاليمها، ويحافظون على أتباعها، ويواصلون العلاقة مع أصلهم في المغرب ثم في مصر بطرقهم الذكية المعروفة وذلك من سنة (٣٠٣-٤٣٩ هـ)، حتى عادوا إلى الظهور حين أمكنتهم الظروف، وتهايت لهم الأسباب على يد علي بن محمد الصليحي كما سيأتي<sup>٤</sup>.

هذه هي الفترة الأولى للدعوة الإسماعيلية العلنية في اليمن، وهي لم يكن لها تأثير ظاهر في مسألة القبورية حيث لم تتمكن من التفرغ لذلك، ولم يكن لها من النفوذ والقبول ما يمكنها من ذلك، بل عاش قادتها محاربين ودعاتها مضطهدين، فلم يستطيعوا عمل شيء مما يتعلق القبورية، كما أن هذه الفرقة لم يكن لها مذهب ظاهر وشائع بين الناس كأبي مذهب من المذاهب الأخرى، إلا أنها كانت أخطر من

<sup>١</sup> الصليحيون في اليمن ص (٤٨) .

<sup>٢</sup> الصليحيون ص (٤٣) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٤٧) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٤٩-٥٨) .

تلك المذاهب من حيث تماسك أصحابها والحفاظ على كياناتهم رغم المحاربة الشاملة لهم من كافة فئات الشعب والحكام على حد سواء، مما كان له الأثر البالغ في تمكنهم من إعلان دولتهم مرة أخرى في أيام الصليحي، ثم العودة مرة أخرى إلى الستر منذ زوال دولة الصليحي إلى يوم الناس هذا .

### الزيدية:

الفرقة الشيعية الثانية التي دخلت اليمن في هذه الفترة هي الزيدية، وقد سبق التعريف بها في المبحث الأول من الفصل الثالث، وكان وصول الزيدية واستقرارها في اليمن سنة أربع وثمانين ومائتين

هجرية<sup>١</sup>، وذلك بوصول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى صعدة للمرة الثانية وإقامة دولته هناك، ثم العمل على نشرها ومواصلة أبنائه وأحفاده وبعض الأئمة من أهل البيت المعتنقين للمذهب الزيدي، حيث استقرت دولة الأئمة الزيدية من ذلك التاريخ إلى أن أطيح بآخر إمام من أئمتها محمد البدر سنة (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م) وذلك بقيام الثورة وتأسيس الجمهورية العربية اليمنية .

<sup>١</sup> انظر ص (١٠١) .

<sup>٢</sup> سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام ، وقيام الدولة الزيدية في اليمن ص (٥٨) د. حسن خضير أحمد ، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة الطبعة الأولى (١٩٩٦ م).



وهذه الفرقة قد سخرت دولتها وسلطانها لدعم عقائدها ومذاهبها، كما أنها قد طوّعت فقهها وأصولها لمآربها السياسية<sup>١</sup>، ولكنها برغم قَدَمِ دخولها وامتداد فترة حكمها بما لم تبلغه أي دولة أو فرقة أخرى، ظلت منزوية في مواطن نفوذها السياسي يمتد وجودها بامتداد سلطانها ظاهراً ورسمياً، وأما في الباطن فإن الناس يكرهون ما تفرضه عليهم، ويهللون فرحاً عندما ينزاح عنهم كابوس حكمهم؛ ليعلموا ما في نفوسهم من عقائد ومبادئ، ويزيلون ما فرض من شعارات خاصة بالزيدية، فرضتها السلطة<sup>٢</sup>.

يقول القاضي محمد بن علي الأكوغ<sup>٣</sup> -رحمه الله تعالى -: (وكان مذهب الهادي قابلاً في صعدة، ومنكمشاً عليها وعلى بلادها وبعض ظاهر همدان، ولم يغزُ سنام نجد اليمن وبلاد حجة ومغارب حمير إلا في القرن الحادي عشر الهجري، عندما تمت سيطرة القواسم على اليمن، وتغلّبت الأسرة الزيدية على ناصية الأمور، وخلت البلاد من التيارات السياسية التي تجابهها، كما قحط اليمن من

---

<sup>١</sup> انظر: الإمامة وخطرها على وحدة اليمن (١٦ - ٢٣)، للأستاذ . مُجَّد محمود الزبيري -رحمه الله - طبع دار الكلمة صنعاء بدون تاريخ ، وتيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري (١٦٨-١٧٢)، للدكتور علي مُجَّد زيد، طبع المركز الفرنسي للدراسات اليمنية صنعاء ، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).

<sup>٢</sup> والأمثلة في ذلك كثيرة وفي نواحي متعددة وانظر : مؤلفات الإمام عبدالله حمزة ستجد منها ما يؤكد ما نقول ، وانظر: كذلك هجر العلم للأكوغ (١٠٧٥/٢-١٠٧٨) .

<sup>٣</sup> أشهر مؤرخي اليمن في العصر الحاضر، ألف وحقق الكثير من كتب التاريخ وغيرها من نفاث علوم اليمنيين، كان من جملة الثوار الذي رَجَّحَ بهم الإمام في سجن القاهرة حجة، وبعد الثورة تقلب في عدد من الوظائف الوزارية وغيرها ، وقد عرفته و استفدت منه و أجازني إجازة أعتز بها ،حثَّ فيها على التمسك بالسنة قولاً وعملاً، والاعتماد على الدليل ونبذ التقليد مما يبين استقامة منهجه رحمه الله رحمة واسعة وقد توفي عام (١٤١٩ هـ) انظر: ترجمته: في موسوعة ( هجر العلم ) لأخيه القاضي إسماعيل ( ١٨٣-٨٧٠/٢ ) وكتاب " القاضي مُجَّد بن علي الأكوغ الحوالي " مؤرخ اليمن الذي صدر بعد وفاته مباشرة وطبع في مؤسسة الثورة للطباعة والنشر عام (٢٠٠٠).

قاداته ورؤسائه، وأصبحوا قانعين بالتبعية؛ إذ فقدوا كل مقومات الطموح والشعور بأنهم سادة البلاد)

قلت: وذلك في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي وحد اليمن الطبيعي، وفرض المذهب الزيدي على كل من دخل تحت حكمه حتى في حضرموت التي تعد من أشد البلاد منافرة لمذهبه؛ وذلك لسيطرة العلويين الذين يتبعون المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية والمشرب الصوفي، والذين يتعصبون لذلك غاية التعصب، ولست بحاجة إلى مزيد بسط وتفصيل عن الزيدية؛ لما سبق من شرح لها في الفصل الثالث من هذا الباب.

وأما قبورية الزيدية فالحق أن زيدية اليمن لم تكن لديهم قبورية ظاهرة في هذه الفترة، ولذلك فسوف أرجئ الحديث عن قبور يتهم إلى المطلب التالي إن شاء الله.

### الخوارج:

سبق تعريف الخوارج وهم فرق كثيرة، والفرقة التي اشتهرت في اليمن من فرق الخوارج هي فرقة الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض<sup>١</sup>، وهم أخف فرق الخوارج انحرافاً وأقربها إلى السنة<sup>٢</sup>.  
ومعلوم أن نشأة الخوارج كانت على أثر حادثة التحكيم، وأن علياً عليه السلام قاتلهم في النهروان عام (٣٧) أو (٣٨ هـ)، وقتل معظمهم، ولكن الفئة الباقية انتشرت في البلاد بشكل خفي، ثم أصبح كل من حل بأرض يدعو أبناءها إلى رأيه، ولذلك كثرت الخوارج مرة أخرى، وأصبحت قوة لا يستهان بها،

<sup>١</sup> اليمن الخضراء مهد الحضارة ص (١٠٦) للقاضي محمد بن علي الأكوخ، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة الطبعة الأولى (١٣٩١ هـ ١٩٧١ م)

<sup>٢</sup> هو عبد الله بن إباض المقعسي التميمي، عاصر معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان، وهو رأس الفرقة الإباضية من الخوارج. انظر: الملل والنحل (٩٨/١)، والأعلام (٦٢-٦١/٤)

<sup>٣</sup> انظر: لتفاصيل أحوالهم: الملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١-٩٩)، والفرق بين الفرق ص (١٠٣-١٠٩).

وشكلت مصدر قلق كبير للدولة الأموية إلى نهايتها، ومطلع الدولة العباسية. فهل وصل إلى اليمن أحدٌ منهم في بداية أمرهم؟ وهل انتشرت الدعوة الخارجية بين اليمنيين بشكل أو بآخر قبل العقد الثالث من القرن الثاني؟.

هذا مالا يمكن الجزم به، ولكن هناك إشارات إلى شيء من ذلك، منه ما حكاه الخزرجي من أن الخوارج هاجموا صنعاء فحاول وهب بن منبه قتالهم بأهل صنعاء، فلم يستطع، فصالحهم أهل صنعاء على مائة ألف دينار، فأخذوها، ورجعوا، واستعان أهل صنعاء لسدادها بأهل المخاليف، فأعانوهم<sup>١</sup>.

ومنها أن عبدالله بن يحيى الكندي<sup>٢</sup> زعيم الخوارج الأول عندما أقام دولته في حضرموت، كاتب إخوانه الإباضية في صنعاء، فانضموا إليه<sup>٣</sup>، هاتان الإشارتان توحيان بوجود ما للخوارج قبل إعلان دولتهم في شبام حضرموت سنة (١٢٨هـ)، وأما البداية الحقيقية المتفق عليها فهي في هذه السنة. وملخص قصة الخوارج في اليمن أن عبدالله بن يحيى الكندي - وكان رجلاً من أعيان حضرموت - حج سنة (١٢٧هـ)، وفي مكة التقى ببعض دعاة الخوارج الذين كانوا يحضرون المواسم لبث دعوتهم، فكلّموه في الأمر، وذكروا له مظالم بني أمية وانحرافهم، وأن الواجب هو الخروج عليهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة الحق التي تحكم بالعدل وتعيد الأمور إلى نصابها إلى آخر ما ذكر، فقال له عبدالله بن يحيى: (إنني رجل مطاع في قومي، ولو دعوتهم إلى ذلك أجابوني إليه). فعاهده أبو حمزة على ذلك، فعاد عبدالله بن يحيى ومعه أبو حمزة الأزدي إلى حضرموت، وكتب إلى إخوانه أباضية البصرة يشاورهم في الخروج على الخليفة الأموي، فكتبوا إليه: (إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يأتي عليك أجلك...)، فأعلن عبدالله نفسه أميراً وبايعه أبو حمزة وتبعه الناس في حضرموت من سائر القبائل، وقبض على والي بني أمية، وحبسه ثم أطلق

<sup>١</sup> المسجد المسبوك ص ( ٢٢ ) .

<sup>٢</sup> عبدالله بن يحيى بن عمر الكندي الحضرمي ، الملقب بطالب الحق ، مؤسس الدولة الإباضية في حضرموت ، توفي سنة ( ١٣٠ هـ ) انظر ترجمته : في تاريخ حضرموت للحامد ص ( ٢٦٢ ) ، وصفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير ، طبع مكتبة الثقافة عدن بدون تاريخ .

<sup>٣</sup> تاريخ حضرموت للحامد ص ( ٢٠٧ )

سراحه، وما إن استقرت له الأمور في حضرموت حتى اتجه صوب مكة، فقدم ومعه زهاء تسعمائة وقيل ألف ومائة من أصحابه يوم عرفة إلى صعيد عرفة، والناس بها يوم الوقوف فما شعروا إلا بخيل الخوارج وعليها الرجال معممين رافعين ألويتهم، فما كان من أمير مكة إلا أن سلم لهم الأمر دون قتال، وفي يوم النحر دخلوا مكة كذلك، وبذلك صفت لهم مكة دون أي مقاومة، ولكن أخبارهم انتشرت، واستعد لهم أهل المدينة، وبعد استقرار الوضع في مكة خلفوا عليها والياً من قبلهم، ثم توجهوا إلى المدينة، وكان أهل المدينة قد جهزوا جيشاً لمقاومتهم، وكان أكثر الجيش من عامة الناس وليسوا من الجنود المدربين أو ذوي الخبرة بالحرب، والتقى الجيشان في منطقة قديد، وهُزم جيش المدينة هزيمة منكرة وقتل منه ألفان ومئتان وثلاثون رجلاً<sup>١</sup>

وعلى إثر ذلك دخل جيش الخوارج المدينة، واحتلوها ورتبوا الأمر فيها، وطارت الأخبار إلى دمشق، فجهز الخليفة جيشاً كبيراً وحشد فيه مقاتلين أقوياء مدربين، فسار الجيش الأموي صوب المدينة، وتقدم جيش الخوارج باتجاه الشام، فالتقى الجيشان في وادي القرى، فانهزم جيش الخوارج وقتل قائده أبو حمزة، ثم واصل الجيش الأموي طريقه إلى المدينة ثم إلى مكة، ولم يبق له واليها، ثم إلى صنعاء وقد خرج عبدالله بن يحيى ومن معه لملاقاة الجيش الأموي في الطريق، وفعلاً التقيا، وهُزم الجيش الخارجي، وقتل عبدالله بن يحيى، وهكذا واصل الجيش الأموي الطريق إلى عاصمة دولة الخوارج (شباب)، والتقى بأmirها ومن معه وهزم الخوارج، وقتل واليهم وفتك قائد الجيش بالحضارم فتكاً ذريعاً، وقتل الرجال والنساء وفعل الأفاعيل، وبهذا انتهى كيان دولة الخوارج ولم يبق لهم نفوذ، غير أن فكرهم وعقائدهم ظلت موجودة ويدين بها كثير من أبناء حضرموت حتى نهاية القرن السادس تقريباً، ونشأ لهم كيان غير محدد المعالم أواخر القرن الخامس، قضى عليه الصليحي عندما مد نفوذه إلى حضرموت، ولم يكن للخوارج أي دور في انتشار القبورية في اليمن حسب علمي<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت ص ( ٢٠٩ ) ، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص ( ٥٠ ) .

<sup>٢</sup> انظر: لأخبار الخوارج وقيام دولتهم وانتهائها كلاً من: تاريخ حضرموت ( ٢٠٦/١ - ٢١٣ ) لصالح بن علي الحامد ، و صفحات من التاريخ الحضرمي ص ( ٤٧-٥٥ ) ، و تاريخ حضرموت السياسي ( ٧٢/٦٤/١ ) لصالح عبد القادر البكري، طبع دار الآفاق العربية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ( ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ) ، و أدوار التاريخ الحضرمي ص ( ١٢٧-١٤٠ ) ، وانظر خبر دولتهم الأخيرة في : صفحات من التاريخ الحضرمي ص ( ٦٦-٧٩ ) .

## التصوّف:

حتى لا تختلط علينا المفاهيم، يجب أن نفرّق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام، وحث عليه الرسول ﷺ، وحمده أئمة المسلمين، ولم يذمه أحد ممن يعتد بقوله، وبين التصوف المُحدَث المجلوب من خارج حدود الإسلام، والمضبوط بضوابطه المعروفة، والمحدّد بحدوده الواضحة، والمبني على فلسفة خاصة، فهذا لون والزهد الذي جاءت به شريعة الإسلام لون آخر، وإن الخلط بين الأمرين قد أوقع لبساً كبيراً على عوام الناس، واستغلّه دعاة التصوف وتزيناوا به، بل اتخذوه درعاً واقياً من سهام الطاعنين عليهم وعلى فلسفته الضالة وبدعهم المحدثّة الخارجة عما جاء به الإسلام، فإذا تكلمتكم عن مخازي التصوف ومثالبه، عارضه المتصوفة بإبراز الشخصيات النظيفة الطاهرة على أنها أئمتهم ومؤسسوه، فيذكرون أباذر رضي الله عنه وأبا الدرداء رضي الله عنه، ومن التابعين أويس القرني، والحسن البصري ومن شابههما، ثم يذكرون مالك بن دينار، والفضيل بن عياض، ومن أهل اليمن: عمرو بن ميمون الأودي، وطاووس بن كيسان اليماني، ووهب بن منبه، ونحوهم، وهؤلاء لا علاقة لهم ألبتة بما أحدث بعد من تصوف مبتدع فلسفي محتوٍ على إحداد أصحاب الحلول والاتحاد، ومكائد المتاجرين بالولاية والكرامات.

فإذا بينا هذه الحقيقة، وعرفنا الفرق الواسع بين الزهد بمفهومه الصحيح، وبين التصوف المنحرف، استطعنا أن نجزم بلا أي تردد أن هذه الفترة التي نتحدث عنها لم يكن فيها باليمن شيء مما يصح أن يطلق عليه تصوف بالمعنى الصحيح الدقيق، وبالتالي فليس للتصوف في هذه الفترة أي دور في نشر القبورية.

## المذاهب الفقهية:

(كان المذهب السائد في اليمن إلى انتهاء القرن الثالث الهجري هو العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولم يتقيد أهل اليمن حينئذ بكلام واحد من الأعلام، واعتمدوا في دراسة الفقه النبوي على مثل مسند الإمام الحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعائي المتوفى سنة (٢١٠هـ)، وعلى مسند أبي قرة موسى بن طارق الجندي، ومسند عبدالملك بن عبدالرحمن الذماري، ومسند الحافظ محمد ابن يحيى بن أبي عمر العدني، ثم غزت المذاهب العقائدية والفقهية)<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> اليمن الخضراء ص (١٠٦) .

ويؤكد ذلك الإمام المؤرخ ابن سمرّة الجعدي<sup>١</sup> في "طبقات فقهاء اليمن" حيث يقول: (وكان الغالب في اليمن مذهب مالك وأبي حنيفة، ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا المخلاف إلا من جامع معمر بن راشد البصري، وهو مصنف في صنعاء، وجامع سفيان بن عيينة، وجامع أبي قرّة موسى ابن طارق اللحجي الجندي، ومن المرويات عن مالك في الموطن وغيره مثل كتاب أبي مصعب، أو عما يُروى عن طاووس وابنه وقدماء فقهاء اليمن الذين ذكرت أطرافاً من فضلهم وشيوخاً من جملهم)<sup>٢</sup>.

ومن هذين النصين يتبين أن الأصل في أهل اليمن اتباع الكتاب والسنة على مذهب المحدثين، وبعد انتشار المذاهب الإسلامية وصلت تلك المذاهب المالكية والحنفية والشافعية، وأما المذهب الحنبلي في الفروع فلم يسجل له وجود في اليمن تلك الفترة، وكان المذهب المالكي هو أول تلك المذاهب انتشاراً ثم الحنفي ثم الشافعي، وليس للمذهب المالكي وجود في اليمن الآن، وبقي المذهب الحنفي في زيبد بشكل محدود، بينما انتشر المذهب الشافعي في عموم اليمن بما في ذلك صنعاء وذمار وما والاها حتى القرن الحادي عشر، حينما فرض المذهب الهادوي الذي يتبناه الأئمة الزيدية على تلك النواحي، وانقسمت اليمن بعد ذلك انقساماً ظاهراً، حيث ساد المذهب الشافعي اليمن الأسفل وتهامة وما والاها من البلاد الجبلية، والجند وماحو لها بما في ذلك معظم مخا ليف، إب والحجرية كاملة، والبيضاء وما يلتحق بها، ومأرب والجوف، هذا فيما كان يعرف باليمن الشمالي، وأما ما كان يعرف باليمن الجنوبي فكله شافعي ولاوجود للمذهب الهادوي فيه، وماعدا ذلك فالسائد فيه المذهب الهادوي، وهو يمتد من صعدة شمالاً إلى يريم وما جاورها جنوباً مقتصرراً على المنطقة الجبلية إلى مشارف تهامة غرباً.

هذه صورة مختصرة للمذاهب الفقهية التي سادت اليمن، ولكن يجب ألا نغفل حقيقة مهمة، هي أن اتباع الكتاب والسنة والتجرد لهما، ونبذ التعصب المذهبي بل نبذ التمذهب بشكل تام بقي مستمراً في اليمن، ولم يلغيه وجود المذاهب الفقهية وانتشارها، بل ظل حياً حاضراً وإن ضعف في بعض الأحيان وخفّت صوته إلا أنه مازال موجوداً خصوصاً في المناطق الزيدية، وقد اشتهر جماعة من

<sup>١</sup> عمر بن علي بن سمرّة الجعدي، رائد مؤرخي علماء الشافعية باليمن، صاحب طبقات فقهاء اليمن الذي خصصه لعلماء الشافعية، ثم صار من بعده من المؤرخين بينون على ما أسس ويفرغون على ما أصل، لم تذكر سنة وفاته. انظر: ترجمته لنفسه في مطلع الطبقات ص (١٣) وما بعدها.

<sup>٢</sup> طبقات فقهاء اليمن ص (٣٤) تأليف عمر بن علي بن سمرّة الجعدي تحقيق فؤاد سيد نشر دار القلم بيروت بدون تاريخ.

المجتهدين النابذيين للتقليد الذين كان لهم الأثر الطيب على العلم والعلماء، وكانوا نبراساً مضيئاً في حوالك الظلم التي لبّدت سماء الأمة الإسلامية قروناً عديدة، وأصبحوا أساتذة الاجتهاد، والتجديد، وحرية الرأي، ورمز الاقتداء بالسلف الصالح ليس في اليمن فقط ولكن في العالم كله، حيث تتداول كتبهم بل وتصبح من المقررات الأساسية في أشهر الجامعات الشرعية والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي، من أشهر أولئك:

(١) مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير<sup>١</sup>.

(٢) صالح بن مهدي المقبل<sup>٢</sup>.

(٣) الحسن بن أحمد الجلال<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> هو إمام أهل السنة في زمانه، بل مجدد الإسلام في اليمن في القرن الثامن مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير مولده سنة (٧٧٥ هـ) وقد نشأ على طريقة قومه الزيدية المعتزلة، ثم رغب عنها وتحول إلى الطريقة السلفية، فبرع في علوم الكتاب والسنة، واستكمل أدوات الاجتهاد، واضطهد لذلك، فصبر، وصابر، وألف، وناظر، ولو لم يكن له إلا كتابه العظيم العواصم و القواصم لكفى، كيف وله مؤلفات فائقة كثيرة سواه، وهو رأس المدرسة السلفية التي مازالت - والحمد لله - قائمة إلى اليوم، لا يكاد مؤرخ من مؤرخي اليمن إلا وهو يشيد بفضله، وقد ترجم له من يصعب حصرهم، وأثنى عليه حتى من يخالفه من الزيدية وغيرهم، وألفت رسالة علمية بعنوان "ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية"، قدمت لجامعة أم القرى بمكة للشيخ علي بن علي جابر الحربي توزيع عالم الكتب ط الأولى (١٤١٧). وانظر ترجمته كذلك: البدر الطالع (١/٨١-٩٣)، وهجر العلم للقاضي إسماعيل الأكوغ (٣/١٣٦٧-١٣٧٦)، والبحث الضائي الذي بعنوان الإمام مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم في مقدمة العواصم والقواصم (١/٧-١٠٠)، طبع مؤسسة الرسالة بيروت (١٤١٨هـ-١٩٩٢م) للقاضي إسماعيل الأكوغ.

<sup>٢</sup> صالح بن مهدي بن علي المقبل، أحد أعلام علماء اليمن والمجتهدين فيه، تجرد عن التقليد والتزم الأخذ بالكتاب والسنة، وله مواقف عظيمة مع مقلدي وقته، اشتد عليه بسببها الأذى فهاجر إلى مكة، وهناك ألف بعض مؤلفاته ومنها العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ، وذيله الأرواح النوايح توفي سنة (١١٠٨هـ). انظر: البدر الطالع (١/٢٨٨)، ومقدمة العلم الشامخ للقاضي عبدالرحمن الإرياني (ص أ - د) طبع مكتبة دار البيان دمشق بدون تاريخ.

<sup>٣</sup> الحسن بن أحمد الجلال من الأئمة المجتهدين في اليمن، كبير القدر كثير الإنتاج العلمي، أثنى عليه الشوكاني -رحمه الله- ثناءً كثيراً وهو في الفقه من الأئمة، وإن كان لم يتخلص مما كان عليه مجتمعه في الجوانب الأخرى من منهجه، توفي سنة (١٠٨٤هـ). انظر: البدر الطالع (١/١٩١)، وهجر العلم (١/٣٤٢).

(٤) مُحَمَّد بن إسماعيل الصنعاني.

(٥) محمد بن علي الشوكاني.

وغيرهم الكثير، وإن كانوا أقل شهرة منهم؛ تضمنهم " البدر الطالع " لشيخ الإسلام الشوكاني، " ونشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف "، وغيرهما من كتب التواريخ والتراجم، وما تزال هذه المدرسة قائمة إلى اليوم، وعميدها وأشهر علمائها في هذا العصر القاضي العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - وهو في اليمن أشهر من نار على علم.

هذا وأما الاجتهاد الفقهي في المناطق الشافعية فقليل إن لم يكن معدوماً، ولعلّ السبب في كثرة المجتهدين في الجهات الزيدية طبيعة المذهب الهادي الذي أبقى باب الاجتهاد مفتوحاً، بل حرّم التقليد في بعض المواضع من أصله، بعكس أتباع المذاهب الأخرى الذين أغلقوا باب الاجتهاد من بعد القرن الرابع، وصاحوا بكل من ادعاه بأنه جاهل متعالم، أو مارق منحرف. هذا وقد أطلت في هذا الموضوع لأنني رأيت جمع كل ما يتعلق بالمذاهب الفقهية فيه ولن أعود إلى شيء من ذلك فيما بعد لعدم اقتضاء الموضوع له.

#### الفرق العقائدية غير ما تقدم:

لقد ذكرنا فيما تقدم فرق الشيعة الإسماعيلية والزيدية وفرقة الخوارج الإباضية، وإكمالاً للبحث ينبغي أن نلّم ببقية الفرق التي طرأت على اليمن وعلى أهله الذين مازالوا متمسكين بمنهج السلف الصالح في عقيدتهم إلى اليوم، نعم إن منهج السلف الصالح منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هو الأصل في اليمن، والمناهج الأخرى إنما هي طارئة عليه، وكان هذا المنهج هو منهج الأمة بكاملها حينما كانت الأمة هي الصحابة الكرام وتابعوهم بإحسان، ثم بدأت الفرق الضالة تخرج عن هذا السبيل، وتفارق ذلك المنهج؛ فخرجت الخوارج ثم الروافض ثم القدرية في عهد الصحابة أنفسهم، ثم توالى تلك الفرق في الانحراف ومفارقة المنهج القويم والصراط المستقيم، وقد تفرقت تلك الفرق نفسها إلى فرق فرعية كثيرة جداً، وظهرت فرق جديدة ذات أثر في الساحة الإسلامية؛ منها الجهمية ثم المعتزلة ثم الكلائية والماتريدية والأشاعرة، وهذه الثلاث الفرق الأخيرة في الواقع قد تبين لها ضلال الفرق السابقة عليها وخصوصاً الجهمية والمعتزلة اللتين تشتركان في الانتساب إلى علم الكلام.



وقد حاول أئمة تلك الفرق الثلاث العودة إلى النبع الصافي والمنهل العذب، ولكن آثار علم الكلام لم تمكن الإمامين ابن كلاب<sup>1</sup>، والماتريدي<sup>2</sup> من ذلك، فتخلصا من كثير من بدع وعقائد الجهمية والمعتزلة، وبقي لديهما بعضها وأخذوا ببعض أصول السلف أهل السنة، وقصّروا في بعضها، والله تعالى يتولاهما، وهو أعلم بما في نفوسهما سبحانه، أما نحن فندعوه سبحانه أن يغفر لهما وللمخلصين من أتباعهما، وأن يتجاوز عمّا أخطأ فيه، ما دام الحامل لهما عليه حب التنزيه والخشية من التشبيه، ولكن حبنا لهما ورغبتنا الصادقة في أن يتجاوز الله عنهما لا يجعلنا نصحح مذهبهما ونسكت عن خطئهما.

### وأما أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - فله ثلاثة أطوار:

الطور الأول: الاعتزال المحض على طريقة أبي علي الجبائي الذي كان متزوجاً بأمه وكافلاً له.

الطور الثاني: تقرير ما كان عليه ابن كلاب وأصحابه.

الطور الثالث: رجوعه الكامل إلى ما كان عليه السلف الصالح وذلك في كتبه: "الإبانة عن أصول الديانة"، "ومقالات الإسلاميين"، "ورسالي إلى أهل الثغر"، وهناك من يخالف في ترتيب الطورين الأخيرين، أو يجعلهما طوراً واحداً<sup>3</sup>.

لكن عامة من ينتسبون إليه إنما ينتسبون إلى ما كان عليه في الطور الوسط، فهم في حقيقتهم كلابية أو قريباً منها، وليسوا على السنة المحضة التي كان عليها السلف الصالح، والتي عرفت فيما بعد خصوصاً بعد محنة القول بخلق القرآن عرفت (بمذهب أحمد بن حنبل) أو (بالحنابلة)، ولم يكن الإمام أحمد - رحمه الله - متفرداً بها، بل هي عقيدة سائر أئمة أهل السنة وأصحاب الحديث، وعلى رأسهم الإمامان مالك والشافعي وكذلك الإمام أبو حنيفة، إلا ما يذكر عنه في مسألة الإيمان، هذا وإن كثيراً

<sup>1</sup> هو عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه وإمام الطائفة المعروفة بالكلابية، توفي سنة ( ٢٤٥ ) . انظر : السير ( ١٧٤/١١ ) ، وطبقات الشافعية ( ٢٤٥/٢ ) ، ولسان الميزان ( ٣٦٠/٣ ) لابن حجر طبع دار الفكر بيروت ط الأولى ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>2</sup> هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي، يلقب بإمام الهدى وإمام المتكلمين، توفي سنة ( ٣٣٣ هـ ) ، وهو مؤسس المدرسة المشهورة بالماتريدية نسبة إليه، وله عند أتباعه منزلة عظيمة . انظر : مقدمة كتاب الماتريدية ص ( ٩٣ - ٩٩ ) للشيخ أحمد بن عوض الله بن داخل اللهبي الحربي، طبع دار العاصمة بالرياض، والأعلام ( ١٩/٧ ) .

<sup>3</sup> انظر لتحقيق تلك الأقوال والترجيح فيها : كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبدالرحمن بن صالح ابن المحمود، طبع مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ( ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م )

من علماء الحديث وأئمة الفقه والمفسرين وغيرهم هم في الأصل من أهل السنة وأتباع السلف الصالح، ولكنهم قد تأثروا ببعض أقوال الأشاعرة أو الماتريدية خصوصاً في تأويل بعض الصفات، وهذا لا يجعلهم أشاعرة ولا ماتريدية، لأنهم من أهل الحديث والآخذين به والمقدمين له على كل الأصول، بخلاف الأشاعرة المتكلمين وكذلك الماتريدية المتكلمين فإنهم يقدّمون العقل، ويتحاكمون إلى قواعد المنطق وعلم الكلام مقدمين ذلك على الكتاب والسنة، وهذا فارق كبير بينهم وبين المتمسكين بالآثار، والمقدمين للأخبار، والتابعين للسلف الأخيار، الذين وقعوا في تقليد أولئك في بعض المسائل<sup>١</sup>.

بعد هذه المقدمة المهمة في نظري أعود فأقول: إنه لم يثبت بشكل جلي وجود للماتريدية أو الأشعرية في اليمن في هذه الفترة.

وأما المعتزلة فالصحيح أن الذي أتى بها إلى اليمن هو الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين سنة (٢٨٥هـ)، فالزيدية في العقيدة معتزلة، وإن خالفوا المعتزلة في المنزلة بين المنزلتين، فجعلوا مكانها الإمامة، ويقول بعض الباحثين: إن اعتزال زيدية اليمن في بداية أمرهم كان على طريقتهم الخاصة بهم، وليس هو الاعتزال المعروف المنسوب إلى واصل بن عطاء وأتباعه.

وقد ظلت الزيدية على ذلك إلى أن ظهرت المطرفية<sup>٢</sup>، وانتشرت، وفشت بين الناس، وأصبحت تشكل قوة علمية وبشرية يحسب لها ألف حساب، وخصوصاً أنهم قد خالفوا السائد من عقائد الاعتزال وعقائد الزيدية في أمور أهمها: مسألة الإمامة وأنهم لا يحصرونها في أبناء علي عليه السلام، وإنما من جمع صفاتها من المسلمين، فهو أهل لها، وكذلك التفضيل بمجرد النسب لا يقرونه، فتدخلت الغيرة على العقيدة مع الغيرة على الميزة التي اكتسبها بعض الناس في مسألتها الإمامة والنسب، وعند ذلك رغب القائمون على المذهب الزيدي وعقيدته الموروثة في التصدي لهذه الفرقة، وهزيمتها فكرياً عن طريق المناظرة، ولما كان رجال المطرفية أكثر علماً وأنضج فكراً؛ وشعر الطرف الثاني بذلك؛ رغب في

<sup>١</sup> انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة ص (١٥-١٧)، للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي، طبع مكتبة العلم بالقاهرة

(١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

<sup>٢</sup> المُطَرَفِيَّة: هي فرقة من فرق الزيدية منسوبة إلى مطرف بن شهاب من أعلام أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة، وكانوا على جانب عظيم من الإقبال على العلم والاشتغال به والإخلاص في الطاعة والعبادة، حصل بينهم وبين الإمام عبدالله بن حمزة شقاق فقضى عليهم قضاء مبرماً. انظر: الزيدية للأكوع ص (٧٦-٧٧) وتيارات معتزلة اليمن ص (١٨٧، ١٩٢).

تسليح فريقه برجال على نفس المستوى، بل أقوى ليحملوا فكره، ويدافعوا عن أصوله ومبادئه بالطريقة التي يريدونها هو، وعندما علم الإمام المتوكل أحمد بن سليمان أن أحد علماء المعتزلة وصل إلى مكة لأداء الحج عام (٥٤٠ هـ) سارع باستدعائه إلى اليمن، فأجاب إلى ذلك، ووافى الإمام في محل إقامته حينها هجرة مخنكة من خولان صعدة في مطلع عام (٥٤١ هـ)، ومعه كتب الاعتزال، وبقي في اليمن سنتين ونصف لنشر الاعتزال على طريقة معتزلة البصرة، وهي تخالف الاعتزال الذي كان في اليمن من قبل والذي كان أقرب إلى معتزلة بغداد، وقد التقى في هذه الفترة القاضي جعفر بن عبد السلام الأبنوي بالبيهقي<sup>١</sup>، وأخذ عنه علوم الاعتزال وأسلوب المحاجة والمناظرة استعداداً لمناظرة المطرفية، ثم لما عزم البيهقي على العودة إلى العراق عزم معه جعفر بن عبد السلام ليتزود من المنبع الأصلي للاعتزال، غير أن البيهقي مات في تامة في طريق العودة، فلم يثن ذلك عزيمة ابن عبد السلام، بل واصل المسير إلى العراق وفارس، وأخذ في كل بلد حلّه عن علماء المعتزلة فيه<sup>٢</sup>، ثم عاد يحمل كتب المعتزلة معه، وبهذا تكامل وجود المعتزلة في اليمن، بل إن من الباحثين من يرى أن المعتزلة لم تدخل اليمن إلا من ذلك التاريخ.

ولكن الحق أن الذي دخل في ذلك التاريخ هو فكر وعقيدة معتزلة البصرة التي تخالف الاعتزال الذي ظل قائماً في المجتمع منذ دخل الهادي إلى أن ظهر جعفر بن عبد السلام في أيام المتوكل على الله أحمد ابن سليمان المتوفى سنة (٥٦٦ هـ)<sup>٣</sup>.

#### المطلب الرابع: استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له:

لقد تكفل الله بحفظ دينه وكتابه الكريم، فقال جلّ من قائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>٤</sup>، ومقتضى حفظه أن يبقى ظاهراً قائماً، وأن تقوم به طائفة تمثله بحق، وتعمل به

<sup>١</sup> هو زيد بن علي بن الحسن البيهقي المعتزلي، حج سنة (٥٤٠ هـ) فاستدعاه الإمام أحمد بن سليمان إلى اليمن فوصل صعدة سنة (٥٤١ هـ) ومكث يدرس كيب الاعتزال في مسجد الهادي بصعدة سنتين ونصف ثم رحل إلى بلاده فمات في تامة. انظر: تيارات معتزلة اليمن ص (١٣٢ - ١٣٤).

<sup>٢</sup> ملخص من تيارات معتزلة اليمن ص (١٣٢-١٣٥).

<sup>٣</sup> انظر الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص (٧١)، للدكتور أحمد عبدالله عارف، طبع المكتبة اليمنية صنعاء ودار أزال بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

<sup>٤</sup> سورة الحجر آية (٩).

بصدق، وتدعو إليه بإخلاص، على وفق ما نزل الكتاب وما بلغ الرسول ﷺ ووفق ما فهمه الصحابة الكرام من الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان أو انحراف، وقد أكد هذا المعنى الرسول ﷺ في قوله: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك))<sup>١</sup>.

وإذا كان هذا الوعد يشمل جميع بلاد الله التي يظللها الإسلام، فإنَّ يمين الإيمان والحكمة من أحق البلاد بتحقيق هذا الوعد، وبالفعل فإن تاريخ اليمن المليء بالأدلة على هذه الدعوى، فلم يخل جانب من جوانب منهج أهل السنة والجماعة ممن يقوم به، ويدافع عنه طوال التاريخ اليمني، أو على سبيل الاحتياط في معظم مراحل التاريخ.

وإذا كان قد مرَّ بنا أن غالب القرون الثلاثة كان الظاهر فيه مذهب أهل السنة والجماعة في اليمن، فإن الفترات اللاحقة لم تشهد غياباً كاملاً لهذا المذهب، وإنما قد يضعف، ويضايق، ويضطهد دعائه في بعض الأحيان، ثم لا يلبث أن يظهر، وما إن تُرْفَع الحجب، وتزال العقبات من أمامه حتى يهرع الناس إليه، يتسابقون عليه، ويسيروا تحت لوائه، وذلك أنه الوحيد المنسجم مع الفطرة والذي تميل إليه الأنفس والقلوب التي لم تعمَ بظلمات البدع، ولم يعكر عليها غبار الشبهات، ومن الأدلة الناصعة على أن منهج السلف الصالح هو المنهج المنسجم مع الفطرة السليمة أن جميع المذاهب الوافدة على اليمن لم تظهر، وتنتشر بين الناس إلا في ظل دول قوية وسلطات قاهرة، ماعداً منهج أهل السنة والجماعة فإنه يقوم بنفسه، وينتشر بما جعل الله فيه من عوامل البقاء والخلود والانتشار، وسيظهر ذلك مما سنورده في المباحث القادمة عند الكلام على تلك المناهج.

وإذا علمنا أن الأصل الذي كان عليه أهل اليمن هو مذهب أهل السنة والجماعة وأن المذاهب الأخرى إنما طرأت عليه، فإن المعروف المقرر هو بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت خلافه، ولم يثبت أن مذهباً من تلك المذاهب الوافدة قد طبق اليمن قاطبة، ولم يدع أحد من أهل تلك المذاهب ذلك، وهذا وحده يكفي دليلاً على استمرار مذهب السلف الصالح وعدم انقطاعه إلى يومنا هذا.

وهذا ما نلمحه جلياً في كلام المؤرخين، والشهادة الأولى للمؤرخ زبيدي هو يحيى بن الحسين ابن القاسم في طبقات الزيدية حيث يقول: (قلت: وكان اليمن في هذا التاريخ - وهو سنة أربعمائة إلى خمسمائة - فيه اختلاف شديد في المذاهب، واضطراب وفتن وشبه يوردها كل فريق، فكان فيه

<sup>١</sup> تقدم تخريجه ص (٧٣)

الزيدية فريقين: مختزعة ومطرفية، وفي اليمن الأسفل حنبلية وشافعية، ولما كان رأس خمسمائة فما بعدها غلب على اليمن الأسفل مذهب الأشعري لما خرج من الشام مع بني أيوب، فإنهم أخرجوا معهم " المقالة القدسية " أول إحياء علوم الدين في عقيدة الأشعري فمال إليه أكثر الشافعية في ذلك الوقت؛ لأن الأشعري في ثلاثمائة سنة وكانت وفاته أربع وعشرين وثلاثمائة... ثم اختلفت الشافعية باليمن فمنهم من قال بمقالة أحمد بن حنبل بأن المتشابهات تمر من غير تأويل مع اعتقاد أن الله ليس كمثلته شيء، واحتجوا بقراءة الوقف على قوله: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾**<sup>١</sup>، ومنهم من تأول ذلك كما يقول الأشعري، وجرت بينهم مناظرات في ذلك الزمن لاسيما العمراني الشافعي صاحب " البيان " على مذهب الشافعي فإنه بنى على أصول أحمد) انتهى محل الغرض منه<sup>٢</sup>، وقد عَقَّب القاضي الأكوغ على هذا الكلام بقوله: (ورغم هذه التيارات المتعكسة المتضاربة فقد ظل اليمن صامداً أمامهم لم تتزعزع عقائده أو يهدم بنيانه المتراس إلا بعد فترة متراخية، ثم ذكر نحواً مما ذكره في كتابه اليمن الخضراء ونقلناه سابقاً<sup>٣</sup>، ثم قال: (هذا هو العمل السائد في العقائد والمقامات في عموم اليمن ماعدا حضرموت فالغالب عليها مذهب الخوارج.

ولما تغلغلت هذه المذاهب في النفوس بطبيعة التفاعل والامتزاج انبثق عنها في القرن الرابع الهجري مذاهب متشعبة فمن حنفية إلى مالكية إلى شافعية إلى هادوية في صعدة، والمذهب السائد هو مذهب السلف الذين لا ينتمون إلى أي إمام من أئمة المذاهب)<sup>٤</sup>.

ويقول شيخ الإسلام الشوكاني -رحمه الله تعالى-: (ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكتثرون العناية بأهل هذه الديار لاعتقادهم في الزيدية مالا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال، فإن في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية، وما يلحق بها من دواوين الإسلام المشتملة على سنة خير الأنام، ولا يرفعون إلى التقليد رأساً، ولا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها، بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب

<sup>١</sup> آل عمران(٧) .

<sup>٢</sup> طبقات الزيدية مخطوطة ، بواسطة مقدمة السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ( ٣٤ ) للقاضي بهاء الدين الجندي ، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) مكتبة الإرشاد صناع ، والمقدمة للقاضي الأكوغ.

<sup>٣</sup> انظر : ص ( ١٨٣ )

<sup>٤</sup> المصدر السابق (١/ ٣٣) .

الله وما صح من سنة رسول الله ﷺ مع كثرة انشغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسنة من نحو وصرف وبيان وأصول ولغة مع عدم إخلالهم بما عدا ذلك من العلوم العقلية، ولو لم يكن لهم من المزية إلا التقيّد بنصوص الكتاب والسنة وطرح التقليد، فإن هذه خصيصة خص الله بها أهل هذه الديار في هذه الأزمنة الأخيرة، ولا توجد في غيرهم إلا نادراً<sup>١</sup> ..

وفي القرن الرابع نرى من يحمل منهج أهل السنة والجماعة ومذهبهم، ويرد على من خالفهم، فهذا الحسين بن عبدالله المراغي له كتاب يردّ به على المعتزلة باسم " الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة " وقد عاش آخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع حيث توفي سن (٣٢٤هـ)<sup>٢</sup>، وهو وافد على اليمن وليس من أهلها، ولكنه استقر بها، وصار له أتباع أخذوا عنه ذلك المذهب الذي كان في الأصل موجوداً قبل وروده<sup>٣</sup>.

وفي القرن الخامس يمر بنا الفقيه عبدالله بن يزيد اللّعفي، قال الجندي: (له تصانيف على معتقد السلف)، وكان يعيش في القرن الخامس ووفاته (بعد خمسمائة بيسير)<sup>٤</sup>.

وفي القرن الخامس أيضاً كانت مدرسة الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي<sup>٥</sup>، وهي مدرسة عظيمة جليلة، يدرس فيها فنون مختلفة، ومن أعظمها علوم العقيدة على مذهب السلف الصالح والفقهاء على مذهب الإمام الشافعي -رحمه الله-، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه في غالب الأيام، حتى لقد خشى منه ومن أتباعه وأتباع شيخه أبي بكر بن جعفر المحابي أمير الجند من قبل الصليحي، فعمل الحيلة للإيقاع بين الشيخين وأتباعهما؛ مما اضطر الشيخ زيد للرحيل إلى مكة تجنباً للفتنة<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> البدر الطالع ( ٨٣/٢ ) .

<sup>٢</sup> طبقات فقهاء اليمن ص ( ٨٣ ) .

<sup>٣</sup> انظر: السلوك ( ٢٣٢/١ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١ / ٢٥١ ) .

<sup>٥</sup> زيد بن عبدالله اليفاعي ، من فقهاء الجند السائرين على منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات ، صاحب مدرسة متميزة في الفقه وله أتباع وتلاميذ كثيرون توفي ( ٥١٤هـ )، طبقات فقهاء اليمن ص ( ١١٩ ) ، هجر العلم ( ٤ / ٢٣٧٧ ) .

<sup>٦</sup> انظر: طبقات الفقهاء ص ( ١٢٠ ) ، والسلوك ( ٢٦٣/١ ) .

وعاصره وكان على نفس المنهج الإمام زيد بن الحسن الفايشي<sup>١</sup>، غير أن الأول كان بالجند والثاني بالجمامي من أعمال إب، وتوفي سنة (٥٢٨هـ) وقيل (٥٢٧هـ)<sup>٢</sup> - رحمه الله - وفي مدرستيها كان يدرس علم التوحيد على مذهب السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وعنهما وعن غيرهما من العلماء أخذ الإمام يحيى بن أبي الخير<sup>٣</sup> ذلك المذهب<sup>٤</sup>، والإمام ابن أبي الخير هو رأس أهل السنة في اليمن في القرن السادس، فقد تبناه ودافع عنه وكافح وآلف وناظر وخرّج الطلاب عليه، وقد عني بالرد على المعتزلة حين وفودهم إلى اليمن يمثلهم القاضي جعفر بن عبد السلام المعتزلي فألف كتابه " الانتصار في الرد على القدرية الأشرار "، ثم ظهرت الأشاعرة فأضاف - رحمه الله - إلى ما ذكره في الانتصار من مسائل القدرية مذهب الأشعرية والرد عليهم، قال ابن سمرّة: (فأجحف فيه على الأشعرية وقطع حلوقهم وأفحمهم خصوصاً بذلك من يقول: ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾<sup>٥</sup> .

فرح الفقهاء بكتابه " الانتصار " وانتسخوه ودانوا به واعتقدوه)<sup>٦</sup> .

وقال ابن سمرّة قبل ذلك: (وكان الإمام يحيى قد سمع في مدرستي الشيخين الإمامين زيد بن حسن الفايشي وزيد اليفاعي " كتاب التبصرة " في علم الكلام وأصول الدين تصنيف أبي الفتوح<sup>٧</sup> على

---

<sup>١</sup> هو زيد بن الحسن الفايشي ، من فقهاء الشافعية المنتمين لمذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، كبير القدر عظيم الأثر في منطقة الجمامي بإب توفي سنة ( ٥٢٨ هـ ) انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( ١٥٥ ) ، وهجر العلم ( ٣٨٩/١ ) .

<sup>٢</sup> انظر: السلوك ( ٢٨٥/١ - ٢٨٧ ) وهجر العلم ( ٣٩١/١ - ٣٩٢ ) .

<sup>٣</sup> هو يحيى بن أبي الخير العمراني ، إمام شهير من أئمة علماء اليمن ، إمام في الفقه وهو صاحب كتاب " البيان " الشهير الذي اعتنى بطبعه قاسم مُجَّد النوري وطبع الطبعة الأولى بدار المنهاج بيروت سنة ( ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ) ، وإمام في السنة على منهج السلف الصالح ، رأس علماء الحنابلة في اليمن وصاحب كتاب " الانتصار في الرد على القدرية الأشرار " الذي حققه سعود بن عبد العزيز الخلف وطبع بدار أضواء السلف بالرياض الطبعة الأولى سنة ( ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ) .

<sup>٤</sup> انظر: طبقات الفقهاء ص ( ١٧٥ - ١٧٧ ) .

<sup>٥</sup> الأنعام (٩١) .

<sup>٦</sup> طبقات الفقهاء ص ( ١٨١ ) وقد أخرج كتاب الانتصار وطبع بعد أن حقق وقدم رسالة جامعية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

<sup>٧</sup> انظر ترجمته : طبقات الفقهاء ص ( ٩١ ) والسلوك ( ٢٣٠/١ )

مذهب السلف الصالح، وهما ينقلانه جميعاً عن الشيخ أبي نصر البندنجي مصنف " المعتمد " في الخلاف، فإنهما صحباه جميعاً في مكة، وعن الإمام يحيى أخذ مشايخنا " التبصرة " في أصول الدين ورويناها عنهم وكان -رحمه الله - يُسمعها في مدرسته، ويعلمها من طلبها، فناظر الشريف العثماني وهو أشعري، ونصر مذهب الحنابلة أهل السنة) <sup>١</sup>.

وقد ملأ أطراف اليمن أصحاب وتلاميذ الإمام يحيى بن أبي الخير، ونشروا ما أخذوا عنه في كل مكان حلوا فيه، ومن أشهر من خلفه في ذلك الطريق الفقيه مسعود بن علي بن مسعود العنسي <sup>٢</sup>، وقد كان شديد الغيرة على ذلك المذهب، حتى أنه عندما أظهر طاهر بن يحيى بن أبي الخير القول بمذهب الأشاعرة بعد موت أبيه، غضب لذلك، وقام فيه قياماً حسناً، وألف في الرد عليه، قال الجندي وهو يتكلم على انحراف طاهر ونقض توبته التي أعلنها في حياة أبيه أثناء ترجمته لسيف السنة البر يهي: (ولذلك أجمع الفقهاء على هجره والإنكار عليه مشافهةً ومراسلةً ومكاتبةً، وكان من أعظمهم في ذلك القاضي مسعود، ولهذا في الرد عليه كتاب كبير وأخباره يطول ذكرها) <sup>٣</sup>، وبهذا تعرف غيرة هذا الفقيه على مذهب أهل السنة، وليس وحده ولكن أجمع جميع الفقهاء الحضارين في ذلك الوقت على ما أبدى على طاهر بن يحيى بن أبي الخير من الإنكار والهجر، ثم تسلمت الراية مدرسة أخرى هي مدرسة الإمام سيف السنة أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البر يهي السكسكي.

قال الجندي: (وله كتب عدة في الأصول، يرد بها على المعتزلة والأشعرية، وكان كبير القدر، شهير الذكر، صاحب كرامات عديدة، وكتب مفيدة) <sup>٤</sup>، وقد حذا طلابه حذوه في الرد على الأشاعرة وغيرهم <sup>٥</sup>، وبأصحاب الإمام البر يهي نقطع أن مذهب أهل السنة كان ظاهراً قوياً إلى ما بعد

<sup>١</sup> طبقات الفقهاء ص ( ١٧٧ ) .

<sup>٢</sup> مسعود بن علي العنسي أحد كبار أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير والسائرين على منهجه منهاج أهل السنة ، وله في ذلك مواقف مشهورة ومؤلفات في الرد على من خالف مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، توفي سنة ( ٦٠٤ هـ ) . انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( ٢١٦ ) ، وهجر العلم ( ٧٣١/٢ ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٣٢٢/١ ) .

<sup>٤</sup> انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( ١٩٠ ) والسلوك ( ٣١٨/١ ) .

<sup>٥</sup> انظر: ترجمة صاحبه وتلميذه محمد بن مضمون بن عمر بن أبي عمران في هجر العلم ( ٢١٣٤/٣ ) ، وقد توفي سنة ( ٦٦٣ ) ( ٦٦٣ )



منتصف القرن السابع، أي إلى بعد دخول الأيوبيين إلى اليمن بنحو مائة سنة حيث كان دخولهم سنة (٥٦٩هـ) <sup>١</sup>.

وبعد منتصف القرن السابع بدأت تقل المعلومات عن وجود قائمين بمذهب السلف، ولكن مذهب السلف الصالح ما كاد ينحسر عن المناطق الشافعية حتى لمع نجمه زاهراً مضيئاً في المناطق الزيدية على يد مفخرة اليمن الإمام العظيم محمد بن إبراهيم الوزير الذي عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، فقد جدد هذا الإمام العظيم مذهب السلف الصالح في تلك المناطق، وأشاد أركانه، وأوضح معالمه؛ مما جعل كتبه مرجعاً لأهل السنة وعلماء السلفية في مختلف بلاد العالم الإسلامي، رغم ما لاقى في سبيل ذلك من محن وأذى، قابلها بالصبر والاحتساب وسعة الصدر والإصرار على التمسك بالحق الذي آمن به.

وقد كتب الله له النجاح في دعوته، وأثمرت جهوده بإنشاء مدرسة علمية سلفية، راسخة القواعد طيبة الثمار، مازال سبيلها معموراً إلى الآن، وقد سقنا الحديث عنها في هذا المبحث، والغرض هو تقرير أن منهج السلف الصالح في العقيدة مازال موجوداً حاضراً فاعلاً في اليمن منذ أن دخلها على يد معاذ وأبي موسى - رضي الله عنهما - إلى اليوم، وذلك تصديقاً لقول النبي ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)) <sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> انظر: فرة العيون ص (٢٦٥) .

<sup>٢</sup> تقدم تخريجه ص (٧٣) .

## المبحث الثاني

### الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في ال المبحث الثاني

### الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن

#### وفيه أربعة مطالب:

#### المطلب الأول: طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن:

سبق في المبحث الأول أن الإسماعيلية التي دخلت اليمن فصيلاً: أما الفصيل الأول فهم القرامطة، ويمثلهم علي بن الفضل الجدي، وقد انتهى هذا الفصيل بانتهاء دولة علي بن الفضل وابنه الفأفاء سنة (٤٣٠ هـ) كما سبق على يد آل يعفر الحوالبين السنيين.

وأما الفصيل الثاني فهو المنتمي إلى العبيديين أصحاب الدولة الفاطمية بمصر، وكان يمثل هذا الفصيل منصور اليمن.

وحيثما قضى أهل السنة على الدولة الإسماعيلية ككيان سياسي، وانتهى بذلك أثر علي بن الفضل، لم ينته أثر ابن حوشب أو منصور اليمن، بل إنه عهد بالدعوة من بعده إلى من يقوم بها كما سيأتي في المطلب الثالث، ولكن الذي يهمنا هنا أن الإسماعيلية في مصر في آخر عهد الدولة العبيدية انقسمت إلى قسمين: مستعلية، ونزارية، تبعاً للإمام الذي تبعته كل فرقة منها، وذلك أنه بعد موت الخليفة "المستنصر" اختلف على من يخلفه في الإمامة، فبايع قوم ابنه الأكبر "نزار" وهم النزارية،

وبايع قوم آخرون ابنه الأصغر " أحمد " وسموه " المستعلي " وهم المستعلية، والذي يهمننا أن الذين في اليمن من الإسماعيلية ومنهم الصليحيون هم من فرقة " المستعلية " <sup>١</sup> .  
ثم انقسمت المستعلية باليمن إلى قسمين هما: " الداودية " أتباع الداعي " داهود قطب شاه " والسليمانية أتباع " سليمان بن حسن "، فالداودية هم البهرة، والذين ولاؤهم للزعامة الإسماعيلية بالهند، وهم الظاهرون والذين ينصبُّ الكلام عنهم كلما ذكرت الحركة الإسماعيلية المعاصرة، وهم أشد تطرفاً وأكثر قبورية، وأما السليمانية فهم الذين يطلق عليهم المكارمة وولاؤهم لزعيمهم المتواجد بنجران، وهم أقل عدداً وأثراً من البهرة <sup>٢</sup> .

### المطلب الثاني: لمحة عن الدولة الصليحية مؤسسة القبورية في اليمن:

بعد موت ابن حوشب أو منصور اليمن، ظل التواصل جارياً بين خليفته في اليمن عبد الله ابن عباس الشاوري وبين المهدي " المزعوم " القائم بالمغرب، وكان قد وصل تكليف رسمي من المهدي للشاوري بالقيام بأمر الدعوة، وفعلاً قام بها، ولكن الحسن بن منصور اليمن لم يسلم له، وأحب أن يكون هو قائماً مقام أبيه، وتربص بالشاوري حتى أمكنته الفرصة فوثب عليه فقتله، ثم أعلن نفسه قائماً مقام أبيه، وتتبع من كان مع الشاوري ففضى عليهم.  
ثم أعلن تخليه عن مذهب أبيه ورجوعه إلى مذهب أهل السنة، وكان قد قضى على معظم الرجال البارزين من أعوان أبيه، ولم يبق إلا من أمكنه الاستتار، وكان من هؤلاء: يوسف بن موسى ابن أبي الطفيل فقام بأمر الدعوة، ثم قام بعده جعفر بن أحمد بن عباس ثم عبدالله بن مُجَّد بن بشر ثم مُجَّد بن أحمد الشاوري ثم هارون بن مُجَّد بن رحيم ثم يوسف بن أحمد بن الأشج ثم سليمان ابن عبدالله بن عامر الزواحي، وكان هذا الرجل عظيم الجاه كثير المال، فكلما همَّ به أحد من الناس رد عليه قائلاً:

<sup>١</sup> الإسماعيلية لإحسان الهي ظهير ص ( ٧٣٥-٧٣٦ ) .

<sup>٢</sup> الفرقة الباطنية الإسماعيلية ( رؤية من الداخل ) قراءة جديدة وحقائق معاصرة وهذا الكتاب مصفوف بالكمبيوتر ولم يطبع بعد، وفيه حقائق عظيمة جدية بالاطلاع و الاعتبار بما فيها قبل أن تفوت الفرصة ويقع الفأس في الرأس ، ومؤلفه يبدو أنه اتحل اسماً مستعاراً هو ( علوي طه الجبل ) ويحق له ذلك ؛ لما يخشى عليه من شر وكيد تلك الطائفة ، وكان من المفيد أن يعجل بنشره بين الناس .

(أنا رجل مسلم، أقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكيف يحل لكم دمي ومالي؟ فيمسكون عنه)، وهو الذي سلم الأمر إلى الصليحي.<sup>١</sup>

وكان أبو الصليحي محمد بن علي الصليحي قاضياً سنياً فاضلاً ذا مكانة في قومه، وكان الشاوري يزور هذا القاضي الفاضل، فلحظ ابنه وما عليه من مخايل النجابة والذكاء والشجاعة وغيرها من مؤهلات القيام بالدعوة بل بالإمارة، فكان يجالسه، ويفضي إليه بالدعوة، ويرغبه فيها حتى أقنعه.

ولم يتعجل الشاب علي بن محمد الصليحي الأمر، ولكنه بدأ يمهد لنفسه بخطوات وثيدة ثابتة، فأخذ يحج بالناس عن طريق السراة والطائف لمدة خمسة عشر عاماً حتى شاع ذكره، وظهرت شخصيته، وعرف مكانه، وكان قد تردد على ألسنة الناس أن ذلك الشاب سوف يملك اليمن، فكان يسمعه من كثير من الناس ولكن يجيب باستبعاد ذلك، وإن كان في قرارة نفسه يتوق إلى مزيد تصميم على بلوغه، وعندما حضرت الوفاة سليمان الزواحي أوصى بكتبه وأمواله، وكانت كثيرة لعلي ابن محمد الصليحي، فانكب على تلك الكتب، فقرأها، وفهمها، وصار من العلماء بما فيها، وبعد أن بث دعوته، واستجاب له أعداد كبيرة من الناس، أعلن ثورته وتبعيته للخليفة الفاطمي "المستنصر بالله"، وذلك من جبل مسار سنة (٤٣٩ هـ).<sup>٢</sup>

وهكذا تأسست الدولة الصليحية، وما زال الصليحي يتوسع حتى ملك اليمن كله، ولم يكتف بذلك، بل أدخل الحجاز ضمن دولته، وملك مكة وما والاها باسم الفاطميين، وبعد مكاتبات مع خليفته في مصر ولي العهد لابنه محمد، ولكنه ما لبث أن مات مبكراً في حياة أبيه، فأخبر الخليفة بذلك وطلب أن يقوم بولاية العهد ابنه الآخر المكرم أحمد، فوافق الخليفة على ذلك.<sup>٣</sup>

وفي سنة (٤٥٩ هـ) عزم على الحج، وأخذ معه من الأموال والنفائس مالا يقدر بثمن، كما حمل معه جميع الملوك والأمراء الذين أجلاهم عن الملك، وحبسهم لديه؛ خوفاً من تمردهم، أخذهم جميعاً معه إلى الحج، وعددهم خمسون ملكاً، وترك ابنه ولي العهد بصنعاء، وسار من طريق تهامة في مرافقين

<sup>١</sup> الصليحيون ص (٤٩ - ٥٨)

<sup>٢</sup> المفيد من أخبار صنعاء وزبيد ص (٩٥ - ١٠٠) تأليف عمارة بن علي اليمني، طبع دار السعادة بالقاهرة، الطبعة

الثانية (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م).

<sup>٣</sup> الصليحيون ص (٩٥ - ٩٨).

آخرين، وكان في موكبه ألفا فارس، غير أن أولئك الفرسان لم يكونوا مرافقين له، وإنما كان قد قدمهم أمامه، وسار هو في مجموعة صغيرة من آل الصليحي وبعض المقربين<sup>١</sup>.

وكان من جملة الموتورين منه آل نجاح حكام زبيد الذين أزالهم عنها، وسلبهم دولتهم؛ فكانوا يتربصون به الدوائر، فلما علموا بسفره رصدوه، ثم تجهزوا في جهاز غير طائل، ولكن توفيق الله سبحانه، ونصره تنزل عليهم ففاجأوه بمنطقة يقال لها "المهجم" من تامة، فأعملوا في معسكره سلاحهم البسيط، فقتلوه، وقتلوا أخاه، وغنموا جميع ما في المخيم من أموال ومجوهرات ونفائس وسلاح وخيل وغير ذلك، ثم احتزوا رأسه ورأس أخيه، وحملوهما مع النساء اللاتي أسروهن، ومنهن أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي بن محمد الصليحي وأم أولاده، وقد نصبوا رأس الصليحي وأخيه علي رحمين، ووضعوهما أمام أسماء على الراحلة، ثم بعد ذلك نصبوهما أمام الطاق الذي تسكنه بحيث كلما نظرت من الطاقة رأتهما أمامها، وتم لسعيد الأحوال النجاحي وإخوانه الاستيلاء على زبيد وإقامة الدولة النجاحية السنوية هناك، وكان قتله يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٥٩ هـ)<sup>٢</sup> ودام الأمر لبني نجاح سنة واحدة، وقيل أقل من ذلك<sup>٣</sup>.

في أثناء ذلك كانت أم الملك المكرم قد هربت إليه رسالة، تحته فيها على العمل على فك أسارها، وبالغت في ذلك حتى قالت في الرسالة: (أنا حبل من العبد سعيد الأحول)، ولم يكن شيء من ذلك، وإنما قصدها حثه على الإسراع حيث قالت: إن تأخرت عن إطلاقي تمت الفضيحة حين ألد بولد لذلك العبد، واستغل المكرم تلك الرسالة أحسن استغلال، فكان يقرأها على الناس في المساجد والجماع، ويثير بها نخوتهم، فألب الناس، وجهاز لاستعادة زبيد، وفك أسر أمه، وسار في عشرة آلاف شخص حتى داهموا زبيد، واقتحموها، وهزموا بني نجاح ومن معهم، وبم المكرم تحت الطاق الذي فيه أمه، فأطلقها، وأنزل الرأسين المنصوبين أمام ذلك الطاق، فغسلهما، ودفنهما في زبيد، وبني عليهما مشهداً، هو ثاني مشهد يثبت التاريخ في اليمن<sup>٤</sup>، وعند عودته مرّ بالمكان الذي قتل فيه أبوه وعمه،

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٩٩) .

<sup>٢</sup> المفيد من أخبار صنعاء وزبيد ص (١٢٦-١٢٧) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (١٢٨) ، وانظر : التعليق رقم (١) على نفس الصفحة

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (١٣٤) .

فأخذ جثتيهما معه إلى صنعاء<sup>١</sup>، وبنى عليهما مشهداً في صنعاء، ثم حاول استعادة ملك أبيه، فأفلح في البعض، وأخفق في البعض الآخر.

وكان قد أصابه الريح حين كشف عن وجهه أمام أمه<sup>٢</sup> في زيد، وبقي مريضاً بذلك، ولكنه بقي ماسكاً بزمام الملك حتى ماتت أمه أسماء سنة (٤٧٩ هـ)، بعد ذلك فوّض الأمر إلى الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية، وهي التي يسميها العامة وأشباههم "الملكة أروى"، ثم انتقلا إلى ذي جبلة من مخلاف جعفر، وهو الذي يسمى اليوم "إب".

وفي عام (٤٨٤ هـ) مات المكرم، فأسند أمر الدعوة إلى الأمير أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وبقي الملك بيد السيدة بنت أحمد حتى ماتت سنة (٥٣٢ هـ)، ودفنت في جامع جبلة يسار القبلة، وقيل أن قبرها كان في موضع خاص قد استثنته من الوقف حين أوقفت أرض المسجد على العموم، فهو يعتبر ضمن المسجد.

وبعد موت الملكة بدأ التحلل في الدولة الصليحية وبدأت النواحي تستقل، فبعد استقلال النجاشيين بتهامة وعاصمتها زيد في حياة الملكة استقل بعد موتها الزريعيون بعدن والجند وما بينهما والياميون بصنعاء ومخا ليفها ومعظم اليمن الأعلى، وهكذا تساقطت مدتهم وحصونهم حتى كانت نهايتهم سنة (٥٣٢ هـ).

### سياسة الدولة الصليحية في تبني ونشر الإسماعيلية:

مرّ بنا أن الدعوة الإسماعيلية توارثوا الدعوة بعد منصور اليمن على نفس المنهج، وكان آخرهم سليمان الزواحي، الذي سلّم الراية لعلي بن مُجّد الصليحي، ودرّس علي بن مُجّد الصليحي الإرث الإسماعيلي، وفهمه حتى صار من دعائه، ولكنه بعد أن أقام دولته انشغل بالسياسة عن الدعوة، وهكذا خلفاؤه: ابنه المكرم وسبأ بن أحمد لم يعرف عنهما الانشغال بالدعوة بأنفسهما، ولكن هناك دعاة عاصروهما، قاموا بما يجب نحوها، ومع ذلك لم يظهر من الصليحيين إجبار لأهل السنة أو

<sup>١</sup> الصليحيون ص (١٣٤). وانظر: الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي" وحتى نهاية القرن العاشر الهجري "السادس عشر الميلادي" دراسة أثرية معمارية" ص (٣٩)، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الآثار الإسلامية من قسم الآثار كلية الآداب جامعة صنعاء د.علي سعيد سيف، كتاب مصفوف بالكمبيوتر (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

<sup>٢</sup> المفيد ص (١٣٣)

الزيدية الذين دخلوا تحت حكمهم على اتباع مذهبهم، والذي يبدو أن الشعار الظاهر هو ترك أهل كل مذهب يعملون بمذهبهم في خاصة أنفسهم، ولكن ولاتهم ودعاتهم كانوا يعملون في الخفاء؛ للإيقاع بخصومهم الذين يعلمون بغضهم لهم وتكفيرهم إياهم، ويعملون المكائد لتفريقهم وإشغال بعضهم ببعض، ومن الأمثلة الناصعة على ذلك ما ذكره الجندي في ترجمة الفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي بعد أن ذكر فضل الشيخ وسعة علمه وكثرة طلابه حتى لقد أصبح طلابه أكثر عدداً من طلاب شيخه أبي بكر ابن جعفر بن عبدالرحيم المحابي، وقد كانا يدرّسان في مسجد الجند جنباً إلى جنب، ولم يكن بينهما شيء من المنافسة، قال: (ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل في التفريق بينهم، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما، يقبرون وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند، فحانت منه نظرة إلى المقبرة، فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين، فسأل عن ذلك فقيل: قبر ميت غالب من حضره من الفقهاء، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع مع أخيه حيث قتله، وقال: " هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظروا كيف تفرقون بينهم، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف"، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعزلونه، ويولون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر المسجد كذلك، حتى ظهر السباب بين الحزبين، وكاد يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك فارتحل مهاجراً إلى مكة<sup>١</sup>، فالكيد والدس ثابت عليهم، ولعلّ الجو لم يساعدهم بشكل كبير وواضح على دعوة عامة الناس إلى مذهبهم، أما الدعوة السرية والفردية فهي قائمة لاشك، وقد كسبوا لهم أتباعاً مازالوا يسيرون على منهجهم إلى اليوم.

### ما ينسب إلى الصليحيين من إباحة المحرمات وحط الواجبات:

ذكر الحمادي اليماني -رحمه الله- أنه كان يسمع ما يقوله الناس عن هذه الفئة " الصليحية الباطنية"، وأنه كلما سأل أحداً ممن أشاع تلك الأخبار: أتشهد بذلك؟ قال: لا، إنما سمعت الناس يقولون ذلك فقلته، قال: (فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه)<sup>٢</sup>، ثم بدأ بذكر كيفية الدعوة إلى أن ذكر كيف يحطون عنه الصلاة ثم الصوم، وكيف يحلون له

<sup>١</sup> السلوك ( ٢٦٣/١ )، ملاحظة: على العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله الاعتبار بهذه الحادثة و الانتباه لمكائد الخصوم الذين يعملون على تفريق الكلمة وتشيت صف أهل العلم والدعوة إلى الله .

<sup>٢</sup> كشف أسرار الباطنية ( ٦٣ ) .

الخمر، وهم في كل ذلك يستدلون بالآيات بعد أن يحرفونها عن مواضعها، ثم بعد اجتياز تلك المراحل، يترقون به إلى ذلك الفعل الشنيع الذي أشيع عنهم، فقال: (فإذا صح عندك حاله، فاذهب به إلى زوجتك، فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعاً وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته، ويبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب، وقال: "قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع له فيقول: "ليس هذا من فضلي. هذا فضل مولانا"، فإذا خرج من عنده تسمع به أهل هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون، ثم يقول: "لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا، فادفع قربانك"، فيدفع اثني عشر ديناراً، ويصل به ويقول: يا مولانا إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفئت السرج والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده، ثم أمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: "ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكره ولا تكفره على ما أطلق من وثاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحط عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم: ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾" <sup>1</sup>.

قال مُجَدِّدُ بَنِ مَالِكٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: (هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد، والله تعالى عليّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله تعالى ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزي الله من كذب عليهم، وأعد له جهنم، وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته) <sup>2</sup>.

هذا ما ذكره الحمادي عن علم وخبرة، فهل يسلم له ذلك ويتابع

عليه؟

<sup>1</sup> فصلت الآية (٣٥).

<sup>2</sup> كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص (٦٣-٧٠).



أقول: أما الحمادي فلم تُرو له ترجمة مفصلة في أي كتاب من كتب تواريخ اليمن التي يتداولها الناس، حتى إن القاضي مُجَّد بن علي الأكوخ عند تحقيق كتابه ذلك لم يعثر له على ذكر إلا في طبقات فقهاء اليمن للجعدي، حيث قال: (وفي رسالة مُجَّد بن مالك الحمادي)، وكذلك في كتاب السلوك للجندي، قال في سياق كلامه عن علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله مُجَّد بن مالك ابن أبي القبائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل في مذهبهما " منصور و" ابن الفضل " أيام الصليحي وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحققت فساد ذلك، رجع عنه، وعمل رسالة مشهورة يخبر بأصل مذهبهم، ويبيِّن عوارهم ويحذر من الاعتزاز بهم) <sup>١</sup>، ولذلك فإن الجزم بصدق ما يقول لا يليق بالباحث المنصف، غير أن بعض ما ذكره قد توبع عليه ممن لا يظن أنه نقل عنه، فترتيب الدعوة عند الفاطمية الإسماعيلية بمصر تشبه إلى حد بعيد ما ذكره الحمادي، وقد ذكر ذلك المقرئزي، وهو غير متهم عليهم؛ لأن نقله عنهم وحكايته لتاريخهم لا يفهم منه إلا احترامهم واعتبارهم من خيار الخلفاء، كما أن له كتاباً خاصاً بتاريخهم أسماء " اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" <sup>٢</sup>، وهو من بين العلماء القلائل الذين أثبتوا انتساب الفاطميين إلى علي عليه السلام، فأرى أن شهادته عليهم مقبولة قطعاً.

وقد وصف المقرئزي في خطه ترتيب الدعوة، وقد جعلها تسع مراتب، وفي المرتبة التاسعة قال: (هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه، فإذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة، والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه، وقال: ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجواهر، وأن الوحي إنما هو صفاء النفس؛ فيجد النبي في فهمه ما يلقي إليه، ويتنزل عليه؛ فيبرزه إلى الناس، ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة، ولا يجب حينئذ العمل إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء، بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها، ويكفيه معرفته؛ فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه، وماعدا المعرفة من سائر المشروعات فإنما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة، لمعرفة الأعراض والأسباب،

<sup>١</sup> مقدمة كشف أسرار الباطنية ص (٤٥-٤٦) .

<sup>٢</sup> طبع في القاهرة سنة (١٣٨٧هـ) .

ومن جملة المعرفة عندهم أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة، وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة، وأن الإمام إنما وجوده في العالم الروحاني إذا صرنا بالرياضة في المعارف إليه، وظهوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم، وهذا حاصل علم الداعي، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها، اختصرت ما تقدم ذكره<sup>١</sup>.

وفيما أورده المقرئ شاهد لمراتب الدعوة، وإن كان الحمادي قصر بها عن عدد تلك المراتب، كما فيها شاهد على إسقاط الواجبات والتكاليف، كما ذكر الباحثان إحسان إلهي ظهير في "الإسماعيلية" والدكتور سليمان عبدالله السلومي في "أصول الإسماعيلية" أن للإسماعيلية كتباً في تأويل أركان الإسلام وعباداته من أشهرها كتاب "دعائم الإسلام" و"تأويل دعائم الإسلام" للقاضي النعمان بن حيون المغربي،، ونقلنا عنهما وعن غيرهما من التأويل لتلك الأركان والعبادات ما يلغيها فعلاً، وأن بعض من وصل إلى درجة المعرفة لديهم معفون عنها<sup>٢</sup>.

كما اعترف بأصل ذلك أحد باحثيهم المعاصرين وهو الدكتور مصطفى غالب في "تاريخ الإسماعيلية"، حيث قال: (وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية وما جاء في القرآن هي معانٍ يعرفها العامة، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطنياً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم)<sup>٣</sup>.

وتبقى قضية إباحة الفاحشة سواءً إحلال النساء بالانفراد أو في المشهد الأعظم - كما عبر عنه الحمادي - فهذا الجزء من التهمة لم أجد له من كتبهم ما يشهد له، وإن كان مبدأ التأويل ونسخ الشريعة يسعه ويتضمنه، ولكنهم أنفسهم ينكرون ذلك غاية الإنكار، كما صرح بذلك الغزالي في رده عليهم<sup>٤</sup>، ولذا فأنا عاجز عن نفيه أو إثباته على سبيل القطع، ولا أحب أن أقذف أحداً بما لم يثبت لديّ بيقين، خصوصاً في مثل هذه التهم القبيحة التي تنكرها الفطر السليمة، والشيم الأصيلية، فضلاً عن الدين القويم.

<sup>١</sup> الخطط المقرئية ( ٢ / ١٣٣ ) .

<sup>٢</sup> الإسماعيلية تاريخ وعقائد من ص ( ٤٩٩ - ٥٢٢ )، وأصول الإسماعيلية ( ٢ / ٦٤٩ - ٦٦٢ ) .

<sup>٣</sup> تاريخ الإسماعيلية ص ( ٤٢ ) .

<sup>٤</sup> فضائح الباطنية ص ( ٣٠ ) لأبي حامد الغزالي طبع دار البشير عمان ط الأولى ( ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ) .

### المطلب الثالث: دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن:

لم يثبت في تاريخ اليمن وجود قبر معظم عليه مشهد أو مسجد قبل العقد الثاني من القرن الخامس إلا ما ذكر مما يسمى مسجد الشهيدين بصنعاء الذي قيل أنه على قَبْرِي قثم وعبدالرحمن ابني عبيدالله بن العباس رضي الله عنهما، والذين قتلتهما بسر بن أرطاة والي معاوية رضي الله عنه على اليمن الذي أرسله أثناء الفتنة بينه وبين علي رضي الله عنه، فقد قيل: إنه بُني على قبريهما مسجد، وهذا الذي قيل ذكره المتأخرون من مؤرخي اليمن مثل الجندي حيث قال: (وقبر الطفيلين مشهور بصنعاء في مسجد يعرف بمسجد الشهيدين) <sup>١</sup> والخزرجي حيث قال: (فدفن الولدان حيث قتلا وبني عليهما مسجد هو معروف <sup>٢</sup>، وقال مثله ابن الديبع <sup>٣</sup>، وقال العرشي: فقبرا بصنعاء بالشهيدين، وبهما سمي <sup>٤</sup>، فهذه المراجع كلها كما ترى تثبت وجود المسجد على القبر، ولكن متى بني ذلك المسجد؟ ومن الذي بناه؟.

عبارتهم بلفظ المبني للمجهول وهي لا تفيد تحديد من بني أو متى بُني، كما أن العرشي يثبت أن القبر بذلك المسجد، وهو أيضاً لم يحدد تاريخ بناء المسجد، فالذي نفهم من هذه العبارات أنه في أيام أولئك المؤرخين يوجد مسجد، يقال: إنه على قبر ذينك الطفيلين، لم يحدد أحد منهم ولا من غيرهم متى بني، ومما يؤكد أنه لم يكن موجوداً في الزمن الأول أن المؤرخ إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعائي المتوفى سنة (٤٥٠هـ) ذكر الحادثة وقتل الطفيلين في باب المصرع، ولم يذكر بناء المسجد عليهما <sup>٥</sup>، وكذلك الرازي المتوفى سنة (٥٦٠هـ) ذكر المصرع، وصرح بقوله: (الموضع الذي

<sup>١</sup> السلوك ( ١٧٣/١ )

<sup>٢</sup> المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك - مخطوط مصور صورته وزارة الإعلام والثقافة ضمن مشروع الكتاب ١/٦ ( ٧٠ ) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ص ( ٣٩ ) تحقيق الدكتور يوسف شلحد ، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني سنة ( ١٩٨٣ م ). وفي قرة العيون مصدر سابق ( ٧٠ ) .

<sup>٣</sup> عبدالرحمن بن علي الشيباني المعروف بابن الديبع عالم محدث مؤرخ ، من علماء زبيد ، و إليه ينسب المولد المشهور بمولد " الديبعي " ، لديه تناقض كبير ، فبينما هو من أهل الحديث والفقهاء إذ به يأتي في ذلك المولد بالطامات ، وهذا شأن من سلم لأهل التصوف ، فإنه لا يكاد ينفعه ما لديه من العلم ، وخير مثال على ما أقول هذا الرجل والشرحي الزبيدي صاحب التجريد الصريح في الحديث وطبقات الخواص المليء بالدجل والخرافة . توفي ( ٩٤٤ هـ ) . انظر ترجمته : النور السافر ص ( ١٩١ ) ، والبدر الطالع ( ٣٣٥/١ ) .

<sup>٤</sup> بلوغ المرام ص ( ٩ ) .

<sup>٥</sup> تاريخ صنعاء للطبري المذكور ص ( ٢٥ ) تحقيق عبدالله الحبشي ، وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء بدون تاريخ .

يباع فيه السليط وموضع الحدادين إذا أردت أن تنزل سوق العراقيين موضع مسجد ابن زيد، وكانت مقبرة غمدان حيث يحدد الحدادون اليوم بصنعاء، والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>١</sup>، فلو كان هناك مسجد أو مشهد على القبرين لذكره، وبهذا نعلم أن المسجد أو المشهد المشار إليه إنما بني بعد ذلك على عادة القبورية الذين يتتبعون المناسبات، وعلى أثرها يبنون على البقعة التي يتوهمون أنها موضع القبر، فتصبح بذلك مزاراً، ولهذا فإن الدكتور "علي سعيد سيف" في رسالته الأضرحة في اليمن لم يثبت هذا المسجد ضمن الأضرحة التي تناولها بالدراسة، وإنما ذكرها في التمهيد فقط، وقال: (ولكن يستشف من بعض الروايات)<sup>٢</sup>.

وقد اجتهدت في توضيح هذه المسألة حتى لا يقال أن هناك مشهداً من أيام الصحابة؛ فيتخذ حجة للقبوريين، ومثل ذلك يقال في المسجد المبنى على قبر الشريف العراقي، وهو الطبيب العراقي الذي كان يعمل في اليمن في صنعاء، فلما سمع بما يفعله علي بن الفضل بالإسلام والمسلمين نذر على نفسه أن يقتله، فذهب إلى عاصمة ابن الفضل "المذيخرة" وعمل فيها وأظهر براعة في الطب فطلبه علي بن الفضل ليكون طبيباً له ثم احتاج ابن الفضل إلى الفصد ففصده بمبضع مسموم فمات ابن الفضل وهرب الطبيب إلى موضع يسمى "قينان" بوادي السحول فقتل هناك، قال الجندي: (وقبره هنالك، وهو مسجد جامع له منارة يزار ويتبرك، به دخلته في الحرم أول سنة ست وتسعين وستمائة)<sup>٣</sup>.

وقد علق على ذلك القاضي الأكوخ فقال: (والقبر لا يزال موجوداً وهذه القصة ظاهرة عليها الصنعة والوضع ومحتاجة إلى مناقشة)<sup>٤</sup>.

أما ابن الديبع فقال: (فأدرك في السحول عند المسجد المعروف بقينان، فأرادوا إمساكه، فامتنع وقاتلهم حتى قتل، وقبره هناك رحمه الله)<sup>٥</sup>. وهذا - كما ترى - ليس فيه ذكر المسجد الذي على القبر وعلى كل حال فليس في النقلين ولا في غيرهما ذكر لتاريخ بناء المسجد الذي على القبر ولا من

<sup>١</sup> تاريخ مدينة صنعاء للرازي ص ( ٨٥ ) تحقيق حسين عبدالله العمري ، طبع مكتبة الفكر المعاصر ببيروت ، ودار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة ( ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ هـ ) .

<sup>٢</sup> الأضرحة في اليمن ص ( ٢٨ ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٢١٢/١ )

<sup>٤</sup> المصدر السابق الموضع نفسه .

<sup>٥</sup> فرة العيون ص ( ١٥٠ ) .

بناه، فليس فيه أي حجة على وجود مسجد على القبر قبل التاريخ الذي ذكرته سابقاً، وهو العقد الثاني من القرن الخامس؛ لأن هذا المسجد لو صح أنه بني عند مقتل ذلك الرجل لكان في القرن الرابع، حيث أنه قتل بعد مقتل علي بن الفضل بأيام، ولكن ذلك لم يصح، وبهذا يثبت أن المشاهد الثابت بناؤها هي التي أسستها الدولة الصليحية الإسماعيلية، غير أنه - ومن باب الأمانة ومعرفة الحقيقة - قد ثبت أن هناك مشهداً واحداً، سبق الدولة الصليحية بسنوات، وهو لا يمت للقبور بصلة؛ لأنه من مشاهد السلاطين لا من مشاهد الأولياء والصالحين، ذلك المشهد هو مشهد آخر أمير من أمراء بني زياد وعمته، إذ إن وزير ذلك الأمير الطفل - ويسمى نفيساً - كان قد قتل الطفل وعمته بتهمة أن المرأة كانت تكاتب خصمه ومنافسه "نجاحاً"، وكان وقتها فاراً من زييد بسبب تسلط "نفيس"، فقتلها، وقتل الطفل، ثم بنى عليهما جداراً، فلما علم نجاح بذلك اتخذ ذريعة للانقضاض على خصمه، وجمع الجموع، ثم هجم بهم على زييد في عدة وقائع، آخرها سنة (٤١٢هـ) حيث قتل نفيس، فلما دخل نجاح زييد سأل مولاه "مرجان": "(ما فعل مواليك وموالينا؟ قال: في ذلك الجدار، فأخرجهما نجاح، وصلى عليهما، وبني لهما مشهداً، وأعاد مرجاناً في موضعهما، فبنى عليه حياً وعلى جثة نفيس)".<sup>١</sup>

وقد ذكر مثل ذلك ابن الديع في الفضل المزيدي<sup>٢</sup>، وقريباً منه الخزرجي في العسجد المسبوك<sup>٣</sup>، وهذا أول مشهد بني علي قبر في اليمن حسبما اطلعت عليه في كتب التاريخ اليمني، وليس هو مما يخشى منه؛ لأنه ليس له فضل من جهة دينية، وإن كان هو من الأمور المحرمة، ومن نتائج الجهل وتوسيد الأمور إلى غير أهلها، مع أن النجاشيين من السنة، وليسوا من الشيعة رواد القبورية في العالم، ولكن السبب - والله أعلم - هو النزعة السلطانية والكسب السياسي بإظهار وتعظيم ذلك الوزير لآسياده ووفائه لهم بعد أن أصبح هو الوريث لدولتهم، وما أظن أن هذا سوف يحصل لولا أن ظاهرة تقديس القبور وتعظيمها قد فشلت في البلاد الإسلامية المجاورة من جهة الدولة الفاطمية الإسماعيلية.

<sup>١</sup> المفيد ص (٨٥-٨٦) .

<sup>٢</sup> الفضل المزيدي ص (٥٥) .

<sup>٣</sup> المسجد المسبوك ص (١٠٤) .

## (٢) مشاهد آل الصليحي:

الدولة الصليحية إسماعيلية العقيدة، فاطمية الولاء، متأثرة كل التأثر بأسياها العبيدين في مصر، وقد مر بنا دور العبيدين في نشر القبورية، فلا غرابة أن يكون الصليحيون على منوالهم، وأن يسيروا على طريقهم، ولأمانع أن نجزم بأنهم مؤسسو القبورية في اليمن.

## (٣) مشهد الرأسين:

مر بنا أن بني نجاح عندما قتلوا على بن مُحَمَّد الصليحي وأخاه أخذوا رأسيهما، فنصبوهما بزييد أمام طاق زوجة الصليحي " أسماء بنت شهاب "، وعندما هاجم الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي زييد لاستنقاذ أمه من الأسر، واسترجاع ملك أبيه، أنزل الرأسين، ودفنهما في زييد، وبني عليهما مشهداً. قال عمارة: (وأنا أدركت مشهد الرأسين) <sup>١</sup>، وكان ذلك سنة (٤٦٠ هـ).

## (١) مشهد الصليحي بصنعاء:

وعند عودة الملك المكرم إلى صنعاء نبش قبري أبيه وعمه، ثم حمل جثتيهما في تابوتين، ودفنهما في صنعاء وأمر ببناء مشهد جامع لهما <sup>٢</sup>، وهو بذلك أخذ بسنة المعز الفاطمي الذي أحضر معه رفات آبائه عندما انتقل من المغرب إلى مصر، وبني عليهما التربة الشهيرة التي تسمى " تربة الزعفران " وقد سبق الحديث عنها.

## قبر السيدة بنت أحمد في جامع ذي جبلة:

قال الهمداني: (وفي غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة توفيت الملكة الحرة عن اثنتين وتسعين سنة من العمر، ودفنت في جامع ذي جبلة أيسر القبلة في منزل متصل بالجامع، وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع، وهيأت موضع قبرها فيه. وذكر إدريس: " أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهاء كونها في الجامع، ففتحوا عن قبرها حتى

<sup>١</sup> المفيد ص (١٣٤) .

<sup>٢</sup> الصليحيون ص (١٣٤) وفي الهامش يقول: (نقل صاحب العيون " ١١٦/٧ " ومشهد الصليحي اليوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره، وهدموا مناره، فإن عنايتهم في ذلك كثيرة، وفي هدم القبور أفعال نكيرة، وذلك شيء يتحاماه الكفار والمسلمون ويأنفون عنه وهؤلاء يقدمون )، قلت: وهذه هي حجج القبورية في كل زمان ومكان، يتباكون على هدم المشاهد وتسوية القبور المشرفة التي أمر النبي ﷺ بتسويتها. انظر للمزيد عن مشهد الصليحي بصنعاء: الأضرحة في اليمن (٣٩) .

انتهوا إلى تابوت، فوجدوا فيه قفصاً مقللاً، ففتحوه، فأصابوا فيه كتباً وأحكاماً، تشهد أنها استنثت فيه ذلك المنزل الذي دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه، ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة الشهود الثابتة عند الحكام، فردوا قبرها على ما كان عليه، وردوا تربته وحجارته إليه"، ويقول إدريس: "وقبرها إلى اليوم، يزوره جميع فرق الإسلام، ويعترف بفضلها الخاص والعام، ويأتي إلى قبرها من أصيب بظلم، أو حاجة، أو علة في بدنه، أو بليّة، فيتشفعون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها" <sup>١</sup>.

وفيها وفي قبرها يقول القاضي حسين بن أبي عمران بن الفضل الياامي:

**وقفت على قبر الوحيدة وقفة وقد زين منها مسجدٌ وسورٌ**

**فقبلته واستفتُ رياً ترابه وعاود قلبي رنة وزفير**

**و سالت دموع العين مني كأنها بشط مجاري المقلتين سطور**

**ولله منها روحٌ قدسٌ تميزت فصارت بأعلى الدائرات نظيرٌ**

مشهد العباس:

هذا المشهد كما يقول - الدكتور علي سعيد سيف - يقع في منطقة أسناف خولان إلى الشرق من مدينة صنعاء على يمين الطريق المار بين صنعاء وخولان الطيال، ويبعد عن صنعاء بحوالي (٢٠) كم، ويحتل المسجد الضريح ربوة مرتفعة تقع جنوب قرية أسناف، وتتبع إدارياً مديرية خولان التابعة لمحافظة صنعاء، <sup>٢</sup>، وذكر الدكتور أن العباس صاحب الضريح غير معروف، ولكن بناء الضريح كان بتاريخ (شهر ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة) <sup>٤</sup>، وهذا التاريخ يأتي أثناء حكم الملكة السيدة بنت

<sup>١</sup> الصليحيون ص (٢٠٧-٢٠٨) وانظر: الأضرحة ص (٢٤٠) وما بعدها .

<sup>٢</sup> الصليحيون ص (٢٠٨)، وهذا القاضي هو من الإسماعيلية فلا غرابة أن يقبل قبر الملكة، و أن يستف ترابه فهذه دياتهم .

<sup>٣</sup> الأضرحة ص (٤٩) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق نفس الموضوع .

أحمد الصليحية غير أن الدكتور يرجح أن يكون بابي الضريح واسمه "موسى بن مُحَمَّد القطبي" <sup>١</sup> كان من السلاطين السنيين الذين عاشوا في تلك الفترة، وربما يكون أميراً أو شيخ قبيلة، أطلق عليه لقب سلطان، ولست أوافق الدكتور على ذلك الاستنباط، فما دام العصر عصر الصليحيين، وهم في عصر قوتهم فلن يكون هناك مجال لسلاطين سنيين، فلم لا يكون ذلك الرجل وإل من ولاية الصليحيين؟ خصوصاً والدكتور يقول فيما بعد: (ومن المحتمل أن معمار هذا الضريح قد نَهَج نَهَج معمار الدولة الصليحية في جامع جبلة والذي يتشابه في كثير من الأوجه مع عمائر الدولة الفاطمية بمصر؛ لما كانت بينهما علاقات) <sup>٢</sup>، أليس نسبة هذا الضريح إلى الصليحيين أحق من أن ينسب إلى أهل السنة؟ بلى، والدلائل قائمة، فهم الحاكمون، وهم الذين ابتدأوا بإنشاء المشاهد في اليمن، وطريقة بناء الضريح كطريقتهم، وعليه فالمرجح أن هذا الضريح من عمل الصليحيين والله أعلم.

#### المطلب الرابع: استمرار قبورية الإسماعيلية:

بانتهاؤ الدولة الصليحية انتهى دور الظهور الثاني للإسماعيلية في اليمن، ودخلوا دور السِّتْر الثاني، ولكن دهاثم ودعاتهم قد أحسوا بذلك قبيل انتهاء الدولة وبالتحديد في أيام الملكة السيدة بنت أحمد، ولذلك فقد كلف (القاضي ملك بن مالك الجمادي عند عودته إلى اليمن من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد بتنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن، وأنه لُقِّب بلقب داعي القلم في عهد الملك المكرم أحمد الصليحي، ولقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحرة، وقد اختار هذا الداعي نخبة من التلامذة الأفذاذ البعيدين عن الملك أمثال ابنه يحيى بن ملك والدؤيب ابن موسى الوادعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر) <sup>٣</sup>، وبهذا كَوَّنوا الأساس المتين لصرح دعوتهم الذي يعول عليه في بقائها واستمرارها حتى إن ذهبت الدولة، بقيت الدعوة محافظة على كيانها، بل ازدهر علمها في تلك الفترة أكثر فأكثر.

يقول الهمداني: (نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي، وجمع شتات التراث الفكري، وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٤٩ - ٥٨) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٥١) .

<sup>٣</sup> الصليحيون ص (٢٦٨) .



العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن ملك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعوة المؤيد في الدين الشيرازي قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي ملك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن. ثم قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة عن شؤون الملك، وعينت الملكة يحيى بن ملك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية، فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحمادي، ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي، والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحمادي، والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة، بل إلى أيامنا هذه. ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية<sup>1</sup>. وكانت هذه الجهود في أكثر الأحيان محاطة بالسرية التامة؛ وذلك لمحاربة اليمنيين لها سواء في ذلك أئمة الزيدية أو سلاطين الشافعية، ولكن كل ذلك لم يفت في أعضادهم، أو يوهن عزائمهم، فاستمروا، وعندما جاءت التعددية الحزبية وحرية الرأي التي تجاوزت الحدود لإعطاء الحرية لأصحاب العقائد الضالة والمبادئ الهدامة والدعوات المشبوهة، عندما جاء هذا العهد، استغلت الإسماعيلية الفرصة، وبدأت تزاوّل نشاطها بجرأة عجيبة وجهود جبارة وتركيز ينذر بالخطر على البلاد اليمنية، وتداعوا إلى اليمن من كل حدب وصوب، وصار اليمن من أماكن حج البهرة الإسماعيلية، بحيث يحج إلى اليمن حسب تعبيرهم عشرات الآلاف كل عام، والعمل الظاهر الذي يمارسونه هو تتبع الأضرحة والقبور المنسوبة إلى أئمتهم ودعاتهم، وإليك قائمة بأهم المشاهد والقبور والمزارات التي يقصدونها:

<sup>1</sup> المصدر السابق ص (٢٩٨) .

- ١) قبر الداعي إبراهيم بن حاتم الحامدي الهمداني الحاشدي اليامي في قرية "الحطيب" عزلة شرقي حراز - قضاء حراز - ويعتبر أهم مزار للإسماعيلية الداودية البهرة، ومتوسط من يزوره سنوياً من غير باطنية اليمن خمسة عشر ألف نسمة، خاصة من الهند وباكستان، والداعي المذكور مؤلف كتاب "كنز الولد".
- ٢) قبر الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي في الجامع الكبير بمدينة جبلة محافظة إب.
- ٣) قبر إدريس عماد الدين صاحب كتاب "زهر المعاني" المقبور تحت قمة جبل شبام حراز (٢٩٢٠ متر فوق سطح البحر)، وتجري الآن محاولة حثيثة من قبل الإسماعيلية لإقامة مسجد على قبره؛ رغم عدم وجود سكان في هذا الجبل الإستراتيجي، والذي يعد من أهم المواقع العسكرية في المنطقة متحكم في طريق صنعاء الحديدية، ويطل على كل قضاء حراز.
- ٤) قبر في جبل الصميع في عزلة هوزان قضاء حراز محافظة صنعاء، لم يُعرف اسم صاحبه
- ٥) قبر الداعي ملك بن مالك في حصن زبارة قسم الملاحي عزلة لهاب قضاء حراز محافظة صنعاء.
- ٦) قبرا الحسين والحسن ابني إدريس عماد الدين في قمة جبل مسار، من عزلة مسار، قضاء حراز، ونشك في أصل وجود هذين القبرين المندثرين بعد أن كُشف عنهما بزعم الباطنية، وهذا الجبل المركز الأول لانطلاق الدولة الصليحية في اليمن، وهو موقع هام واستراتيجي مرتفع عن سطح البحر (٢٧٦٠) متراً، ولا زال أهله صامدين أمام هذه الطائفة رغم كثرة الإغراءات والضغط.
- ٧) قبر الملا محمد في مدينة زبيد من بلاد تهامة محافظة الحديدة.
- ٨) قبر في غيل بني حامد عزلة بني مونس، قضاء همدان محافظة صنعاء.
- ٩) قبر في حصن طيبة المطل على وادي ظهر من قضاء همدان محافظة صنعاء.
- ١٠) قبر أويس القرني من قرية الحمى من ضواحي زبيد.

وهناك مساجد يخصصونها بالزيارة وليس هناك سبب ظاهر لزيارتها:

- (١) الجامع لكبير بصنعاء<sup>١</sup>.
- (٢) مسجد معاذ بن جبل بالجند.
- (٣) مسجد في حرف سفيان.
- (٤) حصن ذمرمر من بلاد حضور، وهذا الحصن قد كان يوماً مقرأً لآل حاتم اليامين، وقد قيل: إنهم كانوا إسماعيلية باطنية، وممن ذكر من أهلها "مُحَمَّد بن أحمد الياامي"، ووصف بأنه عالم الإسماعيلية وشاعرها<sup>٢</sup>.

---

<sup>١</sup> قال زيارة في نشر العرف لنبلأء اليممن بعد الألف طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ط الثانية (١٤٠٥هـ-١٩٨٥ م) (٣/٣١٢): قال صاحب مطلع الأقممار ، ونقلت من خطه أن القبر الذي غربي الصومعة الشرقية بجامع صنعاء هو قبر الحسن بن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن مُحَمَّد بن عبدالله بن العباس بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب انتهى ) . قلت : فلعلهم يزورون هذا القبر المزعوم .

<sup>٢</sup> انظر هجر العلم (٢/٧٩٦-٧٩٧)

## المبحث الثالث

### السلاطين ودورهم في نشر القبورية في اليمن

#### وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السلطين هم وراء مظاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية:

لعل أعظم نزعة لدى السلطين دفعت بهم إلى إنشاء المشاهد ومظاهر العظمة على القبور: هي أبهة الملك، ومحبة استمرار ناموس الملك بعد الوفاة كما كان حال الحياة، كما صرح به المقرئزي وهو يتحدث عن تربة أسرة آل قلاوون بالقاهرة<sup>١</sup>، مع بواعث أخرى تقدم الحديث عنها في الفصل الثالث،<sup>٢</sup>.

ومن أجل الباعث الأول المشار إليه أصبح السلطين وراء معظم مظاهر القبورية في اليمن، فأول مشهد عرف وثبت وجوده في اليمن على الإطلاق هو مشهد الزياديين، الذي بناه مولاها نجاح على جثتيها عندما أنزلها عن الجدار، وقد تقدم<sup>٣</sup>، كما أن السلطان أسعد بن وائل من أوائل من دفنوا في المساجد في الديار الشافعية إن لم يكن أولهم<sup>٤</sup>.

وأول قبة بنيت في حضرموت على الإطلاق هي قبة السلطان مسعود بن يمانى المتوفى سنة (٦٤٨هـ)<sup>٥</sup>، وهذه المشاهد كلها قبل رسوخ التصوف في اليمن، وحتى أول مشاهد الدولة الصليحية التي سبق الكلام عنها والتي هي أول المشاهد المنظمة والمتوالية- والتي بقي أثرها إلى اليوم- هي

<sup>١</sup> الخطط المقرئزية (٤٨٠/٣).

<sup>٢</sup> انظر ص (١٦٣).

<sup>٣</sup> انظر المفيد في أخبار صنعاء وزيد ص (٨٦).

<sup>٤</sup> السلوك (٤٨٥/٢).

<sup>٥</sup> الفرائد في قيد الأوابد للعلامة المؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه، مخطوط بمكتبة الأحقاف بتريم، لدي صورة منه.

كذلك في بدايتها كان لدافع عظمة السلطان دخل كبير فيها، ثم جاءت الدولة الأيوبية وكان معظم سلاطينها يدفنون إما في قباب خاصة، كما دفن المعز إسماعيل بن طغتكين في قبة خاصة به في زبيد تعرف بقبة الخليفة<sup>١</sup>، أو في مدارس أو نحوها، ولإعطاء صورة لما عليه سلاطين اليمن من اهتمام بالمشاهد والقباب لأهداف مختلفة أضرب مثالين، أحدهما لإئمة الزيدية، والآخر لسلاطين الدولة الرسولية، وذلك في المطلبين التاليين.

المطلب الثاني: أئمة الزيدية ودورهم في نشر القبورية في اليمن:

رغم أن الغلو لدى الزيدية الأولى لم يكن خارجاً عن الحد، ورغم أن اتجاهها هو اتجاه المعتزلة المعتمدين على العقل النافين للخوارق والكرامات كما هو معلوم، إلا أننا نجد أئمة الزيدية في اليمن - وبعد قرون من إنشاء دولتهم وتتابع العشرات من أئمتهم - نجدهم ينحرفون انحرافاً شديداً في هذه المسألة، والذي يظهر - والله اعلم - أن باعث الأئمة لذلك كان باعثاً سياسياً أكثر منه باعثاً عقدياً، ولكن وجود المشاهد والقباب ووجود سدنة يتأكلون منها وبينون بها مجداً وجاهاً على أنقاض عقائد الأمة حولها إلى مزارات مقدسة يعتقد فيها العوام وأشباههم مالا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، ومن أجل السياسة أيضاً يتغاضى الأئمة عن ذلك ويتروكون العامة يغرقون في بحر الخرافة والشرك وهم ينظرون.

وأئمة الزيدية بينون المشاهد للسياسة ويهدمونها للسياسة كذلك؛ فالدليل على أنهم بينونها للسياسة ما بدر من الإمام عبدالله بن حمزة وذلك أنه عاش في آخر القرن السادس وبداية القرن السابع<sup>٢</sup>، وهو

<sup>١</sup> العسجد المسبوك ص (٧٤) .

<sup>٢</sup> تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن تأليف العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي، طبع مكتبة اليمن الكبرى صنعاء الطبعة الثانية سنة (١٩٩٠م) ص (١٩٧).

أول من سن لأئمة الزيدية سنة البناء على المشاهد حيث لم يُسجَل لأحد من الأئمة قبل عصره شيء من ذلك.

والذي يظهر لي - والله أعلم - أنه إنما فعل ذلك مضاهاة لمعاصريه من الأيوبيين الذين عُرِف عنهم أنهم يبنون على قبور سلاطينهم البنائات الضخمة في مصر والشام<sup>١</sup> وفي اليمن كذلك<sup>٢</sup>، فلعله أراد أن يُظهر بذلك شيئاً من أبهة الملك للأئمة وهم أموات كما هي لهم وهم أحياء، وقد لاحظ ذلك الأستاذ محمد محمود الزيري في كتيبه "الإمامة وخطرها على وحدة اليمن" حيث قال: (بهذه النفسية يمارس الإمام أعباء منصبه، وتكاد هذه الأعباء تنحصر في استصفاء ثروة الشعب باسم الزكاة وقمع الانتفاضات الشعبية باسم الجهاد وقتال البغاة، ثم بناء مسجد باسم الأمام تضاف إلى جواره غالباً قبة الصريح لهذا الإمام تمدّ نفوذه الروحي حتى وهو في القبر)<sup>٣</sup>.

وهذا الذي نسبه الزيري إلى الإئمة يجب أن يحدّد بأئمة القرن السابع فَمَنْ بعدهم، وأن أولئك الأئمة قد عمّروا على معظم قبور الأئمة السابقين مشاهد وقباباً.

وقد خَطأ هذا الإمام بالقبور في الديار الزيدية خطوات كبيرة جداً، إذ لم يكتف بأن يبني لنفسه مشهداً في حياته أو يوصي أن يبني له ذلك بعد وفاته، وإنما سن ذلك عملياً في حياته بأمر إمامي وتهديد شديد اللهجة لأهل قرية "لصف" حيث قتل عندهم أخوه إبراهيم بن حمزة وهو يقاتل

<sup>١</sup> سبق الحديث عن مساهمة الأيوبيين في نشر القبورية في الفصل الثالث .

<sup>٢</sup> انظر تراجم سلاطينهم في اليمن في الفصل المزيد من تاريخ زبيد وغيره من تواريخ اليمن، وفيها يذكرون كيف يُقبر سلاطين الأيوبيين.

<sup>٣</sup> الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ص (١٣-١٤) للأستاذ مُجّد محمود الزيري طبع دار الكلمة صنعاء بدون تاريخ .

الأيوبيين، فلما حصل ذلك كتب لهم الإمام عبد الله بن حمزة هذه الرسالة يهددهم فيها إذا لم يبنوا عليه مشهداً أنه سينقل جثمانه عنهم، وهذا نص الرسالة:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين إلى كافة الساكنين بلصف من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإننا نحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يجب ويرضى.

أما بعد: فقد بلغنا جفوتكم للشهيد الذي توفي بين أظهركم، وخطَّ رحله بين أفئيتكم، وجاد بنفسه دون بلادكم، واستقبل بوجهه العدوَّ صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصار فشلاً، وبلغت القلوب الحناجر وجللاً، وظن قوم بالله الظنونا جزعاً، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحاناً، وزلزلوا بالحادثة اختباراً، فرخص عنده من الموت ما غلا عند غيره، وغلا عنده من الفرار ما رخص عند سواه، وعلم القصد قتم العزم، ومضى على البصيرة على مناهج السلف الصالح مستقبلاً لكثرة العدو وعزمه، ومستصغراً لعظيمة نجده، فبلغنا أنكم هاجرون لقبره، قالون لمصرعه، قد صغرتم منه ما عظم الله سبحانه جهلاً، وجهلتم ما علم الصالحون حيرة وشكاً، كأنكم لم تسمعوا أقوال محمد صلى الله عليه وآله فينا - أهل البيت خاصة - ((أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة وجعفر رجلٌ منا أهل البيت خرج بسيفه فقاتل إماماً ظالماً فقتل))، فهلا - رحمكم الله - استشفيتم بتراب مصرعه من الأدواء، وسألتم بتربة مضجعه رفع الأسواء، واستمطرتكم بركة قبره من رحمة ربكم طوالع الأنواء، وعظمت حاله كما يُعظم حال الشهداء، وأوجبتم من حقه ما ضيع الأعداء، وعمرتم على قبره مشهداً، وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصداً، ونذرتم له النذر تقرباً، وزرتموه تودداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلينا تحبباً، فقد رُوينا عن أئمتنا صلى الله عليه في حديث

فيه بعض الطول أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه فبكى فهاهنا أهل المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال: ما يبكيك يا أباي؟ فقال: إني سررت بكما اليوم سروراً لم أسر به قبله مثله، فجاءني جبريل فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، قال: يا أباي فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قال: ((قوم من أمي يريدون بذلك برّي وصلتي إذا كان يوم القيامة أتيت حتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها)).

الأفاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنا قد قلّينا له جواركم، ورجبنا به عن داركم، وعزمتنا بعد الخيرة لله سبحانه وتعالى على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقه، ويتيقن فضله وسبقه، فلو رعيتهم له حرمة القرابة وفضل وراثته النبوة (تأمل!) لعلمتم حرمة ذلك الدم الزكي، وكثر عليه منكم الباكون، والبواكي، فإن كان ذلك من غرضكم فإننا نفعله إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن من إرادتكم فلسنا بتاركه بتوفيق الله سبحانه، والسلام) .<sup>١</sup>

والرسالة لم تقتصر على بناء المشهد عليه بل تعدت إلى طلب الاستشفاء بتراب مصرعه، والسؤال بتربته، والاستمطار بقبره، فهل كان الإمام فعلاً - وهو من هو في العلم والعقل والدهاء - هل كان يعتقد ذلك؟! أظنه لم يكن كذلك وإنما كما قلت سابقاً يريد إسباغ الهيبة وإضفاء المكانة على مشهد وقبر أخيه، ولذلك فإنه حينما لم يتم الإصغاء إليه فإنه نقل جثمانه إلى قرية الزاهر بالجوف حيث قبر هناك .<sup>٢</sup>

والإمام الثاني الذي كرر نفس الأسلوب هو الإمام يحيى بن محمد حميد الدين الذي أمر في رسالة أخرى قبيلة أرحب ببناء تابوت وقبة على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفي سنة

<sup>١</sup> هجر العلم (١/٢٢٣-٢٢٥)

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١/٢٢٤).



(١٢٦٩هـ) والمدفون في "دار أعلأ" من أرحب للتبرك به، وهددهم إن لم يفعلوا ذلك بأنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة ووضعوا على قبره تابوتاً<sup>١</sup>، والذي جعلني أدعي أن الباعث على ذلك هو السياسة أن الإمام يحيى كذلك كان عالماً وعاقلاً ولم يكن من السذاجة بحيث يعتقد أن ذلك مما يحبه الله ويرضاه، ثم إنه في نفس الوقت أو بعده بقليل كان ابنه وولي عهده الإمام أحمد بن يحيى يهدم قبور أولياء الصوفية في الديار الشافعية كما سيأتي بعد قليل.

تلك هي الحوادث والتصرفات التي تدل على أن أئمة الزيدية يننون المشاهد لأجل السياسة وإن كان قد ترتب على ذلك خلل كبير في عقيدة الكثير من العوام وأشباههم، كما صور ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله حين ذكر ما يجري عند مشهد الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين<sup>٢</sup>، وبعد أن ألف علماء تلك البلاد هذه المشاهد - وكان القائمون وراءها أئمة مجتهدين - ركبوا إلى ذلك الواقع، وأحسنوا الظن بمن سن تلك السنة وتابعوهم عليها، ليس بالفعل فقط ولكن بالإفتاء أيضاً، وهذه نقلة خطيرة جداً، وتحول كبير في هذا المسار عند الزيدية، والذي أفتى بذلك هو الإمام الجليل يحيى بن حمزة الذي أثنى عليه الإمام الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع ثناءً عاطراً<sup>٣</sup>، رغم رده عليه في هذه الفتوى، والفتوى المقصودة هي ما نقلها عنه الإمام المهدي في البحر الزخار حيث قال: (مسألة ي) ولإبأس بالقباب والمشاهد على الفضلاء لاستعمال المسلمين ولم ينكر<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> المصدر السابق (١/٢٥٥).

<sup>٤</sup> انظر: الدر النضيد ص (٤٨).

<sup>٣</sup> البدر الطالع (٢/٣٣٢-٣٣٢).

<sup>٤</sup> البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار تأليف الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (٢/١٣٢)، طبع دار الحكمة اليمانية صنعاء تصوير عام (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) عن الطبعة الأولى (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م) (٢/١٣٢).

ثم تبع الإمام المهدي على ذلك الإمام يحيى فقال في الأزهار وهو يتكلم عما يندب في القبر ومنه رفعه قدر شبر (وكره ضد ذلك والإنافة بقبر غير فاضل)<sup>١</sup>

ومن المعلوم أن الإمام الشوكاني قد ردّ على هذه الفتوى بكتابه المشهور "شرح الصدور في تحريم رفع القبور".

هذا ما يتعلق ببناء المشاهد والقباب وأما هدم تلك المشاهد وكونه للسياسة كذلك فهو

أظهر، وإليك هاتين الواقعتين:

أما الواقعة الأولى فهي ما حدث من هدم للقبور المشرفة والمشاهد المقامة عليها أيام الإمام المتوكل على الله المعاصر للشوكاني، حيث إنه أجاب أئمة الدعوة النجدية إلى هدم بعض المشاهد في صنعاء وما حولها، وكتب بذلك إلى سائر الجهات، ذكر ذلك الإمام الشوكاني في "البدر الطالع" وصاحب كتاب "حوليات يمانية" وسيأتي نص كلامهما في الباب الثالث إن شاء الله<sup>٢</sup>، وقد جزمْتُ بأن الأمر كان سياسة لا تديناً؛ لأن ذلك الإمام بينما كان يرضخ للنجدين ويدهانهم كما عبر بذلك صاحب الحوليات كان في نفس الوقت يكتب الأتراك والمصريين للقدوم إلى الجزيرة والقضاء على الدولة النجدية<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> الأزهار في فقه الأئمة الأطهار (١/٣٦١) للإمام المهدي صاحب البحر الزخار مع شرحه السيل الجرار تحقيق مُجَّد إبراهيم زايد طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى الكاملة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

<sup>٢</sup> الباب الثالث (ص ٥٤٧).

<sup>٣</sup> انظر ذكريات الشوكاني ص (١١٣- إلى آخر الكتاب) تحقيق د. صالح رمضان محمود طبع دار العودة (١٩٨٣م) وحوليات يمانية ص (٢٢-٢٣) تحقيق عبدالله مُجَّد الحبشي لم يسم المؤلف طبع دار الحكمة اليمانية صنعاء ط الأولى (١٤١١هـ-١٩٩١م)

والواقعة الثانية التي تدل على أن من أئمة الزيدية من يهدم القبور لأجل السياسة هي حادثة هدم بعض القبور في الديار الشافعية من اليمن، والتي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حيث أزال القبة التي على قبر الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل عام (١٣٤٨هـ)، حينما كان والياً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق - التي كانت تعرف من قبل بالمعازبة- لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها ودخولها تحت حكمه، كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يفرس من ناحية جبل حبشى عام (١٣٦٢هـ)١، قد يقول قائل لم لا تحمل هذا العمل على المحمل الحسن وتجريه على أفضل تقدير وتجعله من باب إزالة المنكر؟

فأقول: إن الذي يمنع من حمله على ذلك هو عدم إقدام الإمام أحمد عندما كان ولياً للعهد، أو بعد أن أصبح إماماً على إزالة شئ من مشاهد البلاد الزيدية، فلو كان الأمر لوجه الله لما فعله في ناحية وتركه في ناحية أخرى، قد يكون بعض مشاهدها أشد من تلك التي هدمها، كما قال القاضي إسماعيل الأكوخ حفظه الله٢، ومما يؤكد صلة المشاهد الزيدية بالسياسة أن معظم المشاهد المعظمة في الديار الزيدية هي للأئمة وحواشيهم، وقل أن تجد مشهداً لرجل فقير أو ضعيف، وإليك قائمة بأهم المشاهد الزيدية وستكون إن شاء الله على حسب التسلسل الزمني لإنشائها:

(١) مشهد الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة من منطقة ظفار ذيبين.

(٢) مشهد الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة (أخو عبدالله بن حمزة) بمدينة كحلان.

<sup>١</sup> هجر العلم (١/٢٢٢-٢٢٣).

<sup>٢</sup> نفس المصدر نفس الموضوع.

### ٣) مشهد الإمام أحمد بن الحسين المعروف بأبي طير في مدينة ذيبين.

٤) مشهد الإمام يحيى بن حمزة (وليس أخا عبدالله بن حمزة بل هو من ذرية الحسين وليس من ذرية الحسن<sup>١</sup>) ومشهده بمدينة ذمار.

٥) مشهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بصعدة ومعه عدد من أبنائه وأحفاده ومشهد الإمام المهدي باني تلك المشاهد.

٦) مشهد الإمام صلاح الدين بصنعاء.

٧) مشهد الإمام المهدي لدين الله أحمد بن المرتضى حصن الظفير حجة.

٨) مشهد الإمام المهدي صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم بصعدة.

٩) مشهد الإمام الناصر محمد بن يوسف بن صلاح بن المرتضى بمدينة ثلا.

١٠) مشهد الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين أحمد بن يحيى المرتضى بظفير حجة.

١١) مشهد مدرسة الإمام شرف الدين بثلا، وفيه عدد من أبنائه وبناته وذويه.

١٢) مشهد الأمير صلاح الدين بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين بمدينة ثلا.

هذه بعض المشاهد وقد تركت الكثير سواها وهي كلها موجودة مشاهدة للعيان، وقد كتب عنها كتابة تاريخية أثرية الدكتور علي سعيد سيف في رسالته المقدمة للدكتوراه من جامعة صنعاء باسم

<sup>١</sup> انظر البدر الطابع (٢/٣٣٢-٣٣٣).

<sup>٢</sup> وهو مؤسس الدولة الزيدية باليمن توفي سنة (٢٩٨هـ) ولكن المشهد لم يعمر إلا ما بين سنة (٧٣٣) و(٧٥٠هـ) وهي فترة حكم الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صعدة على قبور الإمام الهادي وبنيه ، انظر : الأضرحة ص (١٦١)

"الأضرحة في اليمن من القرن الرابع إلى القرن العاشر"، فيمكن لمن أراد معرفتها بدقة أن يرجع إلى هناك.

مع العلم أن أكثر هذه المشاهد تضم إلى جوار من هي باسمه عدداً من أبنائه وأحفاده وزوجاته، وهذا يثبت أن أئمة الزيدية قد ساهموا في نشر مظاهر القبورية في جهاتهم كسائر حكام اليمن.

**المطلب الثالث: الدولة الرسولية ودورها في نشر القبورية في اليمن:**

### لمحة عن الدولة الرسولية:

الدولة الرسولية منسوبة إلى مؤسسها " نور الدين عمر بن علي بن رسول " (ت ٦٤٧هـ)، وقد قامت على أنقاض الدولة الأيوبية، حيث كان عمر بن علي من قواد هذه الدولة أيام آخر ملوكها الملك المسعود، وحين عزم الملك المسعود على السفر إلى مكة حيث مات بها، استبد بالأمر ودعا إلى نفسه وخطب له بذلك، ثم تولى أبنائه وأحفاده في الملك والسلطنة، وامتدت دولتهم من حضرموت إلى مكة بل في بعض الأحيان من ظفار إلى مكة، وعاشوا في صراع مع أئمة الزيدية حيناً يأخذون صنعاء وذمار وحجة، وحيناً يصل أئمة الزيدية إلى زبيد أو إلى تعز أو إب وهكذا، وامتد حكمهم من سنة (٦٢٥هـ) إلى سنة (٩٥٨هـ) وهي مدة طويلة زادت على ثلاثة قرون وقد تميزت هذه الدولة بالقوة والعظمة والإنجازات الضخمة في شتى الميادين.

ففي العمران فعلت ما لم تفعله دولة أخرى في اليمن، وكان أكثر ملوكها مشاركين في العلم والأدب فبنوا المدارس وجلبوا العلماء والمدرسين ووقفوا الأوقاف العظيمة عليها، كما جمعوا نفائس الكتب بل ألفوا الكثير منها في فنون مختلفة، وفي عصرهم ازدهر التصوف وشجع بعضهم أتباع ابن عربي أصحاب وحدة الوجود.

وبالجمله فقد كانت هذه الدولة مفخرة من مفاخر اليمن في جوانب كثيرة، كما كانت فاتحة شر كبير في جوانب أخرى، ومن أهمها فتح الباب أمام التصوف المنحرف الفلسفي تصوف أصحاب وحدة الوجود الذي ما تزال آثاره ظاهرة إلى هذا التاريخ وإن أفل نجمه وذهبت دولته، كما أنهم رسخوا القبورية في اليمن من خلال قبور سلاطينهم وتبنيهم لبناء بعض المشاهد على قبور بعض من يعتقدون فيه الصلاح، هذه هي الدولة الرسولية.

وإليك لمحة عن بعض قبور الدولة الرسولية:

## قبور الدولة الرسولية:

- ١) الملك نور الدين عمر بن علي بن رسول المتوفى (٦٤٧هـ) <sup>١</sup> دفن في المدرسة الأتابكية في ذي هزيم في مدينة تعز بعد أن نقلوه إليها من الجند <sup>٢</sup>.
- ٢) الملك الأشرف عمر بن المظفر المتوفى (٦٩٦هـ) <sup>٣</sup> ودفن في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز <sup>٤</sup>.
- ٣) الناصر بن الأشرف المتوفى (٧٢٥هـ) <sup>٥</sup> ودفن في المدرسة الأشرفية مدرسة والده <sup>٦</sup>.
- ٤) الملك المجاهد المتوفى (٧٦٤هـ) <sup>٧</sup> ودفن في مدرسته المجاهدية بتعز <sup>٨</sup>.
- ٥) الملك الأفضل بن المجاهد المتوفى (٧٧٨هـ) <sup>٩</sup> وحمل من زبيد إلى تعز ودفن في مدرسته الأفضلية <sup>١٠</sup>.
- ٦) الملك الأشرف بن الأفضل المتوفى (٧٨٣هـ) <sup>١١</sup> ودفن بمدرسته الأشرفية بتعز <sup>١٢</sup>.
- ٧) الملك الناصر بن الأشرف المتوفى (٨٧٨هـ) <sup>١٣</sup> ودفن في مدرسة والده الأشرفية <sup>١٤</sup>.

---

١ انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (٥١/١) تأليف علي بن الحسن الخزرجي تحقيق محمد بن علي الأكوخ طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ورقة العيون ص (٢٩٩).

٢ العقود اللؤلؤية (٨٢/١).

٣ انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (٢٣٩/١) ورقة العيون ص (٣٣٧).

٤ المفضل المزيد ص (٩٤).

٥ انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (١٣/٢) ورقة العيون ص (٣٤٩).

٦ المفضل المزيد ص (٩٦).

٧

٩ انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (١١١/٢) ورقة العيون ص (٣٦٨).

١٠ المفضل المزيد ص (١٠٢).

١١ انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية (١٤١/٢) ورقة العيون ص (٣٧٦).

١٢ المفضل المزيد ص (١٠٤).

١٣ المصدر السابق ص (١٠٤).

١٤ المصدر السابق ص (١٠٨).

٨) الملك المنصور بن الناصر بن الأشرف المتوفى (٨٣٠ هـ) <sup>١</sup> ودفن بمدرسة جده الأشرفية، وقد كان موته بمدينة زيد فُحمل إلى تعز <sup>٢</sup>.

٩) الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل المتوفى (٨٤٢ هـ) <sup>٣</sup> ودفن في مدرسته الظاهرية <sup>٤</sup> بمدينة تعز.  
١٠) الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى المتوفى (٨٤٥ هـ) <sup>٥</sup> ودفن عند والده بالمدرسة الظاهرية بمدينة تعز <sup>٦</sup>.

هؤلاء الملوك الذين وقفت على التصريح بدفنهم في المدارس التي بنوها، ولا يبعد أن يكون غيرهم من الأمراء ومن الملوك الذين ولّوا ولايات قصيرة أو خرجوا على الملوك الرسميين أن يكونوا كذلك قد دفنوا في مدارس أو مشاهد، بل لا يبعد أن تكون نساؤهم كذلك وقد وقفت على تصريح  
بواحدة منهن.

انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية (١١٣/٢) وقرّة العيون ص (٣٤٩).

(١١) قال ابن الديبع: وفي

٨ الفضل المزيد ص (٩٨)

السنة المذكورة (٨٣٦ هـ)

توفيت أم السلطان الحرة

الطاهرة، أم الملوك جهة الطواشي، جمال الدين فرحان بمدينة زيد في الثاني عشر من صفر، ودفنت قريباً من تربة الشيخ طلحة بن عيسى الهتار، وأمر ولدها السلطان الملك الظاهر بإنشاء مدرسة عظيمة على ضريحها ورتب فيها إماماً وخطيباً وأيتاماً ومعلماً لهم وعشرين قارئاً يقرؤون القرآن عند ضريحها عقب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفائتهم. <sup>٧</sup>

(١٢) كما أشار الجندي إلى أن هناك تربية خاصة بخواص وأقارب بني رسول حيث قال في ترجمة مُجّد بن القاضي عمر الهزاز: (وكان المظفر يجله ويعتقد صلاحه وربما زاره سرّاً إلى منزله - إلى أن

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١٠٨).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (١٠٩).

<sup>٣</sup> الفضل المزيد ص (١٠٩).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (١١٣).

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (١١٣-١١٤).

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص (١١٥).

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص (١١١).

قال- وحين بلغت وفاته الملك المظفر كتب إلى أولاده سألهم أن يدفنوه في التربة التي هي قبلي  
جامع عدينه، ففعلوا ذلك إذ خواص بني رسول من القرابة والسراري مقبورون فيها)<sup>١</sup> .  
وهذه التربة ربما كانت على غرار ترب الفاطميين والمماليك التي  
سبق ذكرها.

### مساهمة سلاطين الدولة الرسولية في بناء المشاهد على قبور من يعتقدون فيهم الصلاح:

بنى سلاطين الدولة الرسولية المشاهد والقباب على قبور من يعتقدون صلاحهم، ولكن للأسف لم  
نجد النص الصريح على شئ من ذلك إلا على قبر الشيخ أحمد بن علوان، ومشهد أحمد بن علوان  
يوجد بمنطقة يفرس محافظة تعز، وهو معاصر للملكين عمر بن علي بن رسول وابنه المظفر، ويعد من  
أكابر أقطاب الصوفية في اليمن، عمّر مشهده وأول من عمّره الملك المظفر ذكر ذلك صاحب  
الأضرحة، ولم يحدد التاريخ الذي جرى فيه البناء، كما أن المشهد والمسجد المجاور له قد شهد  
توسعة وترميمًا كثيرًا في فترات مختلفة، أهمها على يد السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري كما هو  
مكتوب هناك، وآخرها على يد بعض ولاة الأتراك.

<sup>١</sup> السلوك ( ١١٧ / ٢ ) .

<sup>٢</sup> الأضرحة ص ( ١٢٣ ) وما بعدها .



## المبحث الرابع

### نشأة الصوفية ودورها في نشر القبورية في اليمن

#### وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن:

سبق تعريف الصوفية والتفريق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام وبين التصوف المنحرف، والإيضاح بأن كلامنا إنما هو منصب على التصوف الفلسفي المنحرف، سواء شَعَرَ المتصوفة القائمون به بأصل ذلك التصوف وعرفوا مصادره أم أخذوه تقليداً وثقة بمن قبلهم، فالانحراف هو الانحراف إن أتى على يد خبيث ماكر أو على يد صالح مغفل، وأما الأشخاص أنفسهم وما هي مقاصدهم ونواياهم فذاك شيء مرده إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا، إذا عرفنا هذا التذكير حق لنا أن نشرع في رصد مبدأ هذا التصوف المنحرف ونشأته.

#### رواد التصوف في اليمن:

لعل حضرموت كانت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عرف بالتصوف فيها هو "عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله" حيث ذكر الشاطري في "أدوار التاريخ الحضرمي" أن من شيوخه أبا طالب المكّي، فقد تلقى عنه علم التصوف، وقرأ عليه كتابه "قوت القلوب" ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف. وذلك لما حج سنة (٣٧٧ هـ) <sup>١</sup> غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت، كما سيأتي عند حديثنا عن الفقيه المقدم، وهذا كما نرى من رجال القرن الرابع.

وفي القرن الخامس: يطالعنا اسم الصوفي "سود بن الكميث" المتوفى (٤٣٦ هـ) حيث ترجمه الشرجي في "طبقات الخواص"، وذكر قصة تحوله إلى التصوف، وأنه كان له أصحاب ومريدون، وأنه كان

<sup>١</sup> أدوار التاريخ الحضرمي ص (١٦٢ - ١٦٣).

يجلس معهم في المسجد ويأكل وينام معهم فيه<sup>١</sup>، وهو أشهر من عرف بالتصوف أو من أشهرهم في هذا القرن، مع وجود آخرين أشار إليهم السيد عبدالله الحبشي ولم يبين أسماءهم وذكر أنهم من المناطق المحاذية لتهمامة ومن مدينة تعز<sup>٢</sup>.

**وفي القرن السادس:** اشتهر الصوفي أحمد بن أبي الخير الصياد المتوفى سنة (٥٧٩ هـ) وقد كان رجلاً عادياً من عوام مدينة زبيد، وعلى أثر رؤيا رآها تحول إلى التصوف، وصحب الشيخ إبراهيم الفشلي الآتي ذكره في القرن السابع، قال الشرجي بعد ذكر الرؤيا: (ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف)<sup>٣</sup>.

قلت: ثم اشتهر أمره، وتجمع حوله المريدون وسجلت له الكرامات، ونقلت عنه أقوال ذات قيمة عند أهل التصوف<sup>٤</sup>. والملاحظ أنه في هذا القرن بدأت تتكون جماعات التصوف ويلتفت المريدون حول شيوخهم لا لطلب العلم ولكن لأخذ الفيوضات والبركات وسلوك ذلك الطريق المبتدع، وليس هذا خاصاً بالصياد وحده بل قبله كان لشيخه إبراهيم الفشلي، الذي سيأتي الحديث عنه في القرن السابع.

**القرن السابع:** هذا القرن هو في الحقيقة قرن التصوف ففيه نبتت وترعرعت البذور التي بذرت في القرون الماضية وشهد تحولات كبيرة منها:

١) دخول مدرسة ابن عربي - مدرسة وحدة الوجود - إلى اليمن وكان ذلك على يد رجل غامض مشبوه يقال له "المقدسي"، لا يعرف اسمه الحقيقي ولا شيء من ترجمته<sup>٥</sup>؛ وذلك لشدة حنق الفقهاء وأهل العلم عليه وهجره، بل ومحاولة قتله في قصة طويلة عجيبة تدخل على إثرها

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص (١٥٠-١٥١).

<sup>٢</sup> الصوفية والفقهاء في اليمن ص (١٢) تأليف عبدالله بن محمد الحبشي توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء (١٣٩٦-١٩٧٦).

<sup>٣</sup> طبقات الخواص ص (٦٤-٦٩).

<sup>٤</sup> المصدر السابق.

<sup>٥</sup> قال القاضي إسماعيل الأكوخ في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن طبع مؤسسة الرسالة بيروت مكتبة الجيل الجديد صنعاء ط الثانية (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص (٨٣-٨٤): (لم نعرف اسم المقدسي كاملاً ولا تاريخ قدومه إلى اليمن ولا تاريخ ولادته ووفاته ومكانهما فيما بين أيدينا من المراجع، ولعل ذلك الإهمال كان مقصوداً من المؤرخين نكابة به وتجاهلاً لعلمه ومعرفته لعلم المنطق)، قلت: ليس علمه علم منطق ولكنه الفلسفة الإلحادية.

السلطان وزجر الفقهاء وتوعدهم أشد الوعيد إن هم تعرضوا له ولأصحابه<sup>١</sup>، ولكن هذا الرجل لم يمت إلا وقد غرس تلك النبتة الخبيثة في اليمن، وقد قرر العلامة الأهدل أنه أول من قدم بكتب ابن عربي إلى اليمن.<sup>٢</sup>

كما ظهر هذا القول كذلك في هذا القرن لدى أبي الغيث بن جميل الملقب شمس الشمس المتوفى سنة (٦٥١هـ) وألف في ذلك كتاباً<sup>٣</sup>، ولدى معاصره أحمد بن علوان وله في ذلك عدة كتب منها: "البحر المشكل الغريب" و"الفتوح المصونة والأسرار المخزونة" و"التوحيد الأعظم".

وقد ذكر مترجمو الرجلين أن لهما مكاتبة تشهد بمدى ما وصلا إليه من التبجح والدعوى التي عرف بها أهل تلك النحلة، قال الشرحي في ترجمة أبي الغيث: (وكتب إليه الشيخ أحمد المذكور "ابن علوان" مرة من بلده كتاباً يقول فيه: أما بعد . فإني أخبرك أني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حتى انتهيت مراتب الإبداع

**لا باسم ليلى أستعين على السرى كلاً ولا لئلى تقبل هرايمى**

فأجابه الشيخ أبو الغيث بكتاب يقول فيه: من الفقير إلى الله تعالى أبي الغيث بن جميل غديّ نعمة الله تعالى في محل الحضرة، أما بعد فإني أخبرك أني:

**(٣) تجلّى لي الاسم القديم باسمه فاشتت الأسماء من أسمائي**

**وحباني الملك المهيمن وارتنى فالأرض أرضي والسماء سماي .**

<sup>١</sup> السلوك (١١١/٢ - ١١٣) .

<sup>٢</sup> كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين ص(٢١٧) للعلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل طبع تونس . (١٩٦٤ م) .

<sup>٣</sup> أنكر العلامة الأهدل أن يكون هذا الكتاب للشيخ أبي الغيث وذلك لأنه أمي ، ولكن السيد عبدالله الحبشي رد عليه في ذلك وأثبت أن الكتاب تأليف ابن جميل . انظر : الصوفية والفقهاء (ص ٧١ - ٧٢) .

<sup>٤</sup> الصوفية والفقهاء ص(٧٢) .

<sup>٥</sup> طبقات الخواص ص (٤٠٩ - ٤١٠) .

قال الحبشي: (وبهذين الرجلين - أبي الغيث وابن علوان - قامت مدرسة الفلسفة الصوفية في اليمن، إلا أن قريهما المباشر من عصر ابن عربي لم يجعلهما يستفيدان من كتاباته الخاصة، وإنما كان ذلك من خلال المشرب الذوقي الذي عُرِفَتْ به تعاليم هذه المدرسة، وهم ينهلون جميعاً من الاتجاه الذي سار عليه أسلافهم من دعواهم في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية)<sup>١</sup>.

(٢) في هذا القرن دخلت الطرق الصوفية من الخارج، ونشأت الطرق الصوفية المحلية، وإليك لمحة عن أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن في هذا القرن في المطلب التالي.

### المطلب الثاني: أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن: الطرق الوافدة:

(١) **الطريقة القادرية:** وهي أول وأشهر الطرق الصوفية في اليمن، وقد أعاد الحبشي أول لقاء لليمنيين بهذه الطريقة وشيخها إلى سنة (٥٦١ هـ)، وهي سنة وفاة الشيخ الجيلاني - رحمه الله - حيث لقيه اثنان من اليمنيين في موسم الحج، وهما الشيخ "علي بن عبدالرحمن الحداد" والشيخ "عبدالله الأسدي"، أما الأول فالتقى به صدفة عند الكعبة، وأما الثاني فقد سافر خصيصاً للقاء الشيخ عبدالقادر عندما علم بأنه ناول على الحج تلك السنة، فالتقى به في عرفات. ولم يوضّح ما هو دور الرجلين في نشر الطريقة القادرية في اليمن؟ ولكن من بين من ذكر أنهم أخذوا الطريقة القادرية من صوفية اليمن "أحمد بن أبي الجعد" ووفاته ببضع وسبعين وسبعمائة<sup>٢</sup>، (وأبو بكر بن مُجَدِّد بن أبي حرب) وفاته (٧٩٤ هـ)<sup>٣</sup> وبهذا نقطع أن هذه الطريقة دخلت اليمن في القرن السابع وربما قبله بقليل.

(٢) **الطريقة المَدِينِيَّة:** المنسوبة إلى الصوفي المغربي الشهير "شعيب أبي مدين التلمساني"، وهذا الصوفي قد صدر طريقته إلى اليمن عن طريق مكة عبر تلميذه عبدالرحمن المقعد، ولكن المقعد مات في الطريق فوكل إيصالها إلى رجل آخر هو "عبدالله الصالح المغربي" الذي وصل إلى تريم، وإلى من سماه أبو مدين ووصفه الفقيه المقدم - مُجَدِّد بن علي باعلوي - المتوفى سنة (٦٥٣ هـ)، فدخل خلصة إليه وهو في حلقة شيخه الفقيه "علي بن مُجَدِّد بامروان" فغمزه وأخذه من بين يدي شيخه فأبلغه الرسالة وحكّمه وألبسه لباس الصوفية،

<sup>١</sup> الصوفية والفقهاء ص (٧٣)

<sup>٢</sup> طبقات الخواص ص (٧٢ - ٧٤) .

<sup>٣</sup> الطبقات الخواص ص (٣٨٠ - ٣٨١) .

فعاد إلى شيخه وهو كذلك فغضب عليه شيخه وزجره وظل مقاطعاً له حتى مات " رحمه الله " ، ثم ذهب إلى قيدون فلقي الشيخ " سعيد بن عيسى العمودي " المتوفى سنة ( ٦٧١ هـ ) فحكّمه كذلك وأدخله في عداد الصوفية، ولقي في دوعن كذلك " باعمر " صاحب عورة وألحقه بالجماعة، ثم توجه إلى ميفعة ولقي الشيخ عبدالله باحمران فحكّمه كذلك وألحقه بهم، واستقر في ميفعة حتى مات، وعند موته قسم تركته بين تلاميذه وأشار إليهم بأن هناك علامة على من يكون شيخهم وهو أن يقع من نصيبه السبحة فوعدت من نصيب الفقيه المقدم، وبذلك أصبح شيخ صوفية حضرموت وشيخ الطريقة المدينية بها، وعند وفاته نصّب زوجته أم المساكين في منصب شيخ الصوفية بحضرموت <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> انظر : قصة إرسال أبي مدين إلى حضرموت في ( الجواهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف ) تأليف عبد الرحمن الخطيب الأنصاري وهو مخطوط ، ولدي نسخة مصورة منه ( ٨١/١ - ٨٢ ) في الحكاية السابعة والعشرين وفي المشرع الروي ( ٢ / ٤ - ٥ ) ، وحتى لا يظن أحد أنني بالغت في تعبيري أو طعنت في ( عبد الله الصالح المغربي - ومرسله أبي مدين - أو في الفقيه المقدم ) ، أسوق قصتهم بحروفها من الجواهر الشفاف لعبد الرحمن الخطيب حيث قال : ( الحكاية السابعة والعشرون: روى المشايخ رحمهم الله أنه قيل لشيخ شيوخنا الشيخ الفقيه رحمهم الله محمد بن علي رحمهم الله : إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشيخ عبدالرحمن المقعد ، وكان الشيخ عبدالرحمن المقعد رحمهم الله ، إذ ذاك بمكة - حرسها الله تعالى - فسار الفقيه شيخ شيوخنا = = فاصداً نحوه ، فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع إلى بلده ، وكان الشيخ عبدالرحمن المذكور رحمهم الله من كبار تلامذة الشيخ الكبير خاص الخواص أبي مدين رحمهم الله ، وكان شيخه أبو مدين رحمهم الله قد أمره بالسفر إلى حضرموت ، وقال له: إن لنا فيها أصحاب سر إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقه أو كما قال ، و قال له : ولكنك لاتصل إليهم بل تموت في أثناء الطريق ونرسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك ، فسار الشيخ عبدالرحمن طالباً حضرموت ، فلما بلغ في أثناء الطريق حضرته الوفاة فأحضر تلميذه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبدالله الصالح المغربي - وكان من أولاد ملوك المغرب فأثر سلوك هذه الطريقة ففتح له وكان من كبار تلامذته ولهما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفائقة - وأمره بالمسير إلى حضرموت وقال له ما قال له الشيخ أبو مدين رحمهم الله ، وفي رواية أنه قال له أيضاً : اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه رحمهم الله محمد بن علي أبو علوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مروان يستقي يعني يأخذ منه العلم ، طارح سلاحه فوق رجليه ، فاغمزه من عند الفقيه وحكّمه ، واذهب إلى قيدون تجد فيها الشيخ سعيد بن عيسى فحكّمه ، قال الشيخ عبدالله : فلما وصلت إلى تريم وجدت الفقيه رحمهم الله محمد بن علي كما قال الشيخ عبدالرحمن فغمزته وحكّمته - و ما شاور أبا مروان - فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقه اغتاط عليه وقال له : رجوناك إماماً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي الصوفية أو كما قال ، فقال له الفقيه رحمهم الله محمد بن علي رحمهم الله : الفقر خير . وهجره أبو مروان إلى أن توفي وستأتي حكايتهما في ذلك إن شاء الله تعالى ، فسار الشيخ عبدالله فلما وصل إلى حضرموت اجتمع بشيخ شيوخنا الفقيه رحمهم الله محمد بن علي رحمهم الله وقال له الشيخ عبدالله : أي لؤلؤة عجماء لو ثقت ، فقال الشيخ رحمهم الله محمد ، وما الثقب

٣) **الطريقة الرفاعية:** المنسوبة إلى أحمد بن علي الرفاعي المتوفى (٥٧٨هـ)، وقد دخلت اليمن على يد عمر بن عبدالرحمن بن حسان القدسي المتوفى سنة (٦٨٨هـ) وكان الشيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعي وهو نجم الدين الأخضر، فأخذ عنه الخرقه الرفاعية، وترى بين يديه تربية صوفية، فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقه الرفاعية هنالك، وفي اليمن اجتمع القدسي ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الهمداني وغيره، ويقول الشرجي: أنه (تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن في اليمن وابتنى عدة ربط بعد أن شهر الخرقه الرفاعية، وانتشرت عنه انتشاراً كبيراً لاسيما في مخالاف جعفر) <sup>١</sup>.

٤) **الطريقة الشاذلية:** نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة (٦٥٦هـ)، وقد انتقلت هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ علي بن عمر بن دعسين الشاذلي الذي كان من أوائل المؤسسين في اليمن <sup>٢</sup>.

---

قال: التحكيم ، فانخلع الشيخ مُجَّد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم ،وتحكّم للشيخ عبدالله ولبس منه الخرقه ، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ورغب في صحبة الصوفية ، قالوا ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعوات ( الأولى ) بذل النفوس ولا يعودون إلى العمومية أي لا يزالون على زي الفقهاء ( الثانية ) أن لا يسلط الله تعالى عليهم ظالماً يؤذيهم ( الثالثة ) أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مستور في دنياه - أي لا تكون به حاجة تضر بدينه - قالوا : فقبلهن الله تعالى ، فما يموت أحد منهم إلا وهو بتلك الصفة ، ولم يسلط الله تعالى عليهم بعد ذلك ظالماً أبداً ببركة دعوة الشيخ لهم ﷺ ) . الجوهر الشفاف ( ١ / ٨١ - ٨٣ ) .

وكذلك قال الشلي في المشرع : ( فلما رآه شيخه علي بامروان تغير عما كان قال له : أذهبت نورك وقد رجونا أن تكون كابن فورك واخترت طريق التصوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر ، فقال الأستاذ : الفقر فخري وبه أفتخر ، وبه على النفس والشيطان أنتصر ، ولا أتباعد عنكم إعراضاً ، ولا تبدلت بكم معراضاً . وهجره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجر ، ورأى أنه أعظم من الزجر ، واستمر مهاجراً له إلى أن مات . ) المشرع الروي ( ١ / ٢ - ٥ ) ، وفي هجر الإمام بامروان للفقيه المقدم دليل على أن أهل حضرموت كانوا على منهج الكتاب والسنة ، وأنهم لم يعرفوا ذلك الانحراف الصوفي إلى أن قدم ذلك المغربي بالتصوف وأخذه عنه الفقيه المقدم ، ولكن منذ ذلك التاريخ استفحل الشر وانحرف الأكثر بتأثير ذلك الفقيه وأتباعه من أبنائه وفقرائه واللائذين بهم ممن ينسبون إلى الفقه والعلم ، بعد أن ضعف الفقه وقل العلم ، ومازال التصوف يفسد العلم ينقص حتى أظلم الكون ، وعم الانحراف ، وظهرت الدعاوى والرسوم ، وزالت الحقائق ، وأصبح من النادر وجود فقيه متضلّع مدرك للأدلة ومذاهب العلماء قادر على الترجيح والاختيار ، أما علم التفسير والحديث فلم يبق لهما أثر ، وسيأتي في الباب الثاني مزيد بيان لهذه القضية .

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص ( ٢٤٥ ) والصوفية والفقهاء ص ( ٣٦ ) .

<sup>٢</sup> انظر الصوفية والفقهاء ص ( ٣٥ )

٥) الطريقة السهروردية: نسبة إلى الشيخ عمر بن مُجَّد السهروردي المتوفى سنة (٦٣١هـ) ذكرها العيدروس في الجزء اللطيف وذكر أن من أتباعها في اليمن إسماعيل الجبرتي والعلوي<sup>١</sup>.

الطرق المحلية: أهم الطرق المحلية التي نشأت في هذا القرن:

١) الطريقة العلوية: المنسوبة إلى الفقيه مُجَّد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم الذي سبق ذكره آنفاً في الطريقة المدينية.

٢) الطريقة الأهدلية: نسبة إلى الشيخ علي بن عمر الأهدل المتوفى سنة نيف وستمائة، وهو أخذها في الأصل عن رجل من أصحاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني يسمى الأحوري وقد (كثر أصحابه وأتباعه وتخرج به جماعة ممن شهر، وذكر منهم الشيخ أبو الغيث بن جميل وأحمد بن أبي الجعد)<sup>٢</sup>.

٣) الطريقة العلوانية: نسبة إلى الشيخ أحمد بن علوان صاحب يَفْرَس<sup>٣</sup>.

### السمع الصوفي:

وفي هذا القرن " السابع " فشى وانتشر السماع الصوفي، وهو إنشاد الأشعار في المساجد ومواطن العبادة بقصد التقرب إلى الله تعالى، واعتبار ذلك من ضمن الوسائل التي تقرب إليه وتزكي النفس وتسمو بالروح، سواء حصل معها عزف بالمعازف المعروفة كالدفّ والشبّابة ونحوها أو لم يحصل، وفي كثير من الأحيان يصحب ذلك رقص وتمايل وطرب زائد، وربما وصل إلى السكر والإغماء وفقدان الشعور، وكل ذلك تُعطى له المسوّغات، ويُوصّل له بما يظهره وكأنه من أعظم القرب وأفضل الشعائر في العرف الصوفي، وكان من رواده في هذا القرن، الشيخ أبو الغيث بن جميل، والشيخ أحمد ابن علوان، والشيخ مُجَّد بن أبي بكر العواجي، والشيخ مُجَّد بن عيسى الزيلعي<sup>٤</sup>، والشيخ سفيان الأبيني وغيرهم<sup>٥</sup> وسيأتي مزيد من الحديث عن السماع في الباب الثاني إن شاء الله.

<sup>١</sup> انظر الجزء اللطيف ص ( ٢٣ ) ضمن المجموعة العيدروسية .

<sup>٢</sup> طبقات الخواص ص ( ١٩٥ - ١٩٨ ) .

<sup>٣</sup> مقدمة كتاب الفتوح للشيخ أحمد بن علوان تحقيق عبد العزيز سلطان طاهر المنسوب طبع دار الفكر المعاصر ط الأولى ( ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ) بيروت لبنان .

<sup>٤</sup> الصوفية والفقهاء ص ( ٣٢ ) .

<sup>٥</sup> طبقات الخواص ص ( ١٤٧ ) .

## الشطح الصوفي:

### تعريف الشطح:

عرّفه المناوي بقوله: (كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى، ولا يرتضيه أهل الطريق من قائله وإن كان محقاً) <sup>١</sup>، وفي قوله لا يرتضيه أهل الطريق نظر؛ لأن الواقع أن أعظم من يعتبرهم الصوفية أهل الطريقة أو أهل الحقيقة هم أهل الشطح بل المبالغون فيه، بل في كثير من الأحيان نجد أعظمهم شطحاً أرفعهم رتبة، ثم كيف لا يرتضونه وهم ينقلونه عن أولئك الشاطحين باعتباره من جواهر كلامهم ودرر أفاضهم وخوارق كراماتهم، بل ربما أثبتوا به بعض ما يقررون من القضايا .

لاشكّ أنهم يرتضونه وإنما يتظاهرون أمام الآخرين بعدم ارتضائه أو بتأويله .

وكذلك قوله (وإن كان محقاً) الغالب في الدعاوى والشطح ألا يكون محقاً، ومن تتبع تلك الشطحات عرف ذلك، والحق في هذه القضية أن أقصى ما يمكن فعله هو التماس العذر للشاطح بأنه قال ذلك في حال سُكْرٍ وغيوبة، ومن كان هذا شأنه فإنه جدير أن يدرج في طبقات المجانين لا في طبقات الأولياء .

وقد نُقلَ شطح كثير عن صوفية هذا القرن كان كالمدخل لأصحاب الدعاوى والباحثين عن الشهرة والمنزلة عند عوام الناس، يتوسعون فيه ما شاء لهم هواهم واستخفافهم بحدود الشرع وعظمة الحق وعقول الخلق .

ومن الصوفية الذين سجّلوا السبق في الشطح من أهل هذا القرن أحمد بن علوان، وأبو الغيث بن جميل في قصتهما الشهيرة ومفاخرتهما التي ساقها معظم من ترجمَ لهما وقد سبق ذكرها <sup>٢</sup> . والفقير المقدم محمد بن علي باعلوي وهو من أعظمهم في ذلك <sup>٣</sup> . والشيخ أحمد بن أبي الجعد الأبيني <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> التوقيف على مهمات التعاريف ص ( ٤٢٩ - ٤٣٠ )

<sup>٢</sup> انظر (ص ٢٢٢) .

<sup>٣</sup> انظر بعضاً من شطحه في : الجوهر الشفاف ( ١ / ٣٥ ) وما بعدها والغرر ص ( ١٤٧ ) والمشرع ( ٩ / ٢ ) .



## انتشار التصوف في عموم اليمن:

وفي هذا القرن انتشر التصوف في عموم مناطق اليمن، وظهر في كل منطقة قطب من أقطابهم الذين لا يزال تأثيرهم وتعلق الناس بهم قائماً إلى اليوم، وأكثر المناطق قبولاً للتصوف في هذه الفترة تامة، فقد ظهر في شمالها صاحباً عواجه مُجَّد بن حسين البجلي (٦٢١ هـ) <sup>٢</sup>، ومُجَّد بن أبي بكر الحكمي (٦١٧ هـ) <sup>٣</sup> وفي المراوعة ظهر علي بن عمر الأهدل (نيف وستمائة) <sup>٤</sup> وفي بيت عطاء أبو الغيث بن جميل (٦٥١ هـ) <sup>٥</sup>، وفي بيت الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (٦٩٦ هـ) <sup>٦</sup>، وفي الترية قرب زيد عيسى بن إقبال الهنار (٦٠٦ هـ) <sup>٧</sup>، فهؤلاء ستة من كبار الصوفية كلهم من تامة، وفي محافظة تعز أحمد بن علوان (٦٥٥ هـ) <sup>٨</sup>، وفي لحج سفيان بن عبدالله الأبيني (وفاته القرن السابع) <sup>٩</sup>، وفي أبين أحمد بن أبي الجعد الأبيني (٦٩٠ هـ) <sup>١٠</sup>، وفي عدن جوهر بن عبدالله الصوفي سنة (٦١٦ هـ) <sup>١١</sup>، وفي محافظة شبوة مُجَّد بن عبدالله بامعبد كان حياً سنة (٦٨٠ هـ) <sup>١٢</sup>، وفي حضرموت -دوعن- سعيد بن عيسى العمودي (٦٧١ هـ) <sup>١٣</sup> وفي تريم الفقيه المقدم مُجَّد بن علي باعلوي (٦٥٣ هـ) <sup>١٤</sup>، ورغم عدم الاستقصاء فإنك ترى أن معظم ديار الشافعية في اليمن قد عمَّها التصوف في هذا القرن.

<sup>١</sup> امرأة الجنان (٤/ ٣٤٩ - ٣٥٠) .

<sup>٢</sup> انظر ترجمته في طبقات الخواص ص (٢٦٧) .

<sup>٣</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٢٦٤) .

<sup>٤</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (١٩٥) .

<sup>٥</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٤٠٦) .

<sup>٦</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٧٥) ، و امرأة الجنان (٤/ ٣٩٥) .

<sup>٧</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٢٤٩) ، و امرأة الجنان (٤/ ٤٥٨) .

<sup>٨</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٦٩) ، و امرأة الجنان (٤/ ٣٥٧) .

<sup>٩</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (١٤٦) ، و امرأة الجنان (٤/ ٣٤٨) .

<sup>١٠</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٧٢) ، و امرأة الجنان (٤/ ٣٧١) .

<sup>١١</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (١٢٠) و امرأة الجنان (٤/ ٣٤٧) .

<sup>١٢</sup> إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت للسيد عبدا لرحمن بن عبيد الله السقاف منشور في مجلة العرب العدد (١٥) .

<sup>١٣</sup> القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبار جمعه عبدالله أحمد الناخي مخطوط مصور لدي .

<sup>١٤</sup> الغرر ص (١٤٥) وما بعدها والمشرع (٢/٢) وما بعدها .

## أثر الدولة الرسولية في ترسيخ التصوف وتقويته في اليمن:

في هذا القرن كانت الدولة الرسولية في أوج قوتها وعنفوان شبابها، وكان سلاطينها يدينون بالولاء التام للصوفية؛ لأن الصوفية قد اتخذوا عندهم أيادي جليلة، من أهمها بشاراتهم بالملك واستمراره في أعقابهم، فجددهم عمر بن علي بن رسول بشره جماعة من الصوفية بالملك وقوّوا عزمه عليه<sup>١</sup>. وكذلك وكذلك بشر إبراهيم الفشلي الملك المظفر باستمرار الملك في ذريته حينما نازعه إخوانه على ذلك<sup>٢</sup>. وبهذا حصل الاعتقاد التام في الصوفية لدى ملوك وأمراء بل وساء قصور بني رسول، وبذلك مكّنت الدولة الرسولية للصوفية تمكيناً تاماً، فما من اعتراض من الفقهاء على الصوفية إلا ويقمعه ملوك بني رسول، وما من انحراف يحدثه الصوفية إلا ويتأولونه لهم، وانظر على سبيل المثال قصة النزاع بين الفقهاء وبين أصحاب وحدة الوجود، والتي شرحها وبيّن مراحلها وأحداثها الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه "الصوفية والفقهاء في اليمن"<sup>٣</sup>.

هكذا تكامل نشر الصوفية ورسخت جذورها بل وبسقت وتمت فروعها وآتت ثمارها في هذا القرن، وواصلت التطور والتوسع في القرون اللاحقة<sup>٤</sup>.

## قبورية الصوفية:

سبق الحديث عن نشأة المشاهد وبناء المساجد على القبور في اليمن، وأنها كانت على يد الدولة الصليحية الباطنية، وعلى أيدي السلاطين وبالأخص الأيوبيين والرسوليين ومن جاء بعدهم ومن عاصرهم من أئمة الزيدية، ولم يسجل في ذلك الوقت مشاهد خاصة بالصوفية، ومما يؤكد أنه لم يكن للصوفية مشاهد وقبور شهيرة - يقصدها الناس للتبرك بها وعمل ما يعمله الصوفية المتأخرون عند قبور أوليائهم - خلوة طبقات فقهاء اليمن للجعدي من ذلك تقريباً، وقد كان فراغه منه في آخر القرن السادس في عام (٥٨٦هـ)<sup>٥</sup>، بينما نجد البهاء الجندي قد شحّن كتابه السلوك بذلك، وأكثر

<sup>١</sup> انظر العقود اللؤلؤية ( ١ / ٥٢ ) .

<sup>٢</sup> الصوفية والفقهاء ص ( ٤٧ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق من ص ( ٨٥ ) إلى آخر الكتاب .

<sup>٤</sup> انظر الفصل الرابع عشر من كتاب " التصوف في تهامة " ص ( ١١٧ ) وما بعدها تأليف مُجّد بن أحمد العقيلي ، الطبعة الثانية بدون تاريخ ولا دار طبع .

<sup>٥</sup> مقدمة الكتاب ص ( ل ) .

من ذكر القبور التي تزار ويتبرك بها<sup>١</sup>، وإن لم يذكر أن عليها مشاهد إلا نادراً<sup>٢</sup>، حتى أن القاضي الأكوخ في مقدمته للسلوك تبرّم من ذلك، وأنكره وسجّل كلمة قيمة وملاحظة طيبة عليه.

### بداية الزيارات الحولية:

وفي تراجم رجال هذا القرن تُطالعُ الزيارات الحولية وغير الحولية للقبور وبعض الأماكن الأخرى، ففي ترجمة مُجّد بن ظفر الشميري قال الجندي: (وبلغتُ تربته قاصداً زيارته، وأقمت عندها أياماً، وهو بمسجد وإلى جنبه امرأته، وبركته مازالت قريته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة وقضاء الحوائج التي تطلب من الله، وكثرة النذور لها، وفي ليلة الرغائب من رجب يجتمع عندها خلق ناشر)<sup>٣</sup>.

كما يطالعك في هذا القرن بدايةً اتخاذ اجتماعٍ موسميٍّ لزيارة قبر نبي الله هود على يد الشيخ عبد الله باعباد المعروف بـ "القديم" وذلك بعد جذاذ النخل وتعبئة التمر، وليس على الأشهر القمرية<sup>٤</sup>. وذكر الياضي قصة زيارة الشيخ أحمد بن أبي الجعد وأصحابه والشيخ سعيد بن عيسى العمودي وأصحابه لقبر نبي الله هود عليه السلام وما جرى بينهما مما سيأتي في الباب الثاني<sup>٥</sup>، كما ذكر زيارة الكتيب الأبيض بأبين، ويقال في ذلك المكان قبور بعض الصالحين، وهو كتيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلوم في رجب<sup>٦</sup>، وفيه ذكر مؤرخو حضرموت أن أن الفقيه المقدم مُجّد بن علي باعلوي كان يزور قبر نبي الله هود عليه السلام<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> انظر الجزء الأول الصفحات ( ٣٥٦ ) و ( ٣٩٢ و ٣٩٣ ) و ( ٤٢٣ ) و ( ٤٥٥ ) و ( ٤٦٢ ) ، والجزء الثاني ( ٦٠ و ٦١ ) و ( ٦٢ ) ، ( ٦٥ ) و ( ٨٢ ) و ( ١١٧ ) ، ( ١٨٢ ) و ( ١٨٣ ) و ( ١٨٨ ) و ( ٢٣٠ ) و ( ٢٣٤ ) و ( ٢٤٢ ) و ( ٢٦١ ) و ( ٤٤٧ ) و ( ٤٥٧ ) و ( ٤٥٨ ) .

<sup>٢</sup> انظر : أمثلة ممن أقيم عليه مشهد أو فيه تابوت أو بني على قبره مسجد أو دفن في مسجد في الجزء الثاني ص ( ٢٦٣ ) ( ٤٢٦ ) و ( ٤٨٥ ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٢٦٣/٢ ) و الرغائب : هي الصلاة المبتدعة التي تُصلى في ليلة أول خميس من شهر رجب ، وقوله " خلق ناشر " أي كثير .

<sup>٤</sup> انظر : تاريخ حضرموت ( ٦٩/١ ) .

<sup>٥</sup> انظر ص ( ٢٣٧ ) .

<sup>٦</sup> مرآة الجنان ( ٤ / ٣٥٢-٣٥٤ ) .

<sup>٧</sup> انظر : الفرائد في قيد الأوابد للعلامة عبد الله بن حسن بلفقيه ص ( ٢٥ ) .

وهكذا في هذا القرن تكاملت فصول الصوفية وظهر معظم مقوماتها وعرف أبرز رجالها ثم فشت وترسخت أكثر وأكثر حتى يومنا هذا.

## الباب الثاني

### آثار القبورية

ويشتمل على مدخل وأربعة فصول

#### المدخل

وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين

#### الفصل الأول

عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.

المبحث الثاني: عقيدة الرجعة وإمكان الاجتماع بالنبى ﷺ يقظة.

المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر واللقاء به.

## ال

سبق في الباب التمهيدي تعريف القبرية وأنها(طائفة غلت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائد ضالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم، والتقرب إليهم بأنواع من العبادات حتى صيرتهم أنداداً لله تعالى).

فهذه الطائفة أهم سماتها الغلو وهو مجاوزة الحد في هؤلاء الناس الذين زعمتهم أولياء لله تعالى، مما نتج عنه عقائد ضالة، بعض هذه العقائد شرك وبعضها دون ذلك، وبناءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبور والآثار المنسوبة إلى أولئك الأولياء، وبهذا التعظيم غرست بذور من بذور القبرية في نفوس هؤلاء القبرية ومقلديهم من العوام، مثل الحبة والخوف المتجاوزين حدود الطبيعة الذين أوجبوا التذلل والانكسار أمام هؤلاء الأولياء أحياء وأمواتاً، وحملاً على التقرب إليهم بما لا يُتقرب به إلا إلى الله سبحانه من النذر والذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلا من الله تعالى وهو الدعاء، وبناءً على

كل ذلك نشأت في الأمة أمراض فتاكة مثل السحر والكهانة والدجل والخرافة والتمايز الطبقي وتجهيل الأمة.

من هذا المنطلق سيكون تناولي لآثار القبورية، وهناك آثار كثيرة لن أتكلم عنها لضعف أو خفاء ارتباطها بالقبورية التي حددت معالمها في هذا التعريف، والتي قد يكون لها بواعث أخرى غير الغلو في أصحاب القبور، ومن أمثلة ذلك عقيدة وحدة الوجود وإضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصوفية والسماع الصوفي، فهذه الثلاثة النماذج وغيرها قد يتطلع القارئ لبحثها ودراستها ولكنني لن أخوض فيها لخروجها عما رسمته وحددته لنفسني، ولضيق المساحة المحددة لهذا البحث.

## الفصل الأول

### عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف القطب:

قال الجرجاني في تعريف القطب: (وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها).<sup>١</sup>

<sup>١</sup> التعريفات ص (١٧٧ - ١٧٨).



هذا هو القطب، وهو مأخوذ عن الإسماعيلية كما سبق عن ابن خلدون، والإسماعيلية أخذته عن الفلاسفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة.

المطلب الثاني: اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:

ما اشتمل عليه تعريف القطب السابق هو ما اعتقده صوفية اليمن ودانوا به، يقول اليافعي: بعد أن ذكر حديث الأبدال الموضوع: ((وله واحد قلبه على قلب إسرافيل)) قال: (والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب، وهو الغوث ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم)<sup>٢</sup>.

وقال الحداد: (والقطب الغوث هو: إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم).<sup>٣</sup>

وتلك الصفات التي يتحلى بها القطب قد أسبغها قبورية اليمن على أوليائهم، وبهذا وصف الشيخ علي الأهدل صاحبي عواجة البجلي والحكمي فقال أثناء حكاية ساقها الشرجي عن اليافعي في

---

<sup>١</sup> هو المؤرخ المشهور وواضع علم الاجتماع عبد الرحمن بن مُجَّد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي توفي سنة ( ٨٠٨ هـ ) اشتهر بالتاريخ الذي سماه العبر وديوان المبتدئ والخبر ومقدمته التي تعد من أصول علم الاجتماع ، ترجم نفسه في آخر التاريخ وترجمه الكثير من الباحثين ، انظر ترجمته في آخر كتاب التاريخ ( ٣٦٥/٧ ) وما بعده ، والضوء اللامع للسخاوي ( ١٤٥/٤ ) ، الأعلام للزركلي ( ٣٣٠/٣ ) ، انظر : مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي .

<sup>٢</sup> عبد الله بن أسعد اليافعي توفي سنة ( ٧٨٦ هـ ) أحد أقطاب صوفية اليمن فقيه مؤرخ صاحب كتاب روض الرياحين في ذكر حكايات الأولياء والصالحين ومراة الجنان في التاريخ، انظر : طبقات الخواص ص ( ١٦٢ ) ، البدر الطالع ( ٣٧٨/١ ) .

<sup>٣</sup> روض الرياحين في حكايات الصالحين ص ( ١٦ ) تأليف عبد الله بن أسعد اليافعي ، وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

<sup>٤</sup> النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص (١٤٨) لعبدالله بن علوي الحداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى(١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

بعض مصنفاته: (يا أبا الغيث هذان في مقام التولية والعزل، يوليان ويعزلان ويميتان ويحييان بإذن الله تعالى وسوف أرثهما وترثني أنت) <sup>١</sup>.

وبذلك وصف محمد بن أحمد باجر فيل الدوعني أبابكر العيدروس حينما استقره محمد بن عمر بجرق عن تصرفات مالية تصرفها العيدروس على غير الوجه الشرعي فقال: (أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً) <sup>٢</sup>.

ووصف بها الشيخ عبدالرحمن السقاف، قال عبدالرحمن الخطيب: (الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السقاف رحمته الله عن عبدالرحيم بن علي الخطيب - رحمه الله تعالى - قال: كنت يوماً في مجلس شيخنا الشيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - فتكلم الشيخ في الشيخ أبي الغيث بن جميل اليميني <sup>٣</sup> ثم قال في أثناء مدحه: أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مذهبك أخبرنا إيش مذهبك أنت شافعي أم مالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: (لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له: (فإيش أنت فقال: جنداري من جنادة السلطان، ثم سكت الشيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقال بأعلى صوته: أنا جنداري من جنادة السلطان، قال عبدالرحيم ثم بعد ذلك بأيام قلت للشيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - : وما جنداري السلطان، فقال: ما هذا معناه، هو الذي يدخل على السلطان من غير إذن ولا عليه حجاب، ويأمر

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص ( ٢٦٦ ) .

<sup>٢</sup> مواهب القديوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص ( ١٤ ) .

<sup>٣</sup> توفي سنة (٦٥١هـ) انظر هجر العلم ( ٢١٩/١ ) ، السلوك ( ١٨٤/١ ) .

وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلداً أو مكاناً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الديار والمكان أمر لا أمير ولا وزير ولا غيرهما، بل الأمر أمر الجنداري والحكم حكمه ما شاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...<sup>١</sup>.

قلت: وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجوهر فيها تأكيد وشواهد على ما تضمنته هذه الحكاية من اعتقاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصرف التام والتولية والعزل. وإليك نص حكاية منها، وهي الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة عن عمر الحضار بن عبدالرحمن السقاف<sup>٢</sup> قال: (كنت نائماً أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله ﷺ) قال: فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله فرفعت رأسي فقال: ما أجراك تنام هنا وبطن أبيك ملانة كرعان<sup>٣</sup> [كم واحد قال سلبه ثم ولي عني ولم أعرفه فسأل الشيخ عمر رضي الله عنه عن معنى قول الرجل بطن أبيك ملانة كرعان] فقال أخذ الخلق كلهم في بطنه يولي من يشاء ويعزل من يشاء رضي الله تعالى عنه<sup>٤</sup>.

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية (فقال: إني صاحب الوقت وأتصرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلدكم تريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الباشا بأن يقوم؟ وكان جالساً في الحرم فبمجرد قوله ذلك

<sup>١</sup> الجوهر الشفاف (٨٢-٨١/١).

<sup>٢</sup> تقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت توفي سنة (٨٣٣هـ) انظر الغرر ص (١٩٢)، المشرع (٢٤١/٢).

<sup>٣</sup> هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص (٩٨٠).

<sup>٤</sup> ما بين القوسين من الحاشية معلم عليه أنه ساقط من الأصل.

<sup>٥</sup> الجوهر الشفاف (٨٠/٢).

قام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قاربوا الخروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطوف؟ فبمجرد ذلك رجع هو وأتباعه وطافوا، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الشريف عبدالمطلب بأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بأعلى صوته يقول لكم الشريف عبدالمطلب لايمتنع أحد من الخمسة الديواني).<sup>١</sup>

فانظر إلى هذا الذي إن صدق النقل عنه فهو ساحر كيف يدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية وأنه يتصرف حتى في قلوب الناس ومقاصدهم ويحملهم على فعل ما يشاء دون اختيار منهم، وكيف يقص هذا العالم القدوة من علماء صوفية حضرموت لأتباعه ومريديه هذه القصة مسلماً بها مريداً منهم أن يصدقوها ويعتدوها، أليس هذا هو التطبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟

### المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب:

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوض من قبل الله تعالى في التصرف في الكون، وربما أطلقوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)، والمعنى: أن يكون القطب خليفة الله تعالى في تصريف الكون. ولمعرفة ما يشمله ذلك التفويض لدى القوم نذكر بعض النصوص من كتبهم تبين سعة ذلك التفويض وشموليته من حيث الزمان والمكان ومن حيث الدنيا والآخرة.

نقل السيد علي بن محمد الحبشي<sup>٢</sup> -أحد أقطاب حضرموت- على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبد العزيز الدباغ قوله: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني)،

<sup>١</sup> تذكير الناس ص (٢١٦)

<sup>٢</sup> أنظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٢ / ٦١٩).

<sup>٣</sup> علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي صاحب سيون ومنشئ رباط العلم بها المسمى باسمه "رباط الحبشي" من أشهر علماء زمانه ومرري جيله تتلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلماء والأدباء غير أنه مع علمه قد نقل

وكان يقول لمريده: (إن كنت تعتقد أن البس في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقول: (انظر إلى هذا الفناء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد) .<sup>١</sup>

فانظر إلى هذه الدعوى التي شملت التصرف في الدنيا والآخرة وجميع أقطار الأرض وجميع العوالم من عالم المحور العين إلى عالم البس والفأر .

وإليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم وهم القطب الرباني الشيخ عبدالقادر الجيلاني والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي وحيوة بن قيس) ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خرد باعلوي صاحب الغرر:

تصرف شيخ في الوجود معظم<sup>٢</sup> على السادة الأشياخ أهل المعارف

على السيد الشيخ الفتي عبد قادر ومعروف الكرخي منج لتالف

وقيس<sup>٣</sup> عقيل المنبجي وشيخنا لتصرفه لا يصرفون الصارف

عنه من الخرافات والهديان مالا مزيد عليه وذلك ما حواه كتاب كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف وهو أيضاً صاحب زيارة الحول المشهورة بمضرموت توفي رحمة الله سنة ( ١٣١٢ هـ ) انظر تاريخ الشعراء الحضرميين ( ١٢٨/٤ ) تأليف المؤرخ عبدالله بن محمد السقاف الناشر مكتبة المعارف الطبعة الثالثة سنة ( ١٤١٨ هـ ) الطائف ، ولوامع النور ( ١٩٧/١ ) .

<sup>١</sup> كنوز السعادة الأبدية ص ( ١٧٩ ) الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحداد .

<sup>٢</sup> صاحب غرر البهاء الضوي توفي سنة ( ٧٦٠ هـ ) انظر ترجمته في الغرر ص ( ٣-١١ ) ، وتاريخ الشعراء الحضرميين ( ١٤٢/١ ) .

## وتصريفهم في كل شيء محقق سوى في جمال الدين عين لواقف<sup>١</sup>

وتأكيداً لذلك تجدهم في الحضرات وبعض الموالد ينشدون إلى اليوم:

ربي اسألك باسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم

ويقول صاحب شرح العينية: (وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صلينا على جنازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا عليها)<sup>٢</sup>، فانظر الشمول الزماني لهذا التصريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأتموج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: (فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه)<sup>٣</sup>

وفي مناقب عبدالرحمن السقاف يقول محمد بن علي خرد: (ومنها ما روي عن السيد عبدالرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال كنت في عدن، وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل، إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له يافقيه: أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: (هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءً قبل ذلك دللناك عليه فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبدالرحمن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزييله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله، ثم والله

<sup>١</sup> المشرع الروي ( ٢ / ٦ - ٧ ) ، وقال بعد أبيات ( قوله : وقيس صوابه حياة ) .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٦١ ) نظم عبدالله بن علوي الحداد تأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي باعلوي طبع مطبعة كرجاي المحدودة سنغافورة ، الطبعة الأولى ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>٣</sup> الأتموج اللطيف في مناقب الغوث للأستاذ الأعظم الفقيه محمد بن علوي باعلوي دفين تربة تريم ص ( ٢١٣ ) مع البرقة المشيقة للسيد علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة ( ١٣٤٧ هـ ) .

ثم والله، إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته، وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته، وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبدالله باقشير، ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبدالله بن الشيخ عبدالرحمن، قال: لما رأى الفقيه عين عبدالرحمن رآها عمياء لكثيبة حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه، فقال عبدالرحمن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي: (أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزيد وأزيد، ﷺ وقع به)، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك وأزيد وأزيد) ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟! .

وهناك مثال عملي للتصرف في الكون مع تأويل له من أحد كبار أقطاب صوفية اليمن: (من عجائب الآيات وغرائب الكرامات ما وقع بين الشيخين العارفين السيفين القاطعين أعني أبا عيسى واسمه سعيد وأحمد ابن أبي الجعد المذكورين، وذلك أنه ورد الشيخ أحمد المذكور في جمع من أصحابه على الشيخ سعيد في وقت جاءوا إلى زيارة القبور الشريفة في حضرموت، فوافقته الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع في هذا الوقت ويזור في وقت آخر، فرجع هو وأصحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على عزمه حتى انتهى إلى مقصده فزار ورجع، والشيخ سعيد مكث أياماً ثم خرج هو وأصحابه إلى الزيارة المذكورة فالتقى الشيخان وأصحابهما في الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد: توجه عليك حق الفقراء في رجوعك

<sup>1</sup> الغرر ص ( ٣٩٨ ) .

فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشيخ أحمد: بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقام الشيخ سعيد وقال: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد: ومن أقعدنا ابتليناه، وأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه، فصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه بلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما .

وهذه لعمرى أحوال تكلُّ في جَبِّ بعضها السيوف القاطعة، وإنما يقطع الحالان معاً إذا كان صاحباهما متكافئين أو قريباً من التكافي، فإن لم يكونا كذلك قطع القوي منهما الضعيف، وقد يقطع السابق دون المسبوق فيما يظهر والله أعلم .<sup>١</sup>

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

(أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شيخها قاضيها)<sup>٢</sup>.

وقال أحمد بن حسن العطاس قال: (فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبدالله قال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عاد المفاتيح إلا كلها بيدي)، وقال أيضاً: (قال الحبيب أبو بكر بن عبدالله انسدت مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولوكم عليه؟ قال: نعم)، وهذا واضح أن الرجل يدَّعي أنه بيده مفاتيح الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه هذا في

<sup>١</sup>مرآة الجنان لليافعي ( ٣٥٢-٣٥٤ / ٤ ) .

<sup>٢</sup> من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن مولد الديبعي ص ( ٩٣ - ٩٥ ) .

<sup>٣</sup> الحكايتان في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس رواية مُجَّد بن عوض بافضل ص ( ٢٥ ) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء .



الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد .

وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها، حتى لقد قال عبدالرحمن بن محمد السقاف باعلوي : (في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشرف عليه السلام)<sup>٢</sup> فهؤلاء فقط في تربة تريم، فكم في باقي ترب اليمن، والسقاف توفي عام (٨١٩ هـ) فكم جاء بعده من الأقطاب، وهذا كله في اليمن إلى ذلك التاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا، لاشك أن عدد الأقطاب لا يمكن أن يأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولون إن القطب واحد فقط ولا يولي غيره حتى يموت .

وعلى كل حال فإننا سنلمس الأثر الكبير لعقيدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يأتي من المطالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض .

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصوفية في عقيدة القطبية شاركهم كذلك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شورا هم، يقول أحمد بن حسن العطاس: (وعقد أي الديوان مرة في قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس ورأيت الحبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبوبكر، ورأيت بالجانب البحري من القبة، رجلاً فسألته: من هو؟ فقال: نقيب الأولياء بالقدس، والذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مدة بعد موته، قال سيدي: والرجال الذين هم رجال ما يطلبون مقام القطبية، ولا غيرها ويفرون منها، ومثلها مثل من قال لك: هذه البلدة ونفقة أهلها، وخرج معاشهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟) .

<sup>١</sup> جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرح الروي ص (١٤١ / ٢)

<sup>٢</sup> الغر ص (٩٦)

وقال أيضاً: (وفي ليلة وفاة الحبيب أبي بكر عبدالله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن، وجلست أنا بالقرب منهم، وكان ذلك في جامع حريضة، فكان رئيس المجلس الشيخ عبدالقادر الجيلاني فدعاني الشيخ عبدالقادر فقلت له: أنا ما فيّ طاقة لشيء إن معكم شيء لي اطرحوه في القرآن، فطلع أحد من الأولياء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام، بالقرب من العقاد، وجعل الأمر بين اثنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل).<sup>١</sup>

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:

### الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، وهذا مما اختص الله به، ولم يبق دليل على أن الله تعالى منحه أحداً من خلقه، ولم يدعه أحد من رسل الله فضلاً عن غيرهم من البشر، ولكن الصوفية حينما ادّعوا لأنفسهم خلافة الله في تصريف الكون ساء لهم ذلك الادعاء الكاذب المبني على الادعاء الكاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقرارهم من ادعاه ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع قال: (وحكي أن الشيخ عبدالله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال: (ظهر لي ثلاث أحبي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا).<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> نظر الحكايتين في: تذكير الناس ص (٢٠٦ - ٢٠٧).

<sup>٢</sup> المشرع (٢ / ٢١١) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه ص (٢٨١): (يقول للشيء كن فيكون بإذن الله)، وانظر الغرر ص (٣٧٢).

وأعجب من ذلك ما ذكره صاحب الجوهر في ترجمة الشيخ إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضل: (وقال في بعض مصنفاته وردت إليّ رقعة من الفقيه ابن العربي رحمته الله فإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيى ويميت بإذن الله تعالى، والفقير يقول للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى والفقير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فأشكل علينا ما فيها فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى رحمته الله شعراً:

إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتوني

بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعد هذا كذبوني

ثم أجاب عن الكل بجواب فائق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن<sup>١</sup> . وحسبك بهذا إقرار لهذه العقائد الخبيثة وأخذ بها .

### الفرع الثاني: الإحياء والإماتة:

مما تضمنه توحيد الربوبية من الصفات التي لا شريك له سبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الصفتين في آيات كثيرة جداً، أقتصر على ثلاث منها، ففي آل عمران يقول تعالى: ﴿والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير﴾<sup>٢</sup>، وفي التوبة يقول تعالى: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾<sup>٣</sup>، وفي يونس يقول الله تعالى: ﴿هو يحيى ويميت وإليه ترجعون﴾<sup>٤</sup>، ولما كانت هاتان الصفتان من أكبر البراهين على ربوبية الله تعالى احتج بهما إبراهيم على خصمه فقال وهو يحاج ذلك الطاغية: ﴿ربي الذي يحيى ويميت﴾<sup>٥</sup> فعاند

<sup>١</sup> هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها .

<sup>٢</sup> الجوهر الشفاف ( ١ / ١٤٦ - ١٤٧ ) .

<sup>٣</sup> آل عمران ( ١٥٦ ) .

<sup>٤</sup> التوبة ( ١١٦ ) .

<sup>٥</sup> يونس ( ٥٦ ) .

الطاغية وكابر فقال: ﴿أنا أحبي وأميت﴾ قال المفسرون: فلما رأى إبراهيم سفهه وسخافة دعواه عدل إلى دليل آخر أكثر ظهوراً ولا يستطيع أن يغالط فيه سفهاء الأحلام ممن حوله فقال: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾، وقد عد المفسرون هذا الطاغية مدعياً للربوبية بذلك وجعلوه مثل فرعون الذي صرح بذلك حين قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>٢</sup> وقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾<sup>٣</sup>.

وهذا كله يدل بجلاء على أن من ادعى هاتين الصفتين فقد ادعى الربوبية، ومع ذلك فإن الصوفية القبورية يدعون ذلك لبعض أوليائهم، أو يدعيها بعضهم فيقرونه عليها، وإذا أردنا أن نعتذر لهم نقول: إنهم لم يدعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعوا الخلافة العظمى عن الحق سبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة التي فوضها إليه الرب سبحانه هذه الصفة وغيرها من الصفات التي يزعمونها لأوليائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثبت لاشك فيه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعاء علوي بن الفقيه المقدم لذلك فيما حكاه الشلي كما في الفرع الأول.

### الفرع الثالث: علم الغيب:

<sup>١</sup> البقرة ( ٢٥٨ ).

<sup>٢</sup> النازعات ( ٢٤ ).

<sup>٣</sup> القصص ( ٣٨ ).

من مسلمات العقيدة الإسلامية اختصاص الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يشاركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾<sup>١</sup>، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قال تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾<sup>٢</sup>، وقد بينها سبحانه وحصر علمها عنده، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)).<sup>٣</sup>

بهذه النصوص وغيرها قطع علماء المسلمين أن علم الغيب مما اختص الله به، وأن من ادعاه فقد كذب؛ وأنه طاغوت<sup>٤</sup>.

ومع ذلك فقد ادعاه الصوفية القبورية لبعض أوليائهم أو ادعاه بعضهم وأقروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.

ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعاه علي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه: (يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون).

ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أنه يقول: (أعرف من الفرش إلى العرش)، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبدالرحمن السقاف: (كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف

<sup>١</sup> الجن ( ٢٧ ) .

<sup>٢</sup> الأنعام ( ٥٩ ) .

<sup>٣</sup> رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير باب قوله ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) ( ١٧٣٣ / ٤ )

<sup>٤</sup> انظر :فتح القدير للشوكاني ( ١٢٣ / ٢ ) .

<sup>٢</sup> انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٢٨٢ / ٣ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ٣٣ / ٢ ) .

الصالحين بالشيم) <sup>١</sup>، وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: (وقال والده عبدالرحمن السقاف: ولدي شيخ كعشرة شيوخ، وما سميته شيخاً إلا أنني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً) <sup>٢</sup>.  
وسأقتصر على هذه النماذج مع أن هناك دعاوى كثيرة من هذا القبيل.

### الفرع الرابع: إعطاء الولد:

هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قال ﷺ: ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾ <sup>٣</sup>.

ولو قيل: إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فرزق بتلك الدعوة ولداً ما كان عليه من نكير، ولكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الذي فيه ادعاء ما هو من خصائص الربوبية، والقبورية يدعون ذلك لأنفسهم أو لأوليائهم أحياء وأمواتاً، والدليل عليه ما جاء في تذكير الناس قال جامعه: (وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي ﷺ فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له: حولناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له: يا أبتك ولد، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له: يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١٨٩ / ٢ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١١٦ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> الشورى الآية ( ٤٩ - ٥٠ ) .

أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رجل واحدة ويد واحدة وناصفة وجه، نسأل الله العافية. <sup>١</sup>

ويظهر من هذه الحكاية بشكل جلي أن الرجل لم يدعُ الله، وإنما يقول على جهة الوعد (بأياتيك ولد) وهذا باللهجة الحضرية معناه سوف يأتيك ولد، فليس فيه أي معنى من معاني الدعاء، ويؤكد ذلك إنكار العامي وغضب الحبيب من ذلك الإنكار، ثم تصريحه بأنه قسم، وقسم من أين؟ قسم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم، فأبو بكر بن سالم عنده القدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسم من ملك جده، أليس هذا صريح في أنهم يدعون القدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تذكير الناس: (قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد الحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: - والحاضرون يسمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبوده بنت عبدالله بن عمر القعيطي، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومستبعداً أن تحمل فقدر الله أنها حملت بولد وعاش) <sup>١</sup>.

وصاحب هذه الحكاية من كبار أقطاب القوم وعلمائهم ومع ذلك يروي هذه الحكاية مقراً لها، و"حامد الحضار" من كبارهم أيضاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر، إذاً هي قضية مسلمة يربون عليها أتباعهم.

<sup>١</sup> تذكير الناس ص (٣٢١).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٣٢٢ - ٣٢٣).

ويقول آخر من كبارهم وُصف بأنه: "العالم الجليل نسخة السلف وقدوة الخلف" في رحلته الموسومة بـ "النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت" في نفس الموضوع: (ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي ويروى أن من طرح عند قبره حجرة يرزق ولداً، وقيل: لنا أن الحبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصحبه الحبيب عمر بن عيديروس العيديروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحبيب علي: كثرت جم، فقال: أريد نسمات تذكّر الله أو قال تعبد الله، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هذه النية) ، فإذا كان هذا فعل علمائهم فماذا يا ترى يصنع عوامهم وجها لهم؟ .

### الفرع الخامس: إنزال المرض ورفع:

القول في هذا الفرع كالقول في بقية الفروع فالمرض لا يصيب به إلا رب العالمين، قال تعالى حاكياً عن إبراهيم أنه قال لقومه وهو يدعوهم وبين لهم حقيقة دعوته وعقيدته: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ، وقال الرسول ﷺ: (( لا عدوى ولا طيرة )) ، وقد صرح العلماء بأنه ليس المقصود نفي العدوى من أصلها بدليل قوله ﷺ: (( لا يورد ممرض على مصح )) ، لأنه واضح أن في ذلك اعتبار العدوى ولكنه نفي على المعنى الذي كانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمراض تعدي بذاتها فتنسب إلى الأمراض،

<sup>1</sup> النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية ، وتليه رحلته تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت ص ( 75١ - 76١ ) ، تأليف العالم نسخة السلف وقدوة الخلف الحبيب عمر بن أحمد بن سميطة ، طبع على نفقة أحد المحبين من المحسنين ( ١٣٩٧ هـ ) .

<sup>٢</sup> الشعراء آية ( ٨٠ ) .

<sup>٣</sup> البخاري في صحيحه ( ٢١٥٨/٥ ) ، كتاب الطب باب الجذام، ومسلم في صحيحه ( ١٧٤٣/٤ ) ، كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح .

<sup>٤</sup> مسلم في صحيحه ( ٧٤٣/٤ ) في الكتاب والباب السابقين ، كلاهما من حديث أبي هريرة .



فحسم ﷺ هذا المعنى الباطل بهذا اللفظ العام ليكون أبلغ وأشمل<sup>١</sup>، فكيف يأتي بعد ذلك من يقول أنه يضع المرض على من شاء وأنه يرفعه عن من يشاء، إن ذلك لاشك ادعاء خاصة من خصوصيات الربوبية وتعليق للخلق بغير الحق وهذا أيضاً مضاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سوى الله تعالى.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمراض على أناس ورفعها عن آخرين، فقد ذكر الشرجي في ترجمة إسماعيل الجبرتي قال: (ومن ذلك ما يروى عن رجل من أهل مكة يقال له الفقيه عبدالرحيم الأميوطي أنه قال: (كنت لا أعتقد الشيخ إسماعيل، وكنت أحط منه، فبينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، وإذا بي أرى الشيخ قد دخل عليّ في جماعة، فسمعتة وهو يقول لآخر: هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليّ ثم قال: هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليّ، ثم ما زال يقول هات الوجع الفلاني ويضعه عليّ، حتى وضع عليّ قدرَ عشرين وجعاً حتى كدت أموت، وخرج، قال: (فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي ويومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واستعطفت خاطره، فجاء إليّ فرفع ذلك كله عني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعالى، وحسنت عقيدتي في الشيخ نفع الله به).<sup>٢</sup>

إذا فالذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهدد بالمرض من قبلهم، فهذا عمر الحضار يروي عنه صاحب المشرع ( . . . ) وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له:

<sup>١</sup> انظر: (١٠/١٦٠-١٦٢) من الفتوح .

<sup>٢</sup> طبقات الخووص ص (١٠٣) .

أما تخشى أن ينالك بهذا شيء فقال: إني لم أدع على أحد، ولكي إذا غضبت على أحد وقع في باطني ناراً لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب).<sup>١</sup>

### الفرع السادس: إنزال المطر:

الآيات في تفرد الله تعالى بإنزال المطر كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿ أفرايتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾<sup>٢</sup>، فلو كان أحد من الخلق قادراً على ذلك فهل سيكون هذا التحدي صحيحاً؟ والجواب: لا قطعاً فعلم أنه لا ينزل المطر إلا الله، بل حتى علم الوقت الذي ينزل فيه المطر ومكان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا الله: ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾<sup>٣</sup>، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن ننسب إنزال المطر إلى عبد من عباد الله، بل إن رسول الله ﷺ قد حسم الأمر بشكل أوضح، وأبعد المؤمنين عن توهم ذلك أو التلطف بلفظ يؤدي إلى ذلك الفهم الخاطئ، ففي صحيح البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: ((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب))<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> المشرع (٢ / ٢٤٢ - ٢٤٣).

<sup>٢</sup> الواقعة الآية (٦٨ - ٦٩).

<sup>٣</sup> لقمان الآية (٣٤).

<sup>٤</sup> البخاري في صحيحه (٢٩٠/١) كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم (٥٩/٢ - ٦٠) مع النووي كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

ومن الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليائهم إنزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي من طبقات الخواص حيث قال: (وكان للفقيه أيضاً ولد يقال له علي، كان من الصالحين، وكان لا يُلزم في المطر إلا ويحصل سريعاً حتى عرف بذلك، وكان يقال له صاحب الماء)<sup>١</sup>، وقد كان ذكر في ترجمة الجد حكايات تدل على أنه ينزل الغيث منها: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلة، فعند أن وصل إليهم جاءت إليه بهيمة وجعلت تحور بين يديه، فدخل المسجد ودعا الله تعالى ثم قال: يا ميكائيل كل، فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ومطروا مطراً عظيماً بإذن الله تعالى)<sup>٢</sup>.

ومنها قول صاحب الطبقات: (وكان أهل الوادي خُلب بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة يصحبونه ويعتقدونه، فجاء إليهم مرة وهم مجدبون فجعلوا يلزمونه في السيل فقال لفقير له: اذهب إلى رأس الوادي وقل له: يقول لك الفقيه سل الآن، ففعل الفقير ذلك، فسأل الوادي من ساعته وسقوا سقياً هنيئاً بفضل الله تعالى)<sup>٣</sup>، فلاحظ أمره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمره للوادي في الحكاية الثانية، هل يدل على أن الأمر مجرد دعاء؟ كلا لا يدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تذكير الناس: (قال سيدي: ووقع مجريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقعة، وهي قرية بقرب حريضة وقال لأهل البلد: سنجيكم بسيل من عند

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص ( ٧٧ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٧٥ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٧٥ ) .

الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسأل وادي حريضة تلك الليلة) .<sup>١</sup>

وأوضح من هذا ما ذكره، أيضاً في تذكير الناس قال: (قال سيدي وبلغنا أن الشيخ عبدالله بن أحمد بلعيف كان من أولياء الله المستجابة دعوتهم، ويقال له بياع السيول، وصل إلى تريم في بعض زيارته، فاجتمع بعض السادة آل العيدروس فقال له أنت: بلعيف بياع السيول، فقال له الشيخ: نعم حاجة خدمة، فقال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ لا بأس، بكم تشتري؟ فقال له الحبيب بالذي تريده، فقال الشيخ: نبيع لك سيل بكبش سمين، وخمس قهاول<sup>٢</sup> بر، فقال الحبيب: لا بأس تم الكلام، فقال الشيخ تبغي السيل لأي أرض؟ قال الحبيب: للشرح الفلاني حقي، فقال الشيخ: هات الكبش والبر وأخرج رُعَاضَكَ لشرحك، فأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُعَاضَ<sup>٣</sup> وشرب الشرح بإذن الله الله وبركة أولياء الله) .<sup>٤</sup>

قلت: وحكى لي جدي - رحمه الله - أن في قرية مجاورة لنا رجلاً يقال له " فلان باسليمان " وكان حراثاً عارفاً بقوانين الحراثة ومتى يكون السيل أفضل للأرض، فكان ربما جاء السيل في غير الوقت الذي يراه مناسباً فلا يسقي أرضه فعوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يأت سيل آخر، فيقول: (ما بيني وبين السيل إلا صاع طحين) يعني أنه يتزود صاعاً من الطحين ويזור الشيخ سعيد بن عيسى

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ١٨٧ ) .

<sup>٢</sup> القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً .

<sup>٣</sup> الرُعَاض جمع راعض وهو الذي يعدل السيل في الحقول .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٨ ) .

فيأتي السيل، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي وأمثاله أن الشيخ سعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟! .

### الفرع السابع: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث:

إن هذا الفرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لها، فإن المرید الصوفي أو العامي من عوام المسلمين حينما يتكرر على سماعه أن فلاناً من الأولياء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون والتولية والعزل فيه، واعتباره الواسطة بين الله وبين عباده فلا يصل خير إلى العباد إلا بواسطته، وأنه قد فوّض إليه تصريف الكون، وأن تصريفه نافذ على كل شيء من العرش إلى الفرش وحتى البس لا يأكل الفأر في جميع أقطار الأرض إلا بإذنه، وأنه يعطي ويمنع ويشفي ويمرض بل يميت ويحيي وينزل الغيث ويهب الولد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسكين، هذا الولي؟ لاشك أنه سيتصور أنه هو السميع الجيب وأنه على كل شيء قدير، وبموجب هذا التصور سيهرع إليه كلما نزلت به نازلة أو أصابته حاجة، فإنه لا رجاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهوب إلا بالالتجاء إليه، وهذا هو الذي يحصل في كثير من الأحيان والأحوال ولدى أكثر الناس من القرون التي سيطر فيها فكر القبورية على الناس .

وهم لم يكتفوا بما مضى من دفع الناس إلى ذلك الاعتقاد والتصور الخاطيء، بل صرح الكثير من أوليائهم بأنهم يسمعون من ناداهم ويحيبونه ويغيثون من استغاث بهم ويتقدونه مما هو فيه، ويروون مئات القصص التي تحكي كيف نزل الضر بفلان فاستغاث بالقطب فأغاثة، بصور وأساليب متنوعة كلها تآزر على شيء واحد هو تعميق الاعتقاد في ذلك الشخص بأنه يفعل ويفعل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتماد عليه وإنزال حوائجهم به .

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هذا الموضوع، وإنما سوف أنقل بعض النماذج عنهم في ذلك لإثبات أنهم يعتقدون في أهل الولاية منهم أحياءً وأمواتاً أنهم يجيبون الداعي ويغيثون المستغيث، وليس الأمر كما يقوله من يروج تلك العقائد ويدافع عن الموروث الذي كان عليه الآباء والأجداد من أن ذلك مجرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشاهدة على ما نقول:

أول ما نورد في ذلك تقرير عميد القوم وحجتهم وإمامهم في العلم والتصوف من يسمونه (قطب الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي الحداد) وهذا التقرير في قصيدة من أشهر قصائده لدى القوم وهي العينية حيث يقول فيها في صفة الولي:

من كل طود في العلوم وفي الحجا متبحر متفنن متوسع

دائم إلى الله العظيم بفعله ومقاله وبالحال خير مضجع

ذي عفة وقوة وأمانة وصيانة للسر أحسن من يعي

وزهادة وعبادة وشهادة منه الغيوب بمنظر ومسمع

جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي<sup>١</sup>

إذا فهي حقيقة مسلمة عند القوم أن الولي ما يزال يترقى حتى يصير ممن يستجيب إذا دعي<sup>٢</sup>، فعند القوم أن الولي "يُدعى" وليس فقط يتوسل به و"يجيب إذا دُعي" وليس الله ﷻ يجيب من دعاه متوسلاً به.

<sup>١</sup> شرح العينية ص (ب) من المقدمة .

<sup>٢</sup> انظر : شرح هذا البيت في العينية ص(١٧-١٨) .

وبناءً على تلك الحقيقة المعروفة لديهم منذ عرف التصوف المنحرف في اليمن والتي عبر عنها الحداد في عينيته، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم.  
ومن ذلك ما ذكره شارح العينية المذكورة في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم حيث قال: (وكان عليه السلام وكان سريع الغوث لمن استغاث به، قال السيد الجليل العلامة المحدث الإمام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه " الغرر " أخبرني الشيخ عبدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: (ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرجة ملجمة من دعا بهم أجيب وهم علوي المذكور وابنه علي والشيخ عمر المحضار، وقال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً:

إذا خفت أمراً أو توقعت شدة فنوه بهم كي يدركوك ويحضروا  
فنوه بعلوي الفتى وابنه علي كذا ممر فيهما يجل ويحسر  
فغارتهم تنجيك من كل شدة وعسر وضيق أو بصدرك يكبر

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسبون إلى الولي أنه يغيث من يستغيث به، ولكن الولي يدعي ذلك لنفسه ويفخر به، فهذا عمر المحضار يقول في قصيدة مازالوا إلى اليوم ينشدونها في حضرة السقاف.

إني سريعُ الغوث في كل الشدائد فاهتف

باسمي تجدني أسرعُ

قل يا شهاب الدين إن يعرفوك خطب يا فطن

فأنا لخطبك أدفعُ

<sup>1</sup> شرح العينية ص(741) وانظر أيضاً : المشرع الروي ( 2/ 212 ) .

وقال شارح العينية في ترجمة عبدالرحمن السقاف: (وكان يرد على من غلط في مسجده وهو بالعجز<sup>١</sup> ويسمعه الغالط، وكان يقبل التراب دراهم بإذن الله تعالى، وكان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة مجراً وبراً)<sup>٢</sup>.

وفي كتاب " تاج الأعراس " في مناقب الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، قال المؤلف: (ومما أكرم الله به صاحب المناقب، وخصه به من سنين المراتب، وكان ينفرد به دون أقرانه من أهل المظاهر والمناصب، أنه يحضر عند من ناداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية)<sup>٣</sup>.  
وتقول الشيخة سلطنة الزبيدية كما في ترجمة السقاف من المشرع: (ما رأيت أحداً أسرع إجابة عند الاستغاثة من السيد محمد بن السقاف، وكانت تقول: إذا حدث أمر واستغثت بالأولياء فأول من يغيثني هو)<sup>٤</sup>.

وقال صاحب " تاج الأعراس " في ترجمة صالح بن عبدالله العطاس: (ومن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشهور، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زيني دحلان قال: (إنه حصل عليّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بالحبيب صالح بن عبدالله العطاس صاحب عمد وهو إذ ذاك مجزوم ودعوته بثلاثة أصوات، فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأته ذهب عني ذلك الكرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته)<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> العَجْزُ : بفتح العين وضم الجيم قرية شرق تريم تبعد منها مسافة .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٨٨ ) .

<sup>٣</sup> تاج الأعراس ص ( ١ / ٩٤ ) .

<sup>٤</sup> المشرع الروي ص ( ١ / ١٨٤ ) .

<sup>٥</sup> تاج الأعراس ( ١ / ١٠٤ ) .



وقال كذلك في ترجمة هادون بن هود العطاس: (ومن كرامات الحبيب هادون أيضاً ما أخبرني به والدتي الشريفة العفيفة شيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطاس الآتي ذكرها في ترجمة والدي من الباب السادس عن والدتها الشريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قالت: لما كان والدي يجدد عمارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصبحنا ذات يوم وليس عندنا في الدار ما يفطر به الصائم من أنواع الطعام، فلما رجع والدي من المسجد الإشراف كعادته أخبرناه بالحال فقال: لا بأس، ولكنكم أوقدوا ناراً في المطبخ كعادتكم ليستشعر العمال بأن غداهم يطبخ كالعادة، ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتاً من الشعر الحميني ارتجالاً على الذين يتقلون المدر منهم وأمرهم أن يرتجزوا به، وكان قد استجد فيه بجده الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله:

### مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الريح لا تعمد القبة وغافل

قالت: فلم نلبث إلا يسيراً وإذا نحن بقافلة أي غير مرسلة لمقام المشهد من أهل حجر بن دغار وفيها الذرة والتمر والدهن وغير ذلك، ومعينة العير أناس من تلك الجهة أيضاً قاصدين زيارة الحبيب علي بن حسن ومعهم ثلاثة أكباش سمان للمقام، فذبحنا وقدحنا وكان ذلك اليوم من أسعد أيام العمال عليهم انتهى .

قلت: وقول الحبيب هادون لجده علي (وهز الريح) لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حربة وسبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجراة على مقام المشهد بعد وفاته أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بجرته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت

<sup>1</sup> هذه الكلمة باللهجة الحضرية معناها ( لا تبقى ) أي لا تبقى في القبة غافلاً عنا .

<sup>2</sup> الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس .

ويموتون في الحال بإذن الله القائل: ((من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)) لاسيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشهد أي ربيع الأول؛ لأن الحبيب علي قد جعله عرضة بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سنة بين المحاربين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليأتي كل منهم وهو مطمئن البال إلى المشهد لحضور قصة مولد نبيهم محمد ﷺ وسماع شمائله الشريفة وما يضاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكان مما أكرم الله به الحبيب علي وعظم به شهر المولد النبوي أن من اعتدى فيه بالقتل ونقض العهد يجعل الله له العقوبة بإهلاك عدد من أولاده وقبيلته بمقدار الأيام الماضية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليوم الخامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أسرع وقت، ومن قتل فيه في اليوم السابع يهلك الله منهم سبعة وهكذا حتى صار ذلك عند قبائل الجهة من الجربات التي لا خلاف فيها) <sup>١</sup>.

وأعذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثيرة يجدها المتأمل وليعرف كيف يسخر القبوريون الناس لمصالحهم وينون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم. وأسأل صاحب التاج وكل من ينشر هذه الحكايات ويغرس بها تقديس هؤلاء الناس في نفوس عوام المسلمين أين كان الحبيب علي وحرته يوم هجم الجيش النجدي على المشهد فأخبره وهدم قببه وكسر توابيته؟.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب مقدمة ديوان العيدروس قال: (وأخبرني السيد الفقيه محمد الظمطاوي المكي وقد رويتها عن المرید الصادق نعمان بن محمد المهري أنه قال: (كنا في سفينة سائرنا إلى الهند فحصل في السفينة خرق عظيم فأيقن أهل السفينة بالهلاك فضجوا بالدعاء

<sup>١</sup> تاج الأعراس ( ١ / ٢٠٧-٢٠٩ ) .

والتضرع إلى الله تعالى وهتفوا بالمشايخ، فقال نعمان: فهتفت بشيخي أبي بكر بن عبدالله العيدروس، فأخذتني سنة فرأيت شيخي وهو داخل السفينة وبيده منديل أبيض متمماً نحو الخرق، فانتبهت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي يا أهل السفينة أبشروا فقد جاء الفرج، فقالوا لي: ماذا رأيت، فقلت لهم: رأيت شيخي عليه السلام دخل السفينة الساعة وبيده منديل فسد به الخرق فافتقدوه فوجدوا الخرق مسدوداً بمنديل أبيض).<sup>١</sup>

وفي نفس الكتاب في آخره قال: (وأخبرني الأمير مرجان بن عبدالله عبد السلطان عامر بن عبدالوهاب قال: كنا في محطة صنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العدو وفر أصحابي ووقع في فرسي جملة أكوان فسقط بي، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصلحين، ثم ذكرت الشيخ الأجل أبا بكر بن عبدالله العيدروس فهتفتُ به فإذا هو قائم فوالله العظيم لقد رأيته نهاراً وعانيته جهاراً أخذ بنا صيتي وناصية فرسي وشلني من بينهم حتى أوصلني إلى المحطة السعيدة فعند ذلك مات الفرس ونجوت ببركات الشيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته).

فهذه النماذج إن شاء الله كافية لإثبات أن القوم يعتقدون في أوليائهم أنهم يسمعون استغاثاتهم، وأنهم يغيثونهم عند ذلك، فحيناً يحضرون بأنفسهم، وحيناً يحصل المطلوب بدون حضورهم، وعليه فإن دعاءهم لأوليائهم ليس مجرد توسل إذ التوسل إنما هو دعاء لله تعالى مع ذكر المتوسل به وسؤال الله

<sup>١</sup> مقدمة ديوان العيدروس المسمى (محجة السالك وحجة الناسك) ص ( ٢٤٢ ) ، تأليف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير ضمن المجموعة العيدروسية.

<sup>٢</sup> أي جراح .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٢٤٧ ) .

سبحانه أن يحقق المطلوب بجاه أو بركة ذلك المتوسّل به، ولذلك فإن الذين يعرفون حقيقة التوسل  
ويقتصرون عليها لا يجيزون دعاء المتوسل بهم ويصرحون بأنهم لا يدعون ولا يجيزون دعاء غير الله،  
وإنما يذكرونهم في ضمن دعائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونوا سبباً في عطاء الله .

## الفصل الثاني

### موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها وفيه تمهيد وأربعة مباحث

التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد والمؤامرات:

لقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين وبقائه واستمراره إلى أن يرث الأرض ومن عليها، لا يقضي عليه عدو من الكافرين، ولا يطمس معالمه مبتدع من المبتدعين، حتى تغيب السنة كلها، وتحل البدعة محلها، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وقد فصل رسول الله ﷺ وسائل ذلك الحفظ، فوعد بوجود طائفة من العلماء العاملين والأخيار المجاهدين القائمين على حفظ هذا الدين في قوله ﷺ: ((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))<sup>٢</sup>.

ولايمنع وجود هذه الطائفة القائمة على الحق؛ من تسرب بعض البدع، واندثار بعض السنن، وانحراف بعض المفاهيم على مرور الأيام؛ لذلك فقد أخبر النبي ﷺ بأنه بعد كل فترة، يقيض الله لهذه الأمة من يحدد لها دينها، فقال: ((إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها دينها))<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> الحجر (٩) .

<sup>٢</sup> تقدم تخريجه ص ( ) .

<sup>٣</sup> رواه أبو داود (٥١٢/٢) كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة، والحاكم (٥٤٢/٤-٥٤٣) كتاب الفتن والملاحم.. وانظر: تصحيح شيخنا الألباني - رحمه الله - للحديث في سلسلته الصحيحة (١٥٠/١١-١٥١) .

والحمد لله فقد صدق الله ورسوله، وحُفظ الدين، وجُددت معالمه، رغم هدم الهادمين وكيد الكائدين وبدع المبتدعين، ولقد حظي اليمن بما سبق له من عناية الله سبحانه ولطفه بالخط الأوفر والنصيب الأكبر من ذلك، وصار مجددوه وأعلام علمائه ودعاته مجددين للأمة كلها، وليسوا مجددين لليمن وحده، فرزقهم الله القبول التام والثقة المطلقة عند سائر الطوائف وفي سائر البلاد الإسلامية، فكتبهم هي من أهم مقررات جامعات العالم الإسلامي المرموقة ومراكزه العلمية، وقد أقبل الباحثون على دراسة شخصيات المجددين اليمنيين ومناهجهم في العقيدة والدعوة والعلوم المختلفة من تفسير وحديث وعقائد وغير ذلك.

وبرغم ما سلف في الفصل الأول من أساليب مختلفة، سلكها القبورية؛ لمواجهة علماء أهل السنة، وما قاموا به من جهد جهيد وكيد شديد لمواجهة هؤلاء العلماء؛ إلا أن تلك الجهود والأساليب الماكرة الكثيرة، كلها لم تفلح في صد العلماء عن معارضتهم وكشف ضلالهم وبيان حالهم، وإن كانت مناطق اليمن تختلف في قوة وضعف تلك المواجهة، فعلماء البلاد الزيدية بحكم قوتهم وكثرتهم وعدم تمكن النفوذ الروحي في بلادهم، ولسعة أفق المذهب الزيدي والفقهاء الهادي وحش على الاجتهاد؛ كانت جهودهم أكبر ومواجهتهم وسلطان علمهم على القبورية أقهر، وقد شاركوا في مقاومة كل أنواع القبورية من إسماعيلية وأصحاب وحدة الوجود وعموم القبورية مقدسي القبور.

وكان لعلماء زبيد موقف مشرف في صد أهل وحدة الوجود ومقاومتهم حتى اندثر مذهبهم أو كاد، وأما بقية المناطق كالجند وما حولها وعدن وحضرموت، فقد كانت مواقفهم أضعف وأقل، وذلك أنه وبعد دخول التصوف ورسوخه في هذه المناطق في القرن السابع وما بعده، احتوى المتصوفة الساحة العلمية، وهيمنوا عليها هيمنة شبه تامة، فالعلم حُصر في قبائل وأسر محددة هي الأسر

العلوية التي أصبح كل علمائها من المتصوفة على تفاوت في غلوهم واعتدالهم فيه، إلا ما ندر، والنادر لاحكم له، ثم الأسر التي توالي هذه القبيلة موالاة تامة، وترى أنها تابعة لها " منطوية فيها " حسب تعبيرهم، وفي المقابل فقد أعطى العلويون لهذه الأسر إمتيازات كبيرة مقابل التزامهم بطريقهم، وعملهم على الترويج لأفكارهم وتلميع شخصياتهم؛ ولذلك فقد أصبح العالم الذي يستطيع أن يبصر بغير منظارهم، ويصل إلى ما عند غيرهم، أصبح في حرج عظيم حيث يرى الحق، ولايستطيع الإفصاح عنه والعمل به، فتجده يرضخ لما عليه القوم، وإن كان في قرارة نفسه منكراً له؛ إلا من أراد الله لهم الخير وهياهم لإقامة الحجة وسلوك المحجة، وتحمل التبعة وهم، أقل من القليل، متناثرون عبر القرون الطويلة والبلاد الشاسعة، ولم يستطع أحد أن يظهر بذلك المظهر حسب علمي إلا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد انتشار الدعوة السلفية في اليمن بواسطة تلاميذ الإمامين ابن الأمير والشوكاني، وكذلك ظهور وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصولها إلى تلك المناطق، واتصال بعض علماء هذه البلاد بعلمائها في الحجاز ونجد، واطلاعهم على كتبهم ورسائلهم، فقد هزت تلك الدعوة الجزيرة العربية كلها، وحركت ذلك الركود الذي خيم عليها قروناً طويلة، ووصل أثرها إلى كل أرجائها، بل وكل أرجاء العالم الإسلامي، كما أسهمت حركة الإرشاد في إندونيسيا بجهود كبيرة في إيقاظ علماء وطلبة العلم في حضرموت وما جاورها، وأزالت كثيراً من الحجب التي كانت تغطي الحقيقة، وحطمت كثيراً من القيود التي كان الناس يرسفون فيها، وأسقطت تلك الهيبة التي صنعها القبوريون لأنفسهم وأوليائهم، وسيروا بها الناس كما أرادوا .

هذا هو موجز موقف العلماء من القبورية، وإليك تفاصيله في المباحث الآتية .

## المبحث الأول

### موقف العلماء اليمنيين من القبورية الإسماعيلية

## وجهودهم المشكورة في مواجهتها

وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: موقف العلماء اليمينيين من الإسماعيلية:

لم يجمع علماء اليمن ومثقفوه وحكامه على ذم شيء من البدع الطارئة كإجماعهم على كفر ومروق الطائفة الإسماعيلية الباطنية؛ مما حملهم على التصريح بكفرها ونشر قبائحها، ومحاربتها بشتى الوسائل من القتال إلى الردود العلمية، ومما يوضح ذلك عبارات المؤرخين وثورات الفقهاء ومقاومة الأئمة والملوك لها حتى أزالوها، وقضوا على دولتها وكيانها، وإن كان مقتهم والتصريح بالتفكير في حق علي بن الفضل وصاحبه منصور اليمن أشهر وأظهر من مقت الصليحي، وماذاك إلا لأن الصليحي كان أدهى من سابقه ومستقيداً من أخطائهما، فتجنب إظهار الكثير مما أظهر الأولان من العقائد والأفعال الممقوتة، وكان بالرعية أرف وأطف، وبذلك كسب شيئاً من التعاطف لشخصيته لا لنحلته، وكذلك الملكة الحرة والمعروفة عند العامة بـ "الملكة أروى" كانت ذات شخصية عظيمة وحنكة سياسية كبيرة، ثم كونها امرأة ظهرت بتلك القوة وذلك الدهاء في ذلك العصر، كل ذلك خفف من حدة المقت نحو الصليحيين كشخصيات.

أما مبادؤهم وعقائدهم فكانت موضع اتفاق من سائر اليمينيين كلهم بمقتها وبذمها، حتى لقد نحتوا من اسم هذه الطائفة عبارة مختصرة فقالوا "السمعة"، وجعلوها شعاراً للدم، والطنع فيمن تطلق عليه.

وهذه بعض عبارات المؤرخين يصفون دخول هذه النحلة إلى اليمن على يد علي بن الفضل وصاحبه، ومن أوائل المؤرخين الذين أبدوا الموقف اليميني من هذه الطائفة العلامة ابن سمرة صاحب



طبقات فقهاء اليمن، فقد قال: ("فصل" ثم لحق باليمن كله في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فنتان عظيمتان:

فتنة القرامطة: وقد عمت العراق والشام والحجاز، وإن اختلف تأثيرها في البلدان فملك المخلاف اليمني علي بن الفضل - لعنه الله - وأظهر فيه ما هو منسوب إليه ومشهور عنه على منبر جامع الجند بقوله:

### خذي الدف ياهذه والبي وغني هزاريك ثم اطربي

فذكر القصيدة، ثم قال: (والشعر طويل، وكله تحليل محرمات الشرع والاستهانة به، فقتل أهل اليمن قتلاً ذريعاً قبل هذا، وملك الحصون والأموال العظيمة) <sup>١</sup>.

وبعد أن ساق الجندي تاريخ ابن الفضل ومنصور اليمن قال: (قال ابن جرير <sup>٢</sup>: وكان عنوان كتاب ابن الفضل إلى أسعد: من باسط الأرض وداحيها ومززل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد ابن أبي يعفر، وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره، فنسأل الله العصمة) <sup>٣</sup>.

وقال الخزرجي في العسجد المسبوك بعد أن ذكر طرفاً من أخبار منصور وعلي بن الفضل: (فلما صار علي بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح لأصحابه

<sup>١</sup> طبقات فقهاء اليمن ص (٧٥-٧٦)

<sup>٢</sup> ابن جرير هو: إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعائي، توفي سنة (٤٥٠ هـ) صاحب تاريخ صنعاء، وقد قال الأكوخ في تعليقه على السلوك (٢١٠/١): أنه لم يعثر على هذه الرسالة فيما لديه من تاريخ ابن جرير، وأنا كذلك لم أعتز عليها في النسخة المطبوعة غير أن ابن جرير كان لا يذكر ابن الفضل إلا وقال (لعنه الله).

<sup>٣</sup> السلوك (٢١٠/١).

شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات) ، وقد نقل ابن الديبع كلام الخزرجي بنصه دون أن يعزوه إليه، وهو إقراره .

وقال الأكوخ في تعليقه على قرّة العيون: (القرامطة فرقة من الباطنية، واحدها قَرْمُطِي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة وياء النسبة، والقرمطة تقارب الشيء بعضه من بعض، يقال "خط مَقرمط" إذا كان متقارب الحروف و"ومشي مَقرمط" أي متقارب الخطو، سمي به أبو سعيد الأشعب؛ لأنه كان قصيراً دميماً مجتمع الخلق أسمر كريهاً؛ فلذلك سمي قَرمطياً . فنسبت إليه القرامطة لأتباعه، قال الإمام نشوان: والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قَرمطِي، وجمعه قَرامط، وقرامطة .

قلت: وهي منظمة سرية خطيرة، تكونت من جماعة فارسية من الجوس، اندست بين المسلمين متظاهرين بالدين والورع، وهدفها تفويض دعائم الإسلام وإعادة السيادة الفارسية، ثم اتخذت التشيع لها شعاراً لما أعجزتها الحيل . وكان منشؤها بفارس ولها خلايا بكل مكان، ثم امتدت جذورها إلى العراق وكُرّ التشيع، وأصبح مركزاً هاماً لبث دعوتهم في ظل البكاء والعيول على ما نال أهل البيت من التشريد والتنكيل، وألفوا قلوباً حانية على هذا المبدأ الذي استهوى بريقه ضعفة النفوس والسذج من الناس، واعتنقه البعض عن طيب خاطر وسماحة نفس بدون مناقشات للغايات والأهداف، والبعض اعتنقه طمعاً في الوصول إلى المناصب والجاه والمال، واستفحل أمر هذه العصابة، وعمّ

4 العسجد ص ( ٣٩ ) .

5 قرّة العيون ص ( ١٤٢ ) .

6 نشوان بن سعيد الحميري ، توفي سنة ( ٥٧٣ هـ ) . انظر : الأعلام ( ٢٠ / ٨ ) ، ومقدمة الحور العين لنشوان الحميري ص ( ١٦ - ٢٥ ) تحقيق كمال مصطفى طبع دار آزال بيروت ، والمكتبة اليمنية صنعاء الطبعة الثانية ( ١٩٨٥ م ) والسلوك ( ٩٢ / ١ ) .

خطرها، وتطايير شررها، وقوّضت ممالك، وكانت فتنة صماء، جرّت على الإسلام والمسلمين ويلات وحروب لا ينادي وليدها، ونال منها اليمن شرارة انطفأت بعد حين) <sup>١</sup>.

ويقول نشوان بن سعيد، وهو من علماء ومؤرخي الزيدية: (وسار علي بن الفضل الخنفرى إلى أرض يافع، فاشتدت وطأته باليمن، واستولى على أكثر مخاليفه، وأعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وكان يدّعي أنه نبي)، ثم ذكر بعض تلك الأبيات، ثم قال: (وابن الفضل أول من سنّ القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، فجمعه قرامطة) <sup>٢</sup>.

أما القاضي حسين بن أحمد العرشي، وهو كذلك من علماء ومؤرخي الزيدية، فقد أطال في بيان حالهم وكشف عوارهم والتحذير منهم، فقال: (اعلم أن الباطنية - أخزاهم الله تعالى - أضرت على الإسلام من عبدة الأوثان، وسموا بها؛ لأنهم يطنون الكفر، ويتظاهرون بالإسلام، ويختفون حتى تمكثهم الوثبة، وإظهار الكفر، وهم ملاحدة بالإجماع، ويسمون "بالإسماعيلية"؛ لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين فيما يزعمون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، و"بالعبودية"؛ لدعائهم إلى عبد الله بن ميمون القداح الذي نسبته الباطنية إلى مايزعمون من الأئمة المستورين.

والعبيدون من أولاد عبيد الله، ولاة مصر ذلك الزمن، والآن يسمون "شيعه"؛ لكونهم مظهرين أن أئمتهم من أولاد الرسول، حين عرفوا أنه لا يستقيم لهم إمالة الحق، والدخول إلى دهليز الكفر، إلا بإظهار الحبة والتشيع، ولهم قضايا شنيعة وأعمال فظيعة، كالإباحية وغيرها، وقد تابعهم على ذلك

<sup>١</sup> قرة العيون تعليقا ص (١٢٢-١٢٣).

<sup>٢</sup> المحور العين ص (٢٥٣-٢٥٤).

من ذهب عنه النور الإيماني، واستولى على قلبه الهوى الشيطاني، وهم مع ذلك ينكرون القرآن والنبوة والجنة والنار، ولولا أن حياتهم معلومة عندهم، مرتبة بينهم لأنكروها .

وعلى الجملة فدينهم النجوم، وظواهرهم التخوم، ولايكاد يظهر مذهبهم لأتباعهم إلا لمن رسخ دينهم في قلبه، وتراهم إذا وجدوا لأنفسهم قوة أظهروا أمرهم، وأعلنوا كفرهم، فإن غلبوا ولم تساعدهم الأيام، كمنوا كما تكمن الحية في جحرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والثبته، وأن ينهشوا عباد الله، وقد أفصح السيد " الدافعاني " عن أطراف من أحوالهم في رسالته بعد اختلاطه بهم، وتردده عليهم، ولا ينبغي لذي معرفة وقوة، أن يعرف منهم أحداً يقتدر عليه، فيتركه وشأنه، فإنهم - أهلكتهم الله تعالى - شياطين الأرض<sup>١</sup> .

وكلامه عام يشمل ابن الفضل ومنصور اليمن والصليحيين، بل إنه قد بين في مقدمة كتابه هذا أن من جملة ما حمّله على تأليفه أنه سمع راوياً يروي عن أناس، وذكر عندهم بنو الصليحي، وما فعلوه من جوامع وصدقات، فترحموا عليهم جهلاً بأنهم دعاة الباطنية وأصحاب الطائفة العبيدية، فقلت: الآن اتخذ الجهل من الناس مأخذه، وفتح لهم فاه، وأطبق نواجذه، فقلت قصيدة مستغربة وكلمة منظومة معربة، سميتها مسك الحتام<sup>٢</sup> .

هذا هو موقف علماء ومؤرخي اليمن من الإسماعيلية، وهو مع ما فيه من المقت لهم وتكفيرهم لا يرقى إلى المستوى المطلوب الذي يجب أن يصل إليه الرد والبيان لحالهم وسوء معتقدتهم وخطورة مكائدهم ودسائسهم، وربما كان للأولين العذر في ذلك كونهم قد حاربوهم حرباً عسكرية وسياسية حتى أزالوا دولهم، وطهروا اليمن من وجودهم .

<sup>١</sup> بلوغ المرام ص ( ٢١-٢٢ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٤) .

ولكن يجب ألا يخفى على علماء اليمن وحكامه أن مجرد زوال دولة الباطنية لا يكفي، فدولتهم قد زالت قديماً بزوال ابن الفضل ومنصور اليمن وأتباعه، ولكن نارها مازالت تدب تحت الرماد حتى مرت بها ريح الصليحي، فأشعلتها أقوى من ذي قبل، وملك جميع اليمن كما هو معلوم، ثم زالت دولته، وبقي فكره وعقائده ودعوته، وبقي دعاته يخلف بعضهم بعضاً، ويوصي بحفظ الدعوة والحفاظ عليها في دور الستر كما يقولون حتى يحين دور الظهور الجديد، وبقيت كتبهم متوفرة، وهي أعظم ما يقوم عليه منهج الإسماعيلية في العالم كله، هذه الكتب محفوظة كما يؤكد ذلك الدكتور حسين الهمداني في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وبعض المكتبات الخاصة وبعض المتاحف ودور الكتب العالمية، وقد بدأت موجة إحياء هذه الكتب ونشر وتحقيق في أكثر من بلد؛ وذلك للتحويل الجديد في العالم وطغيان الحرية الفكرية والعقائدية، فبعد أن كان الباطنية يتخفون غاية التخفي بعقائدهم، ويخفون كتبهم عن أهل نخلتهم حتى يصلوا إلى مستوى معين من الفهم والقناعة بما لديهم، أصبحوا اليوم يتباهون بما هم عليه، وينشرون تلك الكتب على الملأ، ويتظاهر بعض الباحثين بانتسابه إليهم، ويؤرخ لهم مادحاً شارحاً لبعض قضاياهم التي كانت في غاية السرية.

إذاً هذا الفكر الضال والمعسول في نفس الوقت الذي ينبنى على الفلسفة والخطاب العقلي والعاطفي في آنٍ واحد، جدير بالاهتمام والحذر واتخاذ التدابير الواقية من بعثه واقتان الناس به في المستقبل.

واسمع إلى الدكتور حسين الهمداني، وهو أحد الباحثين الباطنية الإسماعيلية المحدثين، وهو يميني حيث يقول في كتابه "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن" تحت عنوان "الثروة العلمية الفاطمية في اليمن": (ترى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي وجمع شتات التراث الفكري وتسجيلها في كتب

ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعوة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعوة المؤيد في الدين الشيرازي، قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من علوم إلى اليمن، ثم قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة من شؤون الملك. وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية. فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحمادي ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي، والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحمادي، والوادعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الداعي علي ابن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائه، بل إلى أيامنا هذه، ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية) <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> الصليحيون ص (٢٩٧-٢٩٨)

كما أن الأستاذ عبدالله الحبشي ذكر في كتابه مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ذكر ستة عشر داعياً ومؤلفاً من دعاة الإسماعيلية اليمنيين الذين خلفوا ثروة علمية وعقائدية ضخمة، كلها يقصد بها تعميق وترسيخ الفكر والعقيدة الإسماعيلية لدى اليمنيين<sup>١</sup>.

ذلك المخزون الفكري وإن كان ضالاً غير مستساغ لدى العقلاء، فإنه قد يستساغ لدى الجهلاء، ولدى المفتونين بالغرائب، ولدى المندسين الذين دأبوا على بث الفتن والشقاق من خلال العقائد الضالة والأفكار الهدامة. هذا بالإضافة إلى الاهتمام الكبير والمتزايد باليمن من قبل هذه الطائفة هذه الأيام، وما يعمل داخل تجمعات هذه الطائفة في مناطق تواجدها وعلاقاتها المريبة مع جهات أجنبية، ربما عملت على زعزعت أمن اليمن واستقراره.

وكذلك الظاهرة التي برزت في السنوات الأخيرة ما يسمى لدى تلك الطائفة في الخارج "الحج إلى اليمن"؛ وذلك لتتبع قبور دعائهم في مناطق مختلفة في اليمن، سبقت الإشارة إلى بعض منها، ومما يدل أن وراء الأكمة ما وراءها، أنهم لم يقتصروا على زيارة تلك القبور والانصراف عنها، ولكنهم يشتركون ماحولها من أرض ودور ومدارس وأي شيء، حتى يتحول الضريح وماحوله إلى ملك خاص بهم، يقيمون فيه المساكن في الظاهر، ولاندري ما وراء المساكن، وقد شاهدت قبراً لهم معظماً في زبيد، وقد ملكوا سكناً واسعاً بجواره، فإذا جاءوا للزيارة نزلوا فيه، وانطلقوا منه إلى بقية المزارات، كما رأيت قبراً آخر في قرية الحمى من نواحي زبيد، يسمونه قبر "حضرة خواجه أويس القرني عاشق رسول الله ﷺ" هكذا مكتوب عليه، وقد دخلته وهو ضمن مباني مدرسة صغيرة قديمة، فاشترؤا حسب إفادة بعض أهالي المنطقة مساحة من الأرض، وبنوا عليها مدرسة جديدة على أن تكون

<sup>١</sup> مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن تأليف عبد الله محمد الحبشي الصفحات (٩٥) و (١٠٠) و (١٠٢) و (١٠٦) و (١١١) و (١١٢) و (١١) و (١٢١) و (١٢٣) و (١٢٥) و (١٢٦) طبع مركز الدراسات اليمنية صنعاء .

المدرسة القديمة والقبر لهم، ورأيت قبراً عالياً مغطى بثوب موشى، لعله من الحرير مطرز بآيات من القرآن وبعض العبارات الأخرى، وهو في غاية من النظافة، ومفروش بفراش من السجاد والبخور يفوح منه مما يلقي له مهابة في نفس الزائر.

هذه الأماكن، ما يدرينا أنها تتحول إلى مقار للفتنة والمؤامرة في يوم من الأيام! وهل كانت بدايات اليهود المهاجرين إلى فلسطين إلا بهذه المثابة؟ أو ما نخشى أن يأتي يوم يقال فيه لا بد من وطن قومي لهذه الطائفة؟

ولا يسعني في نهاية هذا المطلب إلا أن أسجل تحذيري للعلماء وللحكام ولكل غيور على أمن اليمن وسلامته واستقراره:

أرى خلل الرماد وميض نار وبوشك أن يكون لها ضرام

لئن لم يطفها عقلاء قوم يكون ضرامها جثث وهام

المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن:

سبقت الإشارة إلى ضعف المواجهة العلمية لهذه الطائفة، ولكن مع ذلك فإن علماء اليمن لم تخلُ الساحة تماماً من الردود وبيان فساد عقائد ومناهج هذه الطائفة، ومن المؤمل أن يقوم العلماء المعاصرون بسد ذلك النقص.



## العلم الأول

محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي

هذا الإمام هو أشهر من رد على الإسماعيلية من اليمنيين، بل إن رسالته أصبحت مرجعاً لكل من يكتب عنهم، وهو الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، والذي لم يُعثر له على ترجمة، كما أكد ذلك القاضي محمد بن علي الأكوخ في مقدمة كتابه<sup>١</sup> غير أن الجندي قد أفاد ما يأتي في ترجمة علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي الفضائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل في مذهبهما - منصور وابن الفضل - أيام الصليحي، وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحقق فساد رجوع عنه، وعمل رسالة مشهورة، يخبر بأصل مذهبهم، ويبيّن عوارهم ويحذر من الاغترار بهم)<sup>٢</sup>، وقد استنبط القاضي الأكوخ أن وفاة الحمادي كانت في أيام علي بن محمد الصليحي ما بين عامي (٤٣٩هـ - ٤٥٩هـ) حيث لم يدرك مقتل الصليحي سنة (٤٥٩هـ).

وكتاب الحمادي من أهم الكتب الكاشفة عن حقيقة الإسماعيلية في اليمن، بل هو أهمها؛ وذلك لما انطوى عليه من مشاهدة واحتكاك وخبرة من الداخل، قال - رحمه الله - في فاتحة كتابه: (قال محمد ابن مالك - رحمة الله تعالى عليه - : اعلموا أيها الناس المسلمون، عصمكم الله بالإسلام، وجنبنا وإياكم طرق الآثام، وأرشدكم، ووفقكم لمرضاته، وسددكم، إني كنت أسمع ما يقال عن هذا

<sup>١</sup> ابن أبي القبائل هذا الذي ذكره الأكوخ في تحقيقه لكتابه كشف أسرار الباطنية ، وذكره فؤاد سيد في تحقيقه لكتاب طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدي ص ( ٧٨ ) ، ومنهم من ذكره بابن أبي الفضائل والله تعالى أعلم .

<sup>٢</sup> كشف أسرار الباطنية ص ( ٤٥ ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٢٠١/١ ) .

الرجل الصليحي كما يسمعون، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة وقبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل، ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غداً، فيقول: ما شهدت، ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس. فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدق، ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس، ونظقت به الألسن، فتارة أقول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الأمم، إنما هذه عداوة له من الناس للمال الذي بلغه من غير أصل ولا أساس، وكنت كثيراً ما أسمعته يقول: حكم الله لنا على من يظلمنا، ويرمينا بما ليس فينا.

فرايت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك؛ ليعلم المسلمون عمدة مقاله، وأكشف لهم عن كفره وضلالته؛ نصيحة لله وللمسلمين؛ وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه، وأبينه للمسلمين وأوضحه، أن له نواباً يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيهاً بكلاب الصيد؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، ويتقبضون عن كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها باطل. يحضونهم على شرائع الإسلام، من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير؛ ليقع في شركه، فيقيم أكثر من سنة يعنون به وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه والانتقاد لما يأمرونه، قالوا حينئذٍ: أكشف عن السرائر، ولا ترض لنفسك، ولا تنتفع بما قد قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله ومثوله، واعرف

معاني الصلاة والطهارة، وما روي عن النبي ﷺ بالرموز والإشارة، دون التصريح في ذلك والعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة، لمثولات محبوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه، فيقول: عمّ أسأل، فيقول: قال الله تعالى: ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾<sup>١</sup>، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لها باطن؛ لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وما خلق الله - سبحانه - من ظاهر إلا وله باطن، يدل على ذلك: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾<sup>٢</sup>، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾<sup>٣</sup>، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام، وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾<sup>٤</sup>، وقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾<sup>٥</sup>، وقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>٦</sup>، فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم<sup>٧</sup>.

وقد بدأ كتابه بذكر الدعوة المأذونين، وكيفية قيامهم بتلك الدعوة، وكيف يؤولون، ويعلمون الناس أن لكل شيء ظاهراً وباطناً، فالصلاة لها باطن والزكاة لها باطن... الخ، ثم ذكر تدرجهم بالمدعو حتى يصل إلى الدرجة التي يبيح له الإمام المبيت مع زوجة الداعي، ثم مع زوجات الواصلين إلى تلك

<sup>١</sup> البقرة (٤٣) .

<sup>٢</sup> الأنعام (١٢٠) .

<sup>٣</sup> الأعراف (٣٣) .

<sup>٤</sup> هود (٤٠) .

<sup>٥</sup> سورة ص (٢٤) .

<sup>٦</sup> سبأ (١٣) .

<sup>٧</sup> كشف اسرار الباطنية وأسرار القرامطة ص (٦٣ - ٦٥) .

الرتب العالية عندهم؛ ثم ذكر المشهد الأعظم وما فيه من إباحية، ثم يختم الفصل بقوله: (قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى - : هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله - تعالى - لهم بالمرصاد، والله - تعالى - عليّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته عالم به، ومن تكلم عليهم باطل فعليه لعنة الله واللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزي الله من كذب عليهم، وأعد له جهنم وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه، فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته .

فأديت هذه النصيحة للمسلمين حسب ما أوجب علي من حفظ هذه الشهادة، فإن الله - سبحانه - أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها، قال الله ﷻ: ﴿سُكِّبَ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾، والله أسأله أن يوفانا مسلمين، ولا ينزع عنا الإسلام بعد أن أتانا بمنه ورحمته) ٢ .

ثم قال تحت عنوان " المقالة في أصل الدعوة الملعونة " : (وقد رأيت أيها الناس، وفقنا الله وإياكم للصواب، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب، أن أذكر أخبار هذه الدعوة الملعونة؛ لتلايميل إلى مذهبهم مائل، ولا يصبو إلى مقاتلهم لبيب عاقل، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذار لمن نظره، وإعذار لمن، وقف عليه واعتبره)، ثم ابتداءً في تاريخ تلك الدعوة وأخبارها إلى آخر الكتاب .

١ . المصدر السابق ص ( ٦٩ ) .

٢ الزخرف ( ١٩ ) .

٣ المصدر السابق ص ( ٧٠ ) .

٤ المصدر السابق ص ( ٧٠ - ٧١ )

والكتاب يعد من أهم وأقدم المراجع المؤرخة للباطنية والكاشفة عن حقائقهم خصوصاً باطنية اليمن؛ ولذا فلا يحصى من نقل عنه قديماً وحديثاً، وقد طبع عدة طبعات من آخرها وأفضلها طبعة " مركز الدراسات والبحوث اليمني " بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوخ سنة (١٤١٥ هـ) .

ولقد حاول البعض التشكيك في بعض ما احتوى عليه الكتاب، إما باعتبار ذلك غير معقول، أو بدافع قومي أو وطني، ولكن الشهادة التي صدره بها القاضي الأكوخ عن المقرئ تشهد للحمادي بصدق ما ذكره، وكذلك يشهد له كثير من النقول عن كتب الإسماعيلية أنفسهم التي أوردتها الباحثة الكبير إحسان إلهي ظهير في كتابه الفذ " الإسماعيلية تاريخ وعقائد " ومن أراد التأكد فليرجع إليه في الباب السادس " الإسماعيلية والتأويل الباطني " و " الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه "، إلا موضوع " المشهد الأعظم " أي جمع الرجال مع النساء، وكذلك المبيت مع زوجة الداعي وزوجات من يليه فلم أجد إلى الآن ما يشهد له فلا أستطيع الجزم بإثباته كما لا أستطيع نفيه .

## العلم الثاني

### الإمام يحيى بن حمزة

وهو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي عليه السلام، وهو خلاف أكثر أئمة اليمن الذين يرجعون إلى الحسن بن علي عليه السلام، ولد بصنعاء سنة (٦٦٩ هـ) واشتغل بالمعارف

<sup>١</sup> الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص (٤٧٣ - ٥٣٨)

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٥٤٦ - ٥٩٢)

العلمية وهو صبي، فأخذ من جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية، وتبحر في جميع العلوم، وفاق أقرانه، وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون) <sup>١</sup>، (وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة المصونة ﷺ، وعن أكابر علماء الطوائف رحمهم الله) <sup>٢</sup>، وله في ذلك " الرسالة الوازنة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين " <sup>٣</sup>.

وكتبه كثيرة جداً، أوصلها بعضهم إلى مئة مجلد، ومنها رسالتاه اللتان رد فيهما على الباطنية، وهما " الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام " و " مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار " وقد طبعتا، ولكنني لم أحصل على أي منهما.

وهذا الإمام لم يقتصر على الرد على الإسماعيلية بقلمه ولسانه، بل حاربهم بسيفه وسنانه، كما ذكر ذلك صاحب أعلام المؤلفين الزيدية <sup>٤</sup>، ولست أدري شيئاً عن مضمون الكتابين غير أن الظن أنهما مفيدان ومحققان، فقد وُصِفَ هذا الإمام بالتحقيق والنبوغ.

وهو مع مكانته العلمية وشهرته بين علماء اليمن، قد صدرت عنه بعض الفتاوى التي يظهر بجلاء مخالفتها للأدلة، من أشهرها تجويزه بناء المشاهد والقباب على قبور الخلفاء وذوي الفضل، وهذه

<sup>١</sup> البدر الطالع ( ٣٣١/٢ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ٣٣٢/٢ )

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ٣٣٢/٢ ) .

<sup>٤</sup> أعلام المؤلفين الزيدية ص ( ١١٢٤ ) .

الفتوى هي التي رد عليها الشوكاني برسالته "شرح الصدور بتحرير رفع القبور"، وقد ذكر بعض تلك المسائل القاضي إسماعيل الأكوخ في ترجمته في كتابه هجر العلم<sup>١</sup>.

وقد توفي - رحمه الله - في موضع اعتزاله بعد أن تحلى عن الإمامة بقصر هران بدمار سنة (٧٤٩ هـ)<sup>٢</sup>.

### المطلب الثالث: المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية:

لقد عثرت - أثناء بحثي عن هذه الطائفة وتاريخها وموقف العلماء منها - على عدد من الردود عليها من علماء اليمن، ولأزعم أن هذه الأسماء التي سأذكرها في هذا المطلب هي كل ما كتبه اليمنيون في ذلك، ولكن هذا ما وقفت عليه.

١ - (٣) ماسبق ذكرها؛ وهي رسالة الحمادي "كشف أسرار الباطنية"، و"الإقحام لأفئدة الباطنية الطغام" و"مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار" وكتاتهما للإمام يحيى بن حمزة.

٤) "الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار"؛ للشيخ حُميد بن محمد المحلي الهمداني المعروف بحميد الشهيد، وكان من كبار الهادوية في عصره، قتل سنة (٦٥٢) هـ<sup>٣</sup>.

٥) "الرسالة القاطعة في الرد على الباطنية" (جزآن)؛ للشيخ محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش، توفي سنة (٧١٩) هـ<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> هجر العلم (٥٠٢/١) .

<sup>٢</sup> انظر ترجمته في البدر الطالع (٣٣١/٢ - ٣٣٣) ، وهجر العلم ص (٥٠١ - ٥٠٦) ، وأعلام المؤلفين الزيدية ص (١١٢٤ - ١١٣١) .

<sup>٣</sup> هجر العلم للأكوخ (٨٨٢/٢) ، ومصادر الفكر للحبشي ص (١٠٧) .

<sup>٤</sup> هجر العلم (١٣٠٦/٣) ، ومصادر الفكر ص (١١٢) .

٦) "الغضب المسلول في الرد على الباطني المخذول" لأبي العطايا عبدالله بن يحيى بن المهدي، توفي سنة (٨٧٣) .<sup>١</sup>

هذه هي الكتب المفردة، وهناك من تعرض لهم أثناء بحوث أخرى وضمن كتب غير مخصصة للرد عليهم منها:

أ) ما كتبه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، المتوفى سنة (٨٤٠هـ)؛ في كتابه "إيثار الحق على الخلق" في عدة مواضع.

ب) محمد بن الحسن الديلمي المتوفى سنة (٧١١هـ)، في كتابه "قواعد عقائد آل محمد"، وغير ذلك من كتب العقائد والتاريخ.

وعندما بدأت موجات المجاج الإسماعيلية تتوافد على اليمن، وظهر نشاطهم ونشاط إخوانهم من اليمنيين، تحرك بعض العلماء والدعاة من المعاصرين؛ لمواجهة ذلك خطابة ومحاضرة وربما تأليفاً، والواجب أن تأخذ هذه الفرقة حظها من العناية والاهتمام على مستوى الخطر الذي تشكله، والله الموفق.

<sup>١</sup> مصادر الفكر ص (١٢٢).



## المبحث الثاني

المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمينية المختلفة لعموم القبورية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى "صنعاء ومايلها":

لقد كان لعلماء هذه الجهة النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الجهود العلمية والعملية في مواجهة القبورية، وقد تقدم بعض جهودهم في مواجهة الباطنية الشيعية، وفي هذا المبحث سألقي الضوء على جهودهم في مواجهة عموم القبورية، ولم تكن تلك الجهود العظيمة لأن بلادهم كانت أكثر قبورية من غيرها، ولكن كان هناك عاملان أساسيان لذلك:

الأول: هو الاجتهاد والتجديد الذي تميز به علماء هذه الجهة، فاتسعت آفاقهم، وزالت الموانع من طريقهم؛ سواء موانع النظر العلمي، أو موانع الجهر بكلمة الحق التي حالت دون علماء جهات أخرى أن يقولوها.

الثاني: أنه لا يوجد من يتبنى القبورية، ويدافع عنها بقوة من علماء تلك الديار، وإنما الذي يروج تلك القبورية هم الحكام دون اعتقاد؛ بل لدوافع إظهار العظمة لديهم، فلم يكن لهم حماس الصوفية المعتقدة في الأولياء والحكام الخاضعين لسلطان الصوفية.

ولذا فسوف نطالعنا أسماء عديدة، لها إسهاماتها في هذه الجهود من جوانب مختلفة، ولكنني سأكتفي بدراسة أكثر تلك الأسماء تأثيراً، وهما الإمامان شيخا الإسلام "محمد بن إسماعيل الأمير" و"محمد بن علي الشوكاني"، مع استعراض بعض آثارهما في هذا المجال، وأما بقية الأسماء فساذكرها مجردة، مع تاريخ الوفاة وبعض مصادر الترجمة، واسم الأثر الذي تركه ذلك العالم في مواجهة القبورية وموضوعه.

## العلم الأول

### من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

#### الإمام محمد بن إسماعيل الأمير

هو علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها، البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد بكحلان ليلة الجمعة منتصف جمادى الأولى سنة (١٠٩٩هـ) ، ثم ارتحل مع والده إلى صنعاء، وهناك أكب على طلب العلم على أشهر وأفضل علمائها، (ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة، ونفر عن

<sup>١</sup> هجر العلم (٤/١٨٥٤).

التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن<sup>١</sup>، وقد عدد الشوكاني تلك المحن التي وقعت عليه<sup>٢</sup>.

وقد تفرد في عصره من بين علماء اليمن بأمور، هي من أعظم خصال المجددين، وأزكى ثمار اجتهاد المجتهدين، أولها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك ووسائله، وهذا ما سنراه في الجزء الثاني من هذه الترجمة، وكان ذلك قبل أن يسمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فلما سمع بها وبما يقوم به ابن عبد الوهاب في ذلك السبيل، فرح فرحاً شديداً، وتقوى بذلك، ووجد المساعد على دعوته التي كان يظن أنه وحده عليها، فراسله بقصيدته الشهيرة المعروفة بالقصيدة النجدية، والتي مطلعها:

**سلامٌ على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي**

وقال مبدياً سروره بما يدعو إليه ذلك الإمام:

لقد سرنني ما جاءني من طريقة وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد ضمن هذه القصيدة أهم ملامح دعوته إلى التوحيد والاجتهاد ومحاربة البدع، وأثنى على الإمام ابن عبد الوهاب بذلك.

ولكن هناك أموراً ساعدت على شيء من التردد تجاه الشيخ ابن عبد الوهاب؛ وهي أنه لم يبادر بالجواب على الصنعاني، وترتب على هذا السبب أسباب أخرى، من أهمها أن القصيدة انتشرت، وسار بها الركبان، وبلغت الحجاز والشام والعراق وغيرها من البلدان التي لابن عبد الوهاب فيها أعداء، فسارعوا بالكتابة لابن الأمير، يلومونه على مدحه لابن عبد الوهاب، ويختلفون المطاعن

<sup>١</sup> البدر الطالع (١٣٣/٢).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١١٣-١٣٦).

والمثالب، ويهولون الأمر بحيث يصورونه له أنه بسبب هذه القصيدة، ارتفع شأن هذا الرجل، واغتر به أناس مع ما عنده من أخطاء، ويحملون ابن الأمير مسؤولية من اغتر بقصيدته، ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه، كما صرح بذلك في مقدمة قصيدة الرجوع غير أنه بعد فترة، ورد إليه رجل من أهل نجد، يزعم أنه من طلاب محمد ابن عبد الوهاب، وذكر لابن الأمير بعض الأمور عن صاحبه، لم ترق له، ولم يُعِر ذلك اهتماماً، ثم ورد رجل آخر، يظهر عليه سمت وسيما صلاح ونباهة في طلب العلم حسبما يصفه ابن الأمير؛ فأكد ما قاله الوافد الأول وأحضر حسب زعمه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي فيها تبرير تكفير سائر الأمة، والوجهة في قتل مخالفيه، وأخذ أموالهم، فلما تجمع ذلك كله وجد ابن الأمير نفسه مضطراً لمسح ما فعلته القصيدة الأولى، من دعاية لابن عبد الوهاب، فنظم قصيدته التي مطلعها:

### رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

وأبان فيها ما بلغه عن ابن عبد الوهاب، مما لا يرتضيه وأهمه تكفير الأمة قاطبة، والتجاري على الدماء والأموال، وأقول:

أما القضية الأولى فهي قطعاً غير صحيحة، وجميع مؤلفات الإمام ومؤلفات أبنائه وأحفاده وأعلام الدعوة النجدية موجودة متداولة، وليس فيها شيء من ذلك، أعني التكفير العام المطلق للأمة، وإنما فيها التحذير من الشرك والحكم العام دون التعيين لمن وقع في الشرك بأنه مشرك، ما لم يكن معذوراً، وتاب عن ذلك، فدعوى تكفير الأمة قاطبة مما افتراه عليه أعداؤه؛ لتشويه سمعته.

وأما القضية الثانية وهي التجاري على دماء المسلمين وأموالهم فهي مبنية على حكم من يحاربهم، فمن اعتقد هو وأتباعه أنه مرتد معاند، لم يقبل النصح، ولم ينصع للدعوة، استحل قتاله، وغنم أمواله،

وذلك بعد البلاغ والإعذار، كما تنص عليه كُتبه وكتب أتباعه، وأما وصول الأمر إلى حد الاغتيال دون إنذار ودون دعوة، فما علمت أن الشيخ وأتباعه العلماء، يميزون ذلك بهذه الصورة المذكورة، وأما أن يحصل من بعض الجنود وقوادهم شيء من التجاوز في القتل أو في نهب الأموال أو ما أشبه ذلك، فهذا ممكن، وليس العيب فيه على الشيخ، ولا على دعوته.

وعلى كل حال فتأخر جواب الشيخ ابن عبد الوهاب علما الشيخ ابن الأمير؛ فتح المجال للطرف الثالث وهم الناقمون على الشيخين جميعاً، فسعوا للإيقاع بينهما، وخصوصاً أنهم لمسوا قضية حساسة لدى ابن الأمير، وهي قضية قتل الناس وأخذ أموالهم باسم الدين والشرع والجهاد في سبيل الله، التي كان قد سنّها بعض أئمة اليمن، وضاق بها علماء اليمن ذرعاً، ومن أشدهم ابن الأمير، فكم له في ذلك من مكاتبات وقصائد تعد ثورة على تلك الأوضاع، فخشي أن يذم أئمة اليمن، ويمقتهم لذلك الظلم، وفي نفس الوقت يمدح إمام نجد الذي يجاري أئمة اليمن في ذلك البغي والظلم. هذه في نظري هي الأسباب الحاملة على نظم القصيدة الأخيرة؛ ولذلك ومن أجل أن يقطع الطريق على من يصطاد في الماء العكر، فقد أكد تمسكه بما جاء في القصيدة النجدية من العقيدة والمنهج، وإنما كان الرجوع عن تلك القضايا المحددة فقال:

نعم واعلموا أنني أرى كل بدعة ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد

ولا تحسبوا أنني رجعت عن الذي تضمنه نظمي القديم إلى نجد

بلى كل ما فيه هو الحق إنما تجاريك في سفك الدما ليس من قصدي

وتكفير أهل الأرض لست أقوله كما قلته لا عن دليل به تهدي<sup>١</sup>

والقصيدة ثابتة عن الإمام ابن الأمير، وليست مقولة على لسانه، والسبب فيها ما ذكر، وليس هو تراجعاً عن ذلك المنهج، وقد أشار الشوكاني في "الدر النضيد" إلى شرح هذه القصيدة لابن الأمير،

<sup>١</sup> الديوان وانظر مقدمة هذه القصيدة ص (١٧١-١٧٣) .

<sup>٢</sup> الدر النضيد ص (١٠٢) .

فمن أنكرها من علماء نجد وغيرهم كان إنكاره لها عن عدم اطلاع على ما ذكر من أسباب وملابسات، وماذاك إلا غيرة على الإمام ابن الأمير من أن ينسب إليه ما يخالف ما عرف عنه من الدعوة إلى التوحيد والاتباع ومحاربة الشرك والابتداع.

وأما الأمر الثاني فالدعوة إلى الاجتهاد وبند التقليد الأعمى والتعصب المقيت، وهذا الأمر تطفح به كُتبه التي خصص منها رسالة لهذا الغرض بعنوان: "إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد"، كما تعرض لهذا الأمر في الكثير من كُتبه الكبيرة والصغيرة، وأعلنه في العديد من قصائده، ومنها هذه القصيدة النجدية التي تكلمنا عنها آنفاً حيث قال:

وأقبح من كل ابتداع سمعته وأنكاه للقلب الموفق للرشد

مذاهب من رام الخلاف لبعضها يُعض بأنياب الأسود والأسد

يصب عليه سوط ذم وغيبة ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد

ويُعزى إليه كل ما لا يقوله لتنقيصه عند التهامي والنجدي

فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد

وليس له ذنب سوى أنه غدا يتابع قول الله في الحل والعقد

ويتبع أقوال النبي محمد وهل غيره بالله في الشرعي من يهدي

لئن عده الجهال ذنباً فحبذا به حبذا يوم انفرادي في لحدي<sup>١</sup>

وتجد هذا الاتجاه في ديوانه في عدة مواضع بارزاً، وقد جر عليه هذا ضروباً من المحن، كما مر.

<sup>١</sup> الديوان ص (١٦٧)

والأمر الثالث مقارنته للأئمة وتشديده النكير عليهم في المظالم التي يرتكبونها بحق الأمة في دمائها وأموالها، وهو فاش في كتبه ورسائله وقصائده، ومن أشهر تلك القصائد وأذيعها وأبعدها ذكراً القصيدة التي مطلعها:

### (سماحاً عباد الله أهل البصائر لقولٍ له يفنى منام النواظر) <sup>١</sup>

وقد شجب فيها ظلم الأئمة وميل بعض القضاة عن مقتضى العدل، وسكوت العلماء عن قول كلمة الحق، وبالجملة فقد وهب نفسه وراحته ووقته وعلمه لإعلاء كلمة الحق ورفع راية التوحيد وقمع البدع والمنكرات، ومن طريف ما قام به في الحفاظ على التوحيد ومحاربة الشرك ما ذكره "زيارة" في "نشر العرف" تحت عنوان "صنم المخا وفتنة الخطبة بصنعاء" قال: (وأرشد المهدي العباس إلى إزالة أصنام كانت بيندر المخا لطائفة البانين، وألف البدر رسالة في ذلك نفيسه، فبادر المهدي إلى الأمر بإزالتها وهدم بيوتها، وقبض جميع أموالها، وقد كان لها مال واسع يقدر بنحو خمسين ألف ريال، فأخذ وأوصل أحد الأصنام إلى حضرة الإمام والبدر لديه، فأمر البدر بكسره، وكان في صورة أنثى، فديس بالنعال) <sup>٢</sup>.

وقد التف حوله نخبة كبيرة من طلاب العلم من طبقات متفاوتة من المجتمع، قال عنها الشوكاني: (وقد كان أكثر أتباع صاحب الترجمة من الخاصة والعامة، وعملوا باجتهاده وتظاهروا بذلك، وقرأوا عليه كتب الحديث وفيهم جماعة من الأجناد، بل كان الإمام المهدي يعجبه التظاهر بذلك، وكذلك وزيره الكبير الفقيه أحمد بن علي النهمي وأميره الكبير الماس المهدي، وما زال ناشراً لذلك في الخاصة والعامة غير مبال بما يتوعده به المخالفون له، ووقعت في أثناء ذلك فتن كبار، وقاه الله شرها) <sup>٣</sup>.

وبواسطة طلابه والمقتدين به من العلماء والدعاة، وصلت إلينا الدعوة السلفية اليمنية، والحمد لله، كما خلف ثروة ضخمة من الكتب التي تُشد إليها الرحال في التحقيق والتجديد ودقة الفقه والاستنباط، من أوسعها انتشاراً "سبل السلام" و"تطهير الاعتقاد" والعدة حاشية شرح العمدة "لابن دقيق العيد، ومؤلفاته كثيرة جداً، قال القاضي الأكوغ: (وله رسائل كثيرة، يضيق المقام بذكرها) <sup>٤</sup>. ومعظمها في تلك الاتجاهات التي أشرنا إليها، وسيأتي التعريف بما يخص القبورية من مؤلفاته التي

<sup>١</sup> الديوان ص (٢٤٤-٢٤٧).

<sup>٢</sup> نشر العرف (٤١/٣).

<sup>٣</sup> البدر الطالع (١٣٧/٢).

<sup>٤</sup> هجر العلم (١٨٥٧/٤).

اطلعنا عليها أو بعضها، ولقد اهتم العلماء والمؤرخون وطلاب الدراسات العليا بدراسة جوانب مختلفة من حياته وفكره، فمنهم الإمام الشوكاني في " البدر الطالع "، والقاضي الحيمي في كتابه "طيب السمر"، والجرموزي في كتابه " سلافة العصر "، والقاضي أحمد قاطن في كتابه " الدمية والتحفة "، وعبدالله بن عيسى في كتابه "الحدائق"، وعبدالله الحبشي في كتابه "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن".<sup>١</sup>

وقد ترجمه ترجمة واسعة " زبارة " في " نشر العرف "، والقاضي الأكوغ في " هجر العلم "، كما كُتبت عنه عدد من المؤلفات الخاصة والرسائل العلمية منها: كتاب " الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار " للدكتور " أحمد محمد العليمي "، وكتب علي عبدالجبار ياسين السروري كتاباً بعنوان: " ابن الأمير الصنعاني حياته وفقهه "، نال بها درجة الماجستير، وكتب الباحث قاسم صالح ناجي الريمي رسالة بعنوان " الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني "، نال بها درجة الماجستير، وكتب عنه العلامة عبدالرحمن طيب بعكر كتاباً بعنوان " مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير دراسة حياته وآثاره " وكتب الأستاذة قاسم غالب أحمد، وحسين أحمد السياغي، ومحمد بن علي الأكوغ، وعبدالله ابن عبدالوهاب الشماحي، ومحمود إبراهيم زائد كتاب " ابن الأمير وعصره " <sup>٢</sup>.

هذا هو الإمام محمد بن إسماعيل الأمير أحد أبرز مجددتي اليمن ومن أوائل من فتح باب مواجهة القبورية في اليمن الأعلى.

### جهود ابن الأمير في مواجهة القبورية:

لقد احتلت مواجهة القبورية حيزاً واسعاً من حياة ابن الأمير وجهده وجهاده، ولن أستطيع الإحاطة بكل ما كتب في هذا الجانب، فبعضه مازال مخطوطاً، وبعضه ضمن مؤلفات كبيرة متناثر في ثناياها، والقصد هو إلقاء الضوء على منهج الرجل في مواجهة القبورية، وسيظهر ذلك - إن شاء الله - من خلال استعراض ما يقع عليه الاختيار من كتبه.

### الأثر الأول من آثار ابن الأمير المفردة في مواجهة القبورية

#### " تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "

<sup>١</sup> مقدمة الديوان ص ( ٤٧ ) بقلم حفيده الأستاذ عبدالرحمن علي الأمير ..

<sup>٢</sup> هجر العلم ( ٤ / ١٨٥٥ ) .



هذه الرسالة هي أشهر كتبه المفردة في هذا الموضوع، وقد تداولها الناس، وطبعت عدة طبعات في بلدان عديدة، قال في مقدمتها بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي ﷺ: (وبعد فهذا " تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"، ووجب عليّ تأليفه، وتعين عليّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يُرى لله راعماً ولا ساجداً، ولا يعرف السنة والكتاب، ولا يهاب البعث والحساب، فوجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره) <sup>١</sup>.

وقد احتوى الكتاب على خمسة أصول وعدد من الفصول، كلها تدور حول إخلاص العبادة لله تعالى، وبيان ما وصل الناس إليه من جاهلية باعتقادهم في أصحاب القبور، ونقد كثير من الأوضاع المبتدعة المتعلقة بذلك.

وللشيخ كتب أخرى مفردة في هذا الموضوع، منها كتاب بعنوان " الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطف"، ألفه حينما اطلع على جواب لأحد القبوريين، أجاب به علسؤال ورد إليه، فجاء في ذلك الجواب: (إن للأولياء ما يريدون، وأنهم ممن يقول لأي شيء أرادوه كن فيكون، وأنهم من القبور لقضاء الحوائج يخرجون) <sup>٢</sup>، إلى آخر ما ذكره المجيب من نواقض الاعتقاد الصحيح قال: (فتعين إيقاظ أهل الغفلة والمنام، من القاصرين والعوام، ببيان حقيقة الولي وماورد في صفته من الآثار، وبيانه من الكتاب والسنة والأخبار، ثم بيان رد ما أورده المجيب من الهذيان، وأنه جعل الأولياء من جملة الأصنام والأوثان، ووصفهم كالإله تقدس وتعالى، وأنهم يقولون للشيء كن فكان، فرأيته يتعين إبانة الصواب، وبيان حقيقة ما افتراه من الأوتاد والأنجاب والأقطاب، وما خالف فيه بهذه البدعة من أدلة السنة والكتاب) <sup>٣</sup>.

ثم تتبع ذلك المجيب، بأن يورد مقطعاً من كلامه، ثم يتعقبه بالرد وبيان الحق في تلك المسألة، وقد طبع الكتاب عام (١٧٤١هـ) بتحقيق مجموعة من الطلاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية تحت إشراف الشيخ "حسن علي حسين العواجي" المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين في نفس الجامعة.

<sup>١</sup> تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ص (٢٧ - ٢٨) .

<sup>٢</sup> الإنصاف للصنعاني ص (٢) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٣) .

كما أن له كتاباً يتعلق بالقبور، ولا يظهر علاقته بهم إلا بعد النظر الفاحص فيما يمارسون، ذلك الكتاب هو المسمى " رسالة شريفة فيما يتعلق بـ (الأعداد للحروف، والأوفاق، وكم بقي من عمر الدنيا، وذكر المهدي المنتظر "، والذي يخص موضوعنا منها هو ما يتعلق بالحروف والأوفاق، وقد تكلم في المسألة الأولى عن حروف " أبجد، هوز "، وأبان أنها ليست في دلالتها على الأعداد من وضع اللغة العربية، ثم انتهى إلى القول بأن جعلها دلالة على الأعداد أمر اصطلاحى، لا حجر فيه، ولا ضير على متعاطيه، ونهى ابن عباس عنه وأنه من السحر، يدل على أنه عرف أنه اصطلاح لليهود، يستعملونه في الأسحار، وهذا يأتي بحقيقته في المسألة الثانية <sup>١</sup>.

وفي المسألة الثانية قرر أن علم الأوفاق علم مبتدع وحادث، لا يعرف له دليل من كتاب ولا سنة ولا فعل صحابي ولا غيره، وبعد أن فنده، وحكم بعدم وجود أصل شرعي له، نقل تعريف داود الأنطاكي له، ثم قال: (قلت: وهذا شأن الأسحار والابتداع، لاشأن الطريقة النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سحرية، إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة، من جاه عند العباد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك) <sup>٢</sup>.

وإنما قلت: إن هذه الرسالة هي من ضمن مواجهة القبور؛ لأنه سبق في الباب الثاني أن كثيراً من أولياء القبور ذكروا أنهم يتعاطون علم الحروف والأوفاق، ويتصرفون بها، ويعدون ما ينتج عن ذلك كرامات لأولئك الأولياء، وهو في الحقيقة من السحر، فناسب جعل هذه الرسالة من جملة الردود عليهم، وقد حقق هذه الرسالة الأخ: مجاهد بن حسن بن فارع الوصابي المطحني، وراجعها شيخنا الشيخ مقبل الوادعي - رحمه الله - وطُبعت من قِبَل دار القدس بصنعاء عام (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

كما إن هناك رسالة صغيرة هي عبارة عن إجابة على سؤال عن حكم الذبح على القبور بعنوان "مسألة في الذبائح على القبور وغيرها" حققها أخونا " الشيخ عقيل بن مُجَّد المقطري "، وراجعها محدث اليمن العلامة " مقبل بن هادي الوادعي " <sup>٣</sup> - رحمه الله -، وهي رسالة صغيرة جداً، أبان فيها حرمة تلك الذبائح، وفصل فيها، وقد عد الذبح . على باب الدار وعلى جدرانها، وكذلك ما

<sup>١</sup> رسالة شريفة للإمام الصنعاني ص (١٨) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٢٢) .

<sup>٣</sup> كتبت هذه السطور بعد وفاة الشيخ بأربعة أيام ، حيث وافاه الأجل المحتوم آخر يوم السبت أول يوم من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٢ هـ تغمدته الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأخلف على المسلمين خيراً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

سمي عند العامة بـ "الهجر" ونحوه . من الذبائح المحرمة، ولكن الذابح لا يكون بذلك مرتدًا، وأما الذابح للقبور فإنه يكون مشركًا، وذبيحته ذبيحة مشرك: (... فإن الذابح لابن علوان مثلاً، لا يكون إلا عن اعتقاد أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويشفي المرض ويذهب عن الأبدان العليلة الأدواء، وهذا بعينه الذي كان عليه عباد الأوثان وأتباع الشيطان، فإنهم كانوا ينحرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويدعونها، ويخافونها، ويرجونها، ويطوفون بها، وينادونها بمثل " على الله وعليك"، كما يفعله الآن عباد القبور والقباب والمشاهد التي يجب هدمها) <sup>1</sup>.

كما يعد من هذا الباب شرحه على رجوعه عن القصيدة النجدية المسمى " إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب " أو " النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي"، ذلك أن الرجل لم يرجع كما سبق عن أصل ما كان في قصيدته الأصلية " النجدية"، وإنما رجع عن مدح مُجَّد ابن عبد الوهاب وبيان ما بلغه عنه مما لا يرتضيه، وهذا كله لا يغير من منهج تلك القصيدة، وبالتالي فالشرح يؤكد ما كان في تلك القصيدة من مواجهة للقبورية، ويوضحه، ويقدم الأدلة عليه، كيف لا وهو قد صرح فيها بأن القبورين قد أصبحوا مشاهين لعباد " ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر".

ولعل الله أن يهيء نشر ذلك الشرح؛ ليتضح صحة هذا الكلام؛ وليخسأ من يتشدد أمام العوام وأشباه العوام، بأن الصنعاني رجع عما جاء في قصيدته النجدية مطلقاً، وأنه عاب على ابن عبد الوهاب دعوته إلى التوحيد من أصلها، ومحاربتة للشرك والقبورية من أساسها. هذه بعض جهود الإمام الصنعاني - رحمه الله - في مواجهة القبورية.

## العلم الثاني

### من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

### الإمام شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني

هو الإمام شيخ الإسلام أحد مشاهير أعلام اليمن ومجددي الدين فيه، وأحد رواد النهضة الحديثة والصحة المباركة ورموز السلفيين في العصور المتأخرة، مُجَّد بن علي بن مُجَّد الشوكاني ثم الصنعاني،

<sup>1</sup> مسألة في الذبائح على القبور وغيرها ص ( ٤٤ ) ، طبع مكتبة دار القدس صنعاء ودار ابن حزم بيروت ، الطبعة الأولى ( ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ) .

ترجم لنفسه، وسلسل نسبه إلى آدم عليه السلام،<sup>١</sup> ولد - رحمه الله - في "هجرة شوكان" وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (١١٧٣هـ)، ونشأ بصنعاء في كنف والده الذي يعد من كبار علماء صنعاء في وقته، وقد أقبل على طلب العلم بشكل منقطع النظير، أعانه على ذلك الحال الميسور لأسرته، إذ وفر له التفرغ للطلب، وعدم الانشغال عنه بطلب المعاش، كما كان من أسباب نبوغه وترقيه في الطلب، وسرعة البلوغ إلى المطلب والأرب، النفس الأبية، والهمة العلية، وتشجيع الأب، ودفع به إلى الارتقاء وجود مجموعة من أكابر العلماء، من طلاب الإمام ابن الأمير والمتأثرين به، وهكذا واصل مشوار التعليم، ثم صار يعيد الدروس لزملائه وأقرانه، ثم اشتهر بين أساتذته وأشياخه قبل بلوغ العشرين من عمره<sup>٢</sup>، وما إن بلغ العشرين حتى أصبح مفتياً ترد إليه الفتاوى من جهات مختلفة من اليمن، وكان يفتي بدون أجر، وذلك أمر مستغرب في زمنه وفي وطنه. ولقد امتحنه الله تعالى بامتحان عظيم، وهو تولي القضاء، بل قضاء الأقضية أو بالتعبير العصري " رئاسة القضاء"، فنجح في الامتحان ونجى من الافتتان، وأجمع مترجموه على نزاهته، وحسن سيرته فيه، بل لم يعد رئيساً للقضاة فحسب، وإنما من أقرب المقربين إلى أئمة عصره الذين عايش حكمهم، وهم: الإمام المنصور علي بن المهدي العباس (١١٨٩ - ١٢٢٤ هـ)، وابنه الإمام المتوكل على الله أحمد (١٢٢٤ - ١٢٣١ هـ)، وحفيده الإمام المهدي عبدالله (١٢٣١ - ١٢٥١ هـ)، ولقد كان لقربه منهم أثر كبير في كثير من الإصلاحات، ومنها حمله على الاستجابة لطلب الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الإمام المهدي هدم المشاهد والقباب المقامة على القبور في صنعاء ونواحيها، فصوّب الإمام الشوكاني ومن معه من العلماء ذلك، وحثوا الإمام عليه، فوقع الهدم لتلك المشاهد، كما سيأتي في مطلب الجهود العملية لمواجهة القبورية.

كما أثر عليه في غير ذلك من جوانب الإصلاح، وهذا جانب مهم من جوانب شخصية الشوكاني، وهو جانب الإصلاح السياسي والاجتماعي، والذي مارسه عملياً ومن موقع القرار بخلاف الإمام ابن الأمير، الذي كان يمارسه من خارج نطاق السلطة.

والجانب الثاني كما بدأه سلفه من علماء اليمن، من تمزيق قيود التقليد الأعمى والعصبية المقيتة، فقد قام في ذلك الجانب بجهود جبارة نظرياً من خلال دعوته إلى ذلك وتأليفه فيه وتأصيله في عدد كبير

<sup>١</sup> البدر الطالع (١/٤٧٨-٤٨٠).

<sup>٢</sup> انظر ترجمته لنفسه : في البدر الطالع (١/٢١٤-٢٢٥).

من كتبه ورسائله، حتى أتانا سنجد أنه جعل مدخله إلى نقد فتوى الإمام يحيى بن حمزة في رسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبور"، جعل مدخله إلى ذلك التأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما<sup>١</sup>، وقد أخذ ذلك حيزاً كبيراً من تلك الرسالة، وهكذا شأنه في كثير من رسائله، إضافة إلى كتابه الخاص في ذلك، المسمى "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد".

وأما الجانب العملي فهو ما يراه كل مطالع لمصنفاته الفقهية والحديثية، وحواشيه وشروحه، فكلها ينطلق فيها من هذا المنطلق، ولا يبالي بمن خالف، أو وافق فيما يذهب إليه.

والجانب الثالث هو دعوته إلى الاتباع ونهيه عن الابتداع، وجهاده في سبيل إخلاص كلمة التوحيد، وحره لعقائد الشرك والتنديد، وسيأتي في آخر هذا المطلب دراسة بعض آثاره في ذلك.

غير أنني أود قبل الخروج من هذا الجانب أن أرد على قوم ظفروا بقصيدة للإمام الشوكاني في ديوانه، فهموا منها أنه يعادي الإمام محمد بن عبد الوهاب، ويرد عليه وعلى علماء نجد وأمرائها، فطاروا بذلك فرحاً، وانتسخوها، وصاروا يوزعونها على أتباعهم، والواقع أن القارئ لا يجد فيها ما يفرح به أولئك، غير أنهم قد اتخذوا سياسة التأثير النفسي على الأتباع، فإنهم عندما يوزعونها هم، وربما جعلوا لها مقدمة تبين أن هذه القصيدة رد فيها الشوكاني على الوهابية، ونقض ما يدعون إليه من محاربة الأولياء والمعتقدين فيهم... الخ، فإن التابع المسكين سيتأثر بتلك المقدمة المكتوبة أو الشفوية، ويعتبر أن القصيدة من هذا الباب دون تأمل لما فيها، مما هو في الحقيقة رد عليهم وتأكيد على منهج الشوكاني الذي كرس له حياته، ولم يجد في هذه القصيدة عنه، إذ عرف عنه تجويز التوسل بالصالحين، وقرره في أكثر من كتاب من كتبه، مع اعتباره دعاء غير الله شرك أكبر، وقد رد على ابن الأمير حين قال إنه من الشرك العملي، وذلك في الدر النضيد<sup>٢</sup>، وكل ما في الأمر أن الإمام الشوكاني حذر من التسرع في تكفير الأمة بما دون الشرك من البدع، كالبناء على القبور، وجعل التواييت عليها، أو التوسل الذي يراه هو مباحاً، أما من دعاهم من دون الله، واعتقد فيهم مالا يجوز اعتقاده إلا في الله، فقد اعتبره من الشرك المخرج من الملة، قال - رحمه الله في تلك القصيدة:

ومن يأتي إلى عبد حقير  
فيزعم أنه الرب الودود  
ولا ردلذاك ولا جحود  
فهذا الكفر ليس به خفاء

<sup>١</sup> انظر : مقدمة شرح الصدور من مجموعة رسائل في علم التوحيد ص ( ٦٥ - ٦٩ ) .

<sup>٢</sup> انظر الدر النضيد ص ( ١٠٢ - ١١٦ ) .

ولست بمنكر هدماً لقبرٍ  
وقالوا: إن ربَّ القبر يقضي  
إذا لعبت بجانبه القروءُ  
لنا حاجاً فتأتيه الوفود  
تعالى أن تكون له ندوءُ  
كذبتم ذاك ربَّ العرش حتماً  
ومن يقصد إلى قبرٍ لأمرٍ  
توسل فهو الكنودُ<sup>١</sup> بغير

وهذا الكلام واضح في مراد الإمام - رحمه الله-، ومنسجم مع منهجه، ولئن كان فيه شيء من التعميم والإطلاق فيجب إرجاعه إلى كلامه البين الواضح، وأما قوله قبل هذه الآيات:

فإن قلتم قد اعتقدوا قبوراً فليس لذا بأرضينا وجودُ

فيجب أن يقارن بينه وبين ما في سائر كتبه، ومنه ما جاء في "الدر النضيد"، حيث قال: (وإذا علمت هذا، فاعلم أن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية، أمرٌ غير ما ذكرناه من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقد كثير من العوام، وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ﷻ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذالم يكن شركاً فلا ندري ماهو الشرك؟!، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر).<sup>٢</sup>

فإن قيل: هذا عام، ولا يدل على أن هذا موجود في اليمن، قلت: يؤكد دلالته على ذلك ما جاء في نفس الكتاب بعد أن أسرد الأدلة على تحريم أنواع من الشرك ووسائله، حيث قال وهو يؤكد ما ينتج عن تعظيم القبور وتفخيمها من عقائد باطلة: (وروى لنا أن بعض أهل جهات القبلة، وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب "ذي بين" - رحمه الله -، فرآها وهي مسرجة بالشمع، والبخور ينفح من جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله إلالباب: أمسيت بالخير، يا أرحم الراحمين)<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> الديوان ص ( ١٦٣ ) ، قال المعلق على كلمة (كنود) : الكنود الكفور . قلت : وكذلك هو في القاموس ص ( ٤٠٣ ) .

<sup>٢</sup> الدر النضيد ص ( ٢٨ ) .

<sup>٣</sup> الدر النضيد ص ( ٤٨ ) .

إذاً كيف نؤول قوله: (فليس لذا بأرضينا وجودُ)، قلت: يُؤوَل - والله أعلم - أن هذه القصيدة هي في إطار المراسلات الرسمية بين إمام اليمن، ومعه الشوكاني، وبين أئمة نجد، الذين كانت العلاقات بينها يسودها الود حيناً والنفور حيناً، وخوف إمام اليمن من زحف الجيوش النجدية على بلاده حيناً، فجاءت هذه لقصيدة، لتهدئة الأوضاع وإقناع النجديين بأنه ليس في اليمن ما يستوجب محاربتهم له وزحفهم عليه، فجاز مثل هذا التعبير المخالف للواقع لأجل دفع فتنة الاقتتال بين الطرفين والله أعلم.

وبعد معرفة هذه الجوانب المهمة أقول: إن الإمام الشوكاني خَلَّف لليمن ثروتين عظيمتين: أما الأولى: فهم طلابه وأصحابه الذين ساروا على نهجه، وتعلموا منه المنهج السلفي النقي، وحملوه إلى أن وصلنا اليوم كما وضعه، وهم كثر، وقد أورد منهم الأستاذ عبدالغني قاسم عدد اثنين وتسعين رجلاً<sup>١</sup>، منهم من هو عالم، ومنهم من أصبح إماماً مجتهداً، أو قاضياً عادلاً، أو والياً كبيراً، وهؤلاء الطلاب هم أساس المدرسة السلفية القائمة في اليمن اليوم، والتي يعد رأسها اليوم القاضي العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل العمراني عضو مجلس الإفتاء حالياً.

**والثروة الثانية:** هي كتبه ومصنفاته، التي اتفق على الثناء عليها في الجملة الموافق والمخالف، وصارت مراجعاً للكثير من المؤسسات العلمية في شتى بقاع العالم الإسلامي، وتنافس لاقتنائها العلماء وطلاب العلم في كل مكان، وهي كثيرة جداً، حصر الباحث عبد الغني قاسم منها (٢٧٨) مائتين وثمانية وسبعين مؤلفاً، وأفاد أن المجال مازال مفتوحاً؛ لاكتشاف غيرها في مظانٍ حدها، هي: (المكتبات المنزلية للأسر اليمنية التي توارثت ملكية مخطوطات علماء اليمن، أو في مكتبات كل من الهند "حيث يوجد تلاميذه" وتركيا "إسطنبول"، وإيطاليا وبريطانيا، وسائر متاحف ومكتبات أوروبا الغربية والشرقية، حيث تسربت إلى خارج اليمن.

### مترجمو الشوكاني:

كما لا يحصى عدد تلاميذه بالدقة، ولا تعرف مؤلفاته بالتحديد من كثرتها، كذلك لا يحصى عدد من ترجم للشوكاني، وأشاد بعلمه، وأظهر جوانب من شخصيته، وحتى لا أطيل على القارئ، فلن أشغل

---

<sup>١</sup> الشوكاني حياته وفكره ص (٢٣٨-٢٦٦) للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة الجيل الجديد صنعاء، ط الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، وقد قال عقب أن سردهم: (وقد اكتفى الباحث بهذا القدر من تلاميذ الشوكاني، وعددهم اثنان وتسعون تلميذاً "وإلا فهم مئات بل ألوف"، وتلاميذ الشوكاني أكثر من أن يحصوا).

نفسى بمن أفرده بالترجمة من الأقدمين، ولا من ترجم له في كتب التراجم والتواريخ العامة؛ وإنما أذكر بعض الباحثين الذين درسوا نواحي من حياة الشوكاني وعلمه وفكره، وقدموا في ذلك رسائل علمية؛ للحصول على درجات علمية من قبيل الدكتوراه والماجستير.

فمنهم دون التزام بترتيب معين:

- ١) د. محمد بن حسن الغماري، له رسالة دكتوراه بعنوان: "الإمام الشوكاني مفسراً".
- ٢) د. عبدالغني قاسم الشرجي، له رسالة دكتوراه بعنوان: "الإمام الشوكاني حياته وفكره".
- ٣) د. عبدالله نومسوك، له رسالة بعنوان: "منهج الإمام الشوكاني في العقيدة".
- ٤) د. صالح بن عبدالله الطيباني، له رسالة دكتوراه بعنوان: "اختيارات الإمام الشوكاني الفقهية من خلال كتابيه نيل الأوطار والسييل الجرار".
- ٥) د. زياد علي "من ليبيا" له رسالة دكتوراه بعنوان: "الفكر السياسي والقانوني عند محمد بن علي الشوكاني".
- ٦) د. عادل ياؤوز "من تركيا"، له رسالة دكتوراه بعنوان: "الإمام الشوكاني محدثاً".
- ٧) د. سمير حسين، له رسالة دكتوراه بعنوان: "الشوكاني ومنهجه في الفقه الإسلامي من خلال كتابه السيل الجرار".
- ٨) صالح محمد صغير مقبل، له رسالة ماجستير بعنوان: "محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية".
- ٩) خالد بن إبراهيم بن عبدالله الديان، له رسالة ماجستير بعنوان: "قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني".
- ١٠) عبدالله فارح عبده العززي، له رسالة ماجستير بعنوان: "الشوكاني مؤرخاً، دراسة في منهجه التاريخي في كتابه (البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع)".
- ١١) سالم بن محمد باكوبن، له رسالة دكتوراه تحت الإعداد بعنوان: "الإمام الشوكاني وجهوده في الدعوة".
- ١٢) برنارد هيكل اللبناني، له رسالة باللغة الإنجليزية بعنوان: "الشوكاني والوحدة الفقهية في اليمن".



قال القاضي إسماعيل الأكوغ: (وتوجد رسائل دكتوراه وماجستير أخبرنا أذكرها؛ لأنهم تنشر بعد)<sup>١</sup>.

وهناك مئات المقالات الصحفية والأبحاث العلمية المتفرقة في الصحف والدوريات وغيرها، كل ذلك يدل على عظمة هذا الرجل واهتمام العلماء به. وقد توفي رحمه الله سنة (١٢٥٠ هـ).

### جهود الشوكاني في مواجهة القبورية:

وأما عن جهوده في مواجهة القبورية فهي كثيرة مشكورة، وقد ترك عدة آثار في ذلك:

الأثر الأول " شرح الصدر في تحريم رفع القبور " وهو رد على الإمام يحيى بن حمزة الذي قال كما نقل عنه صاحب البحر الزخار: (لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين، ولم ينكر)<sup>٢</sup>، فرد عليه، ومهد لذلك بالتذكير بالعودة إلى الكتاب والسنة والالتزام بما جاء فيهما، وماجناه التقليد على أهله وعلى الناس من كوارث، ثم جعل هذه المسألة كالمثال على تلك القاعدة، وقد نوّه الشيخ العلامة محمد حامد الفقي بالشوكاني وكتابه في مقدمته لشرح الصدر فقال: (وله "الشوكاني" من الرسائل في مفردات المسائل كثير جداً، فمنها رسالته هذه " شرح الصدر بتحريم رفع القبور " وهي رسالة تنادي بأنه من الشجاعة وقوة اليقين، بحيث وقف هذا الموقف الفذ في وجه جموع أهل اليمن وغيرهم، يرد على الإمام يحيى خطأه - وناهيك بمنزلة الإمام يحيى من نفوس الزبيديين - هذا الرد المفحم، وينادي عليه في صراحة المؤمن الذي لا يخشى في الله لومة لائم: أخطأت في تجويز رفع القباب والمشاهد على قبور الصالحين والملوك، ويالها من شجاعة لله وفي الله! ولو أن العلماء كانوا بهذه الشجاعة في قولة الحق، وكانوا بالصدق والإخلاص في النصيحة كذلك، لكان شأن المسلمين اليوم غير ما هم عليه من الذلة والهوان.

والله يجزي الإمام الشوكاني وإخوانه الصادقين خير الجزاء، ويوقفنا مثل ما وفقهم، ويحشرنا يوم القيامة مع إمامنا وإمامهم وإمام المهتدين عبد الله ورسوله محمد ﷺ)<sup>٣</sup>.

وقد اعتنى العلماء بهذه الرسالة وطبعت طبعات عديدة.

الأثر الثاني كتاب " الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد "، وهو أيضاً جواب على سؤال ورد إليه عن ذلك الموضوع، وقد صدرّ الجواب بتوضيح بعض المصطلحات التي يؤدي الخلط فيها إلى

<sup>١</sup> أئمة العلم المجتهدون في اليمن، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوغ، مصفوف بالكمبيوتر (تحت الطبع).

<sup>٢</sup> شرح الصدر من مجموعة رسائل في التوحيد ص (٧٠).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٦٣-٦٤).

الغلط، وهي: الاستغاثة، والاستعانة، والتشفع، والتوسل، وقد شرح معانيها، وأبان الفروق بينها، وقد رجح جواز التوسل بالصالحين على اعتبار أن ذلك توسل بأعمالهم الفاضلة، واحتج لذلك، ورد على من منع منه، ومسألة التوسل من المسائل التي جرى فيها الخلاف قديماً وحديثاً، والصحيح والله أعلم أنها من البدع المحدثه التي لم يثبت لها دليل عنه ﷺ، ولا عن أصحابه بالمعنى الذي يريده مجوزو ذلك التوسل، هذا في أصل المسألة، وأما ماهو حاصل اليوم عند جماهير المسلمين من عوام وأشباههم وصوفية وغيرهم من المنحرفين، فإن التوسل يستعمل، ويراد به الاستغاثة المجمع على المنع منها واعتبارها شركاً فلينتبه لذلك.

ثم أنه بعد ما فرغ من تقرير موضوع التوسل، قرر بقوة وحزم أن دعاء غير الله شرك، وأنه تعبير عما تنطوي عليه نفوس من يدعون غير الله من الاعتقاد فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وقد سبق نص كلامه كاملاً قبل قليل<sup>١</sup>، وقد نوع الكلام، واستطرد استطرادات حسنة، وبين كثيراً مما يقع فيه الناس من نواقض التوحيد، ومما هو وسائل إلى ذلك، ونبه على حرمة الحلف بغير الله والطيبة، وفرق بين الشرك والكفر الأصغر والأكبر إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة.

**الأثر الثالث " رسالة في وجوب توحيد الله عزوجل "** وهي مأخوذة من كتابه الكبير المسمى " العذب المنير في جواب عالم بلاد عسير "، وقد كان السؤال متعلقاً بالتوحيد، وكون الدعاء عبادة، وهل يعذر الجاهل في ذلك... إلخ.

فأجاب شيخ الإسلام جواباً شافياً مقنعاً مليئاً بالأدلة من الكتاب والسنة مستشهداً بأقوال أهل العلم، وبين منزلة الدعاء من الدين، وحكم صرفه لغير الله، وحقيقة شرك المشركين الأولين، وهو اتخاذهم لأصنامهم شفعاء عند الله، وأن من هذه الأمة من يتخذ أصحاب القبور شفعاء، وهو بذلك مساوٍ لمشركي الجاهلية، ومنهم من يدعوهم من دون الله، وهؤلاء أغلظ شركاً من مشركي الجاهلية، ثم تعرّض لتقسيم الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإلى خفاء الشرك وكثير من أنواعه على كثير من المسلمين حتى وقع فيه بعض من ينسب إلى الأدب والعلم، ثم بين خطورة اتخاذ المشاهد والقباب على القبور المبالغ في تعظيمها وتزيينها، ثم بين الحكمة من لعن رسول الله ﷺ متخذي القبور مساجد.

١ انظر: الصفحة السابقة من رسالتنا رقم ( )

ثم أنكر إدخال قبر النبي ﷺ في المسجد، وما بني عليه بعد ذلك، وكيف كان اهتمام النبي ﷺ بإزالة القبور المشرفة بحيث بعث أميراً من أهله هو علي بن أبي طالب ﷺ؛ لطمس التماثيل، وتسوية القبور.

هذا مجمل ما احتوت عليه الرسالة، وهي قيّمة في بابها، فرحمه الله وغفر له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وهذه الرسالة قد قام بتحقيقها ونشرها د. محمد بن ربيع بن هادي المدخلي الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد طبعت للمرة الثانية عام (١٤١٩هـ).

تلك ثلاثة نماذج من جهود شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله -، الخاصة في مواجهة القبورية، وهناك جهود أخرى كثيرة موزعة أثناء تراثه العظيم الذي خلفه؛ ليستضيء به العلماء، ويتربى عليه الطلاب، ويرجع إليه المختلفون في كثير من القضايا، فهو لم يغفل مواجهة القبورية في تفسيره ولا أغفلها في شروحه للأحاديث وكتب الفقه، وما سهى عنها في فتاواه وردوده على الأسئلة عند أدنى مناسبة، فقد عاش هذه القضية بكل حواسه، وتفاعل معها بكل عواطفه، لذلك قال د. إبراهيم هلال، وهو يتكلم عن دعوة شيخ الإسلام الشوكاني إلى إخلاص شهادة لآله إلا الله: (وقد أخذت هذه الدعوة منه حيزاً كبيراً، بحيث صار فيها في اليمن إماماً كابن عبد الوهاب في الحجاز من قبل، وابن تيمية في مصر والشام، ولاقى من جرائها الكثير من المتعصبين ومن المقلدين ورؤمي بالنصب من أجلها، ومن أجل دعوته إلى الاجتهاد والرجوع بالتشريع، إلى طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين)<sup>١</sup>.

### المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء اليمن الأعلى سوى ما تقدم:

ولعلماء اليمن الأعلى الآخرين جهود مشكورة مباركة في هذا المجال، وقد ألف الكثير منهم في الرد على القبورية رسائل مفردة، فمنهم:

(١) محمد بن محمد السماوي، المتوفى سنة (١٤١٠هـ)، مترجم في هجر العلم (١٤٠٧/٣)، له رسالة بعنوان: "التوصل إلى تحريم التوسل"<sup>٢</sup>، في الرد على القائلين بجواز التوسل.

<sup>١</sup> قطر الولي على حديث الولي ص (٣٧) تحقيق وتقديم إبراهيم هلال طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

<sup>٢</sup> هجر العلم (١٤٠٧/٣).

٢) يحيى بن مُحمَّد شاكر، المتوفى سنة (١٣٧٠هـ)، مترجم في هجر العلم (٢٠٨٨/٤)، له رسالة بعنوان: " دفع المشكك في وقوع شطر هذه الأمة في الشرك " <sup>١</sup>، في الرد على من يقول بامتناع وقوع أحد من هذه الأمة في الشرك، كما له رسالة أخرى بعنوان: " السيف القاطع لأماني أهل الشرك والمطامع " <sup>٢</sup>، وجهها إلى الإمام يحيى حميد الدين، انتقد فيها عدداً من المنكرات، ومن أهمها المشاهد التي على القبور، وأوصاه فيها بخدمها وإزالتها وكذلك إزالة البدع والمنكرات والرجوع إلى الكتاب والسنة، وإفساح المجال للعلماء من أهل السنة؛ لتعليمها والعمل بها. هؤلاء بعض من اطلعت على تأليفهم في هذا الباب، ولاشك أنه يوجد سواهم، وعدم اطلاعي لا يعني عدم وجود شيء من ذلك.

**المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن) في مواجهة القبورية:**

### العلم الأول

#### القاضي العلامة عقيل بن يحيى الإرياني

القاضي العلامة النابغة عقيل بن يحيى بن مُحمَّد بن عبدالله الإرياني، وصفه القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ بقوله: (عالم أديب كاتب شاعر له مشاركة قوية في الفقه وعلوم العربية، سلك مسلك أهل السنة في اتباع أدلة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونعى على المقلدين والمعتقدين بالأولياء جمودهم، وندد بمن يعتقد فيهم الخير، وأنهم يشفعون لمن يلتمس الخير عندهم، أو عن طريقهم، فاتهمه بعض الغلاة بأنه ينزع إلى عقيدة الوهابية فقال:

إن أنا نزهت إلهي عن الأنداد قالوا أنت وهابي

لكن لي بالمصطفى أسوة فقومه سمَّوه بالصابي <sup>٣</sup>

وقد ترجم له ابن أخيه الأديب مطهر بن علي الإرياني ترجمة مطولة في التقديم لرسالته موضوع البحث، عندما نشرها أخوه القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد، وذكر ذكائه ونبوغته، وعدد العلوم التي أتقنها رغم عمره القصير والمجالات التي شارك فيها، وأبرز السمات التي كان متميزاً بها: (إخلاص التوحيد كله لله، وتشدده في ذلك إلى حد عدم

<sup>١</sup> السابق (٢٠٩٣/٤).

<sup>٢</sup> السابق (٢٠٩٣/٤).

<sup>٣</sup> هجر العلم (١ / ٨٧).

السكوت حيث سكت الآخرون عن بعض ممارسات العامة واعتقاداتهم الباطلة بالأولياء وزيارة أضرحتهم والتقرب إليهم والتهاتف بأسمائهم عائدين بهم عند حدوث أي حادثة كزلة قدم طفل أو وقوع دابة من أنعامهم أو نحو ذلك مما نظر إليه على أنه إشراك صريح لله في وحدانيته، وبحكم تمسكه الشديد بمبدأ " إخلاص التوحيد كله لله "، لم ينظر إلى هذه المسألة على أنها شبهة إشراك أو جهالات مضلة مما يقع في الكثير من العامة، بل نظر إليها على أنها الشرك بعينه كما نرى في كتابه هذا) <sup>١</sup>.

ولم يعمر طويلاً، بل اخترمته المنية في ريعان شبابه - رحمه الله تعالى -، فقد كان مولده سنة (١٣٢٤هـ)، ووفاته سنة (١٣٤٦هـ)، فكان عمره أقل من اثنين وعشرين عاماً رحمه الله رحمة واسعة) <sup>٢</sup>، وأثره الوحيد هو كتاب " السيف الباتر لأعناق عباد المقابر "، وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

**الباب الأول:** في أمور يجب التنبيه عليها، واشتمل على ستة تنبيهات: التنبيه الأول على قول النبي ﷺ ((**لتبعن سنن من كان قبلكم**))، ثم أورد تسع خصال وقع فيها التشبه بالمشركين في هذه الأمة، التنبيه الثاني في أن من مكائد الغلاة التشنيع على أهل الحق، التنبيه الثالث في أن من مكائد الغلاة إفهامهم العوام بأن ما يحصل عند قبور الصالحين من محبتهم، ومن أنكر ذلك فهو من مبغضهم، التنبيه الرابع في أن كثيراً من يظهر عقيدة الغلاة، وينتصر لهم، ويصوب أقوالهم المخالفة لما جاءت به الرسل هم زنادقة، لا يعترفون أن للعالم إلهاً ولا صانعاً... الخ، التنبيه الخامس أن من مكائد الغلاة التي كادوا بها العوام قولهم لهم: إن من خالف ما نحن عليه من عبادة القبور، نزلت به المصائب، التنبيه السادس في أن الغلاة يدعون رؤيتهم النبي ﷺ عياناً بجسده يقظة.

**وأما الباب الثاني:** فهو في الاستغاثة وما يتعلق بها، بيّن حال القبوريين في هذا الموضوع، ثم استشهد على أن ذلك شركاً بالآيات الكريمة، وقارنهم بمشركي العرب، وبيّن أن المشركين السابقين لم يعتقدوا أن أصنامهم تخلق أو ترزق، وإنما اتخذوها شفعاء عند الله كشأن هؤلاء المعتقدين للقبور وأصحابها، ثم أورد بعض الآيات الآمرة بالالتجاء إلى الله ﷻ، وقد تكلم على البسمة والفاحة، وبيّن ما فيها من الوجوه الدالة على وجوب توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ثم عزز بذكر آيات أخرى،

<sup>١</sup> مجموعة رسائل في علم التوحيد ص (١٢٧)

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١٢٤).

مما يبين ذلك المقصود، ثم نقل نقلاً طويلاً من إغاثة اللفهان لابن القيم - رحمه الله -، ثم نقلاً عن العلامة "محمد رشيد رضا" من تفسيره "تفسير المنار"، ثم عقد فصلاً للتفريق بين الاستغاثة والتوسل، ثم تحدث عن التوسل، وقرر أنه إن كان التوسل عقيدة في المتوسل به فهو من النوع الأول، وإن لم يكن له فيه عقيدة وإنما أراد ذكره عند دعاء الله ﷻ، متبركاً بذلك الاسم فقط، فقد اعتبر هذا القسم "بدعة من أعظم البدع وأشنعها"، ثم عقد فصلاً آخر، أكد ما مر الكلام فيه في شأن الدعاء والذبح ونحوه. وبعده فصل آخر يتضمن ما قاله الخصم من إثبات للأقطاب وبطلان ذلك بالدليل الواضح، وبعد ما عرّف القطب على مصطلح الصوفية قال: (أما إثبات الأقطاب هذه الصفة فمروء من الدين وعدول عن سبيل الموحدين وخروج عن الصراط المستقيم)<sup>١</sup>، ثم أورد الأدلة على بطلان قول الصوفية، ثم عقد فصلاً، قال في فاتحته: (ويلحق بذلك من شنيع مقالات أهل القبور في هذا الوقت قولهم: إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان أو مكان)<sup>٢</sup>، ثم أبطل ذلك، ثم كر على "عباد القبور" حسب تعبيره واعتقادهم الفضل والولاية بمن قد خلع ربة الإسلام من عنقه، وعدد أولئك الأقطاب في زعمهم من أمثال ابن عربي وابن الفارض وعبد الكريم الجيلي، ثم أورد أمثلة من كلامهم، ورد العلماء عليه وبيان حكم هؤلاء عندهم.

**وأما الباب الثالث:** فقد عقده "في حكم زيارة القبور والسفر إليها"، ذكر الأحاديث الناهية عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة، وما أخذه العلماء منها من منع السفر إلى مشاهد الصالحين، ثم عقد فصلاً نقل تحته كلاماً لابن القيم - رحمه الله - من "إغاثة اللفهان" يوضح فيه مكائد الشيطان التي كاد بها الناس حتى عبدوا القبور.

وأما الخاتمة فقد خصصها لشبه الخصم، والرد عليها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وجعل في آخره قصيدة تزيد على أربعين بيتاً في نفس الموضوع، لا بأس من إيرادها هنا:

قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر	ولا تخش غير الله والله أكبر
وبالعرف فأمر والتزم نهي منكر	لنتج غداً من حر نار تسعر
ولله فاخلص بالعبادة وحده	فليس سواه للأنام يدبر
سميعٌ عليهم شاهد غير غائب	لطيفٌ خبير رازق متكبر

<sup>١</sup> السيف الباتر لأعناق عباد المقابر ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد (٢١٩).

<sup>٢</sup> السيف الباتر ص (٢٣١).

سماعاً عبادالله مني نصيحة  
نصحتكم أبغي الفلاح لكم غداً  
ألا نزهوا أوطانكم ونفوسكم  
فهذي قبور الأوليا بينكم لها  
وها هي كالأصنام بين ظهوركم  
جعلتم برب العالمين مشاركاً  
أندعون ميتاً زاعمين بأنه  
ومن بعد قلتهم إنهم شفعاؤكم  
و أقسم بالرحمن جل بأنه  
كما قلتهم قالوا فسيقت إليهم  
دعاؤكم مخ العبادة فاعلموا  
وكم منكم يدعو "ابن علوان " قائلاً  
أيا حابس الحنشان والفييل بل ويا  
دعوتك أرجو أن تلي دعوتي  
فأنت الذي في كل وقت تحيينا  
فهذا هو الشرك الصريح الذي له

هي الحق فاصغوا وانصتوا وتدبروا  
وحق الذي يولي النصيحة يُشكر  
عن الشرك والأوثان كي تتطهروا  
يُحج ويستسقى لديها وينحر  
إليها لدى وقع الشدائد يجار  
فيا ويح من بعد الإيمان يكفر  
يجيب الذي يدعو ويُعني ويفقر  
إلى الله فهو الخالق المتجبر  
نظير مقال الجاهلية فاحذروا  
خيول متينات الأعنة ضمّر  
كما قال طه الصفوة المتخير  
دعوتك مضطراً فجاهك أكبر  
مقيّد كل الجان أنت المسخّر  
وأيقنت أن النجح لا يتعسر  
إذا ما إجابات الإله تؤخر  
تكاد السماوات العلى تتفطر<sup>1</sup>

## العَلَم الثاني

من أهل هذه المنطقة

العلامة الكبير الشيخ أحمد بن مُحمَّد بن عوض العبّادي - رحمه الله-

العلامة الشيخ أحمد بن مُحمَّد بن عوض العبّادي - رحمه الله -، ولد بقريّة من قرى إب، نشأ بها ثم سافر أسفراً عديدة وطويلة، وصل خلالها إلى كابول، وأخذ بها عن الحافظ مُحمَّد تقي الدين الأفغاني في القرآن الكريم وفقه الشافعية وغيرها من العلوم، ثم ارتحل إلى الهند، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريباً، ثم سافر إلى عمان، وتزوج من "صور"، وأقام بها اثني عشرة سنة، وحج من هناك

<sup>1</sup> المصدر السابق ص(٢٧٥-٢٧٦).

مرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى الحج، ثم عدن حيث استقر في الشيخ عثمان إماماً لمسجده الذي عُرف باسمه ويسمى كذلك مسجد "زُكُوا" <sup>١</sup>.

وقد عرف في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنة وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ وكانت بينه وبين علماء عدن من الصوفية القبورية مصادمات وخصام بسبب ذلك، ولعله من أوئل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقاً.

غير أنني لم أجد له ترجمة ماعدا النبذة اليسيرة التي قدّم بها العلامة البيحاني لمنظومته: "هداية المرید" <sup>٢</sup> ولئن تجاهله المترجمون فلن يتجاهله رب العالمين - سبحانه -، أسأل الله أن يكتبه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

(٢)

### (٣) أثره في مواجهة القبورية:

(٤) الأثر الوحيد المكتوب للعبّادي هو منظومته "هداية المرید إلى سبيل الحق والتوحيد"، وهي منظومة متوسطة كلها في العقيدة والدعوة إلى التوحيد والاتباع، والتحذير من الشرك والابتداع، والرد على المخرفين والدجاجلة، كما وصفهم الشيخ البيحاني <sup>٣</sup> - رحمه الله - في التعليق عليها.

(٥) وقد افتتحها بمقدمة أبان فيها منهجه وغرضه منها، فهي في اعتقاد السلف ونصيحة لإخوانه في الله، يحذرهم فيها من البدع والمحدثات، ثم عرف العلم، وحث عليه لا سيما علم التوحيد، فهو المقدم على كل العلوم، ثم معرفة حقيقة الإيمان بما يجب الإيمان به، ثم

<sup>١</sup> انظر: مقدمة هداية المرید إلى سبيل الحق والتوحيد لتلميذه العلامة مُجَدِّد بن سالم البيحاني ص (٣ - ٥).

<sup>٢</sup> المصدر السابق.

<sup>٣</sup> هداية المرید ص (٥).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٦-٧).



معرفة الفروع، وحذر من الجهل بالتوحيد ثم الجهل عموماً<sup>١</sup>، ثم ابتداءً في شرح العقيدة عموماً، وبدأ بتوحيد الأسماء والصفات، ثم انتقل إلى شروط التوحيد، ثم حذر من الاعتقادات الباطلة، وركز على قول من قال: "لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه"، وحذره من هذا القول، وبين أن الأصنام إنما عبدت بهذا الاعتقاد، ثم استمر في شرح مراده حتى وصل إلى نقطة مهمة في مسيره، هي التحذير من الشرك، وبين قبحه وسوء عقابه في الدنيا والآخرة، وعدد هنا بعض المكفرات، ثم وقف مع بعض ما يفعله القبور عند القبور من أنواع العبادات كالاستغاثة وحلق الرأس، والطواف والاعتكاف عند القبور<sup>٢</sup>، ثم حذر من تكفير المسلم بغير بيئة<sup>٣</sup>.

ثم انتقل إلى الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة، وأطال في هذا الفصل، وتعرض لرد بعض الشبهات التي يوردها المبتدعة؛ لإثبات بدعهم، مثل جمع الناس على صلاة التراويح في زمن عمر والأذان الثالث للجمعة في زمن عثمان، وأبان أن ذلك قد أقره الصحابة؛ وبذلك يصير سنة بإجماعهم، وأن الرسول ﷺ قد صلاها جماعة في حياته فلا حجة للمبتدعة<sup>٤</sup>، ثم تعرض للحقيقة والشريعة، وأبان أن الحقيقة هي ما جاء بها الكتاب والسنة، لا ما جاء بها الصوفية المبتدعة، ثم انثنى عليهم في السماع الصوفي المبتدع والأوراد والأذكار البدعية، وقد ذلك، وسخر منهم في رقصهم ووجدتهم؛ لأنهم إنما يفعلون ذلك عندما يذكر التشبيب والتغزل وتشبيه المرأة بغصن البان، ثم

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٧-٨) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٢٣-٢٥) ..

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٢٣-٢٥) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٢٦-٣١) .

يزعمون أن ذلك من محبة الله، ثم أرشد إلى الذكر المشروع الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم نهى عن الغلو المذموم<sup>١</sup>، وبعده حذر من التكييف والتشبيه في صفات الله تعالى، ثم تعرض لحكم البناء على القبور، وحذر من ذلك، وبين زيارة القبور الشرعية، وحث عليها والزيارة البدعية، وحذر منها، وما يترتب عليها من الغلو في أبواب القبور وما يحدث في تلك الزيارات من مفسد عقدي وأخلاقية، وخلص إلى مشايخ الطرق وما يكيدون به الناس من الحيل والمكايد، لأجل ابتزازهم وأخذ ما في أيديهم والضحك على عقولهم<sup>٢</sup>، وانتهى بيان التصوف الحمود، ويعني به الزهد والورع وتخليص القلب من أمراضه، والذي يكون مبنياً على العلم النافع جالباً للعمل الصالح، وعدد الأعمال الصالحات والآداب الحسنة التي يتحلى بها سالك هذا السبيل، وما ينبغي له من مداومة ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية<sup>٣</sup>.

هذه هي منظومة العلامة العبادي، وقد علق عليها العلامة البيحاني - رحمه الله - تعليقات مهمة نافعة، وقد طبعت مرتين، الطبعة الأولى لم أطلع على تاريخها، ثم طبعت مرة أخرى عام (١٣٨٩هـ) مع نفس التعليقات التي وضعت على الطبعة الأولى.

### العلم الثالث

#### من أعلام هذه المنطقة

#### الإمام العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور "بالبیحاني"

<sup>١</sup> هداية المرید ص (٣٢-٣٦) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٤٠-٤٤) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٤٧-٥٦) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٥٦) إلى آخر المنظومة .

هو الداعية السني الكبير محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، مؤسس المعهد الإسلامي بعدن، ولد - رحمه الله - " ببيحان " سنة (١٣٢٦هـ)، وعند بلوغه الرابعة عشر من عمره أرسله والده إلى تريم بحضرموت؛ ليتعلم هناك في رباطها المشهور الذي يقوم عليه السيد عبدالله بن عمر الشاطري، فمكث أربع سنوات، ثم عاد الى بيحان، فمكث فيها سنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (١٣٤٦ هـ)، فلازم الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي، وتزوج ابنته، ثم رحل إلى مصر، للالتحاق بالأزهر، فدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشريعة فيه، غير أنه ما لبث إلا سنة دراسية واحدة، اضطر بعدها إلى العودة إلى عدن حيث استقر في مدينة كريتر، وأسس فيها مسجد العسقلاني، الذي عُرف بالشيخ، وعرف الشيخ به، ومكث هناك يدعو إلى الله، ويقوم الدروس العلمية والوعظية، وينشر السنة المطهرة ويحارب البدع والخرافات والشركيات، كما كان على وعي سياسي جيد، فكان ينبه قومه إلى خطورة الاستعمار والانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويدعو للتخلص منه.

ومن أبرز مآثره المعهد الإسلامي الذي أسسه هناك على نفقة جمع من المحسنين، والذي أمم في أيام الإشتراكيين، وأصبح مقراً لوزارة الداخلية، كما أنه كان نشيطاً في التأليف، فألف أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها كتاب "إصلاح المجتمع" الذي لقي قبولاً واسعاً، وانتشر في أقطار المسلمين عموماً، وتعددت طبعاته.

وقد أصبح الشيخ علماً بارزاً لا في محيط اليمن وحدها، ولكن على مستوى العالم العربي والإسلامي، وكانت شهرة الشيخ بدعوته للكتاب والسنة ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة، يشهد بذلك مترجموه، وتنطق به كتبه، فقد تعرض في إصلاح المجتمع في أكثر من مناسبة إلى ما كان

شائعاً من البدع والشركيات، ودعا إلى التخلص منها، وقد سبق نقل شيء من كتابه إصلاح المجتمع في الباب التمهيدي.

كما ظهر توجهه ذلك ناصعاً جلياً في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبادي، الموسومة "هداية المرید إلى سبيل الحق والتوحيد" فقد نقد الشركيات، ونعى على أربابها، وطالب بإزالتها، بل صرح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن؛ لإزالة ما يحدث من الشرور في الزيارات مثل "زيارة العيدروس والهاشمي" وغيرها، وكادت أن تنجح تلك المساعي، لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور<sup>١</sup>.

كما بين البدع العملية مثل السماع الصوفي وبدع الأذكار، وقد الكرامات الزائفة التي يروجها الصوفية، ويلبسون بها على العوام قال: (يزعم بعض أهل حضرموت أن دابة الفقيه المقدم كانت تعرف طرق السماء، وأن زوجته سلّت عن حالها، فقالت: (لسنا نجير بعد الفقيه، وقد كانت أخبار السماء في حياته تأتينا صباح ومساءً)، وفي "المشعر الروي" من هذه الخرافات ما لا يحصى كثرة، فليته لم يبرز إلى حيز الوجود، أو ليتها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان بن داود، والويل لمن كذب بشيء من هذه الكرامات المكذوبة، فإنه يعد في نظر القوم كافراً ملحداً زنديقاً، وكان التصديق بها أعظم شأنًا من التصديق بالمعجزات، فنسأل الله حماية الإسلام وصيانه من هذه الخزعبلات والخرافات.

وقد لاقى في سبيل دعوته تلك كثيراً من الحن والمصاعب، فصبر، وصابر، وكانت دعوته مفتاحاً من مفاتيح الصحوة المباركة في جنوب اليمن آنذاك، وبعد الاستقلال ومجيء الاشتراكيين إلى عدن لاقى من الإهمال والتمهيش، بل من المضايقة والتهديد ما لا يطاق، ففر إلى الشطر الشمالي كما كان

<sup>١</sup> هداية المرید إلى سبيل الحق و التوحيد بتعليق الشيخ البيحاني ص ( ٥٠ ) .

<sup>٢</sup> التعليق على هدية المرید ص ( ٣٥ ) .

يسمى ذلك الوقت، فاستقر في مدينة تعز معزراً مكرماً من الدولة والشعب، واحتضنه محبوه فيها، وأغدقوا عليه، وأجلوه، وأكرموه بما لا مزيد عليه، وفي عام (١٣٩٢هـ) حج حجته الأخيرة، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيوم واحد انتقل إلى جوار ربه، رحمه الله رحمة واسعة، وكانت وفاته في (١٠/١٢/١٩٧٢ م) في تعز<sup>١</sup>.

### الأثر الخاص بمواجهته القبورية من آثار البيحاني - رحمه الله - .:

أما الأثر الخاص بمواجهة القبورية من آثار البيحاني - رحمه الله - فهو "الصارم القرآني في الرد على درر المعاني"، ودرر المعاني اسمه الكامل "درر المعاني في الرد على العبادي وتلميذه البيحاني" وهو رد على منظومة العلامة العبادي المسماة هداية المريد، والتي عرفت بها سابقاً، وكان العلامة البيحاني قد علق عليها تعليقات مهمة وقوية، فانزعج القبورية للمنظومة والتعليقات عليها انزعاجاً كبيراً، فردوا بذلك الكتاب، فقام الشيخ البيحاني - رحمه الله - بالرد عليهم بكتابه الصارم القرآني. والكتاب ما يزال مخطوطاً عند أحد أقارب الشيخ لم يطبع بعد، ولم استطع الاطلاع عليه غير أنني بعد محاولات حصلت على صورة لفهرس الكتاب وأربع صفحات منه فقط، وبالنظر إلى الفهرس يمكن أن تعرف على صورة جملة للكتاب، فقد صدر الكتاب بقصيدة للقاضي الإيراني، ولم يبين أي القضاة من بني الإيراني هو، ولكن ظني أنه القاضي عقيل بن يحيى، والقصيدة هي التي ختم بها "السيف الباتر لأعناق عباد المقابر" والتي مطلعها:

**قل الحق واصدع بالذي فيه تومر ولا تحش غير الله والله أكبر**

<sup>١</sup> انظر ترجمته في أنباء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان ص (٨١ - ٩٢) خلال قرنين من الزمان تأليف عبد الله عبدالقادر العليمي باوزير الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

ومن أبياتها القوية في مهاجمة القبورية قوله:

لحا الله عبّاد القبور فإنهم لقد بدلوا دين الإله وغيروا<sup>١</sup>.

ثم بعد الخطبة تكلم عن مصادر الكتاب، ثم تعرض للكلام عن الكتاب المردود عليه " درر المعاني " وذكر، أنه مدح الصحابة والسلف الصالح؛ متوصلاً بذلك إلى ذم شيخ الإسلام ابن تيمية، والتهكم به ومن يتابعه، ثم إن الخصم تعرض لهداية المريد، وهاجمها فعلق الشيخ على ذلك، ثم ذكر أن الخصم كذب عليهم، لعله يريد نفسه وشيخه العبادي، ثم ذكر عقائدهم في الله وصفاته وملائكته ورسله وأولياء الله وصفتهم وخوارق العادات، وبين بعد ذلك من هو الولي، ثم تعرض لتاريخ الدعوة وإلى من ينتسب مذهب الوهابية، وفي أي عصر ظهر، وكيف كان ظهوره، ثم ألمح لخيانة الخصم في النقل، بعد ذلك عرّف بشيخ الإسلام ابن تيمية، وثناء الناس عليه، وما قيل فيه من الرثاء .

ثم جاء عنوان " نقد وتحليل "، ولعله موضوع رسالة الخصم، ثم تعرض لكتاب "كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب " وهو لمؤلف شيعي من العراق اسمه " محسن الأمين العاملي "، وتعرض كذلك لكلام ابن حجر " وهو المكي الهيثمي " في ابن تيمية ورد عليه، وذكر أن الخصم استعان في رده بشواهد الحق " للنبهاني "، وأنه تشبث بالصواعق الإلهية لسليمان بن عبد الوهاب أخي الشيخ، كما عرج على الشطي أحد خصوم الدعوة الوهابية، ويظهر أن الشيخ رد على الجميع، ثم ذكر اتفاق الشيخين ابن الأمير ومحمد بن عبد الوهاب في العقيدة، ثم عاد بعد ذلك؛ ليذكر كلام الناظم "العبادي" والمعلق "البيحاني" في عموم المسلمين، وبعد ذلك تكلم عن الحلف والذبح لغير الله، ثم نصوص

<sup>١</sup> مجموعة رسائل في علم التوحيد ص ( ٢٧٥ - ٢٧٦ ) .

<sup>٢</sup> انظر : دعاوى المناوئين ص ( ٥٦ ) لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . تأليف : عبدالله محمد بن عبداللطيف ، طبع دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى ( ١٤١٢ هـ )

زعماء الوهابية في عموم المسلمين، واستعرض بعد ذلك نصوص الكتاب والسنة الناهية عن دعاء المخلوق، وبعده عنوان "كلام المغالين في أصحاب القبور" ثم جهل الخصم بما يقول وكذبه على الصحابة والتابعين وجرأته في ذلك، ثم بشرية الرسول ﷺ، وبعد ذلك كله تعرض لتهمة الخصم له ولشيخه بكرهه الرسول ﷺ، ثم تكلم على طلب الشفاعة وأدلة الخصم عليها، خلص بعده إلى الكلام عن التوسل ما يجوز منه وما لا يجوز، وأبطل أدلة الخصم، ثم نقل كلام الشيخ محمد عبده المصري في التوسل ودعاء الصالحين، ثم أوضح كلام الناظم والمعلق في الاستغاثة واحتجاج الخصم بالمجاز العقلي والأحاديث الضعيفة والرد عليه في ذلك، وتوالت العناوين: ("استدلالة بالقرآن" وكلام العلماء "الشرك بالله والاستعانة بغيره" الحياة البرزخية "غلط الخصم ومغالطته" رفع القبور والبناء عليها "نصوص العلماء وأقوالهم" هدم المساجد والقباب المبنية على القبور، دفاع الخصم عن التماثيل "إنكاره على ابن القيم" شرقه مجديث أبي الهياج "دفاعه عن رفع القبور" "شد الرحال لزيارة القبور" كلام الناظم والمعلق في النذر "احتجاج الخصم بما لا يفهم" الكلام على إهداء ثواب القراءة للميت").

هذه عناوين الكتاب ومنه يعرف مضمونه، فهو في الرد على القبورية فيما يعتقدون في القبور من العقائد الضالة، وفيما يأتون عندها من الأعمال القبيحة، وما يوجهونه من تهم وافتراءات لخصومهم دعاء التوحيد، ودفاع عن أولئك الدعاة ورد عن أعراضهم وتبرئة لمنهجهم من الانحراف الذي رماها به القبورية، هذا هو ما ظهر لي من ملامح الصارم القرآني للشيخ البيحاني عليه رحمة الله. وفي نفس السياق تأتي رسالته الصغيرة "زوبعة في قارورة" فجهود البيحاني في مواجهة القبورية ومواقفه منهم هي اللاتمة بالعالم السني المتابع لمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ولعل في رسالة الدكتور أحمد هجوان عن "الإمام البيهاني" ما يكشف مزيداً من هذه المواقف ولكني للأسف لم أطلع عليها .

### المطلب الثالث: جهود علماء تهامة في مواجهة القبور:

لقد تميز علماء وفقهاء تهامة بموقفهم الصلب والقوي من أصحاب وحدة الوجود، وأما موقفهم من القبورية العامة التي أبرز سماتها تعظيم القبور وأصحابها، فلم يكن بذلك الموقف القوي والواضح، وإن كنا لم نلمس من علمائهم الذين لم يتأثروا بالصوفية ذلك الانسياق وراء القبورية، كالذين تأثروا بالصوفية من أمثال المحدث "أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي صاحب التجريد الصريح" فإن الشرجي له كتاب "طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص" ملاء بالخرافات، ونقل فيه من الطامات ما يلحقه بركب الشعراني المشهور بنقل الطامات والهلوسة الصوفية، والشلي الحضرمي صاحب المشرع الروي الذي ملاء بالخرافات والدجل، بحيث يعجب القاريء كيف بلغت الجرأة به إلى هذا الحد، والاستخفاف بعقل القاريء إلى هذه الدرجة، فالشرجي لا يكاد يقل عنهما في كتابه "طبقات الخواص".

أقول: إن علماء تهامة الذين حاربوا أصحاب وحدة الوجود مع حسن ظنهم بالكثير من القبورية إلا أنهم لما يوافقهم على الكثير من شطحهم وخرافاتهم، وكثيراً ما يجد القاريء لكتبهم - مثل كتب

---

<sup>1</sup> الشرجي المذكور هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، ولد سنة (٨١٢هـ) بزبيد، ومات بها سنة (٨٩٣هـ)، وهو من أشهر محدثي زبيد وله "التجريد الصريح مختصر صحيح البخاري" وغيره من الكتب، كما له في المقابل "طبقات الخواص" الذي تحدثت عنه في الأصل، وهذا من التناقض العجيب، كما ذكر له كتاب آخر بعنوان "الفوائد في الصلوات والعوائد" قال الحبشي في مقدمته للطبقات: (وهو مجموع من الأحاديث والأدعية المأثورة، إلا أنه شابته بكثير من الطلاسم والأوفاق المدسوسة، قال: وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٤هـ)، وأعدت طبعه عدة مرات مكتبة الحلبي بالقاهرة) الطبقات ص(٦)، هذا هو الشرجي رحمه الله، لم ينفعه علم الحديث حين تأثر بأفكار وعقائد الصوفية.



العلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل - تقدم في بعض أمورهم وتصرفاتهم، ولكن لم تظهر المواجهة إلا بعد انتشار الدعوة السلفية التي قادها "الإمام ابن الأمير والإمام الشوكاني، رحمهما الله" ووصول دعاة وجنود الدعوة النجدية إلى تهامة في القرن الثالث عشر، فمنذ تلك الفترة، ظهر من يجارب القبورية بقوة وجرأة وعلم وبصيرة، ومع ذلك فموقفهم من القبورية إذا قورن بموقفهم من أصحاب وحدة الوجود عد ضيلاً، وإذا قورن عدد من تصدى للقبورية بمن تصدى لأصحاب وحدة الوجود كان قليلاً، وأنا أكتفي بعلم واحد من أعلام تهامة هو:

### العلامة حسين بن مهدي النعمي التهامي ثم الصنعاني

قال عنه السيد محمد بن محمد زبارة في "نشر العرف": (السيد العلامة النبيل التقي الفهامة الحسين بن مهدي النعمي التهامي ثم "الصنعاني"، ولد كما يظهر بمدينة "صيبا" من أرض تهامة، ثم وفد إلى صنعاء للأخذ عن علمائها في حياة الإمام الصنعاني - رحمه الله - وصار من جملة أصحابه، حتى لقد اتهم هو والإمام الصنعاني بمخالفة مذهب الهادي والتظاهر بذلك، وقد ذُكر عنه العمل بالسنة وإحياء ما اندثر منها<sup>١</sup>، ورغم ذلك فقد استمر العلامة النعمي في دعوته

<sup>١</sup> مقدمة معارج الألباب في منهج الحق والصواب للنعمي ص(١٧)، تحقيق محمد حامد الفقي تخرّج علي حسن عبد الحميد، طبع مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. وكل ما في ترجمتي له مأخوذة عنه حيث لم أعتزله على ترجمة في موضع آخر والجزء الأول من نشر العرف ليس متوفراً هذه الأيام.

<sup>٢</sup> معارج الألباب في منهج الحق والصواب ص(١٨).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص(١٨).

وتعليمه للسنن ومحاربة البدع مجللاً محترماً<sup>١</sup>، حتى أن إمام العصر "المهدي" قد أذن له في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان المخالف من خاصة المهدي، وقرأ "الإمام" على المترجم له أياماً في "شرح العمدة لابن دقيق العيد"<sup>٢</sup>، وتوفي - رحمه الله - سنة (١١٨٧هـ)، هذا هو العلامة النعمي لم يحفل به المترجمون، ولكن كتابه العظيم الذي سنعرض له، يشهد بعظمته وسعة علمه، ويصور لنا منهجه الذي هو منهج السلف الصالح، منهج التجديد الذي عرفناه من ابن الأمير والشوكاني رحمهما الله.

### أثره في مواجهة القبورية:

أثره المطبوع المتداول في مواجهة القبورية هو كتاب "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" هذا هو الاسم المختصر للكتاب، وقد وُجد على طرة النسخة الخطية مايلي:  
(معارج الألباب، في مناهج الحق والصواب لإيقاظ من أجاب بحسن بناء المشاهد والقباب، ونسي ما تضمنته من المفاصد وهي، عجب من الخطوب عجاب، وأحال أخذ الحكم من دليله في هذه الأعصار فسدَّ باب الحكمة وفصل الخطاب، وعطل الانتفاع في هذه الأزمان بعلوم السنة والكتاب، إلى غير ذلك مما يأتيك بيانه وتحقيقه - إن شاء الله - بأحسن تحرير وجواب)<sup>٣</sup>.

هذا ماكتب على طرة الكتاب وهو معرّف به، مبين عن وجهته، مشير إلى السبب الدافع إلى تأليفه، وهو الرد على من أجاب باستحسان تلك المشاهد والقباب على قبور الأولياء، وقد نص على هذا السبب في مقدمته الكافية فقال: (وبعد، فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهر سنة سبع وسبعين

<sup>١</sup> المصدر السابق ص(١٨).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص(١٨).

<sup>٣</sup> معراج الألباب ص (١٤).

ومائة وألف من الهجرة النبوية، وقفت على صورة سؤال، وغير ما جواب في شأن ما يسر الله هدمه، وافتقاده من المشاهد والقباب، وإزالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب؛ لما تفاحشت خطوب مفاستها في هذا الزمان، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء النافية للتوحيد والإيمان، مع كون وضع القباب أمراً صادم المآثر الصحيح من النهي الصريح، فهو بمجرد ممنوع شرعاً، كما قد شرحت ماجاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة، أسفرت عن وجهة الصبيح واسمها: "مدارج العبور على مفاسد القبور".

وكان قبل هذا التاريخ بمدة يسيرة، ألقى إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن - حاطها الله وسائر بلاد الإسلام من طوارق الحزن والفتن - كتاباً ورد عليه من مكة المشرفة، ذكر فيه ما حاصله: أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة، وأنه أجاب فيه مفتو الأربعة المذاهب، بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد، وأشار بتخريب تلك المعامل والمعاهد<sup>١</sup>. وبعد أن أبان خواء ذلك الجواب، وعدم استناده إلى سنة ولا كتاب، وإنما (أجابوا: بأنه صرح به في المنهاج وشرحه، وهو الذي فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بالجواز)<sup>٢</sup>. كر على المجيبين، وندد بأصلهم الذي عليه يعتمدون، وإليه يرجعون، وهو التقليد المحض والمنع من إعمال النظر في الأدلة، وقد شنع عليهم، وأطال النفس في ذلك، شأنه شأن مشايخه وزملائه من المدرسة السلفية في اليمن، وقد استغرق ذلك باقي المقدمة.

<sup>١</sup> معارج الألباب ص (٢٦ - ٢٧) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٢٩) .

أما الباب الأول: فجعله في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة، منها الرد عليهم في أخبار استدلوا بها، وقد أخذوا بشروط الاستدلال إما دراية أو رواية، فالدراية كونهم لم يستدلوا بها على وجهها كاستدلالهم بحديث ((من آذى لي ولياً)) على حرمة المشاهد والقبور.

وقد حاكمهم أولاً إلى أصلهم و(على جواز أخذ الحكم من دليله وإمكان الاجتهاد في هذه الأعصار) فكيف يجيزون لأنفسهم خلاف ما أصلوه، ثم ناقشهم في الجزم بكون هذا المدفون ولياً، وأبان جانباً مما ينسب إلى من يوصفون بالولاية من الشطح والتخريف، وكيف يكون هدم هذه القباب إيذاءً لأولياء الله وهو امتثال لأمر رسول الله ﷺ؟! ثم رد عليهم حديث: ((مارأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)) وأن ذلك لا يثبت عن رسول الله ﷺ، وأخذ يبدى ويعيد في موضوع الاجتهاد والتقليد إلى نهاية الفصل، وهكذا في الفصل الذي يليه، رد على من قال منهم: (ولا يدعي الاجتهاد في زماننا هذا إلا من جهل شروط الاجتهاد وعري عن أصول الفقه)، واستمر في رده إلى نهاية الباب الأول.<sup>٢</sup>

أما الباب الثاني: فجعله (في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها والكتابة عليها وتخصيصها واتخاذها مساجد وما يتصل بذلك: أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهاي عنه)، وبعد أن نقل

<sup>١</sup> معارج الألباب ص (٣٩ - ٤٩) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٤٥ - ١٠١) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (١٠١ - ١١٨) .

من ذلك جملة كثيرة علق على بعضها، ونقل نقلاً طويلاً عن ابن القيم من "إغاثة اللفهان"، ثم علق على بعض كلام ابن القيم وانتهى الباب<sup>١</sup>.

أما الباب الثالث: فجعله للرد المباشر على تلك الأجوبة حيث يذكر جملة من الجواب، ثم يرد عليه، وقد استغرق هذا الباب بقية الكتاب، ولم يقتصر على تفنيد شبههم المتعلقة بالمشاهد والقباب، وإنما تطرق إلى ضلالات المتصوفة، وأنواع الشرك التي ترتكب عند المشاهد والقبور، وما يجب على المسلمين والعلماء تجاه ذلك، وهو نقاش قوي ومنهج سوي مفيد لطالب العلم في رد شبه القبورية. فرحم الله العلامة النعمي، وغفرله، وجزاه خير الجزاء على ما قدم، وله أثر ثانٍ أخص في الموضوع بعنوان "مدارج العبور على مفاسد القبور" ذكره في مقدمة المعارج (٢٧)، ولا أعلم عن وجوده شيئاً، وأما مضمونه فهو في النهي عن البناء على القبور، وما يلحق بذلك حسب إشارة المؤلف..

### المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء تهامة:

ولغير من تقدم مؤلفات ورسائل مفردة تعنى بمواجهة القبورية في بعض الجوانب، وإليك جدولاً بأسماء هؤلاء العلماء وأسماء مؤلفاتهم:

(١) محمد بن أحمد الأهدل المتوفى سنة (١٢٧١هـ)، وله رسالة بعنوان "تحذير الإخوان المسلمين من تصديق الكهان والعرافين" ووجه كونها في مواجهة القبوريين أن بعض القبوريين هم الذين يقومون بالكهانة والعرافة باعتبار ذلك من الكرامات، المرجع هجر العلم (٤/ ٢٠١٥).

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١٢٠ - ١٥٦).

٢) حسن بن خالد الحازمي: المتوفى سنة (١٢٣٤ هـ) أو (١٢٣٥ هـ)، له رسالة بعنوان " قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب " واضح من العنوان أنها في الدعوة إلى التوحيد وقطعاً في التحذير مما يضاده من عقائد وأعمال القبورية، المرجع هجر العلم (١٢٢٤/٣).

٣) الحسين بن عبدالرحمن الأهدل المتوفى سنة (٨٥٥ هـ) له رسالة بعنوان " القول النضر على دعاوي الفارغة بحياة الخضر) يرد بها على عقيدة مشهورة من عقائد القبورية وهي القول بحياة الخضر وزعم الالتقاء به والأخذ عنه. المرجع هجر العلم (١/٤٦).

٤) قادري بن أحمد الأهدل مازال حياً - حفظه الله - له منظومة بعنوان " بهجة القلوب بتوحيد علام الغيوب " وهي مطبوعة مع هداية المريد للعبادي، وقد تناول فيها الكثير من انحرافات القبورية، وأبان ضلالها وكشف عوارها .

### **المطلب الرابع: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية:**

لم ترسخ القبورية في أي ناحية من نواحي اليمن كما ترسخت في حضرموت، حيث سيطر القبورية فيها على كل شيء، سيطروا على الحكام، ووجهوا السلاطين وسعوا لجلب الاستعمار، وكان لهم عنده مكانة مرموقة، وأمسكوا بزمام القيادة العلمية والروحية في البلد بقبضة حديدية، لم تترك لسواهم وسوى الدائر في فلکهم متنفساً؛ لذلك لا نرى تلك المعارضة للفكر الصوفي في حضرموت مثل ما عورض في زبيد وصنعاء أو غيرهما من أنحاء اليمن، وحتى كتابة التاريخ فقد احتكروها بين قادة التصوف وأنصارهم، فجاء تاريخ حضرموت كما يشاؤون لا كما هو في الحقيقة، لذلك لا غرابة أن يقل أو ينعدم المواجهون للقبورية فيها، ومن ظهر فإنما ظهر بعد أن حصلت للقبورية الهزات العنيفة بفعل الدعوة السلفية في صنعاء وفي نجد؛ حيث وصلت الجيوش النجدية إلى قلب وادي حضرموت،

والتقى دعائها بالناس، فتأثر بهم رجال من شتى الطبقات حتى من السادة العلويين<sup>١</sup>، ثم دعوة الإرشاد باندونيسيا،

ومن هؤلاء الذين برزوا:

العالم الأول

### الشيخ علي بن أحمد باصبرين

وهو العلامة الفقيه المحدث الأديب الداعية علي بن أحمد باصبرين - رحمه الله - لم يُعرف تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بالتحديد؛ ولكن العلامة الشيخ علي سالم بكير يرجح أنه (عاش في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر)، وكان هذا الإمام متميزاً بالشجاعة متظاهراً بجمل السلاح يقول عنه علوي بن طاهر الحداد: (كان شجاعاً ذا عزم لايزال متمنطقاً بمسدس أو مسدسين)<sup>٢</sup>.

وكان ذا غيرة شديدة حملته على إنكار الكثير من المنكرات والعمل على تغيير بعضها باليد، يقول الحداد: (وأحسب أن له يداً في الثورة التي وقعت بجده على قناصل الدول وهي واقعة مشهورة، وقد تمكن من الفرار فسلم، وهو الذي أثار العوام على الأبنية التي جعلت على الجمرات الثلاث بمنى فهجموا عليها وأخربوها)<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> انظر إدام القوت ص ( ٢٢٥-٢٢٦ ) .

<sup>٢</sup> رجال وكتب للشيخ علي سالم بكير باغيثان طبع دار حضرموت للدراسات والنشر ص ( ١٠٩ ) .

<sup>٣</sup> الشامل ( ١ / ١٣٥ ) وانظر إدام القوت ص ( ١١٠ ) .

<sup>٤</sup> الشامل ( ١ / ١٣٥ ) .

كما كان مبرزاً في العلم متفوقاً فيه، وصفه أحد العلويين بقوله: (وهو إمام في كل العلوم)، وكان عاملاً بعلمه داعياً إلى ما هو مقتنع به، لم يحمد على ما كان عليه أهل مصره وعصره؛ بل دعا إلى التوحيد وحذر من الشرك وزيف الخرافات وحارب المنكرات؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت ونازعوه وحذروا منه، يقول ابن عبيدالله: (وجرت بينه وبين علماء تريم منازعات في عدة مسائل، منها التوسل والاستغاثة ومنها ثبوت النسب بمشجرات العلويين المحررة، وكان الشيخ يبالغ في إنكار ذلك وألقت رسائل من الطرفين<sup>١</sup>)، ونقل مستكراً ما قاله أحمد بن حسن العطاس عن هذا الإمام فقال: (وفي مجموع كلام العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس أن بعض العلماء المصريين قال له: "نعرف من الحضارم حدة الطبع، وأنت بعيد عنها " قال له: " من عرفت من الحضارم؟ " قال له: " عرفت الشيخ علي باصبرين، وجلست معه في الحرمين سنين، فرأيت من حدته ما لا مزيد عليه "، فقال السيد أحمد: " ذاك رجل من أهل البادية، وتلقى شيئاً من العلم، وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنه؛ لأنه ليس بأهل للإلقاء ولا للتلقي، ولا يخفى عليكم ما في طباع البادية من الغلظة والجفاء "، انتهى. وفي هذا غض من مقام الشيخ علي لا يليق بالإنصاف، وقد علمت أن السيد عمر بن حسن الحداد قرأ عليه وهو من مراجيح العلويين)<sup>٢</sup>.

ويبرز اتجاهه التجديدي من خلال بعض مؤلفاته ومنها: " إرشاد صالح العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " ذكرها في المسألة التاسعة من " المهمات الدينية " المتعلقة بالنهي عن قول العوام (يا ولي

<sup>١</sup> إدام القوت ( ١١٠ ) .

<sup>٢</sup> إدام القوت ( ١١١ )

<sup>٣</sup> إدام القوت ص ( ١١٠-١١١ ) .



الله جننا إليك وحططنا الذنب بين يديك) بعد أن علق عليها قال: (ومن أراد توضيح ما في المقام فعليه برسائلي المسماة "رشاد صالحى العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد" <sup>١</sup> . وهذه الرسالة لم نعرث عليها، ولكننا عثرنا على المهمات وسوف يأتي الحديث عنها حين نتكلم عن أثر هذا العالم في مواجهة القبورية، وله مؤلفات أخرى منها خمسة كتب في الفقه الشافعي، وكتاب عن أنساب السادة العلويين سماه "حدائق البواسق المثمرة في بيان صواب أحكام الشجرة" فرغ من تأليفه سنة (١٢٩٨ هـ) قاله ابن عبيد الله <sup>٢</sup>، ورسالة في الرد على بعض من اعترض عليه في رسالة الشجرة المذكورة. <sup>٣</sup> إضافة إلى تلك الكتب هناك كتاب مخطوط في مكتبة الحرم المكي بعنوان "إتحاف الناقد البصير بخصوص صحيح الجامع الصغير" ذكره شيخنا الألباني في مقدمة كتابه صحيح الجامع الصغير وقال: إنه اطلع عليه في مكتبة الحرم المكي، وقد نقد المؤلف حيث أنه يتابع السيوطي على تصحيحه دون تحقيق من قبله <sup>٤</sup> .

هذه نبذة عن الشيخ علي باصبرين رحمه الله وهو مترجم في "الشامل في تاريخ حضرموت"، و"إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت"، "وتاج الأعراس" وكلها تراجم موجزة.

<sup>١</sup> المهمات الدينية ص (٦) .

<sup>٢</sup> إدام القوت ص (١١١-١١٢) وانظر لمزيد الفائدة تعليق ابن عبيدالله بذكر مدار بين الشيخ علي وبعض السادة حول الرسالة المذكورة وفيه كلمة للمحضر لفظها (وبعض الناس قوله وبوله سواء) وهي تدل على مبلغ العنجهية لدى هؤلاء الناس .

<sup>٣</sup> ذكرها ابن عبيد الله في نفس الموضوع السابق .

<sup>٤</sup> صحيح الجامع الصغير طبع المكتب الإسلامي (١ / ١٤ - ١٥) الطبعة الثانية (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

## أثر هذا العلم في مواجهة القبورية

كان الأولى أن أدرس رسالة " إتحاف صالحى العبيد " التي أشرت إليها سابقاً ولكنها مفقودة؛ لذا لجأت إلى الرسالة الأخرى وهي: " المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية ". وهي رسالة صغيرة حصر فيها المؤلف مجموعة من المناهي التي قد ارتكبها الناس، ولم يتقيد باب من أبواب العلم، وإنما نوعها بحسب أهمية تلك المناهي المرتكبة، فاشتملت الرسالة على خمس وسبعين مسألة، قال في مقدمتها: (ولقد جمعت في هذه العجالة خمساً وسبعين مهمة من مهمات الدين مما عم الابتلاء بالتلبس بها، وقد أرسلت منها نسخاً عديدة لكل كبير بلد أو قرية، كل هذا خروجاً من عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ الجهد في بذل النصيحة لهذه الأمة المباركة، لعل وعسى أن ينتفع بها مؤمن صالح، ويرتدع بها وينيب غاوب جهالته طالح).

وقد مضى في تلك المهمات إلى أن قال: (التاسعة) مما يحرم ما يقال عند إقبال الزائر إلى المزور:

(يا وليّ الله جننا إليك وحططنا الذنب بين يديك)

وقد علق على ذلك وبين ما فيه من الغلو، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ثم أحال على رسالته السابق ذكرها، ومضى إلى المهمة (الثامنة عشر) وفيها تعرض لما عند بعض جهات حضرموت أنهم: (إذا ميزوا زكاة أموالهم بنحو حجر والرّيد يقولون: (هذا لله وللشيخ سعيد أو حق الله وحق الشيخ سعيد مثلاً)، ثم تكلم عن ذلك من الناحية الاعتقادية والناحية الفقهية، وقد حكم أن هذا القول خلاف الصواب، وأنه مبني على اعتقاد أنهم (إذا فعلوا ذلك يأمنون عاهات أموالهم وإلا فيصابون بعاهة في أنفسهم وأموالهم، أو من الله إذا أغضبوا الشيخ بمخالفة عادتهم من إعطائهم مالا يستحقه،

<sup>1</sup> المهمات ص ( ٣ ) .

<sup>2</sup> هما جهتان معروفتان من جهات حضرموت .

<sup>3</sup> المهمات ص ( ٨ )

مع نسبة الآثار إلى ما يتهوم الجاهل أنه منه، وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثار وأسبابها هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد القائل سبحانه: ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾<sup>١</sup>، والحق أنه لم يشبع المسألة وربما كان ذلك لأجل الاختصار، وفي المهمة (العشرون) تحدث عن النذر وأنه (لا يصح إلا إن كان لمن يملك - ومنه المسجد - طاعة لله وقربة بها يتقرب إليه تعالى لا لميت وبهيمة ما لم يرد غيرهما المعبر، ولا معصية أو مكروهاً أو مباحاً لآدمي أو جني أو معظم ما غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لرجاء ما لم يقضه الله له لو لم يشفع له هذا المعظم، أو دفع ما قد قضاه الله وأبرمه عليه في سابق علمه، فهذا محرم بل كفر في حق العالم والجاهل الذي أخبره بمقتضى ما يتضمن ذلك من هو من أهل الإخبار والتعليم<sup>٢</sup>).

والشيخ قد أبان جانباً مهماً من الحق في هذه المسألة؛ وهو تحريم النذر للأموات، وأنه متى صاحبه ذلك الاعتقاد صار كفراً في حق العالم والجاهل الذي قد أخبره به من هو أهل للإخبار، ولكن هنا أمران:

**الأمر الأول:** تصحيح النذر عند إرادة المعبر من له علاقة بالقبر فإن هذا موهم جداً ومغر للعوام بالنذر لتلك المشاهد والقباب ومن فيها، وترتب الاعتقاد إن لم يكن موجوداً حال النذر والغالب أنه لا يندر لها ولم يقصد من عندها من الزوار وغيرهم إلا مع وجود الاعتقاد فيهم، ولذلك فقد انتقد هذا المسلك الشيخ أبو بكر الخطيب في فتاواه معللاً بأن (الغالب أنهم يقصدون تعظيم ذات الولي أو

<sup>١</sup> الكهف (٥١) .

<sup>٢</sup> المهمات ص (٩) .

قبره أو مشهده وذلك باطل والله أعلم بالصواب)، وكذلك الرسول ﷺ عندما نذر الرجل أن يذبح إبلًا ببوانه سأله: ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قال: لا قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قال: لا قال: فأوف بنذرك))<sup>1</sup>، وهذا يدل على أن النذر لو كان لمكان فيه وثن أو عيد لما أجازته؛ لئلا يظن ظان أن ذلك تعظيم تلك البقعة، وهكذا هنا فإن قصد تعظيم ذلك المشهد والقبر هو الغالب، فكان الواجب سد هذه الذريعة وعدم تصحيح النذر من أصله.

الأمر الآخر: جعل النذر شركاً -إن وجد الاعتقاد والتعظيم- هذا فيه قصور، إذ النذر عبادة لله تعالى وليس كما يفهمه بعض الفقهاء مجرد هبة أو عطية، ولذلك فجعله لهذا المشهد أو القبر هو في حد ذاته قرينة وعبادة، وصرف ذلك لغير الله شرك، ولولم يوجد التعظيم؛ لأن الحامل عليه هو الخوف أو الرجاء كما ذكره الشيخ أنفاً، بخلاف ما لو نذر لحي فإنه في عرف الفقهاء بمعنى العطية أو الهبة، وعلى ذلك درج الناس فيما يتعاطونه بينهم فيقول قائلهم نذرت لابني أو أخي أو فلان بكذا أي وهبته، فما كان من هذا القبيل فلا يمنع إلا أن قارنه التعظيم والتقرب والله أعلم.

أما المهمة (الحادية والعشرون) ففيها يقرر المؤلف أنه لا يتقرب ولا يعظم بالصلاة والنسك " الذبح " إلا لله تعالى، ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا لله تعالى، وهذه أمور معلومة لا إشكال فيها وإن كان من الناحية العملية بعض القبورية أو جلهم يخالفون في الذبح فيجيزونه لغير الله، ويتأولون ما يفعل من ذلك عند العوام، والذي لاعلة له إلا "تعظيم من ذبح له" يتأولون ذلك بتأويلات باطلة، وكذا الإحياء والإماتة، هذا أصل من الناحية النظرية متفق عليه، أما من الناحية العملية فالصوفية ينسبون لأوليائهم الإحياء والإماتة -كما جاء في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع وغيره - وقد تقدم

<sup>1</sup> الفتاوى النافعة ص ( ٢٤٩ )

<sup>2</sup> تقدم تخريجه في الباب التمهيدي ص ( ٢٩ ) .

إثبات اعتقادهم لذلك في الباب الثاني، وذلك غاية الإلحاد والعياذ بالله، ثم يرتب على ما تقدم تحريم العقيرة<sup>١</sup>، لكونها يهل بها لغير الله ولغير ذلك من المحظورات التي تترتب على ذلك، وبأيتنا هنا بفائدة جديدة جليلة وهي أن الزامل الذي يكون غالباً مصاحباً لزيارات الأولياء هو: (لتعظيم المقبور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة وهذا من أعظم المنكرات وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضی عاقل بذلك)<sup>٢</sup>، وهذه النكته لم أعرف من نبه عليها غيره ولكن لا استبعد صحة ما قرر في ذلك إذ أن هذا هو الشأن في معظم الزيارات إن لم يكن فيها جميعاً وهذا أولاً، وثانياً: أنها فعلاً تعتبر تعظيماً للولي وذلك برفع الرايات التي هي شعاره واشتمالها غالباً على أبيات شعرية في مدحه أو دعائه والاستغاثة به. وثالثاً: أن خليفة ذلك الولي المسمى عندنا " منصب مقامه " يعطى في هذه الزيارات من التعظيم والتفخيم وإظهار مقامه وقدره شيئاً عظيماً كما نبه عليه " الصبان " في كتابه زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود "، فرحم الله الشيخ باصبرين.

والمهمة (الثانية والعشرون) يقرر فيها أن الحلف بغير الله تعالى وصفاته وأسمائه شرك، ثم قسم الشرك إلى جلي وخفي، وأن الجلي هو المخرج من الملة والخفي لا يخرج من الملة، ثم تعرض لصيغ من الحلف وتكلم عنها، ثم فرق بين ما كان المقصود به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو يخاف منه

<sup>١</sup> قال في القاموس و ( العقيرة ما عقر من صيد أو غيره ) ص ( ٥٦٩ ) وفي العرف هي جمل أو ثور يسوقه الزوار عند زيارتهم للولي : إما إرضاءً له لما قد يظنون أنه ساخط عليهم أو تقريباً لطلب حاجة منه .

<sup>٢</sup> الزامل في العرف هو نوع من الرجز يؤتى به عند المناسبات كالأفراح ونحوها وكذا في الزيارات .

<sup>٣</sup> المهمات ص ( ٩ - ١٠ ) .

<sup>٤</sup> زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود " ص ( ٤٠ - ٤١ ) تأليف عبد القادر مُجَّد الصبان ، طبع المعهد الإمبريكي للدراسات اليمنية .

كخوفه، أو يرجى منه نفع لم يقضه الله، أو يدفع عنه ضرر قد كتبه الله فهو الحرام الكفر اتفاقاً، أما إذا سلمت العقيدة من ذلك فلا كفر جلي وفي الخفي خلاف والورع تركه مطلقاً<sup>١</sup> وهذا تفصيل جيد، أجود منه لو صرح بتحريم النوع الثاني وإن لم يكن شركاً.

والمهمة (الستون): قال لا يجوز لأحد حكاية ماصورته منكر، وإن صدر عن بعض الأكابر محمول على أنه مؤول عنده بتأويل غير متبادر للعامة؛ أو أنه صدر حال غيبة عن تعقل مقوله بوجه من الوجوه أو أنه من قول غير كجني كما قال بعضهم:

**أنا عرشها والكرسي أنا للسماء بانيتها**

**ولولا الحيا من جدي نار الجحيم أطفئها<sup>٢</sup>**

**والنهي عن ذلك في محله، وأما التأويل لذلك فبعيد وقد تقدم إيضاح ذلك<sup>٣</sup>**

المهمة (الحادية والستون): قال فيها (من المحرمات قول بعض المعتقدة جواباً لقول المعتقد ادع الله لي بالجنة " أنت في الغدفة أو ضماني ")<sup>٤</sup>، وهذا القول يتكرر كثيراً من بعض أقطاب القوم في مناسبات مختلفة وهو محرم كما ذكر الشيخ إن كان مجرد جرأة عن غير اعتقاد، أما من اعتقد أنه يملك ذلك فهذا طاغوت لأنه زعم لنفسه حقاً من خالص حق الله تعالى.

هذه هي المهمات التي تعرض فيها الشيخ للقبورية وتقد بعض عقائدهم وأعمالهم، وأما بقية المهام فإنها منكرات يقع فيها الكثير من الناس وهي معاصي لاعلاقة لها بالقبورية.

<sup>١</sup> المهمات ص (١٠).

<sup>٢</sup> المهمات ص (١٦).

<sup>٣</sup> المهمات ص (١٦).

<sup>٤</sup> المهمات ص (١٦).

والشيخ -رحمه الله تعالى- قد تحرر من غل التقليد لمعلميه والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير، وحسبه ذلك مادام مجتهداً باحثاً عن الحق جاداً في العمل به والدعوة إليه، وقد بقي لديه بعض آثار مدرسة حضرموت لم يستطع التخلص منها وهي قليلة في جانب ما حقق من إصابة للحق، فرحمه الله وغفر له.

## العلم الثاني

### من أعلام المواجهين للقبورية في حضرموت

#### الشيخ محمد بن علي بافضل رحمه الله تعالى

للأسف لم أعثر لهذا الشيخ على ترجمة مكتوبة، ويقال أن هناك ترجمة كتبها هو لنفسه بعنوان "حياتي" غير أنني لم أتوصل عليها، وهي عند بعض أولاده كما أخبرني بعض أقرابه، فلذلك أكتب ملامح عامة عنه فأنا أعرفه، وقد جالسته وحضرت درساً من دروسه في مدينة "القطن" بلده الذي ولد وعاش فيه معظم حياته.

كانت دراسته الأولى في رباط تريم على يد شيخه الشهير **عبدالله بن عمر الشاطري**، ثم هاجر إلى الصومال ومكث هناك ردهاً من الزمن، ولعله هناك التقى ببعض المصريين من أنصار السنة وبذلك تحول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الدعوة السلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية.

يقول فضيلة الشيخ "السيد السيد رجب" المدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقديمه لكتابه "دعوة الخلف إلى طريقه السلف" وهو يتكلم عن أعلام الدعوة الذين أشعلوا المشاعل لينيروا الطريق وليوضحوا السبيل ليسترشد الحائر ويهتدي السائر: (ومن هؤلاء العالم الفاضل، والشيخ الوقور، والمربي الأمين، والقُدوة الطيبة والمجاهد المكافح الذي صابر وثابر وأفنى شبابه وصحته في سبيل الدعوة وإبلاغ الحجة وأداء الأمانة وإيقاظ الغافلين، والأخذ بيد العاملين، والذي نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، ذلكم هو الشيخ "مُحَمَّدُ علي بافضل"، بارك الله فيه وأطال عمره ونفع به وجزاه بكل خير، فقد جاهد وناضل في سبيل عقيدته، في كل مكان حل به وأقام فيه، ومن يذهب

إلى الصومال يجد مسجداً فخماً سمي باسمه، أقامه وشيد أركانه، وكان إمامه وخطيبه ومدرس العلم والمعرفة لرواده وأحبابه وإخوانه ومعارفه، فهذا درس التفسير، وذاك درس الحديث، وهذا درس الفقه، بل كان يدرس النحو والصرف وهكذا.

وكل حسب منهج دراسي منظم، ومستويات علمية متباينة، فربى رجالاً فاهمين عالمين عاملين، جمعوا بين طلب الدنيا والدين، والشباب والشيوخ من حوله ملتقون، كان لهم العالم والمرشد والأخ والصديق والأب والرفيق، يلتقون حوله ويستجيبون لنصحه، ويعملون بتوجيهاته ويستشيرونه في أخص أمورهم، وإن أنس لا أنسى ليلة وداعه وهو مغادر الصومال بعد إقامته فيه مدة طويلة إلى موطنه العزيز والجموع محتشدة في ذلك المسجد بمقديشو والرجل فيفيض على الجميع من علمه وتجاربه ونصائحه وكانت كلماته مشوبة بأنفاس كبد محترق تلمح الأذان، والناس في حزن عميق وألم للفراق شديد، ثم يحملي تبعه القيام بالمسجد ويعهد إلي بتحمل الأمانة ولكن أنى لي ولأمثالي أن نملأ هذا الفراغ ونقوم بذلك العمل الكبير والمجهود العظيم فجزاه الله خير الجزاء<sup>١</sup> هذه لمحة عن حياة الشيخ وجهده في المهجر.

وأما في الوطن فأنا أسجل ما بلغني عنه وما شاهدته منه مباشرة:

فلقد سمعت بالشيخ وجهوده ودعوته إلى الكتاب والسنة في آخر حياته رحمه الله، حوالي عام اثنين أو ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية، حيث وصف بالدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة البدع والشركيات وبيان خرافات الصوفية وتزييفها، وما كان قائماً به من نشر العلم والإفتاء في مدينته القطن، ثم شاء الله بعد مدة أن أزور القطن وأصلي المغرب والعشاء في مسجدها الجامع، حيث يدرس الشيخ وقد كنت ذاهلاً عن الشيخ ودعوته التي وصفت لي من قبل، فلما كان بين العشاءين

<sup>١</sup> دعوة الخلف إلى طريقة السلف التقديم ص (ج - د).



فإذا بالشيخ يتصدر الحلقة العلمية ليدرس طلابه من كتاب فقه السنة " للسيد سابق " وفي سيرة الرسول ﷺ ولا أذكر ما هو الكتاب الذي كان يدرس فيه وقتها، فجلست في الدرس وسمعت كلاماً قيماً غريباً على ما هو معروف في الأوساط العلمية الحضرية آنذاك، وبعد انتهائه من الدرس أردت أن أتأكد مما سمعت، فسألته عن بعض الأمور المتعلقة بالبدع والشركيات المنتشرة في البلاد، فأجاب جواباً صريحاً واضحاً بما يشفي غليل محب السنة والتوحيد، فاطمأنت إليه واقتربت منه وتعرفت عليه وعرفته على نفسي، فقال لي: (لقد أجبتك على تلك الأسئلة بما سمعت لأنني هنا في القطن ولو كنت من شبام وحدرا لسبطونا على تلك الأجوبة) هكذا بهذه اللهجة الدارجة ومعناها: أنه لما أجابني بما أجابني لأنه في بلد القطن الذي قد استجاب أهله للدعوة السننية وآمنوا بها، ولو أنه كان في مكان آخر من بلد شبام أو ما كان شمالاً عنها لضرب على تلك الإجابة لما عليه أهل تلك الديار من التعصب والخرافة، وعندها عرفت أنه ذلك العالم السلفي الذي حدثت عنه من قبل، ثم دعاني إلى منزله فاعتذرت فواعدني من اليوم الثاني حيث أخذني إلى مسجد جديد كان يقوم على عمارته وفي أثناء تجولنا في المسجد كان يشكو إلي سوء الأوضاع في البلاد ومحاربة النظام الشيوعي للدين وأهله وما يلاقيه هو من رقابة ومتابعة شديدة، ثم إنه رحمه الله سافر إلى المملكة العربية السعودية، حيث وافاه الأجل في مدينة جده حوالي عام (١٤٠٤هـ)، وقد ترك أثراً طيباً في بلده وكان له طلاب ومحبون فيها وفي غيرها، كلهم سائر على نهجه ومقتبس من طريقته - رحمه الله رحمة واسعة - .

الأثر الذي خلفه "دعوة الخلف إلى طريقة السلف":

وواضح من عنوانه أنه دعوة إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الأمور من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وسائر شؤون الحياة، ولقد لخص موضوع الكتاب المؤرخ الشهير سعيد عوض باوزير في المقدمة التي قدم بها للكتاب فقال: (آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد نبياً) هذا هو موضوع الكتاب الذي جمعه المؤلف من أوثق المصادر.

دعوة إلى التوحيد الخالص دون إشراك، وإيمان برسالة خاتم الأنبياء دون انحراف، وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصحيحة دون ابتداع، في ميدان الاعتقاد يدعو الكتاب إلى إصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جوهر العقيدة، وفي ميدان السلوك والعبادة يدعو إلى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنة رسوله المطهرة<sup>(١)</sup>.

وبعد كلام عام عن أزمة المسلمين وأن لاحتل لها إلا بالرجوع الحق إلى الإسلام قال المقدم: (ربما تثير بعض النقاط التي عالجها الكتاب حساسيات بعض الناس، أو تصطدم بوجهات نظر خاصة بهم، ولكنني واثق بأن المؤلف لم يكتب ما كتب عن هوى أو غرض وإنما كان يصدر عن عقيدة امتزجت بروحه وقلبه، يدافع بها عن دين الله الحق، طالما تحدث بها لسانه، قبل أن يتناولها قلمه، فالمؤلف من خطباء الحضارم الموهوبين وأساتذتهم المستنيرين، تعرفه المنابر والحفلات، كما تعرفه فصول الدراسة، وقاعات المحاضرات<sup>(٢)</sup>. والكتاب قد جعله المؤلف على طريقة السؤال والجواب:

وقد شمل توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وما يضاد ذلك من الإلحاد والشرك، وقد ركز على توحيد الربوبية بعض الشيء لوجود التشكيك فيه في تلك الفترة، فترة انتشار الإلحاد في العالم كله، وعندنا في حضرموت بسبب النظام الشيوعي الذي كان جاثماً على صدر البلاد وأهلها، ثم

<sup>١</sup> دعوة الخلف، المقدمة ص (٥-٦)

<sup>٢</sup> دعوة الخلف المقدمة ص (٥-٦).

تكلم على السنة وما يتعلق بها وما يصادها من البدع، كما عرج على الفكر الصوفي الحضرمي وقد  
بعض خرافاته، وأبان بعض ما يحتوي عليه من الشعوذة والذجل، وخصص بعض البدع التي تنفرد بها  
حضر موت مثل " صلاة الخمسة فروض " التي تؤدي آخر جمعة من رمضان، حيث يصلون الفرائض  
الخمسة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في آن واحد وذلك بنية قضاء ما فات أثناء  
السنة الماضية

وأول من أحدثها في حضر موت " الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي صاحب عينات "، ولذلك فإن  
أكثر من يتعصب لها هم المنسوبون إليه، ولا تزال مستمرة بشكل رسمي وبطقوس واعتقادات، خاصة  
في بلده عينات إلى اليوم، كما تعرض لبعض الأمور التي دعا الواقع إلى طردها؛ كمسألة المرأة في  
الإسلام، وتعدد الزوجات، وموضوع الإسلام والرق، هذا مجمل ما اشتمل عليه ذلك الكتاب فهو مهم  
جداً ومفيد للغاية فرحم الله مؤلفه وأجزل له الثواب.

### العَلَمُ الثَّالِثُ

#### العلامة القاضي عبدالله بن عوض بكير

وهو العلامة الكبير والقاضي الشهير، داعية السنة في وقت تغلب البدع، ورافع راية التوحيد في  
مجمع تجوس خلاله أنواع من الشرك، ويتصدر فيه دعاة الخرافة الشيخ عبدالله عوض بكير.  
ولد رحمه الله في مدينة " غيل باوزير " سنة (١٣١٤هـ) <sup>١</sup>، قرأ القرآن في أحد كتاتيب قرية " القارة "  
من ضواحي الغيل، وبعد مرحلة من العمل والكد، التحق بركاب الشيخ عمر مبارك بادبانه في قرية

<sup>١</sup> القضاء في حضر موت في ثلث قرن لابن المترجم العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير النسخة الخطية ص (١٤) .

"الصداع"، وأقام لطلب العلم لديه نحواً من خمسة عشر عاماً، قرأ خلالها عدداً من الفنون حتى تقدم على أقرانه وأصبح شيخه يوكل إليه بعض المهام، من تعليم طلاب وإمامة مسجد وردٍ على فتاوى<sup>١</sup>.

ثم انتقل إلى رباط الغيل فترة، ثم ارتحل إلى بلاد الصومال " جيبوتي " و"مقديشو" مرتين لتحصيل العلم ولقمة العيش معاً، وهناك التقى ببعض علماء الأزهر<sup>٢</sup>، ثم عاد واستقر إماماً لمسجد النور بالقارة، وقد حصل من العلم حظاً كبيراً مكَّنه من أن يكون مرجعاً لمجتمعه الصغير، عليه يعرضون أسئلتهم وإليه يرجعون في حل مشاكلهم، ويراجعونه فيما يقع لهم من قضايا، ومنها ما قد يصدر لهم أو عليهم من أحكام قضائية وفتاوى شرعية، فكان يعلق عليها بما يراه الحق، وبذلك انتشر خبره وسار ذكره حتى وصل (بجالس العلماء ودخل مكاتب الحكام واستمع إلى آرائه الوزراء والسلطين، فتوجهت إليه الأنظار ترقبه وتراقبه)<sup>٣</sup>، (وبالإضافة إلى قوة عارضته الفقهية في المناظرات الشفوية والكتابية، مما أكسبه سمعة علمية طيبة، وحنكة في معالجة القضايا الفقهية، وإبراز خفاياها ودقائقها . . . بالإضافة إلى ذلك كان صريحاً في الحق لايماري ولايداري، نزيهاً لا تمتد عينه إلى متع غيره، محارباً للبدع أياً كان القائم بها، لاتأخذه في الله لومة لائم، فقد كتب الرسائل وألقى الخطب، وكاتب من يتوسم فيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشنعا على كثير من البدع التي تعمل باسم الدين، وأظهر وأبان وجه الحق في كثير مما يُتخذ تحت شعار الدين، بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألف من بين ما ألف:

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٢٦ - ٢٨ ) .

<sup>٢</sup> القضاء في حضرموت ص ( ٢٨ - ٢٩ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٣١ - ٣٢ ) .

(١) مثالب المزار: وهي رسالة في منكرات زيارات القبور. وأن زيارة القبور مشروع كما شرعها الدين الإسلامي، وبغير ذلك تعتبر منكراً يجب إنكاره وتجب إزالته وتغييره.

(٢) تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد: وهي رسالة توضح كثيراً من المعتقدات الفاسدة الشائعة في الجهة سواء كانت مما يتعلق بالموتى أو بالأحياء أو بالجمادات أحياناً، وما يفعل باسم كبراء الجن، كما يقول أرباب تلك المعتقدات.

(٣) الدفوف في المساجد: وتلك رسالة أوضح فيها حكم ضرب الدفوف في بيوت الله التي يجب أن تنزه عن مثل هذه المعازف والملاهي، ولقد ترسم فيها طريقة السلف الذين سبقوه وعنهم نقل ما نقل<sup>١</sup>. كان هذا من الشيخ رحمه الله في عهد اشتدت فيه الخصومات بين الإرشاديين والعلويين في مهجرهم في أندونيسيا وسنغافورة، وألقت تلك الصراعات بظلالها على الوطن، وأصبح من يصنف أنه من الإرشاديين أو يتهم بذلك منبوذاً، بل مُعرّضاً لأنواع من الأذى، ولذلك فقد اتهم بالإرشادية كما اتهم بالوهابية، وإن لم يكن كما يقول ابنه الشيخ عبدالرحمن ملتزماً لواحدة من الطائفتين، بل قد يؤديه اجتهاده إلى موافقة إحداهما في أمور ومخالفتها في أمور أخرى، ولكن الإرهاب الفكري الكبير الذي كان يمارس لا يرضى بأنصاف الحلول ولا يعرف للاجتهاد معنى، "وإنما كُن معنا أو أنت ضدنا"، ولكن الشيخ - رحمه الله - ما بالى بذلك بل صمد في وجه كل تلك الزوابع، ولكن لما شاع عن الشيخ من سعة في العلم وبصيرة في الرأي ونزاهة في المعاملة وعدل في الخصومة وقوة في الموقف، كل ذلك أرغم معاصريه على احترامه، وحمل المسؤولين على أن يخطبوا وده، وأن يطالبوه بتحمل مسؤولية القضاء الشرعي، والقرب من السلطان للاستفادة منه في الرأي والمشورة، وقد نفر من ذلك بادية الأمر، ولكنه

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٣٢ - ٣٣).

رضخ له بعد إلحاح وبعد تأمل في المصالح والمفاسد، ودخل سلك القضاء وتدرج فيه بعد أن عُرف عدله ونزاهته وقوة إدراكه ونفوذ بصره حتى أصبح رئيس القضاء، وعضو مجلس الدولة، ولقد قام من خلال منصبه ذلك بإصلاحات قضائية وإدارية جبارة، سبق بها عصره وتفردت بها حضرموت عن سائر البلدان المجاورة، كما أصلح القضاء وطوره وحافظ على تحكيم الشريعة، فإن له بصمة أخرى عظيمة هي رئاسة لجنة الشؤون الدينية والتي كان من مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة الآداب الإسلامية، والدعوة إليها، والتنفير من كل مفسدة خلقية، والدعوة إلى السنة ومحاربة البدع في الدين<sup>١</sup>، (فحاربت من البدع ما حاربت ونجحت ولاحقت من المفاسد الخلقية ما لاحقت وأصلحت)<sup>٢</sup>، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقيل على أصحاب الشهوات، ومحاربة البدع شديد على أرباب الهوى والشبهات، وإلغاء بعض ما في البدع والزيارات البدعية مضر بالسنة ومن يجنون من ورائها أنواع الثمرات، وحرك إبليس جنده؛ فحوربت هذه اللجنة من قبل أشخاص لهم في البدع والحفاظة عليها قدم راسخ، أولهم في طقوس هذه البدع مصالح مادية ومصالح روحية، بل إن لهم في البدع مصالح رهيبية، وهي في نفس الوقت تمثل المخدر العام للشعب كي ينصرف عنهم ولا يلاحقهم في بدعهم وأهوائهم، وبالحفاظة عليها وباستمرارها سيكون الشعب متلهيا بها منصرفاً إليها، غير متطلع لمستقبل، ولا عابىء بحاضر، كيف لا وهي تملأ أكثر أيام العام، ولا تنتهي مناسبة بدعة حتى تبدأ مناسبة جديدة لأخرى، ويتبع هذه البدع من المفاسد والمناكر والمحرمات ما يندي له جبين الدين ويتصبب له عرقاً وجه الأخلاق... بل وتتبعها مفاصد اجتماعية تصل إلى حد التفريق بين الزوج وزوجه، والابن وأبيه.

<sup>١</sup> القضاء في حضرموت ص (١٨٣).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (١٨٣).

وما أكثر البدع اليوم وما أكثر مروّجِها والمغشوشين بها، وأشدّها شؤماً وأكثرها لؤماً؛ هو بدعة ما يسمى بالزيارات لما يُؤتى فيها من المنكرات، والصد عن دين الله بعبادات أعمق جاهلية؛ لأنها باسم<sup>١</sup>. تقام وباسم الدين تتحدث. والزيارات بدعة في الدين، وبدعة في حضرموت، وبجسبك أن تعلم أنها لا تستند لسند في العادات والتقاليد حضرمي أصيل.

وقد كان للجنة الشؤون الدينية في عهد السلطان صالح مع هذه البدعة بصورة خاصة، مواقف خاصة، مما جعل السلطان عليه - رحمة الله - اقتناعاً منه بمضارها، يوقفها ويأمر بإلغاء طقوسها ومراسمها أياً كانت، ولكن القوم - هداهم الله - وغفر لهم ولنا، أعلنوا عدم تمسكهم بدينهم إذا كان يقف في طريق ما ألفوه، وأنت عليم بما يترتب على هذا من حكم شرعي<sup>٢</sup>.

وقد أخبرني أحد معاصري الشيخ رحمه الله، أنه منع الحضرة التي كانت تقام عند القبر الذي تحت مسجد عمر ويسمى قبر "علوية" أيام وجوده في القضاء، وأقلل المكان وعزم على تأجيله مستودعات أو نحو ذلك، ولكنه لم يتمكن من تأجيله، وإنما بقي مقللاً مدة طويلة، ولكن بعد وفاته أعيد فتحه وأعيدت الحضرة التي تعمل له، وهامو اليوم وصمة عار على جبين المكلا وأهل المكلا، وبقعة سوداء يطالها كل من يزور هذه المدينة من الغرباء، فيحكم على أهلها الطيبين محبي السنة أنهم من المخرفين والخاضعين لسلطان الدجل والشعوذة والامنكر، بل المنكرون كثير ولكن من يستجيب لهم؟؟

كما أنه كان قد أطل الحضرة التي كانت تقام في مسجد الروضة بالمكلا، وقد أعادها القبوريون هذه الأيام، وكما كان الشيخ رحمه الله عالماً وقاضياً ومصلحاً؛ كان كذلك شاعراً وأديباً مرهف الحس قوي

<sup>١</sup> كذا في الأصل.

<sup>٢</sup> القضاء في حضرموت ص (١٨٣ - ١٨٤).

العارضة، وبعد عمر طويل قضاه في التعلم والتعليم والإصلاح، انتقل إلى رحمة ربه في يوم الاثنين السابع عشر من جمادى الثانية عام ألف وثلاثمائة وتسعة وتسعين للهجرة؛ رحمه الله رحمة واسعة، وقد ترجمه الأستاذ سعيد عوض باوزير في الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي<sup>1</sup>.

#### (٤) آثاره في محاربة القبورية:

كما سبق فإن للشيخ ثلاثة آثار في مواجهة القبورية وسيكون الكلام هنا عن اثنين منها، وأما الثالث فسأذكره مع قائمة المؤلفات المفردة لأهل حضرموت.

**الأثر الأول:** هو "رفع الخمار عن مثالب المزار" وهو عبارة عن رسالة صغيرة أجاب فيها فضيلته على سؤال من محب كما يقول؛ بعد أن تردد في الإجابة عليه لما في زمانه من الانتكاس ثم عزم فأجاب وأجاد وبين أن المزار المعروف في الجهة، أي جهة حضرموت، محرم لأنه يشتمل على جملة من المفاسد العقدية والأخلاقية، وقد أورد جانباً من الأحاديث الناهية عن الابتداع وطبقها على هذه الزيارات، ثم ذكر أنواعاً من المفاسد الأخلاقية مثل الاختلاط بين الرجال والنساء والذي قد تصل نتائجه إلى الزنا وقد يحصل اللواط كذلك، مع ما فيها من الملاهي التي هي مقصد أكثر الزوار وليس مقصدهم الاعتبار وتذكر الموت، وقد شن حملة على من يحضرها من المتزين بزى العلم مع سكوتهم على تلك المناكر وقال: (إنهم أشرار لا أختيار)، وأجاب على شبهة يطرحها البعض وهي: أن هناك خيراً في هذه الزيارات، مثل الموالد التي تقام فيها والمواعظ، فأبان أن الموالد هنا لا تكون مشروعاً أصلاً، ولو فرض أنها سائغة لكان الواجب تنزيهها عن هذه الأماكن التي يظهر فيها الفساد عياناً، وعلى افتراض أن في ذلك شيئاً من الخير؛ فإنه قليل لا يساوي ما فيها من الشر.

<sup>1</sup> الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص (١٨١-١٨٣) تأليف سعيد عوض باوزير ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.



ثم ذكر داهية من دواهي المخرفين التي لقنوها العوام وهي: اعتقاد بعضهم (أن من حضر سبع مرات عند قبرٍ؛ على مثل تلك الحال فكأنما حج البيت الحرام) قال: (وهذا عين المحادة لله بل ربما كان كفر)<sup>١</sup>.

وقد كانت عاطفة الشيخ وغيرته بادية واضحة، وحرقة على ما يفعل قومه قوية بارزة، فما هو يصل به الانفعال إلى أن يقول: (وبعض الجهلة يوقف على مثل هذه الجرائم وقائف، ويجعلها باسم المقام، ولاشك أن مثل هذا المقام، مقام أئمة النار فيحرم الوقف عليه، وتحرم الصدقة، لكون ذلك إعانة على المعصية، ولا تجوز الإعانة على مثل ذلك، فمن أعان فيه بشيء فهو من جملة العاصين الممقوتين)<sup>٢</sup>.

والرسالة لم تتعرض لبعض الأشياء المهمة الحاصلة في تلك الزيارات، ومنها الاعتقادات الباطلة والأعمال الشركية، وليس ذلك لأن الشيخ لا يرى ذلك من المخالفات ففي الأثر الثاني سيظهر قوله فيها ولكن الذي يظهر أن الرسالة مبتورة أوضاع منها بعض الأوراق، ويشهد لذلك قول ابنه الشيخ "عبدالرحمن بكير" في خاتمة الرسالة: (انتهى ما وجدناه بخط الوالد وبقلمه، عليه رحمة الله، وربما كان للموضوع بقية فلنحتفظ بالموجود ولنبحث عن المفقود، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه)<sup>٣</sup>.

أما الأثر الثاني: للشيخ بكير فهو "تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد"، وهي رسالة صغيرة لازالت مخطوطة، اطلعت عليها بخط ابن المؤلف الشيخ عبد الرحمن عبد الله بكير، نسختها من خط والده،

<sup>١</sup> رفع الخمار ص (٢٥-٢٦).

<sup>٢</sup> المصدر السابق في نفس الموضوع.

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٣٢).

وفرخ من نسخها يوم (٢٤) من شهر شعبان عام (١٣٩١هـ)، وقد كان الشيخ عبد الله رحمه الله كتبها عام (١٣٤٣هـ)، وتقع في حوالي (٤٠) صفحة، بدأها بعد المقدمة بتعريف الإيمان ثم التأكيد على الإيمان بالقضاء والقدر، ثم عنون (وجوب الاعتماد على الله وحده) وأورد تحت هذا العنوان الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، ثم تنى بـ(لا يجوز سؤال غير الله ولا دعاؤه) وأورد كذلك ما في الباب من الآيات والأحاديث واستمر على هذا المنوال يبرز العنوان المناسب ثم يسوق تحته من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم ويعلق على ذلك بما يناسبه، ومما يؤكد حرقة وغيرته على التوحيد والاتباع كثرة شكواه من المتزينين بزى أهل العلم الذين يرون المنكر فلا ينكرونه، بل يشارك بعضهم فيه، والبعض الآخر يري العامة طريق الابتداع ويحثمهم عليه.

وكان من عناوين هذه الرسالة غير ما ذكر: (من يتوكل على الله فهو حسبه)<sup>١</sup>، و(الاستعانة لا تكون إلا بالله)<sup>٢</sup>، و(دعاء غير الله شرك)<sup>٣</sup>، و(الفاظ شركية تلفظها العامة)<sup>٤</sup>، و(اعتقادات شركية تعتقدها العامة)<sup>٥</sup>، و(يجب التحذير من كل ما يجر إلى الشرك)<sup>٦</sup>، و(وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن)<sup>٧</sup>، واستمر متعرضاً للعلماء المفتونين، ثم انتقل إلى البدع وركز على بدعة الحضرات التي تقام في المساجد وغيرها، وما يصاحبها من دعوات شركية مع السماع الصوفي واستخدام الدفوف في المساجد، كما أخذ يكرر العناوين الدالة على كفر وشرك من يدعو غير الله وأن ذلك من الكفر

<sup>١</sup> تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد مخطوط ص (٤).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٦).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٧).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٨).

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (٨).

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص (٩).

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص (٩).

الصريح، كما فرق بين التوسل والدعاء، وذكر أن التوسل مشروع عند أهل السنة والجماعة كما جاء في الأحاديث الصحيحة لكن ينبغي الدخول من بابه<sup>١</sup>، وبين دعاء غير الله الذي عبر عنه بأنه إحداث دين لم يكن، ثم عاد ليقرر أن المبتدعين جهلة غير مؤمنين على الشريعة<sup>٢</sup>، وبعده تعرض لبداية عبادة الأصنام وأنها كانت بسبب الغلو في الصالحين، ثم عنون (البدع في الدين ابتداءً وسيلة من وسائل الشرك انتهاءً)<sup>٣</sup>، وهكذا يمضي مع البدع ليقول: (نهى الإسلام عن البدع حسم لوسائل الشرك)<sup>٤</sup>، و(جميع بدع القبور منافية للدين)<sup>٥</sup>، ثم ذكر أن الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع، ثم يأتي للقوم من الباب الذي لا يستطيعون سده فيقول: (مع الشيخ ابن حجر في بدع القبور)<sup>٦</sup>، ومن المعلوم أن ابن حجر المكي هو عمدتهم في الفقه، وبعد ذلك يعنون: الصلاة عند القبور والوقف والنذر عليها أو لها<sup>٧</sup>، ويواصل تحت هذا العنوان النقل عن ابن حجر، ثم يحذر من الحلف بغير الله وأنه من الشرك أو الكفر به، ثم يتعرض لفعل الموالد عند القبور لأنه إذا منعت الصلاة عندها مع أن المصلي لا يقصد إلا الله وحده وإنما يخشى من أن يجره التبرك بذلك القبر إلى الشرك، فإن الموالد أولى من ذلك لأنها إنما أقيمت للتبرك بصاحب القبر وتعظيمه<sup>٨</sup>، ثم يحتم بنقد الزيارات القبورية وقد سبق تفصيل رأيه في ذلك عند الكلام على "رفع الخمار عن مثالب المزار"، ويطلب حتى ينهي الرسالة بذلك.

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١٦).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (١٨).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٢١).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٢٢).

<sup>٥</sup> تطهير الفؤاد ص (٢٣).

<sup>٦</sup> تطهير الفؤاد ص (٢٥).

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص (٢٩).

<sup>٨</sup> المصدر السابق ص (٣٢).

بقي شيءٌ لفت نظري وهو نقده على من نسب كثيراً من البدع القبورية للسيد علي بن محمد الحبشي، واعتباره غير راض عن ذلك لما عرف عنه من العلم والورع والتمسك بما كان عليه سلفه من علماء آل باعلوي بحضرموت، وهذا إحسان ظن من الشيخ بالسيد علي المذكور، ربما لأنه لم يطلع على كتاب "كنوز السعادة الأبدية" والذي جمعه أحد طلاب علي الحبشي من كلامه، والذي يحوي من الخرافات ما لا مزيد عليه، وكذلك نقل بعض صور القبورية والعقائد الضالة على وجه الاستحسان، بل في معرض التعليم للناس والحث على تلك البدع والأعمال والعقائد .

ظني والله أعلم أن الشيخ عبد الله لو اطلع على هذا الكلام لغير رأيه، ولم يدافع هذا الدفاع الكبير عن علي حبشي والله أعلم .

### المؤلفات المفردة في الرد على القبورية لعلماء حضرموت:

(١) العلامة الشيخ محمد بن عمر العماري وله رسالتان في مواجهة القبورية إحداهما " فتوى حول الاستغاثة بغير الله " مطبوعة وهي رسالة قصيرة، والثانية رسالة بعنوان " دق بالمسمار على الضاربين بالطار أو نصيحة وإنذار " وموضوعها الاعتراض على السماع الصوفي أو ما يسمى عندنا في حضرموت " الحضرات " في المساجد والمشاهد .

(٢) العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بكير عضو هيئة الإفتاء الشرعية، من المعاصرين حفظه الله وله رسالة بعنوان: " شن الحروب على مقبرة الشيخ يعقوب " وهي رسالة كان الباعث عليها الهجعة الوقحة التي شنها رجال ومسؤولو الجبهة القومية أيام حكمها على مقابر المسلمين ودكها للبناء عليها وتمير الطرق فيها دون مبرر، وقد تعرض فيها للزيارات الشرعية والبدعية .

٢) العلامة الشيخ الفقيه أبوبكر أحمد بن عبدالله الخطيب الأنصاري الترمي الحضرمي الشافعي المتوفى سنة (١٣٥٦هـ)، له رسالة صغيرة اسمها: "نصيحة الإخوان عن إتيان السحرة والكهنة وأهل الجان" توجد ضمن مجموع فتاواه المسمى "الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة" جمع سالم بن حفيظ ابن عبدالله بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، من (٣٠١ - ٣٢١) من ذلك المجموع.

## الفصل الثاني

### تعظيم القبور

وفيه ثلاثة مباحث:

#### المبحث الأول

##### اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اعتقادهم تعظيم وبركة مقابر مخصوصة:

منذ أن بدأ المتصوفة تعلقهم بالقبور وقالوا قولتهم المشهورة: (قبر معروف الكرخي الترياق المجرب) وهم يتوسعون في الانحراف، ويتيهون في الضلال، ويضيفون الحديد من الدجل والخرافة، ينسبون بهما الفضائل والفواضل إلى قبور أوليائهم، فحيناً تعم البركة مقابر بأكملها، وحيناً تخص قبوراً معينة، وهناك مقابر قد عمم قبورية اليمن البركات عليها وأعطوها القداسة والتعظيم.

فمن تلك المقابر مقبرة المسدارة بقرية المخادر محافظة إب، قال الجندي في ترجمة علي بن أبي بكر التباعي: (وقبره بمقبرة المخادر وتعرف بالمسدارة بجنف الميم بعد ألف ولام وسكون السين المهملة وفتح الدال المهملة ثم ألف ثم راء مفتوحة ثم هاء، وهي من المقابر المشهورة بالبركة، إذ رأى بعض الصالحين النبي ﷺ وهو في طرفها يزور، وجماعة يسألونه الشفاعة فقال هذا خاتمي ذمام على أهل المسدارة من النار ولما كان مستقيضاً لم يكده أحد من أهل القرية ونواحيها يجب أن يقبر إلا فيها تعلقاً

بهذا الأثر<sup>١</sup>، فانظر إلى هذه الرؤيا كيف أثرت في الناس فصدقوها وعملوا بمقتضاها، حتى إن أهل تلك النواحي لا يقبرون إلا فيها.

ومنها مقبرة الكئيب الأبيض بأبين، قال الياضي: (وهو كئيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلوم في رجب... ويقال في ذلك المكان قبور بعض الصالحين)<sup>٢</sup>.

وقد ذكره كذلك الجندي بشيء من البسط فقال: (وقد تطلع النفوس إلى خبر الكئيب: أما الشأن فيه فهو موضع في أبين عدن وهو أحد المواضع المباركة في اليمن على ما ذكر الثقة فيما رواه الرازي مقدم الذكر أن في اليمن أربعة مواضع مباركة بالاتفاق منها الكئيب الأبيض عند وادي يرامس أرض أبين، ومنها الجند، ومنها زبيد، ومنها نجران، ولم يزل الناس يتأبون الكئيب لاسيما في رجب ويجمعون فيه ليلة سبع وعشرين من الشهر ويزعمون أنها سنة العلماء المتقدمين<sup>٣</sup>، سئل بعض فقهاء تلك الناحية من المتأخرين هل يذكر شيئا من فضله؟ فقال: لا أعلم إلا أنني رأيت وسمعت الإجماع منعقد على قصده وزيارته وما يكون مجانا عن باطل)<sup>٤</sup>.

ومنها مقابر تريم الثلاث: زنبيل، والفريط، وأكدر والتي يجمعها اسم شامل هو "بشار" للثلاث التُرب، وهذه المقابر قد بلغ فيها الغلو مبلغاً لم تبلغه أي مقبرة أخرى في اليمن، وسمع إلى فضلها من مؤرخ القوم وناشر مناقبهم وفضائلهم بغتها وسميتها وعُجرتها وبُجرها المؤرخ الشلي في مشرعه: (وأما مقابر مدينة تريم فأعظمها وأحقها بالتقديم مقبرة "زنبيل" بفتح الزاي وسكون النون وفتح الموحدة

<sup>١</sup> السلوك (١٨٣/٢)، وطبقات الخواص ص (٢١٢).

<sup>٢</sup> مرآة الجنان (٣٥٤/٤).

<sup>٣</sup> في الأصل. المتقدمون وهو خطأ.

<sup>٤</sup> السلوك (٦١٥/٢).

آخرها لام، وهي مقبرة السادة الأشراف وفيها من العلماء العاملين والأولياء والصالحين ما لا يحصى، وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف يقول: " فيها من أكبر الأولياء أكثر من عشرة آلاف وفيها ثمانون قطباً من الأشراف"، ونحو ذلك حكى عن الشيخ الولي سعد بن علي، ويقال أن فيها عصابة من الصحابة رضي الله عنهم أرسلهم الصديق الأكبر رضي الله عنه لقتال أهل الردة مع زياد بن عبيد الأنصاري فمات كثيرون منهم بتريم ولم تعرف قبورهم، لكن حكى عن الشيخ عبدالرحمن السقاف أنه قال: إن قبورهم شرقي قبر الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم بنحورمية حجر، وذلك بقرب مشهد العارف بالله أبي بكر باشميلة رضي الله عنه ونفعنا بهم، (وبالجملة) فهي بقعة تآرجت بطيب تربها وأشرقت أرضها بنور ربها.

(الثانية) مقبرة الفريط تصغير فرط وهو كما في القاموس: الجبل الصغير أو رأس الاكمة والعلم المستقيم يهتدي به جمعه أفرط وأفراط سميت باسم الجبل الذي بقربها وهي مقبرة آل بافضل والخطباء وغيرهم من مشايخ تلك الجهة، وفيها أيضاً من العلماء والفضلاء والأولياء ما لا يحصى وحكى عن الشيخ عبدالرحمن السقاف أن فيها أكثر من عشرة آلاف ولي وقد شاهد كثير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تنزل من السماء على هذه المقبرة ثم تعم سائر الجهات.

وحكى عن عبدالرحمن السقاف وحكاه السيد الجليل عبد<sup>١</sup> بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ الأعظم عن بعض مشايخه بمكة أنهما قالوا: إن تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة، وحكى عن غير واحد من الأولياء أنه شاهد نوراً ساطعاً على قبور الخطباء لاحقاً بعنان السماء، وعن الشيخ حسن الورع بن علي أنه قال: من نظر منارة الجامع والفريط حتى سفر<sup>٢</sup> عليه لم يكتب

<sup>١</sup> كذا في الأصل والمعروف زياد بن لبيد .

<sup>٢</sup> كذا في الأصل.

<sup>٣</sup> كذا في الأصل.



عليه ذنب، وكان بعض الأولياء العارفين يقول: من وقع ظل الفريط عليه لم تمسه النار؛ ولأجل هذا يحرص أهل البلدان على أن تكون مقابرهم حذاء الفريط المذكور حيث يقع ظله عليها.

(الثالثة) مقبرة أكَدَر بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح المهملة فراء، وتسمى هذه المقابر الثلاث "بشار" بفتح الموحدة وتشديد المعجمة آخره راء وهو اسم الواقف، لها وهذه الجنات مشهورة بالبركات في كل واحدة منها جم غفير من الأولياء العارفين ظاهرين ومستورين، من آل بصرى وجديد وعلوي، ومن آل بافضل، والخطباء، وآل باحرمي، وآل باحسون، وآل بامروان، وآل باعيسى، وآل باعبيد، وغيرهم، إلا أن كثيرا منهم لا يعرف عين قبره بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنته المتأخرون لأمر منها: أن يعرف الميت هل بُلي أو لا؟ لأن المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوها، ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار، ويتبرك به، ويدفن عنده أقاربه، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة، وكان الشيخ محمد بن أفلاح يقول: من مسجد عبد الله بن يمانى إلى آخر زنبل كلها قبور، ومن ثم يقع لكثير من المشايخ أنه يجلس نعليه إذا جاوز المسجد المذكور، وقد كان كثير من أهل الكشف يشاهدون البركات الظاهرة والأنوار الباهرة في هذه الجنان، وشاهد غير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنور الجسيم، ورأى جماعة رسول الله ﷺ يزورهم، وكذا الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وحكى أن الشيخ أبا سعيد قرأ سورة هود فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، جعل يردد الآية ويتفكر، ثم قال يأهل القبور ليت شعري من الشقي منكم ومن السعيد؟ فأجابه الإمام العارف بالله تعالى أحمد بن محمد

<sup>1</sup> هود (١٠٥).

بأفضل من قبره بقوله: أمض يا سعيد في قراءتك ليس فينا شقي، وقيل إن الذي أجابه هو الشيخ مسعود بن يحيى باحرمي ولعل الواقعة تعددت .

وحكى عن الشيخ الزاهد الورع السيد حسن بن علي، وكان من أهل الكشف أنه قال: سأل رجل من أهل الفريط رجلاً من أهل زنبل عن أهل مقبرته فقال: خيلنا تحمل رجلنا، وسأله عن أهل مقبرته فقال: زنادقتنا حشو جنتنا .

وللشيخ الإمام علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف:

وكم بدور بذاك الحى قد برزت تمد زوارها من فيضها الزخر

وكم عز بيته الأسرار قد غمرت بفضل هطالها الزوار كالمطر  
وذا دن دنت ترمي يحس بها زوارها في سواد الليل والسحر  
وذا أكر للأكدار مجلية تشفى بمرهما الزوار عن ضرر  
وارجع إلى ذكر وتوحيد ومعرفة خصوا بها صفة صُفوا عن الكدر  
وامنحوا من عظيم الفضل كم منح وكم عطايا وكم جود وكم غمر  
وكم حقائق توحيد لها وهبوا وكم جواهر أنوار وكم درر  
وكم مواقيت أسرار ومعرفة وكم تماكين تصريف وكم قدر  
شيوخنا في بجار من حقائقها قد مكنوا الكل بالأسرار والسير  
حظوا وخصوا بجاه لا يحد له وسع ولا فضلهم يحصى بمستطر  
رسوخ أقدامهم يحكي رواسيها أسود نهام تحمي الجار عن ضرر

<sup>1</sup> زنادقتنا هنا ليس على أصلها المعروف عند العلماء ولكن المقصود الظرفاء والمهترجون .

بجور علم شمس في دياجرها تهدي الضوائل والسلاك في السفر  
أئمة الدين آل المصطفى فلهم مكارم عدها يربو على الزهر  
وراث طه على التحقيق أن لهم محاسن أدهشت الباب ذي الفكر  
أولو الصفا والوفا أجناد خالقهم أولو العبودة حقاً صفوة البشر  
هم عمدة الكون أحبار العلوم بهم باهى المهيمن للأملك في الخبر  
فلا مزيد على مدح الإله لهم وذكره فضلهم في الآي والصور  
فالقحط عنا مع البلوى يزال بهم أيضاً وفي الجذب نسقي وابل المطر  
وهم بدور لنا في كل مظلمة وهم لنا عمدة في اليسر والعسر  
قوم إلى الله طامروا عن هياكلهم حق دنوا من رياض القدس والقدر  
أهل التقى والنقى طابت مغارسهم فأينعت بشار القصد والظفر  
فحسّن الظن واعتمد يا أخي بهم كي في معاد تفرز بالأمن والوطر  
واقصد رضى الله في الدنيا مجرمهم لعل تحظى بجور الخلد والظفر

وقال الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس:

في جنان بشار خيامهم قد طنبت والأخدار

وكم بها من أقمار<sup>١</sup> تلالأت أنوارهم بالأقطار

وقال: ولم ينزل عني الكدم إلا إذا نزلت آل أكدم

وأهل الفريط المشتهر وقبر الشيخ المنور

<sup>١</sup> في الأصل "قمار".

العيدر وس بحر الدرر ليث الضراغيم الغضنفر<sup>١</sup>  
فانظر إلى هذه الخصائص والفضائل وما جعل فيها من كرامات يناها الزوار ويحصل عليها  
الراغبون، أفلا يحمل ذلك ضعاف العقول على التعلق بهذه المقابر ومن فيها واعتقاد النفع والضر  
فيهم؟.

وغير مقابر تريم هناك مقابر أخرى في حضرموت مباركة مجربة - هكذا يزعمون -، يقول الشلي:  
(والمقابر المشهورة في حضرموت أربع: مقبرة تريم، ومقبرة شبام، ومقبرة الهجرين، ومقبرة الغيل  
الأسفل).<sup>٢</sup>

#### المطلب الثاني: اعتقاد بركة قبور معينة بركة عامة:

لن أستطيع ولن يستطيع أي باحث حصر وإحصاء القبور التي أُطلِقَ عليها المدح والثناء،  
ونسبت إليها البركات، وما يضيئ منها من الأنوار، وما يفوح منها من الروائح العطرة والمسكية، وما  
يتحقق لزارها من الأانس والارتباط، ثم نجاح الحاجات وتفريج الكربات، إن إحصاء ذلك أمر غير  
متيسر قطعاً ولكنني سأكتفي بذكر بعض ذلك ومن أماكن متفرقة من اليمن.

وأول تلك الأماكن "زبيد" فقد ذكر عن كثير ممن قُبِرَ بها من الصالحين الثناء على قبره ونسبة الكثير  
من الفضائل إليه، وأكثر ما ذكر من ذلك عن قبور بمقبرة "باب سهام"، ومقدمو تلك المقبرة سبعة نفر،  
قال الشرجي في ترجمة إبراهيم الفشلي: (وقبره بمقبرة باب سهام، من مدينة زبيد من القبور المشهورة  
المقصودة للزيارة والتبرك، وهو أشهر السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية  
قضيت حاجته، وهم هذا الفقيه إبراهيم والشيخ أحمد الصياد، والفقيه عمر بن رشيد، والشيخ  
مرزوق بن حسن، والشيخ علي بن أفلاح، والشيخ علي المرتضى، وفي السابع اختلاف، فمن الناس

<sup>١</sup> المشرع (١٤٦/١ - ١٤٨).

<sup>٢</sup> المشرع (١٤٨/١).

من يجعله أحد بني عقامه ومنهم من يجعله الشيخ أحمد المعترض، ومنهم من يقول غير ذلك، والله أعلم<sup>١</sup>.

وقد نظم هؤلاء السبعة بعضهم فقال:

باب سهام سبعة من مشايخ لقاصدهم ذخر وكنز لمقلل

فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي<sup>٢</sup> وأفلح صياد كذا ابن الرضى علي

زيارتهم نجح لكل حوائج وفي الخلد سكنى للذى زار مقبل<sup>٣</sup>

ولأن هذه مفخرة عند القوم لمدينة زيد قد تسمو بها على غيرها من المدن لم يرتض أهل تريم ذلك، بل عارضوهم بذكر ما في مقابر تريم من فضائل وفضلاء، قال الشلي بعد أن نقل تلك الأبيات: (فعارضه الإمام مبدي العلوم الغريبة والأخبار العجيبة الشيخ علي بن أبي بكر فقال:

تريم بها منهم ألوف عديدة بساحة بشار شمس الورى قبل

زيارة كل منهم صح أنها لما شئت من جلب ودفغ تحصل

وإن قيل تريق ببغداد جريا ففي ربع بشار شفا كل معضل

ويا حبذا ذاك الفريط وظله فكم قد حوى من كامل السر منهل

فكم معدن كم مورد كم معظم وكم حبر تحقيق وشيخ مدال

ولبلب قلبي تفح مسك بزنبيل بها من كنوز السر كم من مجال

وكم جهبذ فيها بنوا كدر بها بهم ينزل الله الغيوث لمحل

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص (٤٥) .

<sup>٢</sup> كذا في الأصل ولست أدري من يعني .

<sup>٣</sup> المشرع (١٤٨/١) وقد اختلفت بعض الأسماء ولا أراه يضر إذ المقصود إثبات العقائد الضالة في ذلك وليس تعيين الأسماء .

## فلا تحقرها رب أشعث حامل سما سره فضلا على كل معضل<sup>١</sup>

وإليك بعض القبور المفردة التي ذكرت لها بعض البركات والأسرار وتعلق بها الناس واعتقدوا فيها العقائد الضالة:

ومن مدينة زبيد أيضاً: قال الشرجي: (ومن ذلك رجل بمقبرة باب النخل يقال له الملبك، بضم الميم وفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وآخره كاف، ما كان يعرف ولا سمعنا به إلا في هذا الزمان، ذكر رجل من عوام أهل زبيد أنه نبه عليه إنسان وهو في المنام وقال له: إن صاحب هذا القبر من الأولياء وإن من لازمه في حاجة قضيت، وشاع هذا في أهل البلد، حتى صار لهم فيه معتقد عظيم، يزورونه ويتبركون به، لاسيما العوام والنساء فإنهم يخرجون في ذلك عن الحد)<sup>٢</sup>.

وكذلك يقول الشرجي في ترجمة عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال: (وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به)، ثم ترجم لولد له وقال في آخر ترجمته: (ودفن عند والده وقبره يزار، ويتبرك به، على تربتهم أنس ظاهر وبركة)<sup>٣</sup>، وفي ترجمة إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قال: (ودفن بمقبرة باب سهام من مدينة زبيد، وله هنالك مشهد عظيم لم يكن في تلك المقبرة أعظم منه، عليه أثر النور والبركة ظاهر).<sup>٤</sup>

## نماذج من القبور المعظمة في محافظة تعز:

<sup>١</sup> المشرع ص (١٤٨ / ١).

<sup>٢</sup> الطبقات ص (٤١٨).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (١٩٥).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (١٠٦).

قال الشرجي في ترجمة أحمد بن علوان: (ودفن في قريته قرية "يفرُس" بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الفاء وضم الراء وآخره سين مهملة، وهي على نحو مرحلة من مدينة تعز، وقبره بها ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب، فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع، أهل تعز وغيرهم، ويخرجون بالنساء والأولاد، وقرية الشيخ المذكور محترمة، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه).<sup>١</sup>

وفي ترجمة الفقيه الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي قال الشرجي: (وقبره بالمقبرة القريبة من مدينة الجند مشهور مقصود للزيارة والتبرك، قال الجندي: "لم أر في اليمن تربة تتجدد معرفتها ويكثر زوارها كترية الفقيه زيد، ولا تكاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت حاجته، قال: ولقد أخبرني جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب بأخبار يطول شرحها في ذلك نفع الله به وبسلفه أمين")<sup>٢</sup>

قلت: هل يقصد الجندي أن ذلك متواتر بالمعنى الاصطلاحي إن كان كذلك فممن أخذ هذا الجمع؟ إنه في الغالب عن جماعة من تجار الخرافة والكرامات.

وفي ترجمة أبي عبدالله محمد بن ظفر الشميري قال الجندي: (وقد بلغت تربته قاصداً للزيارة، فأقامت عنده أياماً وإلى جنبه قبر امرأته المذكورة، قال: وببركته لم نزل تربته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله تعالى، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة وقضاء الحوائج

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٧١) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص (١٣٨) .

التي تطلب من الله تعالى وكثرة النذور وغير ذلك، وفي ليلة الرغائب من شهر رجب يجتمع عندها خلق ناشر قال: وتراب تربة الفقيه يشم منه ريح المسك نفع الله به) <sup>١</sup>.

قلت: أما رائحة المسك التي تكررت ولا تزال في ترب كثير من المقدسين فإنها لعبة من لعب السدنة، يصبون الروائح العطرية على التراب ليوهمو الزوار بأن ذلك من ريح التربة والقبر المقدس.

### نماذج من قبور إب:

منها قبر الشيخ علي بن عمر قال الجندي في ترجمته: (وتربته من التراب المشهورة في البركة واستجابة الدعاء، ومن عجيب بركتها ما أخبرني بعض الثقات من أهل العناية والبحث عن أحوال هذا الرجل وأمثاله أنه كان على قبره شجرة سدر يتبرك بها الناس، ويأخذ أصحاب الحموات من أوراقها يطلون بها رؤوسهم فيبرأون، واستفاض ذلك في جهات كثيرة حتى كان يؤتى لذلك من الأماكن البعيدة، ويُعتمد في الأمراض الشديدة، ومن عادات أهل إب في غالب الأعياد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حروب كثيرة كما هو متحقق فلا يألو من ظفر منهم بصاحبه غير مفكر بالأذية بقتل أو غيره، فحصل في بعض الأعياد حرب انتصر بها أهل البادية فانهمز أهل إب إلى البيوت، ووصل أهل القرية إلى قريتهم ولم يطبقوا دخولها فقال بعض شياطينهم اذهبوا بنا إلى هذه الشجرة التي يعبدونها، ولنعرها عليهم فلا ينتفعوا بها فنهاهم العقلاء، وأسرع إلى ذلك الجهلاء، فضربوا العلة بفأس حتى أوقعوها الأرض، وألقى الله بقلوب أهل المدينة القوة والأنفة فخرجوا مسرعين نحوهم فهزمهم هزيمة شنيعة وقتلوا منهم جمعاً أولهم عاقر الشجرة، وحين وقع هبّروه بالسيوف تهبيراً عظيماً، وتعرف هذه التربة بتربة من سمع النداء بالصلاة عليه في الحرم ولم ير المنادي) <sup>٢</sup>.

ومنها قبر مُحَمَّد بن عبد الله الهمداني بناحية السحول، قال في ترجمته الشرجي: (وقبره في الرباط المذكور مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج) <sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> السلوك (٢/٢٦٣) وانظر: طبقات الخوارج (٣٠٢).

<sup>٢</sup> السلوك (١/٣٥٦-٣٥٧).

<sup>٣</sup> الطبقات ص (٣١٩).



ومنها قبر يحيى بن أبي الخير الإمام المشهور قال الشرجي في ترجمته: (وكانت وفاه الشيخ يحيى بقرية ذي السفال كما قدمنا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقبره هنالك من القبور المشهورة في اليمن المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج، وله عند أهل الجبال كافة مكانة عظيمة، ولهم فيه معتقد حسن، ويروون له كرامات كثيرة، ويتوجهون به في مهماتهم ويستغيثون به في ضرورتهم، وهو كذلك وفوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به) <sup>١</sup>.

### من قبور لحج وأبين:

منها قبر الحسن علي بن الحسن الأصابي قال الشرجي في ترجمته: (توفي سنة سبع وخمسين وستمائة بقرية الخفد بفتح الميم والفاء وسكون الحاء المهملة بينهما وآخره دال مهملة، وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به، ويوجد منه رائحة المسك خصوصاً ليلة الجمعة، ذكر ذلك الجندي رحمه الله) <sup>٢</sup>.  
ومنها قبر عبدالله بن علي بن حسن بن الشيخ علي، قال الشلي: (ولقي ربه سنة سبع وثلاثين وألف في قرية الوهط الشهيرة، وقبره بها كالشمس وقت الظهيرة مقصود بالزيارات وقضاء الحاجات ونيل المطلوبات ومن استجار به نجا من جميع المخاوف والردى، وعمل الباشا محمد باشا على قبره قبة عظيمة) <sup>٣</sup>.

### من قبور عدن:

منها قبر أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الباطل الصريفي، قال الشرجي في ترجمته: (...حتى توفي بها - عدن - وترتبه هنالك من التربة المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه، ولأهل عدن فيه معتقد عظيم، وله عندهم محل جسيم، وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به) <sup>٤</sup>.

ومنها قبر الشيخ عبدالله بن أحمد العراقي، قال الشرجي في ترجمته: (ولأهل عدن فيه معتقد حسن، وله هنالك تربة معظمة) <sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٣٦٥ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٢١٣ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ١٩٣/٢ ) .

<sup>٤</sup> الطبقات ص ( ٢٨٣ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ٤١٩ ) .

ومنها قبر الشيخ جوهر بن عبدال له، قال الشرجي في ترجمته: (وتربته هنالك من أكبر التراب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه، ومن تعدى إلى ذلك عوقب عقوبة معجلة، وقد جرب ذلك غير مرة، ولم أتحقق تاريخ وفاته - رحمه الله تعالى - ونفع به آمين) <sup>١</sup>.

### من قبور شبوه:

قبر الشيخ مُجَّد بن عمر الحباني (وهو يقع على مكان مرتفع في المقبرة الحبانية القديمة فوق طين الجديدة وبجانبية بعض أولاده وأحفاده وقبورهم منورة ومقصودة بالزيارة) <sup>٢</sup>.  
قبر الشيخ أبي بكر بن إسماعيل بن مُجَّد بن عمر الحباني (وهو في مجري السيل في شعب الشقب، وبمر الماء من حواليه دون أن يأخذ منه شيئاً، وقد كان أهل البلاد أيام الاستسقاء يتوسلون به إلى الله، ولا يأتي الليل إلا ويأتيهم الغيث بأذن الله، وقد حضرنا هذا مراراً ونحن صغار) <sup>٣</sup>.  
قبر الفقيه علي بن مُجَّد بن عمر الحباني صاحب الحوطة، قال المحضار: (ودفن بجوار المسجد وقد كانت عليه قبة وانهدمت) <sup>٤</sup>، وقال قبل ذلك (أخبرني الثقة من أهل الحوطة أن السيد الصوفي محسن ابن عبد الله بن عبد القادر المحضار صاحب مرخة جاء إلى الحوطة وكان يزورها دائماً، وليلة دخل إليها بعد العشاء فقدم المسجد بعد أن خرج المصلون، وكان جائعاً ودق على التابوت إلى أن خرج إليه قرص حار ولحمه فأكل نصف القرص واللحمة، ومع الفجر جاء أحد المشايخ الكرام.. وقال للسيد محسن أعطني من عشاء الشبية فأعطاه النصف الباقي) <sup>٥</sup>.

### من قبور حضرموت:

ومنها قبر عبد الله بن شيخ العيدروس، قال الشلي في ترجمته: (وعمل عليه قبة حسنة الباطن والظاهر والنور في أرجائها لائح وباهر) <sup>٦</sup>، ومنها قبر الشيخ أبي بكر بن سالم، قال الشلي في ترجمته: (وتربته

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ١٢١ ) .

<sup>٢</sup> ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان تأليف السيد مُجَّد بن عبد الله بن مُجَّد الحوت المحضار بدون تاريخ ولا سنة طبع .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٢٥ - ٢٦ )

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٣٥ )

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ٣٤ ) .

<sup>٦</sup> المشرع ( ١٧٧ / ٢ ) .

بها مشهورة كالشمس وسط النهار، تقصده الزوار من جميع الأقطار، بأنواع الأنداز، ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس، لا يقدر أحد أن يناله ببؤس، وبني عليه قبة عالية البناء عظيمة القدر حساً ومعنى) <sup>١</sup>، ومنها في مدينة الشحر قبر شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف، قال الشلي: (ومشهده في الشحر مشهور وبالأنوار مغمور وبالزيارة معمور) <sup>٢</sup>، ومنها قبر الفقيه المقدم، قال الشلي في ترجمته: (وقبر الأستاذ بمقبرة زنبل المشهورة، وبالزيارة والقراءة معمورة، وقبره بها كالبدل ليلة الكمال، وكالشمس وقت الزوال، مقصود بالزيارة من كل البلاد، ويهرع إليه عند النوائب من كل ناد، ويسعى الناس كل يوم لزيارته سعياً حثيثاً، ويستسقى به قديماً وحديثاً، وكان حفيده الشيخ الإمام عبدالله باعلوي كثير الزيارة له وينشد عنده:

يا دار إن غزالاً فيك هيمني لله درك ما تحويه يا دار

لو كنت أشكو إليها حسن ساكنها إذن رأيت بناء الدار ينهار

وكان يقول إذا رآه "كل الصيد في جوف الفراء" وكان الشيخ محمد بن أبي بكر بأعباد يزوره كثيراً وإذا رأى القبر الشريف قبله، فقليل له: كيف تقبله وأنت تنهى عن تقبيل القبور فقال ما صبرت عنه) <sup>٣</sup>.

### قبور من نواح مختلفة:

فمن كمران قبر الفقيه محمد بن الحسن بن عبدربه، قال الشرحي في ترجمته: (حتى توفي سنة خمس وعشرين وخمسائة، ودفن إلى جنب مسجده في الجزيرة المذكورة، وترتبه هنالك من التراب المشهورة، مشهورة الفضل، وآثار الفقيه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك، وهو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين والظاهرين، وقد تقدم في ترجمه الشيخ أحمد الصياد ما يدل على ذلك نفع الله بهم أجمعين) <sup>٤</sup>.

ومن قبور بلاد الزيدية قبر الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم المعروف بأبي طير، قال الأكوغ في ترجمته: (وقبره معروف يزار ويتبرك به، وقد اندفع عوام الناس يعتقدون فيه اعتقادات

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٢٩/٢ ).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ٢ / ١١٥ ).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ٢ / ١٠-١١ ).

<sup>٤</sup> الطبقات ص ( ٢٧٨ ).

باطلة حتى أخرجوه من آدميته، كما ذكر الإمام الشوكاني في رسالته " الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد " ص (١٢) جاء فيها ما يلي:

(وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رحمه الله فأراها وهي مسرحة بالشمع، والبخور ينفخ في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله إلى الباب: أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين " )<sup>١</sup>.

ومنها قبر الإمام يحيى بن حمزة بدمار، قال الإمام الشوكاني في ترجمته: (ومات في سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة بمدينة دمار ودفن بها وقبره الآن مشهور مزور، ومما شاع على الألسن أنه إذا دخل رجل يزوره ومعه شيء من الحديد لم تعمل فيه النار بعد ذلك، وقد جربت ذلك فلم يصح، وكذلك اشتهر أنه إذا دخل شيء من الحيات قبته مات من حينه)<sup>٢</sup>، ونقل المعلق على الكتاب هذه الآيات التي كتبت على قبته وهي:

نور النبوة والهدى المتلهل أرسى كلاكله ولم يتحول  
في قبة نصبت على خير الورى وأشرف في الفخار وأفضل  
وعلى الإمامة والزعامة والندا والجود والمجد الأثيل الأكمل  
وعلى السماحة والرجاحة والنهى وعلى المليك الأوحد المتطول  
والعالم المتوحد المترهب المتعبد المتنفل المتبتل  
يحيى بن حمزة نور آل محمد لب اللباب من النبي المرسل  
كشاف كل عظمة وملاذ كل ملمة ورجاء كل مؤمل  
يا زائراً ترجو النجاة من الردى عن قبره وضريحه لا تعدل  
لد بالضريح وقف به متضرعاً واطلب رضاك من المهيمن واسئل  
تحيى بكل فضيلة ووسيلة وتنال خيراً من علو المنزل  
شرفت دمار بقبر يحيى مثلما شرفت مدينة يثرب بالمرسل  
فليهنأ أهل دمار حسن جواره فيما مضى وكذلك في المستقبل<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> هجر العلم ( ٧٤٣/٢ ) .

<sup>٢</sup> البدر الطالع ( ٣٣٣/٢ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ٣٣٣/٢ ) .

### المطلب الثالث: اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور:

تقدم اعتقاد القوم في مقابر معلومة اعتقاداً شاملاً لها كما تقدم اعتقادهم في بعض القبور، وإسباغ الفضائل عليها بدون تخصيص نوع معين من الكرامات التي تدرك لديها، وفي هذا المطلب أذكر إن شاء الله بعض القبور التي قيل أن الدعاء عندها مستجاب، وما دام أن الأمر مخصوص باستجابة الدعاء فإنني سأقتصر على ذكر القبر واسم صاحبه مع المرجع فقط طلباً للاختصار إلا ما رأيت في غير إيراد نص كلام المترجم فائدة فإنني سأذكره.

فمن تلك القبور:

- قبر أبي الخير الشماحي بزبيد ذكره الشرجي<sup>١</sup>.
- قبر علي بن الحسن الأصابي بأبين (المخفد) ذكره الشرجي<sup>٢</sup>.
- وقبر مُحَمَّد بن علي مولى الدويلة بتريم ذكره الشلي<sup>٣</sup>.
- وقبر أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ ذكره الشلي<sup>٤</sup>.
- وقبر عبدالله با علوي ذكره الشلي<sup>٥</sup>.
- وقبر عبد الله بن مُحَمَّد بن علي صاحب الشبيكة بمكة ذكره الشلي<sup>٦</sup>.
- وقبر عقيل بن عمر أبي المواهب بالرباط قرب ظفار ذكره الشلي<sup>٧</sup>.
- وقبر مُحَمَّد بن عبدالرحمن السقاف ذكره الشلي في كيفية زيارة مقابر تريم<sup>٨</sup>.

### المطلب الرابع: اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور:

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٨٤ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٢١٣ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ٢٠٢/١ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ٤٧/٢ - ٤٨ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ٧٣ / ٢ ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ( ٢٠١/٢ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ( ٢٠٥/٢ ) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ( ١٤٩/١ ) .

ومن تلك الاعتقادات الباطلة التي يعتقدها القبورية في قبور أوليائهم أن صاحب الحاجة إذا لزم تلك القبور قضيت حاجته، وكأنها هي الواهبة لها أو الواسطة فيها، وكلا الأمرين مبني على ولاية أصحاب تلك القبور وما أعطوا من التصرف في الكون والتوسط بين الله وبين خلقه في إعطاء ما ينفع الناس. فمن تلك القبور قبر مُجَّد بن عبد الله بن يحيى الهمداني، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره بالرباط المذكور مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج) <sup>١</sup>، ومنها قبر مرزوق بن حسن الصريفي، قال الشرجي: (قلما قصده ذو حاجة إلا وقضيت) <sup>٢</sup>، ومنها قبر الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي، قال الشرجي: (ولا تكاد تكاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت) <sup>٣</sup>، ومنها قبر صاحبي عواجة مُجَّد بن أبي بكر الحكمي ومُجَّد بن حسين البجلي، قال الشرجي في ترجمة البجلي: (وقبره بقرية عواجة إلى جنب قبر صاحبه الشيخ مُجَّد الحكمي، تستنجح بهما الحوائج ويستنزل بهما القطر) <sup>٤</sup>، ومنها قبر مُجَّد العيدروس بن عبد الله بن شيخ بالهند، قال الشلي في ترجمته: (ومن زاره بحسن نية وسلامة طوية أعطي سؤاله ونال مأموله ونواله) <sup>٥</sup>، ومنها قبر أبي الحسن علي بن قاسم العيلف بن هيش بن عمر بن نافع الحكمي، قال الشرجي: (يروى أنه من قرأ عند قبره سورة ياسين إحدى وأربعين مرة لم يقطع بين ذلك بكلام قضيت حاجته كائنة ما كانت، وقد جربت ذلك وصح والحمد لله على ذلك) <sup>٦</sup>، ومنها قبر أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره بمقبرة باب سهام من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج والمطالب) <sup>٧</sup>، ومنها قبر أبي بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به، ويروى أن من قرأ عند قبره سورة ياسين (إحدى وأربعين) مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت وقد جرب ذلك وصح) <sup>٨</sup>، ومنها قبر القاضي أحمد بن مُجَّد باعيسى، قال الشلي وهو يتحدث عن كيفية زيارة مقابر

<sup>١</sup> الطبقات ص (٣١٩) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٣٣٩) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (١٣٨) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٢٦٩) .

<sup>٥</sup> المشرع (١٨٦/١) .

<sup>٦</sup> الطبقات ص (٢٠٨) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص (٢٠٩) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ص (٣٧٨) .

ترجم: (كالقاضي أحمد بن مُجَد بن مُجَد بن مُجَد باعيسى حكي عنه أنه قال: من زارني بنية صادقة وطلب حاجة ضمنت له قضاءها أو كما قال ﷺ) <sup>١</sup>.

### المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين:

من القضايا المسلمة عند القوم أن بعض من ينسبون إلى الصلاح تظل مقابرهم محترمة مبعجلة يأمن فيها الملتهجى إليها سواء كان محققاً في التجائه أو مبطلاً، وسواء كان طالبه والباحث عنه محققاً أو مبطلاً، مادام الاثنان مؤمنين بقداسة تلك البقعة، معتقدين لولاية صاحبها وكراماته التي فيها تأمين اللاجئين إليه، ولكن عندما يأتي من لا يؤمن بقداسة ذلك المحل خصوصاً الطالبين ولا يعتقدون ما يعتقدوه عامة الأمة فيه فإنه لا يحصل شيء من ذلك، فابن علوان وأبو الغيث بن جميل والعيدروس وعلي بن حسن العطاس وغيرهم كثير قيل في تراجمهم أن تربتهم مأوى اللاجئين وأمان الخائفين من التجأ إليها أمن ومن تعدى عليها عوجل بالعقوبة، ويحكون حكايات كثيرة فمنها وقائع وقعت لمن تعدى على حرمة تلك التراب حتى قالوا إن علي بن حسن العطاس يحمي الناس من شهر ربيع الأول ولو قبل الوصول إلى مشهده، وذلك بأن يقتل من أقارب المعتدي بعدد الأيام التي مضت من الشهر، فإن مضى يومان وحصل الاعتداء قتل اثنان وإن كان في الرابع منه قتل أربعة وهكذا <sup>٢</sup>. إذن فالأمر محقق عند القوم بينما نجد أن هناك اعتداءات (بحسب تعبيرهم) سافرة وقعت لا على الملتهجين إليهم بل عليهم أنفسهم فلم يدفعوا عن أنفسهم ولم يحصل على الجاني أي شيء فما السر؟.

السر والله أعلم عدة أمور:

**الأمر الأول:** الحالة النفسية لأولئك المتعلقين فهم عندهم الاستعداد النفسي لقبول أي شيء من قبل هذه القبور، وهذا يضعف المقاومة ويهيئ السبيل لوقوع تلك الأحوال التي يعدونها عقوبات لمنتهاك حرمة ذلك المقام، وهذا أمر شائع ومعروف، فالمتجمع الذي يكثر الحديث عن الجن ويسرد القصص الكثيرة يصيبه من أذى الجن ما لا يصيب المجتمع المعروض عن ذلك الذي لا يلتفت إليه، وكذلك قل في العين والطيرة ونحو ذلك ولعل القرآن أشار إلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿ **وأنه كان**

<sup>١</sup> المشرع (١٤٩/١).

<sup>٢</sup> انظر: تاج الأعراس (٢٠٩/١).

رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً<sup>١</sup> ، فحينما وجد الجن ذلك الضعف من

الإنس نحوهم زادوا من أذيتهم.

والأمر الثاني: وجود خدم لبعض الأضرحة من الجن هم كما صرحوا هم بذلك وسيأتي بيان هذا في موضع آخر إن شاء الله.

والأمر الثالث: حيل السدنة ومكرهم ودهاؤهم الذي يجعلهم يفعلون أفعالاً بطرق خفية وملتوية يتوهم من لا يعرف حقيقة الحال أن تلك الأفعال صادرة عن الولي بينما هي من أفعال السدنة.

والأمر الرابع: وجود فئات من القبائل ترى أنها ملتزمة لذلك الولي وذريته وأن حمايته وحماية ذريته واللائذين به من واجباتهم، فهم يقومون بالانتقام ممن أخفر ذمة ذلك الولي أو أحد ذريته أو محبيه اللائذين به، فيقومون بذلك طبيعياً ثم يشاع أنه عقوبة من الولي، بينما نجد أن الذين لا يفكرون في تلك العقوبات والتصرفات المنسوبة إلى الولي لا يضرهم شيء، فالجيش النجدي الموحد المتوكل على الله حين هاجم حضرموت ضرب تلك القبب وأزال توابيتها وسواها كما أمر الرسول ﷺ فلم يحصل عليهم شيء، ولم ينتقم منهم أولئك الأولياء بشيء بل عادوا إلى بلادهم سالمين وإن حصل عليهم هزيمة في معركة ما فشان الحروب فر وكر ونصر وهزيمة والعاقبة للمتقين.

وكذلك ما فعله الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بقبري ابن علوان وابن العجيل وغيرهما لم يصبه من أثره شيء، وأوضح من ذلك وأقرب ما فعله الشباب المحتسب بعد حرب الانفصال (ربيع الأول ١٤١٥هـ) من تسوية القبور المعظمة في عدن ومنها قبر العيدروس لم ينتج عنه شيء عليهم، وهذا كله دليل على بطلان تلك المزاعم وعلى صحة التفسير الذي تقدم والله أعلم.

ومن تلك القبور، قبر عيسى بن إقبال الهتار، قال عنه الشرجي: (ودفن بقرية التريبة بضم التاء المثناة من فوق تصغير تربة، قرية من قرى الوادي زبيد وقبره هنالك مشهور يقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه، ومن تعدى ذلك عوجل بالعقوبة والقرية كلها محترمة ببركته)<sup>٢</sup>، ومنها قبر أبي الغيث بن جميل، قال الشرجي: (ودفن بقرية بيت عطاء المشهورة، وترتبه هنالك من التراب المشهورة المعظمة قل أن يوجد لها نظير في اليمن، لا تكاد تنقطع من الزوار من كل ناحية، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه من أهل الدولة

<sup>١</sup> الجن (٦) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص (٢٥١).



والعرب وغيرهم) <sup>١</sup>، ومنها قبر أحمد بن عجيل، قال الشرجي في ترجمته: (ومن استجار به سلم من جميع المخاوف بل مَنْ وصل إلى قريته لم يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه، وليس للملوك وغيرهم على أهل قريته تصرف ولا ولاية كما في سائر القرى كل ذلك ببركته) <sup>٢</sup>، ومنها قبر أحمد بن علوان، قال الشرجي في ترجمته: (وقرية الشيخ المذكور محترمة، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه) <sup>٣</sup>، ومنها قبر سفيان بن عبدالله الأبيني، قال الشرجي في ترجمته: (وتربته هنالك من التراب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه أبداً، ومن تعدى شيئاً من ذلك عوقب أشد العقوبة من غير إمهال، وقد جرب ذلك غير مرة) <sup>٤</sup>، ومن تلك القبور في عدن قبر مُحَمَّد بن عبدالله الصريفي، قال الشرجي في ترجمته: (ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه، ولأهل عدن فيه معتقد عظيم وله عندهم محل جسيم وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به) <sup>٥</sup>، ومنها في حضرموت قبة عبدالله بن شيخ العيدروس، قال الشلي في ترجمة سقاف العيدروس: (ودفن بقبة جده عبدالله بن شيخ، وقبره مشهور عند الناس، ومن استجار به أمن من كل بأس) <sup>٦</sup>، ومنها كذلك قبر الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، قال الشلي في ترجمته: (ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس لا يقدر أحد أن يناله بيؤس) <sup>٧</sup>، ومنها قبر علي بن حسن العطاس، بالمشهد بحضرموت، قال صاحب " تاج الأعراس " ضمن حكاية ساقها: (قلت: وقول الحبيب هادون لجده الحبيب علي " وهز الرمح " لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حربة، وسبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجرأة على مقام المشهد بعد وفاته أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بحبرته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت ويموتون في الحال بإذن الله القائل: " من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب "، لا سيما الذين يعتدون على غيرهم

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٤١٠ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٦٣ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٧١ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ١٤٩ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ٢٨٣ ) .

<sup>٦</sup> المشرع ( ١٣٩/٢ - ١٤٠ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ( ٢٩/٢ ) .

في شهر المشهد أي ربيع الأول؛ لأن الحبيب علي قد جعله عُرضة بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سنة... الخ) <sup>١</sup>، فهذه عدد من الأمثلة على ذلك الاعتقاد من مواطن مختلفة من اليمن.

### المطلب السادس: اعتقادهم بعض القبور متخصصة في قضاء حاجات معينة:

للناس عند زيارتهم لبعض القبور حاجات كثيرة يستغيثون بها من أجل الحصول على الولد والاستسقاء والاستشفاء وسيأتي ذلك تفصيلاً في السطور التالية:.

#### الحصول على الولد:

سبق في فروع الاعتقاد بتصرف الأولياء في الكون أن من الناس من يعتقد بأن فلاناً يعطي الولد، وذكرنا هناك أمثلة لذلك وبعض القبور التي يعتقد ذلك في أصحابها، ومن تلك القبور قبر الشيخ القرشي في مقبرة الفريط بتريم حتى أنهم يسمونه صاحب الذرية، وليس الأمر مجرد دعاء عند قبره ذلك ولكن فقط وضع " حصاة " عند القبر <sup>٢</sup>.

#### الاستسقاء:

كذلك مرّ في فروع عقيدة التصرف في الكون أنهم يعتقدون في بعض الأولياء، أنهم ينزلون الغيث وذكرنا أمثلة على ذلك.

ومن القبور التي ذكرناها هناك قبر الشيخ جنيد باوزير صاحب النقعة، وذكرنا قصة علي بن جعفر العطاس وقوله لأهل حريضة: با نجيكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله <sup>٣</sup>، كما ذكرت ذكرت قصة باسليمان واعتماده على الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في إنزال الغيث <sup>٤</sup>، وذكر

<sup>١</sup> تاج الأعراس ( ٢٠٨/١ - ٢٠٩ ).

<sup>٢</sup> انظر : ص ( ٢٣٩ - ٢٤١ ).

<sup>٣</sup> انظر : ص ( ٢٤٣ ).

<sup>٤</sup> انظر : ص ( ٢٤٤ ).

الجندي في ترجمة الشيخ أبي بكر بن أكدر قال: (أخبرني الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يزاران ومتى عطش أهل حضرموت واشتد بهم الجهد وصلوا قبرهما واستسقوا بهما فما يلبثون أن يسقوا) <sup>١</sup>.

### الاستشفاء:

سبق أيضاً في فروع عقيدة التصرف بعض الأمثلة في الاستشفاء، نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكره صاحب تذكير الناس: (قال سيدي: ولما خرج الحبيب أحمد بن محمد الحضار من دوعن، لزيارة تريم وعينات، ووادي ابن راشد، بات ليلة بذي أصبح عند السادة آل البحر، فاشتدت الحمى بابنه محمد، حتى غاب عن إحساسه، فأشفق عليه والده منها، فخرج ليلاً إلى ضريح الحبيب حسن ابن صالح، وكان شيخ فتحه، ووقف تجاهه، وقال: وعزة المعبود، إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصبح في خشامر، عند بن علي جابر، فلما كان آخر الليل، عرق ابنه محمد وخرجت منه الحمى، وطلب الأكل، وأصبح: كأنما نشط من عقال، وسرحوا من يومهم) <sup>٢</sup>.

ومنها ما قاله عبدالقادر العيدروس: (... وذلك أن بعض الأصحاب من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت: هلا أهديت لي من تراب قبر سيدي الشيخ سعد بن علي عليه السلام؟ فإن ذلك عندي من أشرف الهدايا، وأفخر أنواع الطيب، ثم أنشدت في هذا المعنى:

سألت العرفا عن طب دائي فقالوا تراب ذلك الجناب الأقدس

على الخبير سقطت فاغنم داؤك وربي إنه درياق أنفس

داووني يا سعد وأدرك قبل تلافي وحقك أنني لك عبد أكيس

فأرسل إلي من العام القابل قليلاً من تراب ذلك الضريح الشريف في قارورة زجاج ولله الحمد... <sup>٣</sup>.

وقد جاء في ترجمة عمر الحضار: (مات عليه السلام وهو ساجد في صلاة الظهر، يوم الاثنين ثاني عشرة في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وقبره بتريم يزار ويتبرك به، ترياق مجرب يعرف استجابة الدعاء وكذلك مسجده) <sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> السلوك (١/٤٦٢).

<sup>٢</sup> في الأصل (كما نأ).  
<sup>٣</sup> تذكير الناس ص (٢٢٠).

<sup>٤</sup> النور السافر ص (٤٢٧).

<sup>٥</sup> شرح العينية ص (١٩٥)، والغرر ص (١٩٨).

## المبحث الثاني

### ظاهرة البناء على القبور وإسراجها وإلباسها

وفيه خمسة مطالب:

#### المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها:

أقصد بهذا المطلب إعطاء صورة تقريبية للحالة التي وصل إليها القوم من نشر لمظاهر القبورية على الرغم من النهي الصحيح الصريح عن البناء على القبور واتخاذها مساجد وإسراجها والكتابة عليها ورفعها وإنارتها... الخ، وقد مرّ ذلك كله في الباب التمهيدي.

ومع ذلك النهي وتقريره في كتب علماء الإسلام ومنهم علماء الشافعية والهادوية الذين صرحوا إما بالتحريم أو بالكراهة، بل إن ابن حجر المكي -وهو عمدة علماء اليمن الشافعية في الفقه- عدّ ذلك كله من كبائر الذنوب، ولو أنني فصلت في هذا المطلب وتتبع جميع القبور المعظمة لطال جداً بل لاستغرق مجلداً كاملاً، ولكن الأمر لا يحتاج إلى حشد الكثير من الأدلة لظهور ذلك للعيان

واستطاعة كل إنسان أن يرى تلك المشاهد والقباب والقبور المخصصة والشواهد الكبيرة ذات الكتابات الواضحة الحاملة لمناقب ومزايا أصحابها في كل مكان، فما من مدينة أو قرية في اليمن إلا ولها نصيب من ذلك يقل أو يكثر وكلما كانت المدينة أعرق في التصوف والتشيع كان حظها أكبر كزبيد وعدن وتريم والشحر وصعدة وغيرها من المدن والقرى على امتداد الساحة اليمنية. وحتى يسهل الوقوف على ذلك سوف أستعرض ذلك محافظةً محافظةً وليس من شرطي الاستقصاء والإحاطة وإنما إعطاء فكرة فقط كيفما تيسر.

### محافظة الحديدة وزبيد:

وأبدأ من حيث بدأت القبورية وانتشرت وفاقته غيرها وسبقت سواها سبقاً زمنياً وسبقاً من حيث الكثرة والكثافة من " تهامة "، وسأذكر الأسماء فقط دون أي إعتبار للترتيب لا من حيث الزمن ولا من حيث المكان ولا حتى من حيث ترتيب الأسماء على حسب الحروف:

- (أحمد بن موسى بن عجيل / بيت الفقيه) - (إبراهيم بن علي الفشلي / زبيد)  
- (أحمد بن مُحَمَّد الرديني / قرية عازب الحلبي) - (أحمد بن عمر الزيلعي / اللحية) - (إسماعيل بن مُحَمَّد الحضرمي / الضحى) - (أحمد بن أبي بكر الرداد / زبيد)  
- (بكر بن مُحَمَّد بن حسن بن مرزوق / زبيد) - (إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي / زبيد)  
- (سليمان بن أبي القاسم الهاجري / المهجم) - (سعد بن مُحَمَّد العرضي / بيت حسن بن)  
- (طلحة بن عيسى الهتار / التريبة) - (علي بن عبدالله الطواشي / حلبي)  
- (علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الغريب / قرية السلامة) - (علي بن المرتضى الحضرمي / زبيد) -  
(علي بن الحسين بن رطاس / زبيد) - (عمر بن مُحَمَّد بن رشيد / زبيد) - (مُحَمَّد بن أبي بكر الحكمي / عواجة) - (مُحَمَّد بن حسين البجلي / عواجة) - (مُحَمَّد بن عمر بن حُشَيْب / بيت الفقيه) (مُحَمَّد بن يعقوب أبو حرب / وادي مدرر) - (أحمد بن أبي بكر بن يحيى المساوي / حرص) - (علي بن أبي بكر الأبحف / الحرجة) - (عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال / القرتب) - (مسعود بن عبدالله الحبشي / رمع)

- (أحمد بن عبدالله بن أحمد الصريديح / المدالهه) - (أحمد بن أبي الخير الشماحي / زبيد)  
- (عثمان بن هاشم الحجري / بيت حسين) - (مُحَمَّد بن عمر النهاري / سهام)  
- (أبو القاسم بن عثمان بن أبي القاسم / القرتب) - (علي بن قاسم العليف الحكمي / زبيد)  
- (علي بن عبد الملك بن أفلاح / زبيد) - (علي بن نوح بن علي الأبوي / زبيد)

- (علي بن أبي بكر بن شداد / زيد) - (عيسى بن إقبال الهتار / التريبة)
- (عيسى بن حجاج العامري / بيت حسين) - (عيسى بن مطير الحكمي / بيت حسين)
- (مُحَمَّد بن عبد الله الحقيص / زيد) - (مُحَمَّد بن إبراهيم بن دحمان / زيد)
- (مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد بن شوعان / زيد) - (مُحَمَّد بن أبي بكر الزوقري / زيد)
- (مُحَمَّد بن أبي بكر بن شبيح / العامرية) - (مُحَمَّد بن أحمد الزجاجي / زيد)
- (مفتاح بن عبد الله الأسدي / بيت مفتاح) - (مهدي بن مُحَمَّد المنسكي / المهجم) - (يوسف بن علي الأشكل / وادي سردد) - (مُحَمَّد بن أبي بكر الأشكل / وادي سردد)
- (أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري / زيد) - (يوسف بن عمر المعتب / حد القحرية)
- (أبو بكر مُحَمَّد بن حسان المضري / التحيتا) - (أحمد الجندح / المثينة)
- (أبو القاسم بن مُحَمَّد السهامي / زيد) - (عبلة ورزم / زيد)
- (رجل يقال له ابن سيرين / زيد) - (الشيخ البكاء / زيد)
- (أبوبكر السلاسل / القرتب) - (الملبك / زيد)
- (مُحَمَّد بن يوسف الضجاعي / وادي رمح) - (الصديق بربرش / زيد)
- (مُحَمَّد بن عبد الله المؤذن / قرية الغصن من وادي مور) - (مُحَمَّد بن مهنا القرشي / وادي مور)
- (مُحَمَّد بن إسماعيل المكدش / قرية الأنفة وادي سهام) - (مُحَمَّد بن مهنا الشريف / قرية البرزة)
- (مُحَمَّد بن أبي مليكة / وادي سردد) - (مرزوق بن حسن الصريفي / زيد)
- (أبوبكر بن مُحَمَّد بن علي الجندح / حيس) - (أبوبكر بن مُحَمَّد الحداد / زيد)
- (الفيروزآبادي صاحب القاموس / زيد) - (أبو الغيث بن جميل / بيت عطاء)
- (قراء ياسين العشرة / زيد) - (الشيخ يونس / زيد)
- (الحجب / التريبة) - (عمر بن أبي القاسم الخزان / القطيع)
- (الشيخ صديق / الحديدية) - (علي بن عمر الأهدل / المراوعة)
- (الساكت / القطيع) - (المقدم / القطيع)
- (حباك الماء / التريبة) - (أحمر العين / المنيرة)
- (الشيخ أدهل / الزيدية) - (حامي الحمى / القناوس)
- (سود بن الكميث / الفاشق) - (طاهر أبو الغيث / حرض)

### محافظة تعز:

- (أبو العباس أحمد بن مُجَّد الصبعي / سهفنه) - (مُجَّد بن عبدالله بن الخطيب / موزع)
- (عبدالمملك بن مُجَّد بن أبي ميسرة اليافعي / الجوه) - (السروي / منطقة جبا)
- (أحمد بن مُجَّد الشكيل / المخلاف) - (أحمد بن مُجَّد الجماعي / سهفنه)
- (عبدالرحمن بن عقيل بن مُجَّد صاحب المخا / المخا) -
- (الواسطي / الجند) - (مُجَّد بن ظفر الشميري / الجند)
- (أبو السرور بن إبراهيم / الدملة) - (الشيخ سلمان / حويل سلمان تعز)
- (عفيف الدين سليمان بن عمر / تعز) - (أحمد بن علوان / يفرس)
- (زيد بن عبدالله اليافعي / الجند) - (علي بن أحمد الرميمة / صبر تعز)
- (علي بن عمر الشاذلي / المخا) - (عمر بن عبدالرحمن / صاحب الحراء)
- (أحمد بن مُجَّد الضبعي / سهفنه) - (مُجَّد بن عبدالله الخطيب / موزع)
- (أبو بكر مُجَّد بن ناصر الحميري / الذنيتين قرب الجند) - (الحساني / جبل حيشي) - (عبدالله بن مُجَّد
- العباس الحجاجي الشاكري / الجند) - (ابن ردمان / الصراهم) - (علي بن يوسف صاحب الحجرية / جبل شمير).

### محافظة إب:

- (الحسين بن مُجَّد بن الحسين السحولي / السحول) - (عمر بن عبدالرحمن بن حسان / الذهوب)
- (أبو موسى عمران الصوفي / جبلة) - (يحيى بن أبي الخير العمراني / ذي السفال)
- (علي بن أبي بكر التباعي / المخادر) - (عمر بن سعيد الهمداني / ذي عقب)

### محافظة لحج والضالع:

- (عبدالله بن علي بن حسن بن الشيخ / الوهظ لحج) - (سفيان بن عبدالله / سفيان لحج)
- (عبدالله بن حسن الجوهرري / المحلة لحج) - (عمر بن علي / الوهظ)
- (حسن البحر / الحمراء لحج) - (طهور / قرية طهور)
- (بهية بنت موسى / عديد لحج) - (موسى بن حسين / الجفاية لحج)
- (مزاحم / لحج) - (سعيد بن عيسى / مقبرة لحج)

- (علي بن زين / الشرج) - (عبدالله بن حسن الجوهري / المحلة)

### محافظات عدن وأبين وشبوة:

- (ريحان بن عبدالله العدني / عدن) - (علي بن حسن الأصابي / المحمد أبين)
- (عبدالله بن محمد بن عبدويه / كمران) - (أحمد بن علي الحرازي / عدن)
- (أحمد بن محمد بامعبد / رضوم شبوة) - (محمد بامعبد / عين بامعبد / شبوة)
- (جوهر بن عبدالله الصوفي / عدن) - (علي بن أحمد بن قيदार القريضي / عدن)
- (أبو بكر بن عبدالله العيدروس / عدن) - (أبان بن عثمان بن عفان / عدن) <sup>1</sup>
- (العثماني / الشيخ عثمان عدن) - (الهاشمي / الشيخ عثمان عدن)

### محافظة حضرموت:

هي أكبر المحافظات تلوناً بالقبورية بعد تهامة، بل ربما زادت على تهامة خصوصاً هذه الأيام فإن حركة إحياء القبورية فيها قائمة على قدم وساق في شتى مناحيها من حيث إشادة وترميم المشاهد وإحياء الزيارات والشعائر القبورية، ونشر كتب الخرافة والدجل، وتأليف الرسائل لتأصيل تلك الخرافات أو الرد على المعترضين عليها.

- (عبدالرحمن بن محمد يعرف بـ "سقاف العيدروس" / تريم) - (أبو بكر أكدر / تريم)
- (عبدالله بن عبدالرحمن الشهير بالنحوي / روعه) - (عبدالله بن أبي بكر العيدروس / تريم)
- (عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس / تريم) - (عبدالرحمن السقاف / تريم)
- (أبو بكر بن سالم صاحب عينات / عينات) <sup>2</sup> - (محمد بن علي الفقيه المقدم / تريم)
- (أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس / تريم) - (أحمد بن محمد الشهير بالحبشي / الحسياسة)
- (أحمد بن الأستاذ الأعظم / العجز) - (حسين بن عبدالله العيدروس / تريم)
- (محمد بن حسن المعلم أسد الله جمل الليل / تريم) (سالم بن بصري / تريم)
- (أحمد بن عبدالرحمن المشهور بـ (شهاب الدين/ تريم) - (محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ / تريم)
- (عبدالله باعلوي / تريم) - (حسن بن علي بن محمد مولى الدويلة/ تريم)

<sup>1</sup> قال باخرمه في تاريخ ثغر عدن : ( وأظنه أبان بن عثمان بن عفان ) ص( ٣٣ ) طبع دار الجيل بيروت - ودار عمار الأردن، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد .

<sup>2</sup> هذه البلدة تحتوي على عدد كبير من الأضرحة أشهرها سبعة ولها قداسة ومكانة عظيمة عند قبورية حضرموت .



- (علوي بن الأستاذ الفقيه المقدم / تريم) - (عبدالله بن الأستاذ الفقيه / تريم)
- (علي بن مُجَّد صاحب مرباط / تريم) - (مُجَّد بن عبدالله باعلوي / تريم)
- (علي بن عبدالله باعلوي / تريم) - (مُجَّد بن علي عيديد / تريم)
- (علي بن علوي خالع قسم / تريم) - (الشيخ عمر الحضار / تريم)
- (علي بن أبي بكر السكران / تريم) - (حسن الورع / تريم)
- (سالم بن فضل / تريم) - (فضل بن مُجَّد بافضل / تريم)
- (أحمد بايجي واسع وعمه / تريم) - (إبراهيم بن يحيى بافضل / تريم)
- (أبو بكر بن الحاج / تريم) - (علي بن أحمد بامروان / تريم)
- (علي بن عمر القرشي / تريم) - (أحمد بن مُجَّد بافضل / تريم)
- (علي بن مُجَّد الخطيب / تريم) - (عبدالرحمن بن يحيى الخطيب / تريم)
- (أحمد بن علي الخطيب / تريم) - (أحمد بن مُجَّد بن أبي الحب / تريم)
- (سعيد بن علي بامدحج / المشهور بالسويدي / تريم) - (يحيى بن سالم بافضل / تريم)
- (مُجَّد الغريب / تريم) - (القطب عبدالله بن علوي الحداد / تريم)
- (مُجَّد بن علي خرد / تريم) - (مُجَّد بن علي مولى الدويلة / تريم)
- (أبوبكر بن عبد الله الشهير بالإمام / تريم) - (أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ / تريم)
- (عباد بن بشر الصحابي رضي الله عنه / القرية) - (أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله / الحسياسة)
- (سلطانه بنت علي الزبيدية / حوطة سلطانه قرب سيئون)
- (علي بن مُجَّد الحبشي / سيئون) - (عمر باخرمة / سيئون)
- (عيدروس بن عمر الحبشي / الغرفة) - (أحمد بن زين الحبشي / حوطة أحمد بن زين)
- (الحسن بن صالح البحر / ذي أصبح) - (أحمد بن عبد الله القديم باعباد / الغرفة)
- جرب هيصم مقبرة شمام تحتوي على عشرات القبور المعظمة والقباب والمشاهد.
- (الهدار / القطن)
- (وفي بلد النقع بالقرب من حورة قبر الشيخ جنيد باوزير) - (وقبر الشيخ علي بن سالم باوزير)

وأما حريضة ففيها عدد كبير جداً من القباب والمشاهد على قبور آل العطاس منها:  
قبر السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وقبر طالب بن حسين العطاس، وقبر أبي بكر بن عبد  
الله العطاس، وقبر أحمد بن حسن العطاس وغيرهم.  
وفي وادي عمد أكثر من عشرين قبراً معظماً أشهرها: صالح بن عبد الله العطاس، وصالح بن عبد الله  
الحامد، وقبر عمر بن حسين العطاس بنفحون.  
ثم بقية قرى الوادي لا تكاد قرية واحدة تكون خالية من قبة أو مشهد أو قبر مجصص يزار في  
السابق، ولدي قائمة بأكثر تلك القبور آثرت عدم كتابتها للاختصار.  
وهناك مناطق لم تذكر وقبور كثيرة تركتها كذلك حيث القصد التمثيل وليس الحصر.

## الباب الثاني

### آثار القبورية

ويشتمل على مدخل وأربعة فصول

#### المدخل

وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين

#### الفصل الأول

عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.

المبحث الثاني: عقيدة الرجعة وإمكان الاجتماع بالنبى ﷺ يقظة.

المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر واللقاء به.

## ال

سبق في الباب التمهيدي تعريف القبرية وأنها(طائفة غلت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائد ضالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم، والتقرب إليهم بأنواع من العبادات حتى صيرتهم أنداداً لله تعالى).

فهذه الطائفة أهم سماتها الغلو وهو مجاوزة الحد في هؤلاء الناس الذين زعمتهم أولياء لله تعالى، مما نتج عنه عقائد ضالة، بعض هذه العقائد شرك وبعضها دون ذلك، وبناءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبور والآثار المنسوبة إلى أولئك الأولياء، وبهذا التعظيم غرست بذور من بذور القبرية في نفوس هؤلاء القبرية ومقلديهم من العوام، مثل الحبة والخوف المتجاوزين حدود الطبيعة الذين أوجبوا التذلل والانكسار أمام هؤلاء الأولياء أحياء وأمواتاً، وحملاً على التقرب إليهم بما لا يُتقرب به إلا إلى الله سبحانه من النذر والذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلا من الله تعالى وهو الدعاء، وبناءً على

كل ذلك نشأت في الأمة أمراض فتاكة مثل السحر والكهانة والدجل والخرافة والتمايز الطبقي وتجهيل الأمة.

من هذا المنطلق سيكون تناولي لآثار القبورية، وهناك آثار كثيرة لن أتكلم عنها لضعف أو خفاء ارتباطها بالقبورية التي حددت معالمها في هذا التعريف، والتي قد يكون لها بواعث أخرى غير الغلو في أصحاب القبور، ومن أمثلة ذلك عقيدة وحدة الوجود وإضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصوفية والسماع الصوفي، فهذه الثلاثة النماذج وغيرها قد يتطلع القارئ لبحثها ودراستها ولكنني لن أخوض فيها لخروجها عما رسمته وحددته لنفسني، ولضيق المساحة المحددة لهذا البحث.

## الفصل الأول

### عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف القطب:

قال الجرجاني في تعريف القطب: (وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها).<sup>١</sup>

<sup>١</sup> التعريفات ص (١٧٧ - ١٧٨).

هذا هو القطب، وهو مأخوذ عن الإسماعيلية كما سبق عن ابن خلدون، والإسماعيلية أخذته عن الفلاسفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة.

### المطلب الثاني: اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:

ما اشتمل عليه تعريف القطب السابق هو ما اعتقده صوفية اليمن ودانوا به، يقول اليافعي: بعد أن ذكر حديث الأبدال الموضوع: ((وله واحد قلبه على قلب إسرافيل)) قال: (والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب، وهو الغوث ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم).<sup>٢</sup>

وقال الحداد: (والقطب الغوث هو: إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم).<sup>٣</sup>

وتلك الصفات التي يتحلى بها القطب قد أسبغها قبورية اليمن على أوليائهم، وبهذا وصف الشيخ علي الأهدل صاحبي عواجة البجلي والحكمي فقال أثناء حكاية ساقها الشرجي عن اليافعي في

---

<sup>١</sup> هو المؤرخ المشهور وواضع علم الاجتماع عبد الرحمن بن مُجَّد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي توفي سنة ( ٨٠٨ هـ ) اشتهر بالتاريخ الذي سماه العبر وديوان المبتدئ والخبر ومقدمته التي تعد من أصول علم الاجتماع ، ترجم نفسه في آخر التاريخ وترجمه الكثير من الباحثين ، انظر ترجمته في آخر كتاب التاريخ ( ٣٦٥/٧ ) وما بعده ، والضوء اللامع للسخاوي ( ١٤٥/٤ ) ، الأعلام للزركلي ( ٣٣٠/٣ ) ، انظر : مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي .

<sup>٢</sup> عبد الله بن أسعد اليافعي توفي سنة ( ٧٨٦ هـ ) أحد أقطاب صوفية اليمن فقيه مؤرخ صاحب كتاب روض الرياحين في ذكر حكايات الأولياء والصالحين ومراة الجنان في التاريخ، انظر : طبقات الخواص ص ( ١٦٢ ) ، البدر الطالع ( ٣٧٨/١ ) .

<sup>٣</sup> روض الرياحين في حكايات الصالحين ص ( ١٦ ) تأليف عبد الله بن أسعد اليافعي ، وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

<sup>٤</sup> النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص (١٤٨) لعبدالله بن علوي الحداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى(١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

بعض مصنفاته: (يا أبا الغيث هذان في مقام التولية والعزل، يوليان ويعزلان ويميتان ويحييان بإذن الله تعالى وسوف أرثهما وترثني أنت) <sup>١</sup>.

وبذلك وصف محمد بن أحمد باجر فيل الدوعني أبا بكر العيدروس حينما استقره محمد بن عمر بجرق عن تصرفات مالية تصرفها العيدروس على غير الوجه الشرعي فقال: (أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً) <sup>٢</sup>.

ووصف بها الشيخ عبدالرحمن السقاف، قال عبدالرحمن الخطيب: (الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السقاف رضي الله عنه عن عبدالرحيم بن علي الخطيب - رحمه الله تعالى - قال: كنت يوماً في مجلس شيخنا الشيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - فتكلم الشيخ في الشيخ أبي الغيث بن جميل اليميني <sup>٣</sup> ثم قال في أثناء مدحه: أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مذهبك أخبرنا إيش مذهبك أنت شافعي أم مالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: (لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له: (فإيش أنت فقال: جنداري من جنادة السلطان، ثم سكت الشيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقال بأعلى صوته: أنا جنداري من جنادة السلطان، قال عبدالرحيم ثم بعد ذلك بأيام قلت للشيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - : وما جنداري السلطان، فقال: ما هذا معناه، هو الذي يدخل على السلطان من غير إذن ولا عليه حجاب، ويأمر

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص (٢٦٦) .

<sup>٢</sup> مواهب القديوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص (١٤) .

<sup>٣</sup> توفي سنة (٦٥١هـ) انظر هجر العلم (٢١٩/١) ، السلوك (١٨٤/١) .



وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلداً أو مكاناً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الديار والمكان أمر لا أمير ولا وزير ولا غيرهما، بل الأمر أمر الجنداري والحكم حكمه ما شاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...<sup>١</sup>.

قلت: وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجوهر فيها تأكيد وشواهد على ما تضمنته هذه الحكاية من اعتقاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصرف التام والتولية والعزل. وإليك نص حكاية منها، وهي الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة عن عمر الحضار بن عبدالرحمن السقاف<sup>٢</sup> قال: (كنت نائماً أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله ﷺ) قال: فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله فرفعت رأسي فقال: ما أجراك تنام هنا وبطن أبيك ملانة كرعان<sup>٣</sup> [كم واحد قال سلبه ثم ولي عني ولم أعرفه فسأل الشيخ عمر رضي الله عنه عن معنى قول الرجل بطن أبيك ملانة كرعان] فقال أخذ الخلق كلهم في بطنه يولي من يشاء ويعزل من يشاء رضي الله تعالى عنه<sup>٤</sup>.

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية (فقال: إني صاحب الوقت وأتصرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلدكم تريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الباشا بأن يقوم؟ وكان جالساً في الحرم فبمجرد قوله ذلك

<sup>١</sup> الجوهر الشفاف (٨٢-٨١/١).

<sup>٢</sup> نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت توفي سنة (٨٣٣هـ) انظر الغرر ص (١٩٢)، المشرع (٢٤١/٢).

<sup>٣</sup> هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص (٩٨٠).

<sup>٤</sup> ما بين القوسين من الحاشية معلم عليه أنه ساقط من الأصل.

<sup>٥</sup> الجوهر الشفاف (٨٠/٢).

قام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قاربوا الخروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطوف؟ فبمجرد ذلك رجع هو وأتباعه وطافوا، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الشريف عبدالمطلب بأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بأعلى صوته يقول لكم الشريف عبدالمطلب لايمتنع أحد من الخمسة الديواني).<sup>١</sup>

فانظر إلى هذا الذي إن صدق النقل عنه فهو ساحر كيف يدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية وأنه يتصرف حتى في قلوب الناس ومقاصدهم ويحملهم على فعل ما يشاء دون اختيار منهم، وكيف يقص هذا العالم القدوة من علماء صوفية حضرموت لأتباعه ومريديه هذه القصة مسلماً بها مريداً منهم أن يصدقوها ويعتدوها، أليس هذا هو التطبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟

### المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب:

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوض من قبل الله تعالى في التصرف في الكون، وربما أطلقوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)، والمعنى: أن يكون القطب خليفة الله تعالى في تصريف الكون. ولمعرفة ما يشمله ذلك التفويض لدى القوم نذكر بعض النصوص من كتبهم تبين سعة ذلك التفويض وشموليته من حيث الزمان والمكان ومن حيث الدنيا والآخرة.

نقل السيد علي بن محمد الحبشي<sup>٢</sup> -أحد أقطاب حضرموت- على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبدالعزيز الدباغ قوله: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني)،

<sup>١</sup> تذكير الناس ص (٢١٦)

<sup>٢</sup> أنظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٢ / ٦١٩).

<sup>٣</sup> علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي صاحب سيون ومنشئ رباط العلم بها المسمى باسمه "رباط الحبشي" من أشهر علماء زمانه ومري جيله تتلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلماء والأدباء غير أنه مع علمه قد نقل

وكان يقول لمريده: (إن كنت تعتقد أن البسَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقول: (انظر إلى هذا الفناء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد) .<sup>١</sup>

فانظر إلى هذه الدعوى التي شملت التصرف في الدنيا والآخرة وجميع أقطار الأرض وجميع العوالم من عالم المحور العين إلى عالم البسِّ والفأر .

وإليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم وهم القطب الرباني الشيخ عبدالقادر الجيلاني والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي وحيوة بن قيس) ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خرد باعلوي صاحب الغرر:

تصرف شيخ في الوجود معظم<sup>٢</sup> على السادة الأشياخ أهل المعارف

على السيد الشيخ الفتي عبد قادر ومعروف الكرخي منج لتالف

وقيس<sup>٣</sup> عقيل المنبجي وشيخنا لتصرفه لا يصرفون الصارف

---

عنه من الخرافات والهديان مالا مزيد عليه وذلك ما حواه كتاب كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف وهو أيضاً صاحب زيارة الحول المشهورة بمضرموت توفي رحمة الله سنة ( ١٣١٢ هـ ) انظر تاريخ الشعراء الحضرميين ( ١٢٨/٤ ) تأليف المؤرخ عبدالله بن محمد السقاف الناشر مكتبة المعارف الطبعة الثالثة سنة ( ١٤١٨ هـ ) الطائف ، ولوامع النور ( ١٩٧/١ ) .

<sup>١</sup> كنوز السعادة الأبدية ص ( ١٧٩ ) الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحداد .

<sup>٢</sup> صاحب غرر البهاء الضوي توفي سنة ( ٧٦٠ هـ ) انظر ترجمته في الغرر ص ( ٣-١١ ) ، وتاريخ الشعراء الحضرميين ( ١٤٢/١ ) .

## وتصريفهم في كل شيء محقق سوى في جمال الدين عين لواقف<sup>١</sup>

وتأكيداً لذلك تجدهم في الحضرات وبعض الموالد ينشدون إلى اليوم:

### ربي اسألك بأسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم

ويقول صاحب شرح العينية: (وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صلينا على جنازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا عليها)<sup>٢</sup>، فانظر الشمول الزماني لهذا التصريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأتموج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: (فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه)<sup>٣</sup>

وفي مناقب عبدالرحمن السقاف يقول محمد بن علي خرد: (ومنها ما روي عن السيد عبدالرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال كنت في عدن، وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل، إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له يافقيه: أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: (هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءً قبل ذلك دللناك عليه فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبدالرحمن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزييله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله، ثم والله

<sup>١</sup> المشرع الروي ( ٢ / ٦ - ٧ ) ، وقال بعد أبيات ( قوله : وقيس صوابه حياة ) .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٦١ ) نظم عبدالله بن علوي الحداد تأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي باعلوي طبع مطبعة كرجاي المحدودة سنغافورة ، الطبعة الأولى ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>٣</sup> الأتموج اللطيف في مناقب الغوث للأستاذ الأعظم الفقيه محمد بن علوي باعلوي دفين تربة تريم ص ( ٢١٣ ) مع البرقة المشيقة للسيد علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة ( ١٣٤٧ هـ ) .

ثم والله، إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته، وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته، وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبدالله باقشير، ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبدالله بن الشيخ عبدالرحمن، قال: لما رأى الفقيه عين عبدالرحمن رآها عمياء لكثيبة حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه، فقال عبدالرحمن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي: (أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزيد وأزيد، ﷺ وقع به)، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك وأزيد وأزيد) ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟! .

وهناك مثال عملي للتصرف في الكون مع تأويل له من أحد كبار أقطاب صوفية اليمن: (من عجائب الآيات وغرائب الكرامات ما وقع بين الشيخين العارفين السيفين القاطعين أعني أبا عيسى واسمه سعيد وأحمد ابن أبي الجعد المذكورين، وذلك أنه ورد الشيخ أحمد المذكور في جمع من أصحابه على الشيخ سعيد في وقت جاءوا إلى زيارة القبور الشريفة في حضرموت، فوافقته الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع في هذا الوقت ويזור في وقت آخر، فرجع هو وأصحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على عزمه حتى انتهى إلى مقصده فزار ورجع، والشيخ سعيد مكث أياماً ثم خرج هو وأصحابه إلى الزيارة المذكورة فالتقى الشيخان وأصحابهما في الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد: توجه عليك حق الفقراء في رجوعك

<sup>1</sup> الغرر ص ( ٣٩٨ ) .

فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشيخ أحمد: بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقام الشيخ سعيد وقال: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد: ومن أقعدنا ابتليناه، وأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه، فصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه بلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما .

وهذه لعمرى أحوال تكلُّ في جَبِّ بعضها السيوف القاطعة، وإنما يقطع الحالان معاً إذا كان صاحباهما متكافئين أو قريباً من التكافي، فإن لم يكونا كذلك قطع القوي منهما الضعيف، وقد يقطع السابق دون المسبوق فيما يظهر والله أعلم .<sup>١</sup>

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

(أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شيخها قاضيها)<sup>٢</sup>.

وقال أحمد بن حسن العطاس قال: (فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبدالله قال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عاد المفاتيح إلا كلها بيدي)، وقال أيضاً: (قال الحبيب أبو بكر بن عبدالله انسدحت مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولوكم عليه؟ قال: نعم)، وهذا واضح أن الرجل يدَّعي أنه بيده مفاتيح الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه هذا في

<sup>١</sup>مرآة الجنان لليافعي ( ٣٥٤-٣٥٢ / ٤ ) .

<sup>٢</sup> من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن مولد الديبعي ص ( ٩٣ - ٩٥ ) .

<sup>٣</sup> الحكايتان في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس رواية مُجَّد بن عوض بافضل ص ( ٢٥ ) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء .

الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد .

وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها، حتى لقد قال عبدالرحمن بن محمد السقاف باعلوي : (في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشرف عليهم السلام)<sup>٢</sup> فهؤلاء فقط في تربة تريم، فكم في باقي ترب اليمن، والسقاف توفي عام (٨١٩ هـ) فكم جاء بعده من الأقطاب، وهذا كله في اليمن إلى ذلك التاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا، لاشك أن عدد الأقطاب لا يمكن أن يأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولون إن القطب واحد فقط ولا يولي غيره حتى يموت .

وعلى كل حال فإننا سنلمس الأثر الكبير لعقيدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يأتي من المطالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض .

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصوفية في عقيدة القطبية شاركهم كذلك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شورا هم، يقول أحمد بن حسن العطاس: (وعقد أي الديوان مرة في قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس ورأيت الحبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبوبكر، ورأيت بالجانب البحري من القبة، رجلاً فسألته: من هو؟ فقال: نقيب الأولياء بالقدس، والذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مدة بعد موته، قال سيدي: والرجال الذين هم رجال ما يطلبون مقام القطبية، ولا غيرها ويفرون منها، ومثالها مثال من قال لك: هذه البلدة ونفقة أهلها، وخرج معاشهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟) .

<sup>١</sup> جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرع الروي ص (١٤١ / ٢)

<sup>٢</sup> الغرر ص (٩٦)

وقال أيضاً: (وفي ليلة وفاة الحبيب أبي بكر عبدالله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن، وجلست أنا بالقرب منهم، وكان ذلك في جامع حريضة، فكان رئيس المجلس الشيخ عبدالقادر الجيلاني فدعاني الشيخ عبدالقادر فقلت له: أنا ما فيّ طاقة لشيء إن معكم شيء لي اطرحوه في القرآن، فطلع أحد من الأولياء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام، بالقرب من العقاد، وجعل الأمر بين اثنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل).<sup>١</sup>

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:

الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، وهذا مما اختص الله به، ولم يبق دليل على أن الله تعالى منحه أحداً من خلقه، ولم يدعه أحد من رسل الله فضلاً عن غيرهم من البشر، ولكن الصوفية حينما ادّعوا لأنفسهم خلافة الله في تصريف الكون ساء لهم ذلك الادعاء الكاذب المبني على الادعاء الكاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقرارهم من ادعاه ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع قال: (وحكي أن الشيخ عبدالله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال: (ظهر لي ثلاث أحبي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا).<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> نظر الحكايتين في: تذكير الناس ص (٢٠٦ - ٢٠٧).

<sup>٢</sup> المشرع (٢ / ٢١١) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه ص (٢٨١): (يقول للشيء كن فيكون بإذن الله)، وانظر الغرر ص (٣٧٢).



وأعجب من ذلك ما ذكره صاحب الجواهر في ترجمة الشيخ إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضل: (وقال في بعض مصنفاته وردت إليّ رقعة من الفقيه ابن العربي رحمته الله فإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيى ويميت بإذن الله تعالى، والفقير يقول للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى والفقير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فأشكل علينا ما فيها فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى رحمته الله شعراً:

إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتوني

بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعد هذا كذبوني

ثم أجاب عن الكل بجواب فائق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن<sup>١</sup> . وحسبك بهذا إقرار لهذه العقائد الخبيثة وأخذ بها .

### الفرع الثاني: الإحياء والإماتة:

مما تضمنه توحيد الربوبية من الصفات التي لا شريك له سبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الصفتين في آيات كثيرة جداً، أقصر على ثلاث منها، ففي آل عمران يقول تعالى: ﴿والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾<sup>٢</sup>، وفي التوبة يقول تعالى: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾<sup>٣</sup>، وفي يونس يقول الله تعالى: ﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾<sup>٤</sup>، ولما كانت هاتان الصفتان من أكبر البراهين على ربوبية الله تعالى احتج بهما إبراهيم على خصمه فقال وهو يحاج ذلك الطاغية: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾<sup>٥</sup> فعاند

<sup>١</sup> هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها .

<sup>٢</sup> الجواهر الشفاف ( ١ / ١٤٦ - ١٤٧ ) .

<sup>٣</sup> آل عمران ( ١٥٦ ) .

<sup>٤</sup> التوبة ( ١١٦ ) .

<sup>٥</sup> يونس ( ٥٦ ) .

الطاغية وكابر فقال: ﴿أنا أحبي وأميت﴾ قال المفسرون: فلما رأى إبراهيم سفهه وسخافة دعواه عدل إلى دليل آخر أكثر ظهوراً ولا يستطيع أن يغالط فيه سفهاء الأحلام ممن حوله فقال: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾، وقد عد المفسرون هذا الطاغية مدعياً للربوبية بذلك وجعلوه مثل فرعون الذي صرح بذلك حين قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>٢</sup> وقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾<sup>٣</sup>.

وهذا كله يدل بجلاء على أن من ادعى هاتين الصفتين فقد ادعى الربوبية، ومع ذلك فإن الصوفية القبورية يدعون ذلك لبعض أوليائهم، أو يدعيها بعضهم فيقرونه عليها، وإذا أردنا أن نعتذر لهم نقول: إنهم لم يدعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعوا الخلافة العظمى عن الحق سبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة التي فوضها إليه الرب سبحانه هذه الصفة وغيرها من الصفات التي يزعمونها لأوليائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثبت لاشك فيه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعاء علوي بن الفقيه المقدم لذلك فيما حكاه الشلي كما في الفرع الأول.

### الفرع الثالث: علم الغيب:

<sup>١</sup> البقرة ( ٢٥٨ ).

<sup>٢</sup> النازعات ( ٢٤ ).

<sup>٣</sup> القصص ( ٣٨ ).

من مسلمات العقيدة الإسلامية اختصاص الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يشاركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾<sup>١</sup>، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قال تعالى: ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾<sup>٢</sup>، وقد بينها سبحانه وحصر علمها عنده، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)).<sup>٣</sup>

بهذه النصوص وغيرها قطع علماء المسلمين أن علم الغيب مما اختص الله به، وأن من ادعاه فقد كذب؛ وأنه طاغوت<sup>٤</sup>.

ومع ذلك فقد ادعاه الصوفية القبورية لبعض أوليائهم أو ادعاه بعضهم وأقروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.

ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعاه علي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه: (يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون).

ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أنه يقول: (أعرف من الفرش إلى العرش)، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبدالرحمن السقاف: (كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف

<sup>١</sup> الجن ( ٢٧ ) .

<sup>٢</sup> الأنعام ( ٥٩ ) .

<sup>٣</sup> رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير باب قوله ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) ( ١٧٣٣ / ٤ )

<sup>٤</sup> انظر :فتح القدير للشوكاني ( ١٢٣ / ٢ ) .

<sup>٢</sup> انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٢٨٢ / ٣ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ٣٣ / ٢ ) .

الصالحين بالشيم) <sup>١</sup>، وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: (وقال والده عبدالرحمن السقاف: ولدي شيخ كعشرة شيوخ، وما سميته شيخاً إلا أنني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً) <sup>٢</sup>.  
وسأقتصر على هذه النماذج مع أن هناك دعاوى كثيرة من هذا القبيل.

### الفرع الرابع: إعطاء الولد:

هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قال ﷺ: ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾ <sup>٣</sup>.

ولو قيل: إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فرزق بتلك الدعوة ولداً ما كان عليه من نكير، ولكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الذي فيه ادعاء ما هو من خصائص الربوبية، والقبورية يدعون ذلك لأنفسهم أو لأوليائهم أحياءً وأمواتاً، والدليل عليه ما جاء في تذكير الناس قال جامعه: (وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي ﷺ فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له: حولناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له: يا أبتك ولد، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له: يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١٨٩ / ٢ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١١٦ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> الشورى الآية ( ٤٩ - ٥٠ ) .

أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رجل واحدة ويد واحدة وناصفة وجه، نسأل الله العافية. <sup>١</sup>

ويظهر من هذه الحكاية بشكل جلي أن الرجل لم يدعُ الله، وإنما يقول على جهة الوعد (بأياتيك ولد) وهذا باللهجة الحضرية معناه سوف يأتيك ولد، فليس فيه أي معنى من معاني الدعاء، ويؤكد ذلك إنكار العامي وغضب الحبيب من ذلك الإنكار، ثم تصرّحه بأنه قسّم، وقسّم من أين؟ قسّم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم، فأبو بكر بن سالم عنده القدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسّم من ملك جده، أليس هذا صريح في أنهم يدعون القدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تذكير الناس: (قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد الحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: - والحاضرون يسمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبوده بنت عبدالله بن عمر القعيطي، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومستبعداً أن تحمل فقدر الله أنها حملت بولد وعاش) <sup>١</sup>.

وصاحب هذه الحكاية من كبار أقطاب القوم وعلمائهم ومع ذلك يروي هذه الحكاية مقراً لها، و"حامد الحضار" من كبارهم أيضاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر، إذاً هي قضية مسلمة يربون عليها أتباعهم.

<sup>١</sup> تذكير الناس ص (٣٢١).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٣٢٢ - ٣٢٣).

ويقول آخر من كبارهم وُصف بأنه: "العالم الجليل نسخة السلف وقدوة الخلف" في رحلته الموسومة بـ "النفحة الشذية إلى الديار الحضرية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت" في نفس الموضوع: (ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي ويروى أن من طرح عند قبره حجرة يرزق ولداً، وقيل: لنا أن الحبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصحبه الحبيب عمر بن عيديروس العيديروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحبيب علي: كثرت جم، فقال: أريد نسمات تذكّر الله أو قال تعبد الله، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هذه النية) ، فإذا كان هذا فعل علمائهم فماذا يا ترى يصنع عوامهم وجهاهم؟ .

### الفرع الخامس: إنزال المرض ورفع:

القول في هذا الفرع كالقول في بقية الفروع فالمرض لا يصيب به إلا رب العالمين، قال تعالى حاكياً عن إبراهيم أنه قال لقومه وهو يدعوهم وبين لهم حقيقة دعوته وعقيدته: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ، وقال الرسول ﷺ: (( لا عدوى ولا طيرة )) ، وقد صرح العلماء بأنه ليس المقصود نفي العدوى من أصلها بدليل قوله ﷺ: (( لا يورد ممرض على مصح )) ، لأنه واضح أن في ذلك اعتبار العدوى ولكنه نفي على المعنى الذي كانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمراض تعدي بذاتها فتنسب إلى الأمراض،

<sup>1</sup> النفحة الشذية إلى الديار الحضرية ، وتليه رحلته تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت ص ( 75١ - 76١ ) ، تأليف العالم نسخة السلف وقدوة الخلف الحبيب عمر بن أحمد بن سميطة ، طبع على نفقة أحد المحبين من المحسنين ( ١٣٩٧ هـ ) .

<sup>٢</sup> الشعراء آية ( ٨٠ ) .

<sup>٣</sup> البخاري في صحيحه ( ٢١٥٨/٥ ) ، كتاب الطب باب الجذام، ومسلم في صحيحه ( ١٧٤٣/٤ ) ، كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح .

<sup>٤</sup> مسلم في صحيحه ( ٧٤٣/٤ ) في الكتاب والباب السابقين ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

فحسم ﷺ هذا المعنى الباطل بهذا اللفظ العام ليكون أبلغ وأشمل<sup>١</sup>، فكيف يأتي بعد ذلك من يقول أنه يضع المرض على من شاء وأنه يرفعه عن من يشاء، إن ذلك لاشك ادعاء خاصة من خصوصيات الربوبية وتعليق للخلق بغير الحق وهذا أيضاً مضاف ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سوى الله تعالى.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمراض على أناس ورفعها عن آخرين، فقد ذكر الشرجي في ترجمة إسماعيل الجبرتي قال: (ومن ذلك ما يروى عن رجل من أهل مكة يقال له الفقيه عبدالرحيم الأميوطي أنه قال: (كنت لا أعتقد الشيخ إسماعيل، وكنت أحط منه، فبينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، وإذا بي أرى الشيخ قد دخل عليّ في جماعة، فسمعتة وهو يقول لآخر: هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليّ ثم قال: هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليّ، ثم ما زال يقول هات الوجع الفلاني ويضعه عليّ، حتى وضع عليّ قدرَ عشرين وجعاً حتى كدت أموت، وخرج، قال: (فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي ويومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واستعطفت خاطره، فجاء إليّ فرفع ذلك كله عني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فبنت إلى الله تعالى، وحسنت عقيدتي في الشيخ نفع الله به).<sup>٢</sup>

إذا فالذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهدد بالمرض من قبلهم، فهذا عمر الحضار يروي عنه صاحب المشرع ( . . . ) وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له:

<sup>١</sup> انظر: (١٠/١٦٠-١٦٢) من الفتوح.

<sup>٢</sup> طبقات الخوارج ص (١٠٣).

أما تخشى أن ينالك بهذا شيء فقال: إني لم أدع على أحد، ولكي إذا غضبت على أحد وقع في باطني ناراً لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب).<sup>١</sup>

### الفرع السادس: إنزال المطر:

الآيات في تفرد الله تعالى بإنزال المطر كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿ أفرايتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾<sup>٢</sup>، فلو كان أحد من الخلق قادراً على ذلك فهل سيكون هذا التحدي صحيحاً؟ والجواب: لا قطعاً فعلم أنه لا ينزل المطر إلا الله، بل حتى علم الوقت الذي ينزل فيه المطر ومكان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا الله: ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾<sup>٣</sup>، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن ننسب إنزال المطر إلى عبد من عباد الله، بل إن رسول الله ﷺ قد حسم الأمر بشكل أوضح، وأبعد المؤمنين عن توهم ذلك أو التلطف بلفظ يؤدي إلى ذلك الفهم الخاطئ، ففي صحيح البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: ((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)).<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> المشرع (٢/ ٢٤٢-٢٤٣).

<sup>٢</sup> الواقعة الآية (٦٨-٦٩).

<sup>٣</sup> لقمان الآية (٣٤).

<sup>٤</sup> البخاري في صحيحه (٢٩٠/١) كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم (٥٩/٢-٦٠) مع النووي كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.



ومن الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليائهم إنزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي من طبقات الخواص حيث قال: (وكان للفقير أيضاً ولد يقال له علي، كان من الصالحين، وكان لا يُلزم في المطر إلا ويحصل سريعاً حتى عرف بذلك، وكان يقال له صاحب الماء)<sup>١</sup>، وقد كان ذكر في ترجمة الجد حكايات تدل على أنه ينزل الغيث منها: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلة، فعند أن وصل إليهم جاءت إليه بهيمة وجعلت تحور بين يديه، فدخل المسجد ودعا الله تعالى ثم قال: يا ميكائيل كل، فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ومطروا مطراً عظيماً بإذن الله تعالى)<sup>٢</sup>.

ومنها قول صاحب الطبقات: (وكان أهل الوادي خُلب بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة يصحبونه ويعتقدونه، فجاء إليهم مرة وهم مجذبون فجعلوا يلزمونه في السيل فقال لفقير له: اذهب إلى رأس الوادي وقل له: يقول لك الفقير سل الآن، ففعل الفقير ذلك، فسأل الوادي من ساعته وسقوا سقياً هنيئاً بفضل الله تعالى)<sup>٣</sup>، فلاحظ أمره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمره للوادي في الحكاية الثانية، هل يدل على أن الأمر مجرد دعاء؟ كلا لا يدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تذكير الناس: (قال سيدي: ووقع مجريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقعة، وهي قرية بقرب حريضة وقال لأهل البلد: سنجيكم بسيل من عند

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص ( ٧٧ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٧٥ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٧٥ ) .

الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسأل وادي حريضة تلك الليلة) .<sup>١</sup>

وأوضح من هذا ما ذكره، أيضاً في تذكير الناس قال: (قال سيدي وبلغنا أن الشيخ عبدالله بن أحمد بلعيف كان من أولياء الله المستجابة دعوتهم، ويقال له بياع السيول، وصل إلى تريم في بعض زيارته، فاجتمع بعض السادة آل العيدروس فقال له أنت: بلعيف بياع السيول، فقال له الشيخ: نعم حاجة خدمة، فقال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ لا بأس، بكم تشتري؟ فقال له الحبيب بالذي تريده، فقال الشيخ: نبيع لك سيل بكبش سمين، وخمس قهاول<sup>٢</sup> بر، فقال الحبيب: لا بأس تم الكلام، فقال الشيخ تبغي السيل لأي أرض؟ قال الحبيب: للشرح الفلاني حقي، فقال الشيخ: هات الكبش والبر وأخرج رُعَاضَكَ<sup>٣</sup> لشرحك، فأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُعَاضَ<sup>٤</sup> وشرب الشرح بإذن الله الله وبركة أولياء الله) .

قلت: وحكى لي جدي - رحمه الله - أن في قرية مجاورة لنا رجلاً يقال له " فلان باسليمان " وكان حراثاً عارفاً بقوانين الحراثة ومتى يكون السيل أفضل للأرض، فكان ربما جاء السيل في غير الوقت الذي يراه مناسباً فلا يسقي أرضه فعوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يأت سيل آخر، فيقول: (ما بيني وبين السيل إلا صاع طحين) يعني أنه يتزود صاعاً من الطحين ويזור الشيخ سعيد بن عيسى

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ١٨٧ ) .

<sup>٢</sup> القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً .

<sup>٣</sup> الرُعَاض جمع راعض وهو الذي يعدل السيل في الحقول .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٨ ) .

فيأتي السيل، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي وأمثاله أن الشيخ سعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟! .

### الفرع السابع: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث:

إن هذا الفرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لها، فإن المرید الصوفي أو العامي من عوام المسلمين حينما يتكرر على سماعه أن فلاناً من الأولياء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون والتولية والعزل فيه، واعتباره الواسطة بين الله وبين عباده فلا يصل خير إلى العباد إلا بواسطته، وأنه قد فوّض إليه تصريف الكون، وأن تصريفه نافذ على كل شيء من العرش إلى الفرش وحتى البس لا يأكل الفأر في جميع أقطار الأرض إلا بإذنه، وأنه يعطي ويمنع ويشفي ويمرض بل يميت ويحيي وينزل الغيث ويهب الولد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسكين، هذا الولي؟ لاشك أنه سيتصور أنه هو السميع الجيب وأنه على كل شيء قدير، وبموجب هذا التصور سيهرع إليه كلما نزلت به نازلة أو أصابته حاجة، فإنه لا رجاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهوب إلا بالالتجاء إليه، وهذا هو الذي يحصل في كثير من الأحيان والأحوال ولدى أكثر الناس من القرون التي سيطر فيها فكر القبورية على الناس .

وهم لم يكتفوا بما مضى من دفع الناس إلى ذلك الاعتقاد والتصور الخاطيء، بل صرح الكثير من أوليائهم بأنهم يسمعون من ناداهم ويحيبونه ويغيثون من استغاث بهم ويتقدونه مما هو فيه، ويروون مئات القصص التي تحكي كيف نزل الضر بفلان فاستغاث بالقطب فأغاثة، بصور وأساليب متنوعة كلها تآزر على شيء واحد هو تعميق الاعتقاد في ذلك الشخص بأنه يفعل ويفعل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتماد عليه وإنزال حوائجهم به .

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هذا الموضوع، وإنما سوف أنقل بعض النماذج عنهم في ذلك لإثبات أنهم يعتقدون في أهل الولاية منهم أحياءً وأمواتاً أنهم يجيبون الداعي ويغيثون المستغيث، وليس الأمر كما يقوله من يروج تلك العقائد ويدافع عن الموروث الذي كان عليه الآباء والأجداد من أن ذلك مجرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشاهدة على ما نقول:

أول ما نورد في ذلك تقرير عميد القوم وحثهم وإمامهم في العلم والتصوف من يسمونه (قطب الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي الحداد) وهذا التقرير في قصيدة من أشهر قصائده لدى القوم وهي العينية حيث يقول فيها في صفة الولي:

من كل طود في العلوم وفي الحجا متبحر متفنن متوسع

دائم إلى الله العظيم بفعله ومقاله وبالحال خير مضيع

ذي عفة وقوة وأمانة وصيانة للسر أحسن من يعي

وزهادة وعبادة وشهادة منه الغيوب بمنظر ومسمع

جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي<sup>١</sup>

إذا فهي حقيقة مسلمة عند القوم أن الولي ما يزال يترقى حتى يصير ممن يستجيب إذا دعي<sup>٢</sup>، فعند القوم أن الولي "يُدعى" وليس فقط يتوسل به و"يجيب إذا دُعي" وليس الله ﷻ يجيب من دعاه متوسلاً به.

<sup>١</sup> شرح العينية ص (ب) من المقدمة .

<sup>٢</sup> انظر : شرح هذا البيت في العينية ص(١٧-١٨) .

وبناءً على تلك الحقيقة المعروفة لديهم منذ عرف التصوف المنحرف في اليمن والتي عبر عنها الحداد في عينيته، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم.  
ومن ذلك ما ذكره شارح العينية المذكورة في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم حيث قال: (وكان عليه السلام وكان سريع الغوث لمن استغاث به، قال السيد الجليل العلامة المحدث الإمام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه "الغرر" أخبرني الشيخ عبدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: (ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرجة ملجمة من دعا بهم أجيب وهم علوي المذكور وابنه علي والشيخ عمر المحضار، وقال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً:

إذا خفت أمراً أو توقعت شدة فنوه بهم كي يدركوك ويحضروا  
فنوه بعلوي الفتى وابنه علي كذا ممر فيهما يجل ويحسر  
فغارتهم تنجيك من كل شدة وعسر وضيق أو بصدرك يكبر

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسبون إلى الولي أنه يغيث من يستغيث به، ولكن الولي يدعي ذلك لنفسه ويفخر به، فهذا عمر المحضار يقول في قصيدة مازالوا إلى اليوم ينشدونها في حضرة السقاف.

إني سريع الغوث في كل الشدائد فاهتف

باسمي تجدني أسرع

قل يا شهاب الدين إن يعرفوك خطب يا فطن

فأنا لخطبك أدفع

<sup>1</sup> شرح العينية ص(741) وانظر أيضاً: المشرع الروي (2/212).

وقال شارح العينية في ترجمة عبدالرحمن السقاف: (وكان يرد على من غلط في مسجده وهو بالعجز<sup>١</sup> ويسمعه الغالط، وكان يقبل التراب دراهم بإذن الله تعالى، وكان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة مجراً وبراً)<sup>٢</sup>.

وفي كتاب " تاج الأعراس " في مناقب الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، قال المؤلف: (ومما أكرم الله به صاحب المناقب، وخصه به من سنيات المراتب، وكان ينفرد به دون أقرانه من أهل المظاهر والمناصب، أنه يحضر عند من ناداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية)<sup>٣</sup>.

وتقول الشيخة سلطنة الزبيدية كما في ترجمة السقاف من المشرع: (ما رأيت أحداً أسرع إجابة عند الاستغاثة من السيد محمد بن السقاف، وكانت تقول: إذا حدث أمر واستغثت بالأولياء فأول من يغيثني هو)<sup>٤</sup>.

وقال صاحب " تاج الأعراس " في ترجمة صالح بن عبدالله العطاس: (ومن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشهور، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زيني دحلان قال: (إنه حصل عليّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بالحبيب صالح بن عبدالله العطاس صاحب عمد وهو إذ ذاك مجزوم ودعوته بثلاثة أصوات، فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته)<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> العَجْزُ : بفتح العين وضم الجيم قرية شرق تريم تبعد منها مسافة .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٨٨ ) .

<sup>٣</sup> تاج الأعراس ص ( ١ / ٩٤ ) .

<sup>٤</sup> المشرع الروي ص ( ١ / ١٨٤ ) .

<sup>٥</sup> تاج الأعراس ( ١ / ١٠٤ ) .

وقال كذلك في ترجمة هادون بن هود العطاس: (ومن كرامات الحبيب هادون أيضاً ما أخبرني به والدتي الشريفة العفيفة شيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطاس الآتي ذكرها في ترجمة والدي من الباب السادس عن والدتها الشريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قالت: لما كان والدي يجدد عمارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصبحنا ذات يوم وليس عندنا في الدار ما يفطر به الصائم من أنواع الطعام، فلما رجع والدي من المسجد الإشراف كعادته أخبرناه بالحال فقال: لا بأس، ولكنكم أوقدوا ناراً في المطبخ كعادتكم ليستشعر العمال بأن غداهم يطبخ كالعادة، ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتاً من الشعر الحميني ارتجالاً على الذين يتقلون المدر منهم وأمرهم أن يرتجزوا به، وكان قد استجد فيه بجده الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله:

### مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الريح لا تعدد القبة وغافل

قالت: فلم نلبث إلا يسيراً وإذا نحن بقافلة أي غير مرسلة لمقام المشهد من أهل حجر بن دغار وفيها الذرة والتمر والدهن وغير ذلك، ومعينة العير أناس من تلك الجهة أيضاً قاصدين زيارة الحبيب علي بن حسن ومعهم ثلاثة أكباش سمان للمقام، فذبحنا وقدحنا وكان ذلك اليوم من أسعد أيام العمال عليهم انتهى .

قلت: وقول الحبيب هادون لجده علي (وهز الريح) لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حربة وسبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجراة على مقام المشهد بعد وفاته أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بجرته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت

<sup>1</sup> هذه الكلمة باللهجة الحضرية معناها ( لا تبقى ) أي لا تبقى في القبة غافلاً عنا .

<sup>2</sup> الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس .

ويموتون في الحال بإذن الله القائل: ((من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)) لاسيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشهد أي ربيع الأول؛ لأن الحبيب علي قد جعله عرضة بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سنة بين المحاربين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليأتي كل منهم وهو مطمئن البال إلى المشهد لحضور قصة مولد نبيهم محمد ﷺ وسماع شمائله الشريفة وما يضاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكان مما أكرم الله به الحبيب علي وعظم به شهر المولد النبوي أن من اعتدى فيه بالقتل ونقض العهد يجعل الله له العقوبة بإهلاك عدد من أولاده وقبيلته بمقدار الأيام الماضية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليوم الخامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أسرع وقت، ومن قتل فيه في اليوم السابع يهلك الله منهم سبعة وهكذا حتى صار ذلك عند قبائل الجهة من الجربات التي لا خلاف فيها) <sup>١</sup>.

وأعذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثيرة يجدها المتأمل وليعرف كيف يسخر القبوريون الناس لمصالحهم ويننون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم. وأسأل صاحب التاج وكل من ينشر هذه الحكايات ويغرس بها تقديس هؤلاء الناس في نفوس عوام المسلمين أين كان الحبيب علي وحرته يوم هجم الجيش النجدي على المشهد فأخبره وهدم قببه وكسر توابيته؟.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب مقدمة ديوان العيدروس قال: (وأخبرني السيد الفقيه محمد الظمطاوي المكي وقد رويتها عن المرید الصادق نعمان بن محمد المهري أنه قال: (كنا في سفينة سائرنا إلى الهند فحصل في السفينة خرق عظيم فأيقن أهل السفينة بالهلاك فضجوا بالدعاء

<sup>١</sup> تاج الأعراس ( ١ / ٢٠٧-٢٠٩ ) .



والتضرع إلى الله تعالى وهتفوا بالمشايخ، فقال نعمان: فهتفت بشيخي أبي بكر بن عبدالله العيدروس، فأخذتني سنة فرأيت شيخي وهو داخل السفينة وبيده منديل أبيض متمماً نحو الخرق، فانتبهت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي يا أهل السفينة أبشروا فقد جاء الفرج، فقالوا لي: ماذا رأيت، فقلت لهم: رأيت شيخي عليه السلام دخل السفينة الساعة وبيده منديل فسد به الخرق فافتقدوه فوجدوا الخرق مسدوداً بمنديل أبيض).<sup>١</sup>

وفي نفس الكتاب في آخره قال: (وأخبرني الأمير مرجان بن عبدالله عبد السلطان عامر بن عبدالوهاب قال: كنا في محطة صنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العدو وفر أصحابي ووقع في فرسي جملة أكوان فسقط بي، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصلحين، ثم ذكرت الشيخ الأجل أبا بكر بن عبدالله العيدروس فهتفت به فإذا هو قائم فوالله العظيم لقد رأيتُه نهاراً وعائنته جهازاً أخذ بنا صيتي وناصية فرسي وشلني من بينهم حتى أوصلني إلى المحطة السعيدة فعند ذلك مات الفرس ونجوت ببركات الشيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته).

فهذه النماذج إن شاء الله كافية لإثبات أن القوم يعتقدون في أولياتهم أنهم يسمعون استغاثاتهم، وأنهم يغيثونهم عند ذلك، فحيناً يحضرون بأنفسهم، وحيناً يحصل المطلوب بدون حضورهم، وعليه فإن دعاءهم لأولياتهم ليس مجرد توسل إذ التوسل إنما هو دعاء لله تعالى مع ذكر المتوسل به وسؤال الله

<sup>١</sup> مقدمة ديوان العيدروس المسمى (محجة السالك وحجة الناسك) ص ( ٢٤٢ ) ، تأليف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير ضمن المجموعة العيدروسية.

<sup>٢</sup> أي جراح .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٢٤٧ ) .

سبحانه أن يحقق المطلوب بجاه أو بركة ذلك المتوسّل به، ولذلك فإن الذين يعرفون حقيقة التوسل  
ويقتصرون عليها لا يجيزون دعاء المتوسل بهم ويصرحون بأنهم لا يدعون ولا يجيزون دعاء غير الله،  
وإنما يذكرونهم في ضمن دعائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونوا سبباً في عطاء الله.

## الفصل الأول

### أساليب القبورية في محاربة مخالفيها

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول:

أسلوب الاحتواء والاختراق

وفيه مطلبان:

#### المطلب الأول: محاولة احتواء المخالف:

إن رواد القبورية في الأمة الإسلامية وهم الباطنية الشيعة، ومن جاء بعدهم من الصوفية، إنما هم تلاميذهم وأتباعهم والناقلون لعقائدهم وأساليب دعوتهم وطرق تثبيت دولتهم، مع شيء من التطوير الذي يتناسب مع وضعهم بين أهل السنة، ولا يخفى على من قرأ التاريخ براعة الباطنية في احتواء المخالف، والتأثير عليه بالطرق والأساليب المتلوية الكثيرة، وسنرى في هذا المطلب صورة منها، وهكذا تلاميذهم الصوفية استخدموا تلك الطرق والأساليب مع مخالفيهم هنا في اليمن، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

سبق عند الحديث عن الإسماعيلية بيان طرقهم في الدعوة، وكيفية الوصول إلى إقناع المدعو، والترقي به درجة درجة حتى يصل إلى القناعة التامة بما هم عليه، وهناك صورة واضحة في طريقة الاحتواء وتحويل الخصم إلى أن يصبح من أقوى المناصرين لهم، وهي احتواء علي بن محمد الصليحي الذي كان أبوه قاضياً من علماء أهل السنة خصوم الإسماعيلية، وكيف استطاع داعية الإسماعيلية احتواء ابنه علي حتى كان هو الذي أسس دولة الإسماعيلية الفاطمية في اليمن، قال الخزرجي:

(أجمع علماء التاريخ ورواة الأخبار من أهل اليمن أن القاضي محمد بن علي الصليحي والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهاً عالماً سنيّ المذهب، وكان قاضياً في بلده حسن السيرة مرضي الطريقة، وكان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره، وكان الداعي عامر بن عبدالله الزواحي يلوذ به، ويركب إليه كثيراً؛ لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه، فرأى يوماً ولده علياً فلاحاً له فيه مخايل النجابة، وكان يومئذ دون البلوغ، وكان الداعي عامر بن عبدالله الزواحي كلما وصل إلى القاضي يتحدث مع ولده علي المذكور، ويخلو به، ويطلع عليه ما عنده حتى استماله، وغرس في قلبه ولبه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مذهبه، وقيل: كانت عند الداعي عامر بن عبدالله الزواحي حلية الصليحي في كتاب "الصور"، وهي من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على مستقبل حاله وشرف ماله، وأطلع عليه ما أطلع عليه سراً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً، ثم مات الداعي عامر بن عبدالله الزواحي، فأوصى له بجميع كتبه، وأعطاه مالا جزيلاً قد كان جمعه من أهل مذهبه، وقد كان رسخ في ذهن الصليحي ما رسخ، فعكف على الدرس، وكان ذكياً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها، وبالجد السعيد تدرك غاية الأمل البعيد، فكان فقيهاً في مذهب الإمامية، متبصراً في علم التأويل، ثم صار يجح بالناس دليلاً على طريق السراة، ولم يزل كذلك نحواً من خمس عشرة سنة، وكان الناس يقولون له: بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره، فكره ذلك، ونكره على من يقوله مع كونه قد شاع على السنة الخاصة والعامة، فلما كان في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مسار وهو أعلى جبل في تلك الناحية) <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> العسجد المسبوك ص (٥٦)، وانظر: قرة العيون ص (١٧٣-١٧٤).

تلك صورة من صور الاحتواء الإسماعيلي للمخالفين، وفي تاريخ الصوفية الكثير من تلك الصور، من ذلك قصة الصوفي عبدالرحمن بن عمر باهرمز مع الفقيه عمر بن عبدالله باخرمة، فقد كان الصوفي باهرمز له طريقة قبيحة في تصوفه، وهو أنه عندما يرد عليه الحال - كما يقولون - يجمع النساء الحسان متزينات بأحسن الزينة فيغنين ويرقصن حتى يذهب ما به، وهذا أمر منكر لا إشكال فيه، وقد سمع عمر باخرمة بذلك فأنكره، وعزم على الذهاب إليه للإنكار عليه، فرحل أول مرة، ثم رجع من الطريق، ثم عزم وصمم حتى دخل عليه فلما رآه الشيخ كاشفه بنيته وعزمه وقال له: (عاد وقتك ما جاء)، فرجع إلى بلاده، ثم عاد الثالثة، وعند دخوله عليه أمر بعض النساء الحسان اللاتي يرقصن عنده أن تعتنقه، قال العيدروس: (فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشياً عليه، فلما أفاق تلمذ للشيخ، وحكمه في ذلك الوقت، وفتح الله عليه ببركة الشيخ، وصار من كبار العارفين المرين، وقيل: إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال: له: صلّ ركعتين إلى المشرق، فامتثل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه) .<sup>١</sup>

### المطلب الثاني: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم:

إن البدع في الغالب تكون مخالفة للفطرة، مناقضة لأدلة الشرع وأصوله، يرفضها العقل السليم الذي لم يتلوث بأمراض الشبهات؛ ولهذا لم يبق أمام دعاة البدع إلا الكيد والمكر وأساليب اللف والدوران لمقاومة الخصوم والتغلب عليهم، وقبورية اليمن من أولئك المبتدعة، لم يدعوا أسلوباً من أساليبهم إلا اتبعوه، ومن ذلك أسلوب الدس والمكيدة وبث الفتنة في صفوف المخالفين، وإليك بعض الأمثلة على ذلك: .

<sup>١</sup> النور السافر ص (٥٩).

**المثال الأول:** ما فعله والي الدولة الصليحية على الجند من بث الفتنة بين فقهاء حتى يسلم هو وأهل نخلته من انصرافهم لمقاومتهم والعمل على إزالة دولتهم، قال الجندي في ترجمة الفقيه الإمام زيد ابن عبدالله اليفاعي: (وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنبر، وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه، في غالب الأيام يقوم بإعالتهم قوتاً وكسوة، وكانوا يملئون ما بين الباب والمنبر كثرة، وكان الفقيه أبو بكر شيخه يقرئ في الزاوية التي تحت جدار بر زمرم<sup>١</sup>، وكان أصحابه في غالب الأحوال نحو خمسين طالباً، هكذا ذكر بعض معلقي أخبارهم، ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل<sup>٢</sup> في التفريق بينهم، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما يقبرون، وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند فحانت منه نظرة إلى المقبرة، فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين، فسأل عن ذلك، فقيل: قبران ميت، غالب من حضره من الفقهاء، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع<sup>٣</sup> مع أخيه حيث قتله، وقال: هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظروا كيف تفرقون بينهم، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف، فجعلوا يولون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعزلونه، ويولون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر المسجد كذلك حتى ظهر السباب بين الحزبين، وكاد يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك، فارتحل مهاجراً إلى مكة<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> بقر في مسجد الجند يسمى بذلك .

<sup>٢</sup> المفضل والي الصليحين على الجند .

<sup>٣</sup> ابن المصوع أحد فقهاء أهل السنة ثار في جماعة على أخي المفضل أحد أمراء الصليحين فقتلوه واستولوا مدة على

قصره ثم أمسك بهم .

<sup>٤</sup> السلوك ( ٢٦٣/١ ) .

فانظر كيف لجأ هذا الباطني الإسماعيلي إلى الدس بين هؤلاء الفقهاء الطيبين! وكيف استطاع بجنبته وطبيتهم أن يفرقهم، وأن يملأ صدورهم حقداً على بعضهم البعض حتى قضى على دعوتهم! .

المثال الثاني: ما ذكره الأستاذ صلاح البكري في " تاريخ الإرشاد بإندونيسيا " من عمل القبورية أصحاب الرابطة العلوية لزرع الفتنة بين أصحاب الإرشاد - لولا أن سلم الله - وقضى على الفتنة قبل استفحالها .

قال الأستاذ البكري تحت عنوان " أول مؤامرة ضد جمعية الإرشاد " : (من الأحداث الخطيرة التي قام بها دعاة العنصرية، تلك المؤامرة ضد حياة جمعية الإرشاد الإسلامية، فقد اتصل بعض آل باعلوي وأنصارهم برئيس الجمعية الشيخ سالم بالوعل، وسيطروا على عواطفه بأوهام فارغة، وهيمنوا على أفكاره حتى صار كآلة الصماء في أيديهم، ولا غرابة، فهو أمني ساذج أو كما يقول الحضارم: "على توه"، واقترحوا عليه إبدال اسم " جمعية الإرشاد " بالجمعية الكثيرة؛ ليدخل في الإدارة أعضاء من قبيلته آل كثير؛ ليفوزوا بالأكثرية عند اجتماع الإدارة، وأزمع الشيخ بالوعل على ذلك، ثم أعلن لجميع الإرشاديين في العاصمة وفي خارجها ليجتمعوا في جاكرتا (بتافيا)، وأقبل الإرشاديون أفراداً وجماعات من العاصمة ومن خارجها، فشك البوليس الهولندي في هذا التجمع الذي لم يسبق له مثيل، فاتصلوا بنقيب العرب الشيخ عمر منقوش، يستفسرون منه الأمر حتى اطمأنوا، ولما رأى الشيخ بالوعل قدوم الإرشاديين أعلن تأجيل الاجتماع إلى أجل غير مسمى . ولكن وفود الإرشاد قررت إقامة الاجتماع كما نُشر في الصحف، وفعلاً اجتمعوا في دار الجمعية وأحضروا كاتب عدل ومحامياً، وتقرر في هذا الاجتماع فصل الرئيس الشيخ سالم بالوعل من الإدارة ومن الإرشاد، وتكونت إدارة جديدة للإرشاد من كبار الشخصيات وهم:

الشيخ غالب بن سعيد بن تبيع رئيساً

الشيخ محمد عبيد عبود كاتباً

الشيخ عبدالله بن عبدالقادر بن هرهرة أميناً للصندوق

الشيخ سالم عمر بالفاس مستشاراً

كان ذلك عام ١٩٢٠م.

بذلك سلمت جمعية الإرشاد من المكيدة التي دبرها المرجفون والرجعيون ودعاة العنصرية ومن على شاكلتهم من الأغبياء والمخدوعين.

أما الشيخ بالوعل فقد اعتبر فصله من إدارة الإرشاد ومن عضويتها إهانة شنيعة؛ لذلك رفع دعوى ضد جمعية الإرشاد هي والأعضاء الجدد الذين أدخلهم في العضوية قبيل حضور الوفود، وذهب بهم إلى دار الجمعية فوجدها تحت حراسة البوليس، فعاد إلى منزله بزملائه الأعضاء، وهناك قرروا بإبطال قرار الفصل وحل جمعية الإرشاد، ثم رفع دعوى ضد الإدارة الجديدة بأنها غير شرعية، ولكن أراد الله لجمعية الإرشاد أن تزدهر ويتألق نجمها في إندونيسيا، ثم أسدل الستار على الدعوتين إلى الأبد<sup>١</sup>.

## المبحث الثاني

### الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية

<sup>١</sup> تاريخ الإرشاد في إندونيسيا ص (٢٢-٢٣) تأليف صلاح عبد القادر البكري، الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامي، جاكرتا - إندونيسيا ط الأولى (١٩٩٢ م).



وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم:

وهذه سمة أخرى من سمات الباطنية أن يربوا المجتمع بشكل عام على التسليم لهم وعدم معارضتهم، وأن المعارضة سبيل إلى الحرمان، وما أفلح من اعترض، والفوز والقبول في التسليم للقادة والأئمة والأولياء؛ وذلك أن علومهم الباطنة المزعومة لا يمكن إقامة الحجة عليها، فلا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل يمكن أن يدل عليها، فما بقي إلا أن يسلم السامع، وأن يلغي عقله حتى لا يجرم، وكذلك تصرفاتهم المخالفة للشرع والعقل لا يمكن تبريرها إلا بذلك، ولو ذهبتُ أبحث عن الأمثلة، وأحصرتها لضاعت عنها مساحة هذا المطلب، ولكن أضرب أمثلة قليلة تدل على أمثالها وأشكالها:

### المثال الأول: في كتاب "السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية" التي ألقاها صاحبها (علي

الحبشي) في مجالسه التي كان يعقدها؛ لتعليم الناس وإرشادهم؛ وتدرّيس وتربية طلابه، وتلقاها وجمعها أحد طلابه وهو (محسن بن عبدالله بن الحبيب الإمام محسن بن علوي السقاف)، وردت هذه الحكاية، قال: (وأورد الشيخ عبد العزيز الدباغ كلاماً في حسن الظن وكونه نافعاً، وإن لم يكن المعتدّ فيه متصفاً بذلك، فقال: كان رجل تاجراً وله مال كثير، فاشتاقت نفسه إلى ما مع الرجال أهل الكمال، وعزم أن تجرد إلى الله، وينقطع إليه، وكان في البلد رجل مشهوراً بالصالح وتربية المريدين، وهو في الباطن على خلاف ذلك، فكان إذا رجع إلى خلوته يأتون إليه ناس من أصحابه على طريقته، فيلهون ويسكرون، فباع الرجل التاجر جميع ما معه وصيره نقداً، ثم سار إليه ومعه ذلك المال؛ ليستحكم له ويوصله إلى الله، فصادف وقت خلوته، فلما دق الباب أشرفت جارية، فقالت: من بالباب؟ فقال: عبدالعال، وكان واحد من أصحابه أهل الملاهي اسمه عبدالعال، فلما أخبرت الشيخ باسمه ظن أنه صاحبه، فقال لها: افتحي له الباب، فطلع الرجل، فوجد الجوّاري والشراب وآلات اللهو عنده، فما التفت إلى شيء قط بل جثا بين يدي الشيخ، فنجعل لما رآه غير

صاحبه، وهو يظهر الصلاح، فقال له: يا سيدي، أنا رجل أريد الطريق إلى الله، وأريد أن تسلكني، وتدلني على الله، وهذا ما معي من المال، فلما وضعه بين يديه تقاصرا لحنجل، فقال: إن الوظائف جميعها مشغولة إلا عمل في حديقة لنا بعيدة، خذ المكمل والمسحاة، وسر إليها، واشتغل فيها إلى أن يفتح الله عليك، فامتل أمره، ولم يغير حسن ظنه فيه ما شاهده عنده، وحين وصل إلى الحديقة، ابتداءً في العمل، ومات أحد الأبدال في تلك الليلة، فاجتمعوا هم والقطب، فقالوا: من يصلح بدله؟ فقالوا: فلان، يعنون ذلك الرجل الذي في الحديقة؛ بسبب حسن ظنه، فدعوا منه، وقالوا له: خذ هيل بلاكيل، واتصل بربه، فاطلع على حالة شيخه، فقال: أنا قد أدركت مطلوبي، وهو يصطلى هو وربّه) <sup>١</sup>.

هذه هي التربية التي يربون بها أتباعهم، وينشؤون عليها أجيالهم، فهل سيكون لدى خريج هذه المدارس أي غيرة أو نخوة تدفعه لإنكار منكراتهم، والاعتراض على أي شيء يقدمون عليه من أقوال أو أفعال مهما بلغت في القبح والسوء؟! وليس هذا هو المثال الوحيد، ولكن الأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

**المثال الثاني:** ما ذكره الشلي، وهو يتحدث عن كرامات الأولياء ووجوب التسليم لهم فيها، وإن ظهر منهم أي مخالفة، فإنهم لاشك أن لهم في الباطن ما يسوغ ذلك، قال: (وأنا أورد قصة، فيها أبلغ زجر وأكد ردع من الإنكار على أولياء الله تعالى وأتم حث على اعتقادهم والتأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن، وهي ما حكاها إمام الشافعية في زمنه " أبو سعيد عبدالله بن أبي عصرون " قال: دخلت بغداد في طلب العلم، فرافقت ابن السقاء بالنظامية، وكنا نزور الصالحين، وكان ببغداد رجل

<sup>١</sup> كنوز السعادة ص ( ٣٧٤ - ٣٧٥ ) .

يقال له الغوث يظهر إذا شاء، فقصدنا زيارته، ومعنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وهو يومئذ شاب، فقال ابن السقاء: لأسأله مسألة لا يدري جوابها، وقلت: لأسأله مسألة، وأنظر ما يقول، وقال الشيخ عبدالقادر: معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركته، فدخلنا عليه، فلم نره إلا بعد ساعة، فنظر إلى ابن السقاء مغضباً، وقال: ويحك يا ابن السقاء تسألني مسألة لا أدري جوابها، وهي كذا وجوابها كذا، إني لأرى نار الكفر تلهب فيك، ثم نظر إليّ وقال: يا عبدالله تسألني؛ لتنظر ما أقول فيها وهي كذا وجوابها كذا، لتخران عليك الدنيا إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبدالقادر، وأدناه منه، وأكرمه، وقال له: يا عبد القادر، لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك كأنني أراك ببغداد، وقد صعدت الكرسي متكماً على الماء، وقلت: قدمي هذه على رقبة كل ولي، وكأنني أرى الأولياء في وقتك، وقد حنوا رقابهم؛ إجلالاً لك، ثم غاب عنا، فلم نره بعد . قال: فأما الشيخ عبدالقادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله، وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي، فأجابه في تلك الساعة أولياء الدنيا، قال جماعة: وأولياء الجن، وطأطأوا رؤوسهم وخضعوا إلا رجلاً بأصبهان فسلب حاله، وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السهروردي، وأحمد الرفاعي، وأبو مدين، والشيخ عبدالرحيم القناوي، قال ابن أبي عصرون: وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم حتى فاق أهل زمانه، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح، وسمت مليح، فأدناه الخليفة، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم، فأعجب به، وجمع له القسيسين، وناظرهم، فأفحمهم، وعظم عند الملك، فأراد قنته فتراءت له بنت الملك، فاقتن بها، فسأله أن يزوجه لها، فقال: لا إلا أن تنصر، فتنصر والعياذ بالله، وتزوجها، ثم مرض، فألقوه بالسوق يسأل

<sup>1</sup> كذا في الأصل.

القوت، فمر عليه من يعرفه، فقال له: ما هذا؟ فقال: فتنة حلت بي بسببها ما ترى، فقال: هل تحفظ القرآن؟ قال: لا إلا قوله تعالى: ﴿رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾<sup>١</sup>، ثم جاز عليه وهو في النزاع، فقلبه إلى القبلة، فاستدار عنها، فعاد فاستدار عنها، فخرجت روحه لغير القبلة، وكان يذكر كلام الغوث، ويعلم أنه أصيب بسببه. قال ابن أبي عسرون: وأما أنا فجئت إلى دمشق، فأحضرني السلطان نور الدين الشهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف، فوليتها، وأقبلت علي الدنيا إقبالا كثيرا، فقد صدق الغوث فينا كلنا انتهى.

فهذه الحكاية التي كادت تتواتر في المعنى بكثرة ناقلها وعدالتهم فيها أبلغ زجر عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء نعوذ بالله من ذلك)<sup>٢</sup>.

قلت: هذه من خرافات القوم ولا يرهبنا وصفه لها بأنها كادت أن تتواتر، فأين أسانيدك بذلك؟ ثم لو فرض تواترها، فلا تعدو أن تكون من أخبار الكهنة الذين يخبرون ببعض المغيبات، ويصدقون في بعضها؛ لأن الولي الحق ليس من شأنه أن يظهر متى شاء، ويختفي عن الأبصار متى شاء، وليس من شأنه أن يبشّر عبد القادر بذلك العلو والاستكبار الذي يجعله يتحدى الأولياء ويقول: (قدمي على رقبة كل ولي)، ولكن الرجل قد بلغ بعض ما يريد من إقناع قرائه بالتسليم للأولياء وعدم الاعتراض عليهم؛ لما يترتب على التسليم من الفوز والفلاح، وعلى الاعتراض من الطرد والحرمان.

**المثال الثالث:** ما نقله الشرجي عن أبي بكر بن أحمد بن دعسين في ترجمته أنه: (كان يقول: أقل درجات الإيمان أن تسلم للأولياء أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، فإن لم تعرف معناها، ولا اهتديت إليه، فاحمل جميع أمورهم على أحسن الأشياء وأعدلها، وما صح عنهم فسمع وطاعة وحب وكرامة)<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> سورة الحجر (٢).

<sup>٢</sup> المشرع (١٦٧/١).

قلت: هذه أقل درجات الإيمان فما أعلاها يا ترى؟ .

**المثال الرابع:** ما ذكره صاحب تذكير الناس، قال: (وقال سيدي أحمد: وقد أمدّ الله الوقت للشيخ عمر أبا مخزّمة من بعد العصر إلى المغرب ثلاثين ألف سنة، فاستشكل بعضهم هذا، فقال له سيدي: أما في بالك حديث يوم القيامة طوله خمسون ألف سنة، وأنه يكون على المؤمن كأخف صلاة صلاحها في الدنيا وهذا منه، فقيل له: وكيف صارت تلك المدة ليالي أو أياماً أو غير ذلك، فقال: هذا علم تصديق وإيمان، ما هو علمها توه أشوفه) <sup>١</sup>. فقوله: (هذا علم تصديق وإيمان ما هو علمها توه أشوفه)، واضح جداً أنه ليس من علم الدليل والحجة التي يصح أن يطالب بها السامع، وإنما هو علم تصديق وإيمان لا اعتراض وانتقاد، وقوله: (ها توه أشوفه) يعني أرني إياه حتى أنظر إليه .

**المثال الخامس:** من قواعدهم المسلمة وكلماتهم الدارجة المنتشرة، قول عبدالله بن علوي الحداد: **وسلم لأهل الله في كل مُشكّلٍ لديك، لديهم واضح بالأدلة** <sup>٢</sup> وقول الآخر:

### وإذا لم تر الهلال فسلم لأناسٍ رأوه بالأبصار

هذه خمسة أمثلة تدل كلها على ما عنونا له في هذا المطلب، وهو تربية الأمة على الرضوخ والاستسلام وإلغاء العقول وتجاوز القواعد والأصول الشرعية؛ لأجل أن يمشي ما يريد القوم، ويسلم لهم ما يأتون من أقوال وأفعال دون حاجة إلى أدلة شرعية أو عقلية، وقد اقتصرْتُ على هذه الأمثلة الخمسة مع وجود الكثير من الأمثلة في تراث صوفية اليمن، أما صوفية البلاد الأخرى فلا أخال قواعدها في هذا الموضوع خافية على المتابع لتواريخهم.

**المطلب الثاني:** استخدام الخرافة <sup>٤</sup> والشعوذة <sup>١</sup> والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف:

<sup>١</sup> الطبقات ص (٣٩٠) .

<sup>٢</sup> تذكير الناس ص (١٢٥) .

<sup>٣</sup> الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم لعبدالله بن علوي الحداد ص (٤١)، طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)

<sup>٤</sup> تقدم تعريف الخرافة في الباب الثاني ص (٣٦٤)

لقد سعى الصوفية والباطنية لترسيخ وتعميق القدرات الخارقة للأئمة والأولياء، حتى لقد بالغوا في ذلك، فوصفوهم بعلم الغيب وتصريف الكون والقدرة على إظهار الخوارق التي لم يُظهر مثلها الأنبياء، وأنهم قادرين على أن يتجزؤوا بأجسادهم، وأن يكون الواحد منهم في عدة أماكن في آن واحد، وكل ذلك قد مر، حتى أصبح حكم الناس على صلاح الشخص هو إظهاره تلك الخوارق مع ادعاء الولاية، وعندما ترسّخ ذلك في أذهان المجتمع، وترى عليه، بادروا بافتراء الأكاذيب ورواية الخرافات عمن يريدون أن يسبغوا عليهم صفة الولاية حتى يقنعوا الناس بولايتهم، كما بادر طلاب الجاه والمناصب في الرياضات الموصلة إلى خرق العادات، وتعلموا أنواعاً من علوم السحر، حتى أتقنوا ذلك، وعملوا به، وعقدوا الصلح مع الجن؛ ليقوموا لهم بأعمال خارقة يطلعونهم على مغيبات واقعة، ثم جعلوا ذلك كله سلاحاً يشهرونه في وجه كل من يخالفهم، وينكر عليهم، وهذه عدة أمثلة توضح ذلك وتثبتته:

**المثال الأول:** ما ذكره الشلي في ترجمة مُحمَّد بن علي مولى الدويلة، قال: (وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الإمام عبدالله بن علوي حتى غُشي عليه، ثم أقيمت الصلاة، فصلى معهم، فلما فرغوا، قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبدالله: صلى ابن أخيك بلا وضوء؛ لأنه زال عقله، فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم فقال: وعزة الحق إني تروضت، وشربت من الكوثر، ونفض لحيته، فتقاطر منها الماء، ثم قال: يا فقيه، نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت، ثم أنشأ يقول:

الحب حيي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قبل كل محبب  
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً وغطست في بحر الهوى وغدي بي  
لي تسعة وثلاثة مع تسعة والعقد لي وحدي وعلا نصيبي  
ما تعلموا أني المقدم في الملا ليلة سرى باليثري سرى بي)<sup>٢</sup>.

فانظر إلى هذه الدعوى العريضة والتي برهانها أنه نفض لحيته، فتقاطر الماء منها، ولو كان ذلك الماء من ماء الكوثر، هل سيذهب هكذا هدرًا ولا يعرف له ميزة عن غيره من المياه، ولا تظهر له رائحة، ولا يبقى في موضعه؟ إلى آخر ما يمكن أن يظهر من الدلائل، ثم أعجب لهذا الفقيه وسرعة تصديقه وتسليمه واقتناعه بما حكى هذا الرجل عن نفسه!

<sup>١</sup> الشعوذة: خفة في اليد وأخذ كالسحر، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين، وهو مُشعوذ، وهو مُشعوذ، ومشعوذ. انظر: القاموس المحيط ص (٤٢٧).

<sup>٢</sup> المشرع (٢٠٠/١-٢٠١).

**المثال الثاني:** ذكر الشلي في ترجمة الشيخ عمر المحضار أنه قال: (قال لابن أخيه الشيخ عبد الله العيدروس: أن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات، وأشار إلى نفسه) <sup>١</sup>، ثم استدل الشلي على إثبات ذلك بقوله: (وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تحشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدع على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد، وقع في باطني نار لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض، أو يتوب) <sup>٢</sup>. هذه الحكاية الله أعلم بصحتها ولكن على فرض صحتها، فإنها رادع قوي لكل من يفكر أن يخالف هذا الشيخ، وربما كان ذلك من السحر إذ الصحيح أن الساحر قد يصيب المسحور بعوار واختلال في عقله أو في بدنه، والقصة بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها فالغرض منها حاصل حين تُروى، ويتداولها الناس، فإنه يترتب عليها هيبة عظيمة من التعرض لإغضاب من يدعي الولاية.

**المثال الثالث:** ما قدمناه في الباب الثاني في مطلب التصرف في الكون <sup>٣</sup> عن "مرآة الجنان" <sup>٤</sup> في قصة أحمد ابن أبي الجعد وسعيد بن عيسى العمودي، حيث ذكر أنه عندما أقام ابن أبي الجعد الشيخ سعيد؛ للإصاف من نفسه، قال: (من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد: ومن أقعدنا ابتليناه، فأصاب كل واحد منهما ما قال لصاحبه، وصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلياً في جسمه حتى لقي الله تعالى)، وهذه الحكاية تصب في نفس الغرض، وهو إرهاب الناس من التعرض للأولياء ومخالفتهم.

**المثال الرابع:** ما ذكره صاحب "تذكير الناس" عن أحمد بن حسن العطاس أنه ذكر حكاية طويلة منها أن عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس دخل مصر، قال: (وحصلت بينه وبين أهل مصر مناظرة في الإمامة، وقال لهم: أنا أحق بها منكم؛ لِمَا اجتمع في من الشرف والعلم والتبرع، فقالوا له: لا نسلم لك إلا بدليل، فتوجه بحاله إلى القناديل التي في المسجد فابتلعها، فقالوا له: هذه ولاية، ومسلمون لك فيها) <sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> المصدر السابق (٢/٢٤٢).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (٢/٢٤٢-٢٤٣).

<sup>٣</sup> انظر: ص (٢٣٥).

<sup>٤</sup> وانظر أيضاً: طبقات الخواص ص (٧٣).

<sup>٥</sup> تذكير الناس ص (١٢٩-١٣٠). و انظر: تاج الأعراس (١/٣٤٢-٣٤٣).

والحكاية ظاهرة الدلالة على أن برهان الولاية هو هذه الخوارق التي لا يبعد أن تكون من السحر. **المثال الخامس:** ما حكاه الشلي في ترجمة مُجَّد بن علي مولى الدويلة، قال: (وأكثر أعماله قلبيات، وكان يخفي أعماله عن أصحابه حتى عن أهله، وربما اعترض عليه بعض من اتصف بالعلم وليس من أهله، حتى إن بعضهم قام يصلي، والسيد عنده نائم، فقال في نفسه: أنا ساجد وقائم وهذا مضطجع نائم، ويدعون أنه قدوة للعالم. فلما سجد عجز عن رفع رأسه، فتاب عما وقع له في نفسه، فأمر صاحب الترجمة بعض من عنده بأن يرفع رأسه من السجود، ولما فرغ اعتذر إليه، وعاهده على أن لا يعود) <sup>١</sup>.

فانظر إلى ما لقي هذا العالم من العقوبة والتأديب لقاء اعتراضه على هذا الولي، ثم كيف سلّم له ولايته، وتاب من الاعتراض عليه.

**المثالان السادس والسابع:** ما تقدم <sup>٢</sup> نقله عن " تاج الأعراس " في مطلب استخدام الجن حيث نقلنا هناك حكاية سالم العطاس الذي كان له جني، اسمه " مزنقب "، وكيف سلطه على تلك القبيلة التي أبت أن تستقبل الركب العطاسي حسب تعبير المؤلف: (فصرخ بهم مزنقب صرخات، روّع بها نساء القبيلة وأطفالها؛ مما اضطر رجال القبيلة إلى الرضوخ لآل العطاس واسترضائهم والاعتذار إليهم وضيافتهم).

وحكايته مع شريف مكة وكيف فجر "مزنقب" الماء في مجلس الشريف مما اضطره للتسليم له كذلك.

<sup>١</sup> المشرع ( ٢٠٠/١ ) .

<sup>٢</sup> انظر ما تقدم ص ( ٣٥١ ) .





## المبحث الثالث

### استخدام القوة في محاربة الخصم

#### وفيه أربعة مطالب:

#### المطلب الأول: اللجوء إلى السلطان:

اللجوء إلى السلطان شأن المبتدعة والباطنية في كل زمان ومكان؛ لفقدهم الدليل المقنع، فيلجئون إليه، يداهنونه، ويطرؤونه، ليدافع عنهم وعن باطلهم، ويدفع خطر خصومهم

#### لا يفزعون إلى الدليل وإنما في العجز مفزعهم إلى السلطان

ويقول العلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل في كلامه عن الصوفية: (فإن عادة هذه الطائفة أعني "ابن عربي" وأتباعه التحبب إلى الدولة وإيراد أحاديث وروايات في فضائلهم، حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأبدال<sup>١</sup> والعادل هو القطب، وربما ألقوا في سمعه أن له درجة الحكيم والتفويض فيما فعله

<sup>١</sup> في الأصل ( الأندال ) وهو غلط واضح وقد صححه كذلك عبدالله الحبشي عند نقله في الصوفية والفقهاء ( ٧٤ ) .

بلا حرج؛ ولذلك لم يكذب تتبع<sup>١</sup> إنكار العلماء من قديم الزمان وهذا من مكرهم، قاتلهم الله<sup>٢</sup>، وكلام الأهدل هذا هو الذي استفاض، بل تواتر معناه، وهناك مواقف كثيرة جداً للصوفية في التزلف إلى السلاطين والتمكين لأنفسهم لديهم منذ نشأة الصوفية إلى اليوم، والذي يعيننا هم صوفية اليمن وقبوريتها، فإليك بعض تلك المواقف: من ذلك تبشيرهم بالملك أو بخلوده في أعقابهم، ومنه ما ذكره الخزرجي في "العسجد"<sup>٣</sup> في ابتداء أمر الدولة الرسولية، قال: (قال صاحب السيرة المظفرية: أخبرني الشيخ الصالح سليمان بن منصور بن حزينة قال: لما وصل الملك المسعود<sup>٤</sup>، وعبر طريق خبت التحرية، وكان على قارعة الطريق شيخان من مشايخ الصوفية الصالحين، يسمى أحدها المغيث، والآخر الهدس، فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأي شيء تراه؟ قال: أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعه. فقالوا: لعله الملك المسعود فقال: لا، بل هو الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، والملك في عقبه إلى آخر الدهر)<sup>٤</sup>.

ومن ذلك بشارة صاحبَي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسن البجلي مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي بن رسول المذكور سابقاً بانتقال الملك إليه وتقوية عزمه عليه. قال الأستاذ عبدالله الحبشي تحت عنوان "تاريخ الصوفية في عهد بني رسول": (ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسوليين يتدبى بداية هذه الدول، بل قبل البداية بسنوات عدة، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول - حكمه من

<sup>١</sup> كذا هو يتبع، وهو محتمل، ومحتمل أن يكون (ينفع) هو الصحيح

<sup>٢</sup> كشف الغطاء ص (٢١٨).

<sup>٣</sup> آخر ملوك الأيوبيين في اليمن.

<sup>٤</sup> العسجد ص (١٩٢).

٦٢٩ - ٦٤٧ هـ - وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكمي سنة ٦١٧ هـ وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١ هـ وهما من كبار الصوفية في اليمن . ويقال أنهما اللذان قويا عزمه في الاستيلاء على الحكم بعد مشاهدتهما تضعع الدولة الأيوبية وتنافس أمرائها فيما بينهم على الحكم . ونحن إذا أدركنا أن موت الحكمي كان قبل قيام الرسولي بالحكم بنحو عشر سنوات، ندرك مدى العلاقة التامة بين الصوفية ودولة بني رسول، ولندع الباحث المعاصر الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، يشرح هذه المسألة، فيقول: (عرف ذلك الشاب المتطلع لملك اليمن عمر بن علي الرسولي وهما قد تنبأ له بالملك ما يمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي، فأخذ في تقديرهما، وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع، يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما، فلما جاء دور الفقيهين لمسح أراضيها وأخذ الضرائب عنهما، عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشرة ألف دينار، وأدركا بلا شك مطعمه البعيد، فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له ويشيعان ذلك سرا، ثم يذيعانه مقدماً؛ لتهيئة النفوس والعقول لوثبته، وشاعت كلمتهما، فقبلها الناس بالترقب) .<sup>١</sup>

إذا فالدولة الرسولية، تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس، وأصبحت مما ينتظر وقوعه . ولا أحتاج إلى تعليق على ما قرره الأستاذان الحبشي والعقيلي .

ومن تلك البشارات بشارة الصوفي إبراهيم بن الحسن بن أبي بكر الشيباني للملك المظفر، قال الشرجي في ترجمته: (وكانت له كرامات ظاهرة، من ذلك أنه زاره الملك المظفر في أيام والده الملك المنصور ابن رسول، ولازمه في الملك بعد أبيه، فضرب الفقيه بيده على كتف المظفر، وقال له: المُلْك

<sup>١</sup> التصوف في تامة ص (١١٩) ، الصوفية والفقهاء ص (٤٥-٤٦).

لك ولذريتك لا أسد الدين ولا فخر الدين، يعني بني عمه . وكان المظفر يخاف أن ينازعه في الملك بعد أبيه، فكان كما قال: تولى الملك المظفر وذريته من بعده وبطل أسد الدين وفخر الدين، فلما صار الملك إلى الملك المظفر، سامح الفقيه في خراج أرضه وأراضي أهله، ولم يزالوا على الجلالة والاحترام مدة المظفر وبعده) <sup>١</sup>.

ومن تلك البشارات بشارة إسماعيل الجبرتي للملك الأشرف بانهزام جند قصدوه، فكان كما قال الشوكاني: (وصارت له عنده منزلة وكلمة لا ترد) <sup>٢</sup>. ذلك بعض ما لدى صوفية تهامة، ولدى صوفية حضرموت ما يشابهه، أو يزيد عليه، من ذلك ما ذكره صاحب " تاريخ الدولة الكثيرة " في ترجمة بدر أبي طويق تحت عنوان " نسبه واهتمام العلويين به " قال: (تصدى جماعة من السادة العلويين في أوائل ظهوره للبحث والتنقيب عن سلسلة نسبه، ثم أسفرت نتائج مجوهم عما يأتي:

هو بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر ابن كثير بن ظنة بن عبدالله بن حرام بن عمر بن سبأ الأكبر، ثم ينتهي النسب إلى يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود عليه السلام.

هكذا جاء في دشته العلامة زين العابدين بن عبدالله بن شيخ العيدروس العلوي، قال: ولما أن تحققوا صحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضريح النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، واعتكفوا هناك متضرعين إلى الله سبحانه، أن يقيض هذا السلطان؛ لحفظ القطر كله. قال وظهرت آثار الإجابة في السنة نفسها، إذ طرق بدر جميع الجهة الحضرمية، واستولى عليها من عين با معبد غرباً إلى ظفار شرقاً، وذلت له رقاب أهلها في بضعة شهور، ولم يبق بها إلا مواضع حقيرة،

<sup>١</sup> الطبقات ص(٤٧-٤٨).

<sup>٢</sup> البدر الطالع ( ١٣٩/١ ) وسيأتي كلام الشوكاني كاملاً في هذا المطلب .

استكملها فيما بعد، كما سيأتي<sup>١</sup>. فالتقوم عندما لاحظوا أمارات النجاح وعوامل النصر واستعداد هذا السلطان، لتكوين سلطنة قوية واسعة ذات نفوذ، أحبوا أن يكون لهم عنده يد، فمثلوا هذه الرواية، وأحكموا فصولها، وأقنعوا بها السلطان، وكسبوا وده.

وقريباً من ذلك فعل بعضهم مع منصب آل عمودي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبوست، قال علوي بن طاهر الحداد، وهو يتكلم عن نسب آل العمودي الذي أثبتته محمد بن ياسين باقيس إلى أبي بكر الصديق في كتاب له باسم "النبذة": (وفي هذه النبذة التصريح بنسبهم على ما يقوله السادة الأشراف العلويون وهو مخالف، لما يقوله المؤرخون، وسيأتي بسط القولين ومستندهما في بابه قال: قال: "أي الحبيب عبدالله الحداد" فزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مؤذن بضرفون<sup>٢</sup> ومن في تربته، وطلعنا بضة، واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم. منهم السيد عمر باعقيل باعلوي وزوجته الصالحة بنينة ومن آل العمودي الشيخ عبدالقادر والشيخ مطهر والشيخ عبدالرحمن والشيخ سعيد أولاد الشيخ الكبير الشهير عبدالله بن عبدالرحمن بوست، وهو والي منصب آل العمودي أعني الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، وسمي بوست؛ لأن له في كل يد ست أصابع لأنه شبيهه، بعبد الله بن عبدالرحمن ابن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه جدهم، وينسبون إليه على ما ذكره بعض ساداتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم في بعض مكاشفاته، ولا تكون إلا حقيقة؛ لأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين وهو، حق وصدق، وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالأخذ بأقوال الصالحين في الأثر المروي عنه صلى الله عليه وسلم، وهذا منه<sup>٣</sup>، ثم قال: وأما ما ذكره الشيخ محمد بن ياسين عن الحبيب

<sup>١</sup> تاريخ الدولة الكثيرة ص (٣٦).

<sup>٢</sup> موقع بالقرب بضة بوادي دوعن.

<sup>٣</sup> الشامل ص (١٦٣).

عبدالله الحداد عند ذكر الشيخ عبدالرحمن ابن عبدالله أبو ست وانتساب آل العمودي إلى أبي بكر الصديق، وقوله: " على ما ذكره بعض ساداتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم " فمراده بالبعض المذكور السيد الشريف أستاذ الفقهاء والمتكلمين، وإمام الزهاد الورعين أحد الأولياء المعتقدين عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف، له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والمنام وما بينهما، وهي إطلاعات روحية، تمثل لهم فيها المعاني والأرواح، ذكر أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى، وسأله عن نسبه، فذكر له سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والقصة أطول مما ذكرنا، وقد رأيناها بقلم بعض أسيخ آل العمودي) ، ثم قال: (وقد نقل الشيخ عبدالرحمن بن عثمان - الأنف الذكر - تلك الواقعة، وكتبها في مصحفه، ومنه نقلتها، وهي: وذكر الشريف عبدالرحمن بن علي: أن عبدالله بن عبدالرحمن بن الإمام أبي بكر الصديق كان له ست أصابع، السادسة على صورة الإبهام تليها . وكان ذا فراسة وفهم في الأمور . كان إذا دخل البلد، لا يستطيع أحد من أهل البلد، أن يكذب خشية أن يعرفه، ويسمع كذبه بفراسته . وكان يقول له والده عبدالرحمن: سيخرج من صلبك ولدٌ اسمه كاسمك، وصورته كصورتك، والله إنني أنظر إلى أصبعه الزائدة تحرك عند حركتك، وتكون له فراسة كفراستك، وفهم كفهمك ووالله لولا أنه في غرة كل موجود ليس كمثله شيء، لقلت أنك هو، وهو أنت . وكان الشيخ محمد بن عمر باعيف يقول لشيخه الشيخ عبدالرحمن: يا سيدي، أهو قد ظهر؟ فيقول . لا، إلا أنه قريب الظهور انتهى . والحبيب السيد الشريف عبدالرحمن بن علي المنسوب إليه هذه الواقعة الكشفية الروحية ولد سنة (١٨٥٠)، وتوفي سنة (٩٢٣ هـ) . وقد تحققت بولادة الموعود به الشيخ المعمر عبدالله بن

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١٦٥ - ١٦٦) .

عبدالرحمن المذكور في أواخر القرن العاشر، وتوفي سنة (١٠٧٢ هـ)، وكان له في كل يد ست أصابع، الزائدة على صورة الإبهام تليها . وهذه الحكاية من أغرب ما يروي<sup>١</sup>، وقد كان عبدالرحمن أبوست العمودي حاكماً على منطقة دوعن مدة طويلة .

وهذه النماذج وغيرها كثيرة كافية للدلالة على منهج القوم في استرضاء السلاطين والحكام؛ لكسب تأييدهم، وضمان وقوفهم معهم ضد مخالفينهم، ولم ينته هذا المنهج أو يتغير، فصوفية اليوم هم صوفية الأمس، وإن ما حدث أيام حرب الانفصال - ربيع الأول ١٤١٥ هـ من صوفية حضرموت لكافٍ في الدلالة على ذلك . فقد وقفوا مع الانفصاليين بكل ما أوتوا من قوة، وقد تبارى خطباؤهم في تأييد حركة الانفصال، وأصدروا البيانات المؤيدة لها، وأفتوا بأن القتال في صفوف الاشتراكيين جهاد في سبيل الله؛ لأنه دفاع عن الأنفس والأعراض والأموال إلى غير ذلك من المواقف، بل إن بعض من يكتب اليوم في التنظير للصوفية والدفاع عنها قد قبل أن يكون وزيراً للأوقاف في حكومة الاشتراكيين الانفصاليين، ولكن سرعان ما تغيرت المواقف، وتبدل الولاء، وتناقضت الخطب والبيانات بمجرد انتصار القوات (الحكومية) وأصبحوا يتظاهرون بتأييدها، وأنهم كانوا مؤيدين لها طيلة الحنة التي مرت بها البلاد، ولا أدري كيف يثق الحكام بمن هذه مبادئهم ومواقفهم؟! أم أنها مناورات من الطرفين على حد قول الأول: (كلانا عالمٌ بالترهات) .

وإليك أخي القارئ الكريم بعض المواقف التي استعان فيها الصوفية بالحكام ضد مخالفينهم:  
**الموقف الأول:** ما ذكره الخزرجي في ترجمة الفقيه حسين بن أبي بكر السوداني، قال: (وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً مشهوراً بالفقه والصلاح، وشهدت له كرامات كثيرة، وكان معظماً عند الناس، ولكن

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١٦٦) .



بلغ الملوك عنه أنه يتصل بإمام الزيدية في عصره، وهو محمد بن مطهر، فكرهوه، وهموا بأذيته، فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه، وكان ينكر على الفقراء الرقص والسماع؛ فلذلك أجمع الفقهاء والفقهاء عليه، ولم يزل حذراً من السلطان حتى توفي في السنة المذكورة سنة "٧٠٤ هـ" <sup>١</sup>.

**الموقف الثاني:** ذكره شيخ الإسلام الشوكاني - رحمه الله - في ترجمة إسماعيل الجبرتي، قال: (وكان أول ظهور أمره أنه بشر السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه، وكان الأمر كذلك. وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد، وكان منزله ملجأ لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات، فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة، وأهل البطالة للسماع واللهو، وأهل الحاجات لوجاهته، فإنه تتلمذ له أحمد بن الرداد، ومحمد المزجاجي، فجالسا السلطان، وكان مغرماً بالسماع والرقص داعياً إلى نحلة ابن عربي حتى صار من لا يحصل نسخة من الفصوص، تنقص منزلته عنده، واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق، بسببه وفيه يقول بعض الأدباء، وكان منحرفاً عنه ومعتقداً لصالح المصري:

صالح المصري قالوا: صالح ولعمري إنه للمنتخب

كان ظني أنه من فتية كلهم إن تمتحنهم تحتلب

رھط إسماعيل قطاع الطريق إلى الله وأرباب الريب

سفل حمقى رعاغ غاغة أكلب فيهم على الدنيا كلب

وقد كان قام صالح المصري هذا على صاحب الترجمة، فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند، ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه، ولا يستطيع أن يغيرهم عما هم فيه؛ لميل

<sup>١</sup> العقود اللؤلؤية (٣٠٢/١).

السلطان إليه) <sup>١</sup> . فانظر كيف استغلَّ نفوذ هذا الصوفي على السلطان إلى هذه الدرجة من الظلم والاضطهاد للخصوم، وهناك مواقف كثيرة سيجدها المتبع لو بحث عنها .

ولصوفية حضرموت مواقف تدرج في نفس هذا المسلك الدنيء، وتسير على ذات المنهج الرديء، وكان أبرزها في أثناء الصراع الذي نشب في إندونيسيا بين العلويين والإرشاديين:

فمن ذلك سعيهم لدى حكومة بريطانيا وإقناع قنصلها في العاصمة الإندونيسية بتافيا (جاكرتا) بأن الإرشاد، تعمل ضد السياسة البريطانية، قال صلاح البكري: (وقد تأثر القنصل لجهله حقيقة الإرشاد، فأرسل إلى الحكومتين القعيطية والكثيرية؛ ليأخذوا حذرهم من كل إرشادي يدخل حضرموت، ويرسل المسؤولين في الحكومتين منشوراً على كافة الحضارم بإندونيسيا) <sup>٢</sup> . ثم ذكر نص البلاغ الذي يتهدد ويتوعد كل من بقي في جماعة الإرشاد، ويصفه بأنه عدو لوطنه ولمواطنيه عاقاً لهم مخالفاً لجماعتهم في كل مقوماتهم ساعياً في تسميم عقولهم وأفكارهم <sup>٣</sup> ، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل تحول إلى اضطهاد حقيقي للإرشاديين في بلدهم الأصلي حضرموت، قال البكري: (لم يكتف آل باعلوي وغيرهم من المعارضين لثورة الإرشاد الدينية الحرة عند هذا الحد، فاتجهوا بوشاياتهم إلى حضرموت، واستطاعوا أن يؤثروا على السيد حسين بن حامد الحضار وزير الحكومة القعيطية بمدينة المكلا. فقد كان هذا الوزير يتلقى الرسالة تلو الرسالة من قريبه السيد محمد الحضار ببندووسو بجاوه، يحرضه على عرقلة كل إرشادي يأتي من إندونيسيا إلى وطنه بحضرموت. وقد تأثر الوزير

<sup>١</sup> البدر الطالع (١٣٩/١ - ١٤٠) وقد ذكر طرفاً من قصة صالح المصري الخزرجي في العقود اللؤلؤية (٢٢٥/٢) في

حوادث سنة (٧٩٧هـ) ، وعبد الله الحبشي في الصوفية والفقهاء ص(١١٨) .

<sup>٢</sup> تاريخ الإرشاد ص(٧٩) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص(٨١) .

بتلك الرسائل إلى حد كبير، فأخذ يضطهد كل إرشادي قادم إلى حضرموت، وأسهم في ذلك والي دوعن عمر بن أحمد باصرة، أسهم في التعذيب؛ إرضاء لوزير الحكومة القعيطية) <sup>١</sup>. ولم يكتفوا بالتنكيل بالمتنمين إلى جمعية الإرشاد فحسب، بل تعدى الضرر والاضطهاد إلى أسرهم وأقربائهم للضغط عليهم وحملهم على إخراج أقاربهم من جمعية الإرشاد، وقد شرح ذلك الأستاذ البكري، وأوضح أن نائب السلطنة بدوعن، تولى ذلك، وأورد على ذلك دليلاً هو رسالة من أحد أقرباء عضو من أعضاء الإرشاد. هذا نصها:

(الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

إلى جناب الأكرم المكرم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد با مصفر سلمه الله تعالى آمين. وعليه مني السلام وأزكى التحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام. صدر المرقوم من قيدون، والعلم خير ولطف وعافية، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية.

قد سبقت إليك جملة كتب وفيها من الحقائق كفاية، وعرفناك أن نحن بغيناك تخرج من هذه الجمعية "جمعية الإرشاد"؛ الله الله لحيث المشقة ضاوية علينا، وقد وصّالنا المقدم، وبتينا إلى عنده، وأعطى لنا مهلة لما شهر شعبان، من خرج من هذه الجمعية يخبر الحبيب محمد بن أحمد الحضار ولعاد عليه شيء، ومن لا خرج بايوصي المقدم لأهله، وأنت بُصرك. الله الله في الجواب مطلوب وأما فينا فما تحتاج إلى وصاه والسلام.

حرر في ١٢ ربيع الثاني سنة: ١٣٣٨ هـ

طالب الدعاء

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٨٤).

محمد بن أحمد بامصفر)<sup>١</sup>

ولم يكف العلويون بذلك، بل ذهبوا إلى أبعد منه حيث وشوا إلى شريف مكة، وحذروه هؤلاء الإرشاديين، ووصفهم له بأنهم نواصب، يبغضون آل البيت، ولديهم أفكار سامية، يريدون منعهم من الحج والعمرة ودخول أراضي الحجاز؛ حرصاً على سلامة أهله وسائر الحجاج من انتقال عدوى هذه الأفكار إليهم؛ ومنعاً من أن يلتقي هؤلاء الخوارج بإخوانهم الذين على شاكلتهم، يعنون أتباع الدعوة النجدية، وقد أورد البكري نص الرسالة المتضمنة لذلك<sup>٢</sup>.

هذه بعض الأدلة على لجوء القبوريين إلى السلطان أياً كان هذا السلطان مسلماً أو كافراً، مادام أن الالتجاء إليه سيحقق لهم غرضاً.

وقد لفت نظري سقاف بن علي الكاف في مؤلفه "حضر موت عبر أربعة عشر قرناً". حين أرخ لهذه الحوادث، وقد حاول أن يضبط نفسه، وأن يقاوم مشاعره، فلم يتحمل تحاملاً ظاهراً على أصحاب الإرشاد، ولكنه أورد رسالتهم إلى وزارة الخارجية البريطانية ليومئ إلى القارئ أن هؤلاء القوم حملهم بغضهم لخصومهم وهواهم المتبع على أن يلجئوا إلى العدو الكافر، ويستعينوا به على خصومهم وقد نسي أن أصحابه قد فعلوا أكبر من ذلك وأكثر وليس فقط مع بريطانيا، بل مع بريطانيا وهولندا وغيرهما من دول المسلمين والكفار وأن بريطانيا استجابت لطلب العلويين وجارتهم على رغبتهم، وضايقت الإرشاديين في بعض مستعمراتها<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ الإرشاد ص(١٢١).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص(٨٢-٨٣).

<sup>٣</sup> قد يقول قائل: وأنت فعلت نفس الشيء، فذكرت ما صدر عن العلويين، ولم تذكر ما صدر عن الإرشاديين. قلت: لا سواء، فالكاف مؤرخ لحضرموت ومن المفترض أن يكون عادلاً منصفاً لكل أهل حضرموت، وأما أنا فقد حددت منهجي وهو الكلام عن الصوفية فقط ناقداً وكاشفاً عن حقيقتها، ولست مجرد مؤرخ ناقل للأحداث.

## **المطلب الثاني: اللجوء إلى القبائل وحملها على إخضاع خصومهم:**

تقدم بيان ما وصلت إليه الصوفية القبورية من سلطة ونفوذ على القبائل، والإشارة إلى أنها تستخدم ذلك النفوذ ضد كل من يخالفها، وتسخرها؛ لتهديد وأذية خصومها، وقبل أن نذكر تسخير الصوفية للقبائل في ضرب الخصوم الأبعد، نذكر قصة طريفة تؤدي الغرض، وتظهر مدى استخدامهم لذلك النفوذ والزج بالقبائل في فتن لا ناقة لهم فيها ولا جمل، قال محمد بن هاشم تحت عنوان "قضية التابوت" (الذي يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة، لا تعرف المرونة، ولا تجنح إلى المجاملة. وربما تغلب على القوم التعسف الأناني، والتعصب الأعمى الذي تنكره العقول، وتمجه الأذواق، وتقف الطباع السليمة حسرى دون شأوه. وقضية التابوت يستنتج منها ما ذكرناه، ويعلم منها مبلغ التخبط السياسي الذي تعانیه حضرموت في ذلك العهد وإليك ما قالوه عنها، قالوا: "وفي سنة ١١٦١ هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الحداد، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار". فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه. وأصاب رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى عينات حيث قضى نحبه. وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي، وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم قيل على رضى من آل همام ممزوج بخداع.

وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستجدوا بالشنافر وساروا على أحيائهم فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور. ثم تراجع الناس واجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة<sup>١</sup>.

ومما يظهر نفوذ أولئك الصوفية وتسخيرهم للقبائل ما قاموا به إزاء الحملة النجدية على حضرموت، والتي استهدفت وادي حضرموت من المشهد جنوباً غربياً إلى عينات في الشمال الشرقي، أو إلى قبر

<sup>١</sup> تاريخ الدولة الكثرية ص (١١٥-١١٦). وانظر: جواهر تاريخ الأحقاف (ج٢/٢١٨-٢١٩). تأليف العلامة محمد بن علي بن عوض باحنان، طبع مكتبة الفجالة الجديدة، القاهرة (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م).

هود شرق عينات، فبعد الكر والفر والأخذ والعطاء، وحينما همَّ النجديون بدخول وادي عمد والذي أول مُدنه مدينة حريضة، جمع آل العطاس قبائل تلك المنطقة وكونوا منهم جيشاً كبيراً تصدى للنجديين وكسروهم وذلك عندما بدأ الضعف يدبُّ فيهم بسبب هجوم محمد علي باشا على عاصمتهم الدرعية وقد فصل ذلك صاحب تاج الأعراس في عدة مواضع<sup>١</sup>، ومما قال وهو يتحدث عن القائد العام لجيش حضرموت علي ابن جعفر العطاس: (ومما أكرمه الله به من دقة النظر، فمن فطاته ودقة سياسته أنه جعل علي كل قبيلة من تعتده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره)<sup>٢</sup>، وكانت القبائل التي جمعها آل العطاس وقادوها بأنفسهم قبائل الجعدة قال: (ومما يجدر بالذكر هنا أن المقدم عمر بن علي باصليب المشجري لما بلغه الخبر بهجوم الوهابيين على بلد حريضة جاء إليها في ثلاثمائة رامي من قومه آل باصليب سكان حالة باصليب والمعقل بوادي عمد منجداً للسادة آل العطاس وقبائل الجعدة ففرحوا بهم ومنهم وشكر الحبيب علي بن جعفر المقدم باصليب وقومه . . الخ)<sup>٣</sup>.

وهذا نموذج آخر من استخدام القبائل للحفاظ على مصالح آل باعلوي وإلا فالجيش النجدي ما كان يريد إلا أن يطهر البلاد من أدران القبورية، وأن يصلح ما أفسده الصوفية والقبورية من عقائد الناس، وصاحب المصلحة الحقيقية في رده وصدده هم القبوريون أما سائر الأمة فكان من صالحهم أن ينتصر وأن يزيل مظاهر القبورية التي أفسدت عقائد الناس وأن يعلموهم دينهم كما حصل في المناطق التي استولوا عليها في كثير من أرجاء الجزيرة العربية كما قرر ذلك شيخ الإسلام الشوكاني في ترجمة

<sup>١</sup> انظر: (١٧٤ / ١) و (٢٣٠ - ٢٣١) و (٢٣٤ / ١)

<sup>٢</sup> تاج الأعراس ص (٢٣٣-٢٣٤).

<sup>٣</sup> المصدر السابق (١ / ٢٣٤).

"الشريف غالب بن مساعد" من البدر الطالع قال وهو يتكلم عن حروبه مع صاحب نجد "عبد العزيز بن سعود": (فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة. فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعده غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها، ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممثلاً لأوامره خارج عن الإسلام) <sup>١</sup>.

وقد أكد ما قلت عن الجيش النجدي العلامة ابن عبيد الله في مادة المحيضة من "إدام القوت" حيث قال: (ولم يفسد حرثاً ولا أهلك نسلًا، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي ابن سهل بدون مبرر من الدليل) <sup>٢</sup>. مع أن أهل حضرموت في تلك الفترة بأمس الحاجة إلى من يعلمهم أمر دينهم ويبصرهم بما هم عليه من أخطاء في العقائد والأعمال. فكان قيام تلك القبائل تضحية بمصالحها الحقيقية للحفاظ على مصالح ساداتهم، ولما لم يكن هناك مقاومة تذكر من علماء حضرموت تستحق التصدي القوي لها باستخدام القبائل لم أر شيئاً واضحاً في ذلك إلا في الصراع العلوي الإرشادي، فقد حاول آل باعلوي أن يستفيدوا من نفوذهم الروحي على قبائل يافع، فكاتبوهم

<sup>١</sup> البدر الطالع (٥/٢).

<sup>٢</sup> إدام القوت ص (١٢٢-١٢٣) الحلقة (٤٠) المنشور في مجلة العرب.

يخرضونهم على مواجهة الإرشاديين وقمعهم ولكن الأحوال قد تغيرت، والعقول قد تفتحت، والعقائد التي كانوا يعتقدونها فيهم قد ظهر زيفها، فلم يسعفهم ولم يستجيبوا لمطالبهم، بل سخرروا بها وإليك بعض رسائلهم إلى قبائل يافع لذلك الغرض:

**الرسالة الأولى:** من محمد بن أحمد الحضار إلى علي بن حسن بن نقيب اليافعي قال فيها: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله مهدي السلام الخاص من الشيخ المكرم والمحب المحترم علي بن حسن ابن نقيب وعلى من بقي له اتصال بالحبيب والشيخ مولى الكتيب<sup>١</sup> وأما من خرج عن دائرة أهل البيت فيأكله الكلب أو الذئب، وماله في الأمر من نصيب وكتاب الشيخ علي وصل وفرحنا به وزواج الأولاد صالح وصالح مبارك وقدوم إلى خير وبودنا أن نرسل واحداً من الأولاد ولكنهم معذورون وبالنسبة حاضرون، والسلام وسلموا على الخال طالب عوض وسمعنا بعزمه إلى الحج والزيارة وريح التجارة وفرحنا له، ومن الله على الجميع، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد أما أهل الفساد "يعني الإرشاديين" فلهم الإبعاد وأشد من بعد عاد والمولى بالمرصاد والشفيع سيد الرسل يوم الميعاد والتناد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وبلغنا أن الإمام "يحيى إمام اليمن" مجهز على يافع، ويافع لا يصلح الأمر ويظفي الجمر إلا الأخ محمد بن علي الحبيد لأن الإمام يكاتبه ويافع قد هم حقه<sup>٢</sup> أن بغيته يعزم أجمعوا على الذي يليق به من الخرج والفتح

<sup>١</sup> مولى الكتيب هو أبو بكر بن سالم صاحب عينات سمي مولى الكتيب لأنه عندما قربت وفاته حاول بعضهم أن يستخلفه فأبى وقال: (إذا ما لحقنا حد متأهل با نظرحة في كتيب عينات) فاشتهر الكتيب منذ ذلك الوقت وقالوا عنه أنه ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعدية) ... الخ، انظر: الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر ص (١١٧).

<sup>٢</sup> قوله: "قدم حقه" أي إنما هم حقه أي ملكه وهذه العبارة كثيراً ما يطلقها السادة على أتباعهم والمتعلقين بهم أنهم حقهم أو فقراؤهم أو عسكرهم وهكذا.



على يده، وخبر الإمام واجب الانتباه له - يعني إمام اليمن - لأن الأمر مهم جم جم، ومعه قصد - لعل الكاتب يقصد من سؤاله غزو حضرموت - لا يقدر أن يافع ولا غيرهم بمقاومته وهو هزم التركي ومعه دولة كبيرة والله يختار .

حرر في بندووسوفي ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨هـ

الداعي / محمد بن أحمد الحضار .<sup>١</sup>

**الرسالة الثانية:-** أيضاً من الحضار ذاته (الحمد لله ونسأله بالاسم الأعظم والحبيب الأكرم ﷺ ومحبهم يغنم نخص المحبين بني مالك لا يزالون ملوك الممالك مازال الكل في مسلك المصطفى سالك، والشيخ أبو بكر ضامن لهم بذلك وفوق ما هناك<sup>٢</sup> ونهدي السلام للجميع ونخص منهم الشيبان والشبان، جاء العزم إليكم بعد مولد ربيع الأول، والحذر شيء يدخل عليكم مما دخل على الكثير من أهل الزمان الذين استحوذ عليهم الشيطان وخرجهم من الأمان وسيخرجهم من الإيمان . بلغنا أنه وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنو النكير . وإن بلغنا دخول شيء المكان تركنا كليران (بومي أيو) والله المستعان .

محمد بن أحمد الحضار<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> تاريخ الإرشاد ص ( ١١٨ - ١١٩ ) .

<sup>٢</sup> انظر : هذه العبارة وقارنها بكلام دعائهم اليوم الذين يقولون إنهم موافقون لخصومهم بأن من أعتقد الضر والنفع لغير الله فهو مشرك فأبي نفع أعظم من هذه الضمانة باستمرار السلوك على سبيل النبي ﷺ .

<sup>٣</sup> تاريخ الإرشاد ص ( ١١٩ - ١٢٠ ) .

وقد علق الأستاذ البكري على هذه الرسائل فقال: (لم يستطع السيد المحضار الوقوف أمام تيار النهضة الفكرية ولم تؤثر رسائله في يافع فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا تهديداته ثمناً، بل كان الأمر بالعكس، كانوا يهزءون برسائله كل الهزء)<sup>١</sup>.

### المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم:

مرّ بنا الأذية الكبيرة التي قام بها إسماعيل الجبرتي وأعوانه ضد الذي كان ينكر عليهم في زبيد " صالح المصري " <sup>٢</sup>، وقد ذكر الشوكاني العجائب من ذلك مما يحاول القبورية والمنحرفون فعله بدعاة السنة كما في كتابه أدب الطلب سواء ما وقع للإمام محمد بن إسماعيل الأمير أو له شخصياً أو لغيرهما، وقد تناقل الناس ذلك في أنحاء اليمن في الجبال والتهائم وحضرموت وما بين ذلك ومما تناقلوه: الضرب ومحاولة القتل بالسلاح واستخدام السم ولكني في مثل هذه القضايا لا أعول على ما كان متداولاً بين الناس دون أن يكون مكتوباً وعليه فإني أقصر على ما ذكره صلاح البكري مما حدث ضد أصحاب الإرشاد بإندونيسيا . فقد قال تحت عنوان "محاولة اغتيال رائد النهضة الدينية ":

(حاول جماعة من آل باعلوي اغتيال الشيخ أحمد محمد السوركتي، وذلك بدس السم داخل فاكهة تسمى " بلمنبق " وكان الشيخ مولعاً بأكلها فابتاع منها كمية وأكلها وبعد لحظات شعر بمغص شديد وأخذ يئن من شدة الألم فاستدعى طبيباً، وبعد الفحص قرر الطبيب أنه مسموم، ولولم يسعفه الطبيب بالدواء لذهب الشيخ إلى رحمة ربه، وهكذا أراد الله تعالى للشيخ أن يعيش ليستمر في

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١٢٠ ) .

<sup>٢</sup> تقدم في هذا المبحث .

تأدية رسالة الإسلام . وفي مدينة بوقور هاجم جماعة من العلويين وأنصارهم الشيخ عبد العزيز الكويتي ضيف إندونيسيا ومؤيد الحركة الإرشادية الحرة وضربوه بالة حادة في رأسه ولكن عناية الله أحاطت به وأقذته من الموت .<sup>١</sup>

وهناك حادثة أخرى ذكرها ابن عبيد الله وهو يتحدث عن حاكم تريم، فيقول: (وكان ينكر بطبعه غلوا القبورين، فوافقه آراء الوهابية، وأكثر التعليق بوحيد عصره، وفريد دهره، مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة، الذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، المتوفى بتريم سنة ١٢٤٨هـ، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذه الناس بمقتضاها، فتأمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبر)<sup>٢</sup>.

وأما الإمام الشوكاني فقد طالت شكواه من الخصوم الجهلة والمتعصبة القبورية وغيرهم وذكر أنواعاً من الأذى الذي حاولوا أن يلحقوه به وبغيره من دعاة السنة والتوحيد، فقال - رحمه الله -: (ومن عجيب ما أشرحه لك أنه كان في درس الجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السمع جماعة، ويحضره من عامة الناس جمع جم لقصد الاستفادة بالحضور، فسمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا يخالفه أحد وله تعلق بأمر الأجناد، فحمله ذلك على أن استدعى رجلاً من المساعدين له في مذهبه فنصب له كرسيّاً في مسجد من مساجد صنعاء، بمكان يسرج له الشمع الكثير في ذلك المسجد حتى يصير عجباً من العجب فتسامع به الناس وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى

<sup>١</sup> تاريخ الإرشاد ص (١٣٥) .

<sup>٢</sup> إدام القوت ص (١٢٢). الحلقة (٤٠) من مجلة العرب .

ما لا عهد به، والرجل الذي على الكرسي يملئ عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة صانهم الله، ثم لم يكنف ذلك الوزير بذلك حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليّ لقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة ودخلوا الجامع على هيئة منكرة وشاهدتهم عند وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معارفي إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله وتوكلت عليه، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لما شاهد وصول أولئك الأجناد، ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب ويقعقعون بالسلاح ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم أن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه في هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم. وحاصل ما في تلك الرسائل إنني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الحشنة والأكاذيب الملفقة. ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمتنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة فرأيتة يقول فيها مخاطباً لإمام العصر: إن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكسون منزلي ويهجمون مسكني، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لديّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت الكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس، وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه

فشَرَدَه أمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف  
الدينئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة، ولا يظلم ربك أحداً<sup>١</sup>.

### المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة:

هذا مسلك لأهل الباطل قديم، فأعداء الرسل قد استخدموه وقريش قد أكثرت منه لتشويه صورة  
النبي ﷺ فقالت " ساحر " و"شاعر " و" مجنون " و: كذاب " و﴿إنما يعلمه بشر﴾ الخ تلك الألقاب  
الكاذبة والإشاعات المغرضة المضللة، وما زال ذلك شأنهم مع العلماء القائمين مقام النبي ﷺ والوارثين  
له، وهو نفسه يتكرر مع علماء اليمن ودعاته كلما واجهوا جهالاً ومنحرفي قومهم في سائر أنحاء  
اليمن، فائمة التجديد قد عانوا أشد المعاناة من ذلك المسلك الظالم لدى خصومهم، وعبروا عنه  
بأساليب مختلفة، يقول العلامة الإمام محمد بن إبراهيم الوزير حاكياً ما لقيه من متعصبة عصره: (وإني  
لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريقة العتيقة، تناولتني الألسنة البذيئة من أعداء  
السنة النبوية، ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة، وأمور غير ذلك كثيرة حرصاً على الأئمة ما  
دعوت إليه من العمل بسنة سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والسلف الصالحين، فصبرت على الأذى  
وعلمت أن الناس مازالوا هكذا:

<sup>١</sup> أدب الطلب ص ( ٣٢-٣٣ ) للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء .

<sup>٢</sup> النحل ( ١٠٣ ) .

ما سلم الله من برته ولا نبي الهدى فكيف أنا<sup>١</sup>

ثم جاء دور المقبل ولقي من الأذى ما لقي حتى أنه حين قال بيته المشهور:

قَبَّحَ الإلهُ مفرقاً بين الصحابة والقراة

أجابه أحد غلاة الزيدية فقال:

أطرق كرا يامقبلي فلأنت أحقر من ذبابة

وقال الآخر:

المقبلي ناصبي أعمى الشقا بصره

فرق ما بين النبي وأخيه حيدر

لا تعجبوا من بغضه للعترة المطهرة

فأمه معرفة لكن أبوه نكره<sup>٢</sup>

والبيت الأول فيه وقاحة وخسة، والأبيات الأخرى فيها قذف له ولأمه. وقد أعرب الإمام العلامة  
مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل عن ذلك وشكى منه أمر الشكوى قال في قصيدته النجدية:

وأقبح من كل ابتدأ سمعته وأنكاه للقلوب الموفق للرشد

مذاهب من رام الخلاف لبعضها بعض بأنياب الأسود والأسد

(٥) يصب عليه سوط ذم وغيبة ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد

ويعزى إليه كل ما لا يقوله لتقيصه عند التهامي والنجدي

فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد

وليس له ذنب سوى أنه غدا يتابع قول الله في الحل والعقد

<sup>١</sup> من مقال مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم للقاضي إِسْمَاعِيل الأكوغ ( ٢٢-٢١/١ ) .

<sup>٢</sup> هجر العلم ( ٢٧١/١ ) .

ويتبع أقوال النبي محمد وهل غيره بالله في الشرع من يهدي

لئن عدّه الجهال ذنباً فحبذا به حبذا يوم انفرادي في الحديد

وأما الشوكاني فقد جمع إلى همه هموم المتقدمين عليه، وشكى مما أصابه وأصابهم وحل به وبهم، وهو لاشك أصدق تعبيراً فالنايحة الثكلى ليست كالمستأجرة، وقد تقدم كلامه في المطلب الثالث

فأرجع إليه

وعندما نشب الخلاف بين العلويين وأصحاب الإرشاد في إندونيسيا تفنن العلويون في تشويه سمعتهم وإطلاق الألقاب المنفرة عليهم فكان مما أطلقوا عليهم من ألقاب: (أنهم وهابيون، ونصاري، وأنهم يعملون ضد مصالح هولندا وإنجلترا والقيطي والكثيري، وأنهم خوارج يبغضون أهل البيت) .<sup>١</sup>

وهذه عبارة مقطوعة من رسالة محمد بن أحمد الحضار إلى يافع في منطقة "يومي أبو" في إندونيسيا يقول أثناءها عن أحد الإرشاديين: (وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنوا النكير) .<sup>٢</sup> وقد وصفوهم في رسالتهم إلى شريف مكة بما يلي: (وينهون إلى مقامكم السامي أنها نجمت من مدة قريبة من الخوارج في هذه البلاد، عقيدتها بغض أهل البيت الطاهر وتحقير النبي ﷺ وبث الدسائس وإيقاد الفتن، ولهم من النشرات الجمّة ما يبين خبيث قصدهم)؛ هذه شذرات مما صدر عن القوم من تشويه وطعن لخصومهم.

<sup>١</sup> ديوان الأمير الصنعاني ص (١٦٧) طبع منشورات المدينة الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م).

<sup>٢</sup> الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ص (١٥٢).

<sup>٣</sup> تاريخ الإرشاد ص (١٢٠).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٨٢).





## المبحث الثالث

### الردود الواردة على القبور في كتب الفنون المختلفة

وفيه أربعة مطالب:

#### المطلب الأول: الردود على القبور في كتب التاريخ:

إن جميع من له إدراك وفهم - ولو كان بسيطاً - يدرك بسهولة ضلالات القبورية وانحرافاتهما، وقد تناثر نقد العلماء ورددهم على تلك الضلالات والانحرافات في ثنايا ما كتبوا من شتى الفنون، وأتقل إليك جملة مما ظفرت به من كلامهم:

فمن المؤرخين القاضي العلامة محمد بن علي الأكوخ رحمه الله يقول في مقدمة السلوك للجندي منتقداً عليه شدة ولوعه بتتبع الكرامات والزيارات وما يقال عن المقابر وما لها من فضائل: (ومؤرخنا رحمه الله ولوع بشدة وبشكل جدي وكبير بذكر كرامات الأولياء والمنامات والمرائي الخلابة التي هي أغرب من الخيال وتلحق بقسم المستحيل ومجديث خرافة.

وكان يصدر أحكامه بتلك الكرامات عن عقيدة راسخة لاتقبل الجدل والمناقشة وعن نفس مؤمنة بذلك خصوصاً إذا تلقاها عن الثقات فإنها تصير عنده من القطعيات.

والحق أن أكثرها بالخرافات أشبه ومجرق العادات اعلق، وبالبله السذج الصق، لأن البعض منها يخرجها عن حد المعقول إلى حيز المحال والتجديف، على أنا لانحني باللائمة على مؤرخنا الجندي الذي انساق وراء هذه العاطفة الروحانية الزائفة لأن الوسط الذي كان يعيش فيه الجندي كان ملغماً

بهذه الخرافات، ومنغمساً في هذا الجو القدسي في نظرهم كما سبقه إلى هذا غيره، وسير الأئمة وغيرهم مليئة بهذه الحكايات.

### خدعة الملوك:

وما يستغرب أن الملوك والرؤساء انجرفوا وراء هذه الظاهرة ومع السواد الأعظم وفي هذا المسار كما يحكي لنا الجندي في بعدة مواقف عن ملوك عصره ومن قبلهم.

وأعتقد جازماً أن انسياق الملوك والرؤساء وراء هذه الروحانية الزائفة "خدعة سياسية" لا تمت إلى عقيدتهم بصلة، كيف لا وبعض الملوك مهزوز العقيدة مضطرب في الإلهيات. وإنما يقصدون من وراء ذلك تضليل العامة وجعلهم في متاهة الجهالات وحتى يتعدوا عن تتبع مساوئ الحكام والبحث عن كبائر جرائمهم وقد يكون البعض منهم صادقاً في ذلك والله من وراء العلم.

ويبدو أن هذه الظاهرة وهذه البلوى عمت جميع الأقطار الإسلامية، وما السيد البدوي والدسوقي والسيدة زينب وأضرابهم في القطر المصري والشيخ عبدالقادر الجيلاني والبسطامي وغيرهم في بغداد والنابلسي وابن عربي بالشام وقل في المغرب العربي وإفريقية المسلمة وإيران وغير ذلك إلا من هذا القبيل.

أما كرامة أولياء بلادنا اليمن الأعلى فهم الأولياء المسلحون الذين يحملون السيف والرمح ويحادلون على الإمامة ويقاتلون دونها، وذلك مثل الإمام الهادي والإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين وسيل الليل أحمد حسن وغيرهم، والعجب أن تخرج من ثنايا هذا الصراع الدموي كرامات وعجائب وغرائب. وتعليل هذه الظاهرة والموجه العارمة التي نزلت في بلاد الإسلام، هو ابتعاد المسلمين عن روح الدين الحنيف الصحيح الذي جاء عن محمد بن عبدالله ﷺ وأتباعه السلف الصالح من

الصحابة والتابعين، وما أدخله أعداء الإسلام من الشوائب والبدع التي صدأت جوهره الصافي النقي وولدت مثل هذه القضايا وكانت سبباً لتأخر المسلمين كما قيل .

وصدق رسول الله ﷺ ((لتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلموه))<sup>١</sup> هذا وليس هنا بسط القول عن هذه المسألة، فمن شاء معرفة ذلك فعليه بكتب ابن تيمية وكتب تلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، وفي كتاب الله جل شأنه ما فيه مقنع، وحسبنا ذلك)<sup>٢</sup> . وهكذا نرى هذا العلامة المؤرخ ينتقد هذه الظواهر، ويحللها، ويبين موقف الحكام منها، ويربط بين تبنينهم لها وسياسة الملك التي يعملون على تشبيتها وأنهم ما جاروا القبورية إلا للاستفادة منهم في ذلك .

المؤرخ الثاني: القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوخ وهو أخو القاضي محمد وقد تعرض للقبورية في عدة مواضع من كتابه "هجر العلم" منها ما في بيت الفقيه في ترجمة "أحمد بن موسى بن العجيل" حيث قال في معرض الترجمة: (وكان على قبره تابوت وقبة أزالهما الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين سنة ١٣٤٨هـ حينما كان ولياً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق -التي كانت تعرف من قبل بالمعازبة - لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها، ودخولها تحت حكمه. كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يفرس من ناحية جبل حبشي سنة ١٣٦٢هـ لاعتقاد جهلة العامة في صاحبي القبرين الضر والنفع، وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعاً في كلتا الحالين ولو أن يده امتدت إلى سائر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولاسيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير

<sup>١</sup> تقدم تخرجه ص ( ) .

<sup>٢</sup> مقدمة السلوك للجندي ( ١ / ٢٧-٢٨ )

والبركة، ويرجون منها النفع، ودفع الضر والشر<sup>١</sup>، ثم ذكر كلام الشوكاني في وصف قبة الإمام "أحمد بن الحسين" نقلاً عن الدر النضيد وتقدم ذلك النقل<sup>٢</sup>، ثم ذكر رسالتين مهمتين لإمامين من أئمة الزيدية بأمران فيهما ببناء مشاهد على قبور بعض المقربين إليهما ثم قال حفظه الله: (وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركة امتثالاً لأمر الرسول ﷺ لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بهدم القبور، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: " قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام ألا أبعثك علي ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"<sup>٣</sup>. وأفضل التشيع بالإمام علي رضي الله عنه الاقتداء به، والعمل بسيرته التي هي مقتبسة من سيرة المشرع العظيم رسول الرحمة ﷺ إذ لا يكفي المحبة باللسان والمخالفة في العمل<sup>٤</sup>.

وفي ذي الجنان "قرية أحمد بن علوان" قال في ترجمة ابن علوان: (وقد فتن به العامة في عهده وبعد وفاته وحتى اليوم فقبوره مقصود للزيارة وكنت أعتقد أن افتتان الناس به إنما حدث بعد وفاته)، وبعد أن ذكر موضوعاً عن الزبيري وقصيدة له فيهدم قبر ابن علوان وستأتي إن شاء الله في موضعها ثم قال: (ولكن الأخ القاضي فضل بن علي الأرياني أطلعني على قصيدة لأحمد بن علوان تدل على أنه كان يدعي لنفسه أموراً خارقة للعادات، نذكرها هنا، ونذكر كذلك جواب الفقيه علي المقصري السرددي عليها ومن يطلع عليهما لا بد أن يحكم عليه بأنه كان يزعم لنفسه كرامات أخص بها وأن

<sup>١</sup> هجر العلم (٢٢٢/١-٢٢٣).

<sup>٢</sup> انظر: ص ( ) .

<sup>٣</sup> تقدم تخريج الحديث ص ( ) .

<sup>٤</sup> هجر العلم (٢٢٥/١).

<sup>٥</sup> المصدر السابق (٧٥٠/٢).

أُتبع طريقته قد فتنوا به في حياته . نَسأل الله الهداية والتوفيق إلى اتباع أحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ على الوجه الذي يرضاه<sup>١</sup> . وهذا كله يدل على توجه الرجل وحرصه على سلامة العقيدة ومقته للقبورية والقبورين .

المؤرخ الثالث: الأستاذ صلاح البكري وهو من مؤرخي حضرموت المنتمين إلى جمعية الإرشاد بإندونيسيا وقد عنون في كتابه "تاريخ حضرموت السياسي" هذا العنوان " الخرافات " عدد تحتة الكثير من تلك الخرافات المتعلقة بالقبور وبالاعتقاد بالجن وتقديم ما يدفع شرهم من ذبائح أو كسر بيض على باب الدار لئلا يحتلها الجن وأبان من يقف وراء تلك الخرافات، ولا أطيل فهذا نص كلامه: (ولقد ابنتى بعض العلويين قباباً كثيرة لبعض موتاهم رحمهم الله، ووضعوا على أجدانهم التوابيت، ودعوا الناس لزيارتها، والتبرك بها، والتوسل إليها لقضاء الحاجات واستنزال البركات، وقد يوجد في القبة خزانة " تيجحه " في داخلها إناءان: أحدهما للنقود والآخر للزيت الذي يقدمه المريض لطلب الشفاء، وأقرباء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرابين والندور، وقد يبلغ بعض المرضى في الضلال فيأكلون قليلاً من تراب ذلك القبر لطلب الشفاء، وإني لأذكر أنني حينما كنت في حضرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سن الرشد أصبت بحمى، فذهبت إلى قبة المرحوم عمر بن محمد الهدار العلوي الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصر، وأكلت قليلاً من تراب قبره ' وقبلت تابوته، وتوسلت إليه ليذهب الآلام، ويعيد إلي صحتي كاملة غير منقوصة، ووضعت في الخزانة أوقية وربعاً، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد، ومن حسن حظي أنني في اليوم الثاني شفيت من مرضي، ولكن من سوء حظي أن ازداد اعتقادي في الهدار واعتمادي عليه من دون الله، فذهبت في الحال إلى السوق

<sup>١</sup> هجر العلم ( ٧٥١/٢ ) .

وابتعت رطلاً من زيت السمسم، ثم ذهبت إلى قبة الهدار، ووهبت له الزيت في الخزانة، وهكذا ذكرت صاحب القبة في السراء والضراء خفية وجهرة، وهو لا ينفعي بشيء، ولم أذكر الله عز وجل، الذي هو أقرب إلي من حبل الوريد، ويده كل شيء.

ويوجد في الروحانيين وبوجه أخص في العلويين من يصنع التائم والعزائم للمرضى وغيرهم من طلاب الحاجات، ويبالغ بعض الدجالين من أصحاب السلطة الروحية فيسقتون المريض ماءً ممزوجاً ببزاقهم للشفاء، ويتجرع هذا المريض " المغفل " ذلك البزاق القذر، وهو مسرور كل السرور متوهماً أن الشفاء آت لا ريب فيه.

وهناك كتب ألفت ورسائل دونت كان لها أثرها السيء في عقلية الشعب، وتسميم أفكاره، وإفساد عقيدته، وفي مقدمة هذه الكتب " المشرع الروي " لصاحبه الشيخ محمد بن أبي بكر الشلي المشحون بالكهريات والخزعبلات، ثم كتاب: " الجواهر الشفاف " وغيرهما.

ويقسم كثير من الناس بالأضرحة ويخافونها إذا حنثوا في أيمانهم أكثر مما يخافون الله، فقد يطلب المشتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوة الانتقام إذا كان المقسم حائثاً، وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي:

الاسم	المكان	الاسم	المكان
أحمد بن زين الحبشي العلوي	حوطة أحمد بن زين	الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي	عينات
عبدالله العيدروس العلوي	تريم	سعيد بن عيسى العمودي	قيدون
عمر بن محمد الهدار العلوي	حوطة أحمد ناصر	معروف باجمال	بضة
علي بن حسن العطاس العلوي	المشهد	عيدروس بن عمر الجيشي العلوي	الغرفة
حسن بن صالح البحر العلوي	ذبي أصبح	عمر المحضار العلوي	تريم

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهاجره في جاوة أوفي غيرها، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ويقطع جزءاً صغيراً من ثوبه، ويربطه باللعب، ويقذف به في الحائط، ولا تمضي سنة إلا وقد نال مطلوبة ولذلك تظهر الحيطان في بعض القباب كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان.

وبعض المرضى وبالأخص إذا كان صغيراً يُطاف حوله حَمَل مراراً، ثم يقطع جزءاً من أذنه ويعلقه في ذراع المريض، ويذبح ذلك الحمل ويوزع لحمه على الجيران بعد أن يأخذ الدجال الذي أشار لهم بتلك

العملية جزءاً كبيراً منه . وأول ما عمله الشخص الذي يريد أن يبني بيتاً أن يدق أربعة أوتاد في البقعة التي سيبنى فيها المنزل لطرد عين السوء، وذلك بعد أن أخذ رأي أحد الروحانيين، وعندما يتم بناء البيت يذبح حملاً على عتبه كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأول مرة في البحر بكسر زجاجة خمر، وفي بعض أجزاء حضرموت يذبح صاحب البيت شاة، ويأخذ من دمها بيده ويخضب الباب . وبعضهم في أثناء عملية البناء ويأكل البناؤون لحمها، ويريقون دمها على الحيطان، وعندما يدخل صاحب البيت لأول مرة يكسر بيضتين على عتبة الدار، وأخرين على الدرج، وأخرين عند الطابق العلوي<sup>١</sup>

والمؤرخ الرابع: الذي نستشهد ببعض كلامه هو الأستاذ كرامه سليمان بامؤمن صاحب كتاب "الفكر والمجتمع في حضرموت" وهو كتاب حديث تناول موضوعاً مهماً جداً وجانباً حساساً من جوانب الحياة في حضرموت، هو جانب الفكر مرتبطاً بالمجتمع، وقد كشف أسراراً وأبان مخبات لم يرق للبعض ظهورها ولذلك فالكتاب ومؤلفه مستهدفان بالتشهير وهذا أقل ما يمكن أن أقوله، وإلا فيمكن أن يكون أكثر من التشهير، وإليك نموذجاً واحداً من الصق ما احتوى عليه الكتاب بموضوعنا "القبورية" قال - حفظه الله - تحت عنوان "نقد الفكر الصوفي ماله وما عليه": (الإنسان كما أشرنا سابقاً مكون من جسم وروح لايفترقان إلا عند الموت. والتوازن بين نشاطهما هو مادعا إليه الإسلام. والتصوف جنوح نحو نشاط الروح مقتبساً فلسفته من ثقافات الأمم السابقة للإسلام، خاصة الثقافة المسيحية التي سنت الرهينة والتنسك والحلوة في الكهوف والأديرة، وترك طيبات الحياة المباحة كعدم الزواج عند الرهبان والراهبات قال الله تعالى: ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت السياسي (١١٩-١٢١) .



ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴿الحديد: ٢٧﴾، والاعتدال في التصوف قولاً وعملاً والالتزام بالكتاب والسنة دون تأويل ومغالة لا يخرج المتصوف عن عقيدته التوحيدية وشريعته الإسلامية. وكم من هؤلاء الصوفية المستقيمين قد عرفهم العالم الإسلامي واليمن وحضرموت. وقد وقفوا في وجه الغلو والانحراف الصوفي واستنكروا ما صدر من المغالين من شذوذ وانحراف ومحدور قولاً وعملاً. ومما يعقد مشكلة التصوف الضعف البشري أمام حالات مذهلة تترامى للمتصوفة فتفقدهم توازنهم ولا يثبت إلا الراسخون في العلم والعقيدة. ولا سيما أن كثيراً من مثل هذه الأحوال وخوارق العادات تحصل للبر والفاجر وللمسلم وغير المسلم. ناهيك عن أن للشيطان أحابيله لغواية الإنسان كما أن للعلم والسحر دورهما في كثير مما يصوره بعض الصوفية أنه كرامات كما تستغل الصدق والفراسة للإدعاء بالكرامات. ولا تقتصر الخطورة في غلو الصوفية وانحرافاتهم وشذوذهم، عليهم أنفسهم فحسب فهذه أمرها سهل ومحصور. وإنما الخطر كل الخطر في التأثير على الناس والمجتمع وخاصة على العوام والسذج لأنهم أكثر فئات المجتمع تأثراً وانصياعاً لمؤثرات الفكر الصوفي المنحرف. ويجب أن ننظر إلى المتصوف وأحواله حالة خاصة به وحده. أما أن يجعل من أحواله وتصرفاته منهاجاً يقتدى بها - وأماناً كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى أصحاب رسول الله والتابعين ومن اهتدى بهديهم - فهذا مما يجب أن لا يكون ولا يصح إطلاقاً أن نجزيء القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح إلى ظاهر للعامة وباطن للخاصة يؤلون معاني ألفاظ القرآن الكريم كما نزلت من عند الله على رسول الله ﷺ، وألفاظ السنة كما تحدث بها الرسول ﷺ لعامة المسلمين ويطلقون عليها علوم الشريعة وفي تقديرنا إن أخطر وأوسع ثغرة فكرية تهدد ببيان الإسلام وتشوه عقيدة المسلم هو هذا المدخل في تجزئة القرآن الكريم والسنة إلى ظاهر وباطن وإلى

شريعة وحقيقة. ولا تقف الخطورة عند تجزئة الإسلام إلى منهاجين وعلمين أحدهما للخاصة والآخر للعامة، بل تعداها إلى تقسيم المجتمع الإسلامي إلى طبقتين أو فئتين اجتماعيتين هما فئة التعالي وهي فئة الخاصة المحدودة في المجتمع وفئة الأتباع- وهي فئة العامة العريضة في المجتمع -، ويتمادى التمييز الاجتماعي في غيه عندما تكون فئة الخاصة هي المدبرة والمسيرة لحياة ومعاش وسعادة فئة العامة من خلال سلطتها الروحية المطلقة التي يمثلها الديوان المصري وجهازه التنفيذي الهرمي اللذان تطرقنا إليه فيما سبق.

وإذا رجعنا إلى آداب وتراث الفكر الصوفي الحضرمي؛ نجد مليئاً بمجالات التصرف المطلق من قبل الأقطاب والأولياء والأحياء والأموات في حياة الناس من شفاء الأمراض، ورزق الأطفال، وغفران الذنوب، ورد الكوارث، وتأديب المتطاولين، وقتلهم أحياناً بالقدرة، واستئناف حياة الأموات من جديد واللقاء بالأحياء. يقول السيد علي بن حسن العطاس (من قام لله بالقدرة كلامه يتم). وهناك من يقول تأكيداً لمقولة العطاس هذه: (إن بعضهم كان يكلم الصوفي الشهير بدوعن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بعد موته ويشاوره). في أموره. كما يروي البعض الآخر أنه كان يخاطب الفقيه المقدم أمام قبره بل ويخرج الفقيه المقدم من قبره ليتناول مع زائرته القهوة، ويتبادل أطراف الحديث.

إن عودة الروح مسألة قديمة وكان فراعنة مصر يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد بعد الموت. ولهذا كانوا يهيئون مدافنهم كالأهرامات كل ما سيحتاجه الميت من أدوات ومأكولات وغيرها. ينما يروي لنا الرسول ﷺ أن روح المؤمن بعد وفاته تُعلّق على شجر الجنة ولا تعود إلى الجسد إلا عند البعث. وفي الواقع إن كيفية حياة الإنسان بين الموت والبعث وعلاقة الروح بالجسد وعذاب القبر ونعيمه،

<sup>1</sup> الصحيح " تعلق في " والمعنى أنها تأكل .

وتلاقي الأرواح هي من الغيبيات، ونكتفي بالتسليم بما جاء نصه في القرآن والحديث ولا نزيد .  
ويعلمنا الرسول ﷺ أيضاً أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ورثه لعلماء ينفعون به  
الناس، وصدقة جارية تصدق بها قبل مماته، وابن صالح يدعو في حياته لأبيه الميت . إن التطرف في  
تمجيد الأولياء والأقطاب يؤذي الأولياء أنفسهم ويخرجهم عن بشريتهم . وقد تبرأ الرسول ﷺ من الغلو  
في الدين . أو طلب شيء منه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ قل إنما أنا  
بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ [الكهف - ١١٠] .<sup>١</sup>

وتقد المؤرخين لهذه العقائد والأعمال ليس مختصاً بمؤرخي أهل السنة والمعارضين للقبورية، ولكن  
بعض المؤرخين المحسوبين على القبوريين هم كذلك ينقدون هذه الأمور ويحذرون منها، وقد تقدم كلام  
المؤرخ العلوي علوي بن طاهر الحداد في مباحث الزيارات القبورية وقد كان شديد الانتقاد لهم  
مصرحاً بأن بعض تلك العقائد والأعمال هي كفر بالله تعالى فارجع إلى هناك .<sup>٢</sup>

### المطلب الثاني الردود على القبورية التي جاءت على أسنة الشعراء:

وهذا الباب واسع جداً فقد تفنن الشعراء في الرد على القبورية من جوانبها المختلفة، فمن ناقد  
لبعض العقائد، ومن ناقد لبعض البدع والأعمال كالسماع ونحوه، ومنهم من ينتقد المتظاهرين بالولاية  
ممن هم في الحقيقة من المحتالين على خلق الله، ومنهم من يصف القبور المعظمة وما يفعل عندها من  
مناكر وضلالات، وهذه بعض تلك القصائد:

<sup>١</sup> الفكر والمجتمع ( ٢٢٨ - ٢٣٠ ) .

<sup>٢</sup> ص ( ) .

وأبدأ بشاعر من شعراء حضرموت وكبير من كبرائها العلامة الشاعر الصوفي المتشيع أبو بكر بن شهاب الدين العلوي المتوفى سنة (١٣٤١هـ)، وله قصيدتان الأولى في كشف مخاريق من يدعي الولاية ويتظاهر بمظاهرها ويتمص لباسها، ثم من وراء ذلك يختل الغافلين ويصطاد أموال الجاهلين، بل ويتعدى الأمر إلى النساء وما يفعل تجاههن باسم الدين والولاية.

قال جامع ديوانه (وقال نفع الله به في وصف دجاجلة المتصوفة بزماننا:

هل للفرائب من حكيم عاقل	أو عالم يقضي بحكم فاصل
أمن الذئاب المعط صنف ناطق	في صورة البشر السوي الكامل
أقول: كلا والعيان مكذبي	كلا بل المفتي أسير السائل
معط الذئاب الناطقات هم الألى	جعلوا التصوف صنعة للداجل
فترسموا برسومه كي يحسبوا	صوفية مثل الفضيل الفاضل
يضعون للتمويه والتغريب في	مشكاة نور الحق نار الباطل
لبسو العبايا والمسايح والحبى	والطيلسان يدار فوق الكاهل
والمظهرين البر والتقوى وإد	مان التنسك خدعة للجاهل <sup>١</sup>
وإذا خلوا عكفوا على شهواتهم	من لاعب أو شارب أو آكل
هجرُوا كتاب الله واستغنوا بأد	حان السماع ورقصه المتداول
زعماً بأن الطار والمزمار والـ	أوتار تنعش كل قلب ذاهل
أقوم دين الله بالسفهاء من	ذي مزهر أو زامر أو طابل

<sup>١</sup> في الأصل للجافل .

بَسَّ الطوائف لا مرام لهم ولا  
ولهم حباثل لا اجتلاب المال لم  
ويطوف أطراف البلاد دعائهم  
ممن يبيع ولا يبالي دينه  
في كل واد لا تطيش سهامهم  
ويذبح كل ما افتري من نعت شيء  
من صومه وصلاته وقيامه  
يروون عنه خوارقاً للرسل ما  
ولأجل نفي الريب مهما حدثوا  
وهناك الأستاذ يجهد فكره  
يترقب الفرص التي فيها قطيع  
يثني على أهل الثراء مصوباً  
زيدٌ ربيعٌ ندى وعمروٌ في مقاه  
ويشير رمزاً في الحديث بأن ما  
حتى إذا اعتقدوا علو مقامه  
غمروه جوداً واستزاروه التما  
ولمسحه رأس الصغير ووضعوه

مرمى سوى جمع الحطام الزائل  
تدرك غوائلها لغير الفاتل  
ودهاتهم من كل صل صائل  
بيع المزاد ولو بشاة شائل  
مع كل حاف يخفدون وناعل  
خهم الغوي ولو خرافة هازل  
جنح الظلام وزهده في العاجل  
وقعت ولا اتفقت لساحر بابل  
حلفوا لسامع إفكهم والقابل  
في سلب ثروة كل غر غافل  
مع الصيد يبدو مكثباً للنابل  
أفعالهم مستدرجاً للفاعل  
م كذا وبكرٌ في الرعيل الواصل  
يحكيه من إلهام غيب نازل  
ومشت عليهم حيلة المتحائل  
سأً للتبرك في المقر العائلي  
يده الكريمة فوق بطن الحامل

ومتى تحكّم مصلحاً في حالة  
وتراه يصدع بالمواعظ خاطباً  
يملي زخارف زوره متأوهاً  
طوراً يرغب في الثواب وتارة  
وإذا رأى في الجمع من أكياسه  
أوحى إلى أحد الشياطين الألى  
فيقول: يامسكين زر شيخ الشيد  
وإذا أتى ألفاه في الحراب في  
ويقال بعد الانتظار هنيهةً:  
ولك البشارة إن رزقت ولاءه  
فإذا تقدم قال شيخ السوء أه  
إني لرؤيتك ابتهجت ولست أد  
فلعل في لوح السوابق بيننا  
ولعل حالك في أمور الدين والد  
إن كنت محتاجاً فخذ ما تبغي  
لا تخش إملاقاً عليّ ولا علي  
أعلمت أني بعد ختم وظيفتي  
فرايته صلى عليه الله مبـ

جعل البخيل فريسة للباذل  
في القوم بهرة كل جمع حافل  
متباكياً ليرق قلب الناكل  
أخرى يندد باللئيم الباخل  
ملاهي من التبر الوفير الطائل  
منهم تعوذ كل غول غائل  
وخ تنل به أقصى أمانني الآمل  
جد وشغل بالعبادة شاغل  
أدخل فأنت اليوم أسعد داخل  
بالانتشال من الحضيض السافل  
ملا يابني ومرحباً بالواصل  
ري سر هذا الابتهاج الحاصل  
سر اتصال بالأواصر واغل  
نيا على دعة ولطف شامل  
تقوى به وتقيم ميل المائل  
لك فنحن في كنف الرسول الكافل  
سحراً أعرتني غفوة المتناقل  
تسماً يقول وكان أصدق قائل

أبشر فانت وتابعوك بدمتي  
نب عن نبيك في مواساة العفا  
جد بالنوافل ما استطعت على اليتا  
خذ ما تشاء من امرى سبقت له ال  
وأنا الضمين لمن يعينك بالغنى  
فيصدق المسكين كاذب قصة  
فيشاطر الأستاذ خالص تبره  
ولكم لهم في السر غامض حيلة  
ولهم من الجنس اللطيف لطائف  
لكن على الأزواج عار المرسلا  
هذي طرائقهم وهذا شأنهم  
أفهيكذا كانت طريق مشايخ ال  
كالتستري وكالسري والكالجني  
كلا وحاشى بل هم عمد الهدى  
الزاهدون المتقون العارفون  
وهم البراء من الألى كذبوا على  
فإليك ربي المشتكى وبك العيا  
واسمح بإرشاد الجميع إلى طريق

ورعايتي لمقيمكم والراحل  
ة المعوزين وفي عظة الجاهل  
مى والأيامى والفقير العائل  
حسنى ولم يعبأ بعذل العاذل  
طول الحياة وفي الجنان محاللي  
ممزوجة بزعاف سم قاتل  
لسداد ذي عوز ورفد أرامل  
إبليس لم يطعم لها بمماثل  
أبت المرووة شرحها للناقل  
ت فهم أشد بلادة من باقل  
تعمساً لهم من خائن ومخاتل  
إسلام أرباب السلوك العادل  
مد الخبر والشبلي أو كالشاذلي  
وسحائب الفيض العميم الهاطل  
بربهم من كل بر عامل  
حضراتهم وخصومهم في الآجل  
ذ من انتقامك والعذاب الهائل  
ق الحق واصفح عن خطايا الخاطل

والمرتضى تعداد طش الوايل

وتعش بالرحمات روح المصطفى

وبنيهما مدد الوجود شامل

ضاعف صلاتك والسلام عليهما

ش الشرك واندرست رسوم الباطل

والصحب من بسيوفهم ثلت عرو

وأنا عبد في العتيم الحائل<sup>١</sup>

ما تاب ذو خطأ وآب مفرط

وهذه القصيدة تجسد حال الكثير ممن يدعي الولاية على امتداد الأرض اليمنية، بل على امتداد البلاد الإسلامية وللأسف الشديد، وهؤلاء لاشك يخرجون من تحت عباءة المتصوفة والشيعة القبورية.

وهناك قصيدة أخرى لهذا الشاعر في نفس المعنى أضيفها هنا .

قال جامع ديوانه: (وقال نفع الله به:

العلم والمجد رضيعا لبان والجهل يرمي ربه بالهوان

لا يدعي العلم امرؤ جاهل يخاف أن يفضحه الامتحان

وإن جرى البحث الشرودُ الجبانُ

فهو لذي أشكاله باسل

العلم نور مشرق في الجنان

بلى يقول الجاهل المدعي

في القلب لا لقلقة باللسان

العلم سر الله إلهامه

كتب وللأحكام فيه البيان

العلم إما ظاهر وهو في ال

وهو لديهم واجب أن يصاب

أو باطن يعرفه أهله

في أشرف القسمين رب العنان

يومي بما يملئ إلي أنه

<sup>١</sup> ديوان ابن شهاب (١٩٣ - ١٩٦) طبع مكتبة التراث الإسلامي صعدة ، ودار التراث اليمني صنعاء ، الطبعة الثانية سنة (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).



وقد علت أصوات أمثاله  
نشكرو إلى الرحمن من هذه الـ  
من ماكر ذي سبحة أو مرا  
ورامز بالغيب في حيلة  
رواد صيد كلهم حاذق  
شباكم دعوى الكرامات والـ  
هذا يرى المختار في نومه  
كأنه من بعض أتباعهم  
ومنهم المخبر عن برزخ الـ  
وقد أراني الله شيخاً له  
فقلت: ماذا نابه؟ قيل: من  
أف لقوم همهم كيدهم  
بالمال تلقاهم سكارى كما  
إن أحسن الظن بتلييسهم  
من كل ما الإنسان يخشاه من  
وإن رأوا في عقله خفةً  
وكم وكم قد موهوا زانفاً  
يارب يامن أن أنت السريد

بمثل هذا فالأمان الأمان  
غوغاء شكوى من رماه الزمان  
ء قارىء همساً وذئ طيلسان  
يلفظ بالقول الكثير المعان  
في الرمي لا يصطاد إلا السمان  
ككشف وتزوير المرائي الحسان  
وذاك يستخبره بالعيان  
يحضر في كل مكان وأن  
موتى شقى أو سعيد فلان  
جماعة رجلاه مصفرتان  
وطء حشيش الجنة الزعفران  
وجمعهم للمال من حيث كان  
يسكر من يشرب خمر الدنان  
مُثراً وأوا تطهيره بالختان  
مستقبل الدارين يعطي الضمان  
باعوه في الدنيا قصور الجنان  
فظنه البله ثمين الجمال  
مع الغوث والمفرع والمستعان

وفق رجال الدين للصدق وال  
إخلاص والإعراض عن كل فان  
ل المكر والتدليس كيلا يهان  
قلوبنا اغسل كل ريب ووران  
من أشرقت من نوره الخافقان  
أزكى ما تصلي على  
والآل أهل المجد والصحب ما

وللشاعر الأديب والعالم الثبت - مفتي حضرموت في زمانه والشاعر المبرز على أقرانه العلامة عبدالرحمن ابن عبيدالله السقاف - نقد لاذع وبيان ساطع في نقد دجاجلة الصوفية والمتاجرين بالولاية حسب تعبيره، إليك بعضاً منه وهو مقدمته لإحدى قصائده في الموضوع: (وقد اتفق لي في شرح الشباب أن أفضت في درسي كجاري عادتي في النعي على الخرافيين وتفنيد مزاعمهم وأنكرت قول بعضهم: إن أتان الفقيه المقدم - قدس سره - كانت تعرج الى السماء وتأتي بجبرها طرفي النهار، مع أن البراق لا يقدر على ذلك، فلو أنها حضرت ليلة المعراج لأغنت عنه؛ لأن البراق لم يجاوز إيلياء على الأصح، وقول بعض آخر عن بعض العلويين: إنه كانت له زوجة شريفة مضى لحملها ستة أشهر فتزوج فلاحه، فنشزت الشريفة؛ فخيرها بين الرجوع أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحه، ولما أصرت فعل ما تهددها به، وولدت الأخيرة لثلاثة أشهر من حين الدخول! وقول آخر أن أحد الأولياء مات عن زوجة صالحة من غير ولد فاشتد حزن تلك الصالحة وعظم وجدها عليه فكان يتردد عليها من ضريحه حتى أحبها بعد موته، فجاءت بولد نسبه إليه . !

ديوان ابن شهاب ص : ( ٢٣٧ - ٢٣٨ ) .

وطالما أنكرتُ مثل هذه الأضاليل التي لها يتذمر الإسلام، وتتكس الأعلام، وتكل عن عد شرها الأعلام، فما حصلتُ إلا على الملام، وذلك هو الذي استغرق جهدهم في تشويه سمعتي والتمضمض بعرضي والتقول عليّ والسعاية بي - لولا وقاية الله .

ومع هذا فلا يتظنى امرؤ أني أحط من مراتب الأولياء السامية، أو أغمط من فضائلهم النامية، كلا والله فاني أتبرك بمواطئ أقدامهم وأتشرف بأن أعدّ في جملة خدامهم، ومحمد الله قد حصل لي الحظ الأوفى من اعتنائهم، والنصيب الأكبر من صدق ولائهم، أولئك الذين لا اعتراض للشرع عليهم مجال . ولا للنقد في طريقتهم أبداً مجال، ومن زعم أن بين الشريعة والحقيقة تخالفاً وقع في الضلال، وقد قال الشعراني سمعت المرصفي يقول: لا يكمل الرجل في مقام العلم والمعرفة حتى يرى الحقيقة مؤيدة للشريعة وأن التصوف ليس بأمر زائد على السنة المحمدية وإنما هو عينها، وقال سمعت الخواص يقول مراراً: ومن ظن أن الحقيقة تخالف الشريعة أو عكسه فقد جهل . انتهى .

وجاء عن غير واحد من العارفين أن الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: إذا رأيت الرجل يطير في الهواء وقد أخلّ بحكم واحد من الشريعة فقولوا إنه زنديق، والأدلة في هذا عن الصوفية فضلاً عن سواهم من الفقهاء لا يضبطها الحصر .

ولئن اشترط القشيري الحفظ للأولياء فالعصمة بالاتفاق لا تكون إلا للأنبياء، وقد أثر عن إمام دار الهجرة أنه كان دائماً يقول: كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر الأعطر .

ويعجبني من الآلوسي تأويله ما ذكره ابن عربي " الطائي " من حياة أربعة من الأنبياء وأنهم لا يزالون في الأرض وقوله بعد ذلك ما معناه: حسب الشيخ منا أن نُؤول كلامه حتى يتفق مع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وأما العكس فمما لا سبيل إليه إذ الدين يصير بذلك لعبة لعب انتهى بمعناه) .  
وقال في القصة الرابعة عشرة: (وهذه في وصف بعض حال المموهين ووجوب الاعتماد على والإطراح لما عداها .

سوق الفضيلة في أيامنا رخصا	كأن ما فيه من درّ الكمال حصى
لا حظ إلا لأبناء السفاح ومن	نمته أم حصان كابد الغمصا
ما زالت الناس قبلي يشتكون لما	يلقون من قلة الأحرار والخلصا
واليوم أطلب إنسان فأعوزني	ولم أجد غير وحش تلبس القمصا
فهل حقيقة هذا الجيل ثابتة	أم لا فإشكال هذا الأمر قد عوصا
ما للزمان قد استشرى الفساد به	والخير فيه على أعقابه نكصا
غنيمة المرء بعد الناس عنه فلا	تفرح بآت ولا تحزن لمن شخصا
ولا يفرّك زي النسك من أحد	فكم تنسك دجال ليقتنصا
يمشي الهوينا بشئ في عمامته	كأنه الرّوق لكن في امتداد عصا
كأنما هو حاو لا تفارقه	رقطاع يغوي بها من عقله تقصا
مموه يذكر الأخيار منتهزاً	بذكرهم من صغار الأنفس الفرصا
يروى غريب كرامات بلا سند	وربما اختلق الأخبار والقصصا

<sup>1</sup> ديوان ابن عبيد الله (٢٥٨-٢٥٩).

خلوا الخرافات والأحلام إن لنا  
ما في شريعتنا وهم ولا شبه  
وهذه سيرة الهادي وسنته  
خير النبيين من شبابه لنهى  
له وللمرتضى منا التحية ما  
وما هدي الركب بالريح النسيم وما

ديناً قويماً من الأوهام قد خلصا  
لكن عزائم صدق ما زجت رخصا  
من حاد عنها ولو قيد البنان عصى  
أهل النهى قد غدا من حبه قفصا  
غنى الحمام وما بان التقا رقصا  
انضى الدليل بأنواعه الحدا القلصا<sup>١</sup>

### الأستاذ الزبيري:

وللأستاذ الشاعر محمد محمود الزبيري مشاركة في نقد القبورية قالها حينما أمر الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بإزالة قبر ابن علوان وتسويته ونقل رفاتة إلى مكان مجهول، فأهتبل الزبيري هذه الفرصة وأنشأ قصيدة طويلة مدح الإمام فيها بيتين أو ثلاثة ثم أخذ في نقد القبورية فقال:

كذلك المجد إما رافعاً علماً  
يا من يحدد من آثار أمته  
جرح على كبد الإسلام متسع  
خديعة للجماهير التي زعمت  
قالوا له كتب في القبر يكتبها

أو باعثاً أمماً أو هادماً صنماً  
مالورأى جده المختار لابتسما  
وضعت فيه ذباب السيف فالتأما  
بأن من دينها أن تعبد الوهما  
ينهى ويأمر أنى شاء محتكما

<sup>١</sup> ديوان ابن عبيد الله (٢٣٨-٢٣٩).

أم أنه اتخذ القرطاس والقلم  
عرشاً يدبر فيه اللوح والأقلام  
يسعى بأكفانه للعرش مستلماً  
ما كان وصاهم فيها ولا علماً  
هول السؤال يخاف الويل والنقمة  
وقتماً تضيع فيه الألسن الكلام  
صغيرةً فيه فيما قال أو زعماً  
جهرًا وتجعله رباً، وإن رغباً  
وبقرع السن من أعدائه ندماً  
إليه لو أنه أحسب له قدماً  
وكيف أرضى ربي عندك التهما  
إليك صيرني أهل الهوى صنماً  
ترسموا الدين والآيات والحكما  
عبادتي دون من أولاهم النعما  
قهار تأخذ من ناواك واجترما  
أفلاك والشمس والأقمار والديما  
للموت طعماً ولا ذاقت له ألماً

فليت شعري أسحر ذاك يزعمه  
أم أنه اتخذ القبر المقيم به  
كاد ابن علوان إذ بردت مضجعه  
يشكو إليك أناساً أحدثوا بدعا  
جاؤوه وهو رهين القبر منتظر  
يعتد منطقته كي يستجاب له  
فبينما هو يخشى هفوة سلفت  
إذا به يجد الدهماء تعبده  
فقل يرجف من خوف ومن خجل  
فكاد يهرب من مولاه معتذراً  
رباه، إني لم أرض الذي صنعوا!!  
قد عشت عبداً فلما آن منقلبي  
ما كان أخلص توحيدني لو أنهم  
وكيف تخلق حلقة ثم أسألمهم  
وكيف أطلب حقاً أنت مالكة الـ  
وكيف أجعل نفسي نذ من خلق الـ  
لو كنت أدفع عن نفسي لما وجدت

<sup>1</sup> مجلة الإكليل (٣٩) مقال لعبدالله البردوني .

لو كنت أزعماً رباً لما دفنت  
بين التراب وصارت جيفة ودما  
ما كنت أمرهم إلا بما أمرت  
به الأناجيل والقرآن والحكما  
مادمت فيهم فقد كنت الشهيد لهم  
وكنت أزجر من ثنى ومن ظلما  
لما توفيتني كنت الرقيب على  
ما يصنعون، وكنت الشاهد الحكما  
وأنت أعلم من نفسي بما صنعت  
ونفسى وأعدل من جارى ومن حكما<sup>١</sup>

وقد أطال الزيري الاعتذار عن ابن علوان وأنه غير راض عما يعمله الناس عند قبره، ولكن القاضي الأروع كما سبق في المطلب الذي قبل هذا قد صرح أنه وجد من كلام ابن علوان نفسه ما يدل على اقتتان الناس به في حياته وادعائه تلك الخوارق التي تحمل الناس على التعلق به، وهذا شأن كثير من أقطاب الصوفية.

وفي نفس الحادث يقول الشاعر المناضل زيد الموشكي:

(يا عين هذا الصنم الأكبر  
وهذه "يفرس" والمنكر  
هذا ابن علوان وذا قبره  
يعبده العالم لا يفتر  
يا عين هذا هبل آخر  
وقد يفوق الأول الآخر)<sup>٢</sup>

وأما علي أحمد باكثير الشاعر الكبير والأديب الشهير ففي مسرحيته "همام، أو في بلاد الأحقاف" قد شخص لنا الولي "ولي الله" الذي عرفه مجتمعه الحضرمي تلك الحقبة من الزمن الذي لم يبق علم

<sup>١</sup> هجر العلم (٢/٧٥٠ - ٧٥١).

<sup>٢</sup> مجلة الإكليل مقال البردوني (٣٩).

ولا تصوف كما يصرح بذلك جمع من عقلاء تلك البلاد في ذلك الزمن، وإنما رسوم ومظاهر وراءها نفوس فارغة من الصلاح، وقلوب خاوية من الإيمان، وعقول مردت على الكيد والاحتيال، وباليات القوم كانوا عصابة سرقة أو قطع طريق أو شبه عصابات " المافيا " إذن لهان الأمر إذ يوجد ذلك في كل مكان، ويأخذ الناس حذرهم منهم، وتحمل السلطات مسؤولية ملاحظتهم، ولكن باسم الدين وباسم الولاية وباسم الكرامات هذا ما لا يطيقه مسلم عرف الإسلام، لذلك جاء نقد الأديب بكثير عنيفاً وفي صورة صارخة من السخرية والهزء بهذا النوع من الناس فاسمعه يصف الولي المحتال:

ة والأردية الخضر!	(ولي الله ذو الحبو
قد أربى على الشبر!	وذو والعمة المسواك
ق في التسبيح والذكر	ورب السبحة الغار
ولا يذكر في السر	بها يذكر في الناس
من أتباعه الكثر	ومن يمشي بعكازين
ض كالباحث عن سر <sup>١</sup>	يطأطء رأسه لئلا

وبعد أن كشف بكثير عن شخصية الولي الحي الذي يعتقد الناس فيه الصلاح وهو يمكر بهم ويحتال عليهم، يتجه اتجاهها آخر إلى ولي ميت وماذا يدور حول قبره وأثناء زيارته، وماذا يريد الناس منه، ثم ختم المشهد بغضب همام وثورته على هذه الخرافات وهذا الجهل والتجهيل، وقد صرح بذلك في وجه داعية الخرافة:

فهذا همام بطل المسرحية يسأل محمداً أحد أشخاصها قائلاً:

<sup>١</sup> في الأصل تقديم المسواك والصواب ما ذكر .

آهمام أو في بلاد الأحقاف لعلي أحمد باكثير ص (٤٧) منشورات الصبان وشركاه ، الطبعة الثانية (١٣٨٥-١٩٦٥) .



ن ماذا كان من أمر؟  
من عرف ومن نكر؟  
والتذكير والزجر؟  
فيجيبه محمد:  
توافى الناس أفواجاً  
فمن ساعية تمشي  
هناك الساحة الكبرى  
بها ما شئت من لهُو  
وقد غصت بأشوات  
تبارت ثم في  
وقد يقتلن بالمعصـ  
من الظهر إلى العصر  
هناك الخسر في الدين  
ولا يريح في تلك الـ  
وأما سادن القبة  
تساق لداره الأكيا

الحلية  
م

وإذا كان من أمر؟  
من عرف ومن نكر؟  
والتذكير والزجر؟  
إلى قيدون كالذر  
ومن راكبة الحمر  
تحاكي ساحة الحشر  
ومن لغو ومن هذر  
من الآساد والعفر!  
والأبراد والخمر  
أوبال نظر السحري!!  
إلى منبلج الفجر!  
وحسب الناس من خسر  
زيارات سوى التجر  
فهو الرابح المثري!  
س من حب ومن تمر

ع من ورق ومن تبر!

و " للصندوق " ما يبا

\*

تداعوا كضحى النفر

ولما حضر الوقت

نخ بالطبل وبالزمر

وأثموا نحو قبر الشيب

جنناك إلى القبر!

يصيحون ولي الله

عنا ثقل الوزر

أتيناك لكي تحمل

علينا ضافي الستر

وكي تسبل ياقطب

بها ياسيدي تدري!

وفي الأنفس حاجات

ونحظى منك بالسر

أتيناك لكي تقضى

\*

داروا دورة الحمر

ولما وصلوا القبة

ع في التابوت بالنقر

وأهوت راح ذاك الجم

يصيب السمع بالوقر

فلا تسمع إلا ما

في الإخبات والذكر!

الناس

هناك الناس غير

وهذا دمه يجري

فهذا خاضع شاك

تستعصي على الصدر!

وهذا ينشج النشجة

ة في أعضائه تسري!

وهذا يرعد الرعد

وهذا جاء بالنذر

وهذا ينذر النذر

عظفاً على فقري	سيدي	وهذا صائح يا
على ضعفي على ضري		على عجزني وإهمالي
بالزينة والستر		وقد جُلِّتِ القبة
ر عقلت على الجدر!		وبيضات من البلو
إلى زرق إلى خضر		فمن حمر إلى صفر
مثل الكوكب الدرّي		ومصباح كبير الضوء
جلال العتق والقدر		وللتأبوت معنى من
في مختلف العصر!		قد اسود من التقبيل
في أسود كالحبر	ضة	عليه ضيب الف
يج إذ تضحك من أمر!		فتبدو كثغور الزند
بالنحر وبالنحر	التقبيل	فثم الضم و
والجارية البكر	الشاب	تلاقى فيه دمعا

\*

سكون الموج في البحر	ولما سكن الجمع
شقاشق فيهم هدر	ترأى الناس شيخاً ذا
نأوا بالفوز والنصر	ينادي أيها الناس إهـ
بنيل الفضل والفخر	بهذي النعمة العظمى

<sup>١</sup> العتق : القدم .

قصدتم باب ذي عطف  
وأنَّ الشيخ لا يترك  
عليكم بخلوص  
وبالتسليم للأقطا  
وأيامكم وسوء الظ  
فأهل الله هم جازوا  
ملوك لهم التصري  
القص  
وذي جود وذي بر  
من زار بلا أجر!  
في السر وفي الجهر  
ب والخدمة والصبر  
من بالصوفية الفر  
مناطق النهي والأمر  
ف في البر وفي البحر

\*

سمعنا أن في (حدري)  
تصدى ناشيء غر  
يربي الشعر كالفسا  
تلقى من فنون العد  
فأغواه وأرداه  
ومن شقوته استحلى  
تبا شير من الكفر  
بلاه الله من غر!  
ق إذ يعنون بالشعر  
م ما زاد على القدر  
وجاء النفع بالضر  
حميم الأدب المزري

جرى القلب لا لعب  
يبث السم في الجاه  
أ بالتهديد والزجر  
ل والعلامة الجبر

<sup>1</sup> تطلق حدري على ما سفلى من حضرموت كشمبام وسيئون وتريم ، وعلوى على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين.

يسيء الظن بالأقطا  
له أتباع سوء كل  
ب أهل المدد السري!  
هم يدعو إلى الشر

\*

هنا قمت وقد ضاق  
وما باليت بالغوغا  
وقلت اسكت عجوز السو  
عدو الله والإصلا  
أدعو الناس للنكر  
فصاح الشيخ غولوه  
فلولا أن تسلت  
لكانوا أعدموني مهـ  
بي الواسع من صدري  
في عسكرها المجر  
يا داعية النكر  
ح! هل تهذي ولا تدري؟  
وتهجو داعي الخير  
فذا من شيعة الغر  
من الجمهور بالفر  
جتي بالضرب والدفر<sup>١</sup>

\*

همام يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه:

حماك الله من سوء  
لقد قمت مقاماً لا  
ولا بد لذي الإصلا  
وقاك الله من شر  
يوازي عظمة شكري  
ح من عزم ومن صبر!<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> الدفر: الدفع في الصدر .

<sup>٢</sup> همام ( ٤٨ - ٥٢ ) .

هذه بعض القصائد في نقد القبورية العامة، وهناك قصائد أخرى كثيرة في هذا الباب ولكنني أكتفي بما سبق لئلا يطول هذا المطلب .

### المطلب الثالث نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد عقائدهم وأعمالهم:

الباطل لا يمكن الإجماع عليه لأنه لو حصل ذلك للبس على الناس دينهم ولبطلت خصيصة من خصائص هذه الأمة، وهو أنها " لا تجتمع على ضلالة "، فالطائفة المنصورة دائماً ظاهرة في مخالفة الباطل وإنكار المنكر في أي جانب كان .

وفوق ذلك فإن من المحبين لأهل الباطل الواقفين بهم المقلدين لهم من هو من أهل الخير والصلاح، ولو رجع إلى نفسه ودرس الأمر بعيداً عن المؤثرات لميز الحق من الباطل ولظهر له خطأ كثير مما استصوبه أصحابه، فذلك عندما تتاح لهذا النوع من الناس تلك السوانح فإنهم يقتنصونها وتظهر على أقوالهم وأفعالهم، وهناك من هو متمكن في الضلال ولكن يأبى الله إلا أن يجري كلمة الحق على لسانه أو قلمه، فمن أجل ذلك كله عقد هذا المطلب لإيراد نماذج من تلك الفتاوى والتقريرات التي وردت إما من القبورية أو ممن هو محسوب من أنصارهم وأتباعهم من علماء وفقهاء اليمن، ولن أخوض في نوايا أولئك الناس أو أحكم عليهم بضللال أو هداية، إذ المقصود هنا فقط هو تأييد الحق الذي يعرفه أهل السنة، ويقررونه ويستدلون عليه بالأدلة الشرعية المعتمدة بما يقوله من يحسب القبورية أنه منهم أو من أنصارهم وأشياعهم .

## النموذج الأول:

فتوى السيد عبدالله بن محفوظ الحداد مفتي ساحل حضرموت في زمنه<sup>١</sup> إذ سأله بعض أهالي تريم عن الاستغاثة بالأموات: وماحكم تلفظ القائل عند حدوث مكروه، مثل سقوط طفل: يا لله يا شيخ سعيد أو يا لله يا محضار، وأحياناً يقول: يا محضار احضر..... الخ.

فأجاب: (الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إن مثل هذه العبارات من العبارات الشركية التي يجب على المسلم أن يتنزه عنها. فقد قال الرسول ﷺ لمن قال: ما شاء الله وشئت: "أجعلني لله نداً" وهذه الاستغاثات ممنوعة لأنها موهمة وتؤدي إلى خلل في العقيدة خصوصاً العامي الذي يعتقد أن لهؤلاء الأولياء تصرفاً وأنهم يحضرون عند الاستغاثة بهم - وإنما يستغاث بالله جل جلاله - لا بغيره من الملائكة أو الرسل أو الأولياء والصالحين فكل مما يجب منعه ومحاربه. ومع الأسف فإن هذه الألفاظ يكررها العوام، والعلماء يسمعون فلا ينهونهم ولا ينبهونهم على خطرها لأنها متصل بالعقيدة. فالله هو النافع الضار المحيي المميت مالك الملك لا شريك له، ليس لأحد معه شرك ولا تصرف.

<sup>١</sup> السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهو ممن عاصرته مدة وعملت معه في بعض الدورات الشرعية التي أقامتها وزارة الأوقاف والإرشاد بحضرموت، والرجل درس في رباط تريم ثم سافر مبتعثاً إلى السودان وتخرج من هناك وعاد ليتولرئاسة محكمة الاستئناف بالمكلا ثم رئاسة القضاء بحضرموت واستمر فيه إلى عام ١٩٧٠م ثم استقال منه.

وهو قد استفاد من تفرغه أيام الحزب الاشتراكي في أول عهده وعهد الجبهة القومية فقراً كثيراً ومما قرأ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكنه مع ذلك ظل متمسكاً بالأشعرية على طريقة الغزالي، وكان يكره الخوض في مجال البدعة بل إن له كتاباً أيد فيه أصل الابتداع في الأمور العملية ورد على صاحب كتاب "السنن والمبتدعات" وكان يغضب عندما يسأل عن حكم القباب التي على القبور، ثم بعد اشتداد موجة التصوف تعاطف مع المتصوفة أكثر وكان يقول إن علي بن حسن السقاف - صاحب الأردن الذي ألف رسائل في تأييد بعض البدع ورد على الشيخ الألباني وابن تيمية وغيرهما - يقول عنه أنه مجدد هذا القرن. ومع ذلك كان يفتي هذه الفتاوى في أن الاستغاثة بغير الله شرك إلى آخر حياته - رحمه الله - .

قال في " بغية المسترشدين " : " مسألة ك " جعل الوسائط بين العبد وربّه فإن صار يدعوهم كما يدعو الله في الأمور ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله فهو كافر، وإن كان نيته التوسل بهم إلى الله في قضاء مهماته مع الاعتقاد أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور دون غيره، فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحاً أ.هـ.

قلت: فإن قوله الظاهر عدم كفره أن ذلك حرام لأنه يؤدي إلى الكفر خصوصاً من العوام الذين أصبحوا يعلنون مثل ذلك في كلامهم وحتى عند الجنائز - فأهل السوق يقولون: يا محضار، وأهل النويدرة يقولون: يا شهاب الدين - وهذا إن لم يكن كفراً صريحاً فهو قريب منه، ويجب على العلماء التنبيه عليه والتحذير منه ومنع إعلانه في المجتمعات كالجنائز ونحوها من الحريق وغيره، وليأخذوا بالسبيل القويم الأسلم. وإذا كنا نعذر بعض العلماء مما ورد في أشعارهم لأنهم علماء يعلمون ما يقولون فإذا نادى ميتاً فإنما لأجل مدحه لا للاستغاثه به. وإن كان فيه استغاثه حملناه على المحمل السليم لعلمه، أما أن نترك العامة يأخذون الألفاظ ويعلنونها كأنها من الأذكار فهذا مالا يجوز قطعاً. والساكت عن الحق شيطان أخرس. والله المستعان<sup>١</sup>.

ولما انتشرت هذه الفتوى ومضت مدة لانتشارها شكك البعض فيها فعاد أحد طلابه إليه وذكر له ذلك فأصر على صواب تلك الفتوى، وأصدر فتوى أخرى فرق فيها بين الاستغاثه التي يحرمها ويعتبرها من الشرك وبين التوسل المعروف بالأولياء بأشخاصهم أو بأعمالهم وهو ممن يجيز التوسل، وهذا نص الفتوى الثانية: (إن المتوسل متوجه بطلبه إلى الله، وذكر المتوسل به على سبيل التحبب، وأما الاستغاثه فيمكن اعتبارها توسلاً ظنياً لمن يفهم وينوي طلب الدعاء، وإلا فإنها ممنوعة وبالذات

<sup>١</sup> حرف الكاف رمز للشيخ العلامة محمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية في زمانه معزو إلى فتاواه .

<sup>٢</sup> هذه الفتوى صدرت بخطه وتوقيعه وختمه ثم طبعت في ورقة أخرى ووزعت في حياته ولا زالت النسختان محفوظتين .



للعوام الذين قد يعتقدون في المستغاث به القدرة على تحقيقها استقلالاً، ولهذا فهي محرمة على العوام وعلى إظهارها الفتوى بها، ونعذر العلماء الذين جاءت في أشعارهم لعلنا بصحة عقيدتهم وأنهم إنما يقصدون التوسل بالمستغاث به وطلب دعائه<sup>١</sup>.

وهذه الفتوى وسابقتها للعلامة الحداد لم تصل إلى المستوى المطلوب أو لم تخلُ من بعض المآخذ ولكن المراد من إثباتها هنا إثبات أن مبدأ اعتبار الاستغاثة بغير الله شرك شائع ومعروف عند كل من خلع ربة الهوى والتقليد ومن تعصب بدون بصيرة، وإن اختلفت العبارات وتفاوت مستوى التحقيق والتدقيق في الفتاوى.

ويقرب من ذلك ما قرره العلامة عبدالله بن أحمد باسودان - رحمه الله - وهو من أكابر فقهاء حضرموت في وقته، ومن المنطوين في السادة العلويين؛ بل يعتبر شيخاً للكثير منهم في كتابه "ذخيرة العباد شرح راتب الحداد" (وقد فشت في العامة اعتقادات فاسدة في أولياء الله، فإن مرضوا، قالوا: هذا صدر من فلان، وإن شفوا؛ قالوا: بركة سيدي فلان، فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم؛ حلفوا بهم ونذروا لهم من دون الله، واستشفوا بهم من دون الله، فإن أجرى الله سبحانه الوادي؛ قالوا: شيء لله يافلان، وإن قبض الله عليهم المطر؛ قالوا: قبضها فلان.. والله سبحانه القابض الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده في ملك ملكوت، ولو ذهبنا لما في الكتاب والسنة من التحذير في ذلك لعرف الناس أنهم قد هلكوا، وأكثر هؤلاء بل كلهم أتباع الدجال نعوذ بالله من الضلال، ويقع

<sup>١</sup> وهذه الفتوى حررت يوم الاثنين ١٢ صفر ١٤١٦ هـ وهي كذلك محفوظة بخط المفتي وتوقيعه .

من هؤلاء في زيارة قبور الأولياء أو غيرهم كثيرٌ من الجهالات والمآثم المتكررة، هذا ما قاله الشيخ عبدالحق المزجاجي الزبيدي<sup>١</sup>.

والمهم في هذا النقل قوله: (فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم وندروا لهم من دون الله واستشفوا بهم من دون الله)، وهذا هو الرد الحاسم على المزيدين من المعاصرين، الذين يقولون: إن تلك الأفعال التي يفعلها العامة<sup>٢</sup> إنما هي مجرد أعمال لا تقوم على اعتقاد ضر ولا نفع، ولو صح أن هناك اعتقاد ضر أو نفع لقلنا بشركهم، فهذا العالم الذي تعتبرونه من أجل علمائكم يصرح بأن هذه الأعمال ما صدرت إلا عن اعتقاد.

أما نحن فنقول: إن مجرد فعل هذه الأعمال وصرفها لغير الله شرك ولو لم يصحبه اعتقاد وانظر ما قرره الإمام الشوكاني رحمه الله في هذه المسألة في الدر النضيد<sup>٣</sup>.

ويشبه ذلك - أيضاً - ما نقله علوي بن طاهر الحداد عن "الإمام" الحداد المشهور "عبدالله بن علوي" حيث قال: (وأما الغلو في الأولياء فسببه الجهل وقلة المعرفة بعقائد الدين وقد ينتهي ببعض الناس إلى أن يثبت لهم القدرة على الضر والنفع كما يثبت لله عزوجل، وهذا انتكاس على أم الرأس وقد لحققة الإيمان والإسلام: قال الإمام العارف بالله محيي الطريق وداعي الفريق الحبيب عبدالله بن

<sup>١</sup> ذخيرة العباد شرح راتب الحداد ( ١٢٤-١٢٥ ) بواسطة طريقة السادة العلويين نقلاً عن كتبهم ( ٧-٨ ) كتبها مجموعة من الشباب كانوا عن أنفسهم بـ ( مخلصون ) وقدم لها السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى.

<sup>٢</sup> إن هذا القول إنما هو متصل من الحقيقة وإلا فهو قول العامة وكثير من الخاصة ولئن كان العامي تربي على ذلك واعتقده تقليداً، فإن بعض من يحسب من الخاصة من يقوله ويدافع عنه ويقيم الحجج بزعمه على صحته، ثم عند المناظرة يراوغ ويقول إنما هذا فعل العامة ومن اعتقد الضر والنفع في غير الله فقد أشرك، فله مذهبان مذهب عند الأتباع هو تأصيل ذلك وتأييده ومذهب عند الخصوم هو المراوغة والتقية وإسكات الخصم بما يوافق وإن كان خلاف ما يعتقده ذلك المناظر.

<sup>٣</sup> الدر النضيد ص ( ١١٠ ) .

علوي الحداد العلوي: التصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له ولا تأثير للولي ولا غيره في شيء قط لاحتياً ولا ميثاً، فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى انتهى) .<sup>١</sup>

وهو كالذي قبله يثبت أن للعامة اعتقاداً منحرفاً في الأولياء بفقد حقيقة الإيمان والإسلام وأن (من اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى)

وفي مسألة الذبح لغير الله قال العلامة عبدالرحمن المشهور في "بغية المسترشدين" "مسألة ب":  
(القنيص المعروف بمضرموت من أكبر البدع المنكرات والدواهي المخزيات، لكونه خارجاً عن مطلوبات الشرع، ولم يكن في زمن سيد المرسلين والصحابة والتابعين عليهم السلام أجمعين، ومن بعدهم من الأئمة ولم يرجع إلى أساس ولم يبن على قياس، بل من تسويلات الرجيم وتهويسات ذي الفعل الذميمة والعقل الغير المستقيم؛ لأن من عاداتهم أنه إذا امتنع عليهم قتل الصيد قالوا: بكم ذم. فيذبحون رأس غنم على الطوع - يعني العود الذي تمسك به الشبكة - تطهيراً للقنيص من كل شك ووسواس فالذبح على هذه الصفة لا يعجل قتل مالم يحضر أجله، إذ الأجل كالرزق والسعادة والشقاوة له حدّ ووقت مقدر كما قال تعالى: ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ ، وفي الحديث: " فرغ الله من أربع: من الخلق والأجل والرزق والخلق " ثم الذبح على مثل هذه الحالة يتنوع إلى ثلاثة أمور: إما أن يقصد به التقرب إلى ربه، ولم يشرك معه أحداً من الخلق، طامعاً في رضاه وقربه وهذا حسن لإبأس به، وإما أن يقصد

<sup>١</sup> عقود الأملاس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس (٤٧/١)

<sup>٢</sup> يعني أن هذه المسألة فتاوى عبدالله بن الحسين بن عبدالله بافقيه كما في مقدمة العينية (٢).

<sup>٣</sup> (الذميمة) يظهر أنه اصطلاح خاص بالقوم ولم يفسره المصنف ولعله مانع من موانع حصول الصيد بسبب معين .

<sup>٤</sup> سورة الرعد (٣٨) .

به التقرب لغير الله تعالى كما يتقرب إليه معظماً له كتعظيم الله كالذبح المذكور بتقدير كونه شيئاً يتقرب إليه ويعول في زوال الذم عليه فهذا كفر والذبيحة ميتة، وإما أن لا يقصد ذابلاً بل يذبحه على نحو الطوع معتقداً أن ذلك الذبح على تلك الكيفية مزيل للمانع المذكور، من غير اعتقاد أمر آخر فهذا ليس بكفر ولكنه حرام والمذبح ميتة أيضاً وهذا هو الذي يظهر من حال العوام؛ كما عرف بالاستقراء من أفعالهم، كما مقت هذه الصور الثلاث أبو مخزومة فيمن يذبح للجن<sup>١</sup> والشاهد في النص اعتبار الذبح لغير الله على سبيل التعظيم شرك بالله تعالى، وتصريح هؤلاء الثلاثة العلماء الكبار به وهم من مشاهير علماء حضرموت المحسوبين من قدوات الصوفية: بالمخزومة، وبأفقيهه، والمشهور.

وفي نفس الموضوع يقول ابن عبيد الله مفتي حضرموت في وقته: (ولنضرب مثلاً بأولياء الرحمن فإن من استخف حقهم وأنكر خصوصيتهم اقتحم الغلط وأتى بأكبر شطط ومن طلب منهم مالا يطلب إلا من جبار السماوات واعتقد أن لهم تأثيراً من دون الله فقد وقع في صريح الإشراك<sup>٢</sup>).

وفي الحلف بغير الله يقول عبد الله بن حسين بن طاهر: (وأحذركم الحلف بالله في جميع شؤونكم (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم)<sup>٣</sup>، وأما الحلف بالآباء والجدود وبكل مخلوق - وإن عظم - فهو محذور ويختلف الحكم فيه باختلاف المقصود فبعض صورته قاذح في التوحيد ومادون ذلك فمكروه؛ للنهي الشديد وأشد من ذلك الحلف بالأمانة فالخطأ من كلف عن ذلك لسانه<sup>٤</sup>).

١ بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين تأليف عبدالرحمن بن محمد باعلوي طبعة دار الفكر بدون تاريخ ص ( ٢٥٥-٢٥٦ ) .

٢ مذكرة طريقة السادة العلويين كتبها مجموعة من الشباب كانوا عن أنفسهم ب ( مخلصون ) وقدم لها السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى ص ( ١٠ ) عن رسالتي ( المساواة والملكية ) للسيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف .

٣ البقرة ( ٢٢٤ )

٤ المجموع لعبدالله بن حسين بن طاهر ص ( ٢٣٧ ) بواسطة طريقة السادة العلويين ص ( ٨ - ٩ ) .

والشاهد جعله بعض صور الحلف قادحاً في التوحيد ولعله يقصد إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به .

وهذا ظاهر عند الذين يصرون على ألا يقبلوا الحلف إلا بالولي ويرفضون الحلف بالله وكذلك الذين يتهيبون من الحلف بالولي ولا يتهيبون الحلف بالله

وفي النذر قد سبق ما قاله العلامة أبو بكر الخطيب وموضع الشاهد قوله: (أقول وأنت خير بأن العامي الجاهل الصرف يخفى عليه ملاحظة أن هذا التصديق لا يعتقد إلا في القرب ومعرفة ما هو قرابة، فليتنبه لما يجيئون به للولي أو قبره أو مشهده وهو ميت فإن الغالب أنهم يقصدون به تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده وذلك باطل؛ كما تقدم والله أعلم بالصواب)، أقول والذي تقدم قوله: (الذي تحصل للفقير من كلام أئمتنا الشافعية - رحمهم الله تعالى - ملخصاً من كلام طويل لهم في مثل هذه المسألة أن ما تصدق به على النبي أو الولي الميتين أو على قبرهما أو مشهدهما مثلاً سواء كان بنذر أو وقف، ومثل ذلك الأمل المعروف بالجهة عندنا أنه قصد به تملك الميت أو القبر أو المشهد بطل؛ لعدم صحة تملك من ذكر وكذا لو نوى بذلك التقرب إلى من ذكر؛ لأن القرب إنما يتقرب بها إلى الله تعالى لا إلى خلقه ومثل ذلك ما إذا كان المتصدق به شمعاً أو زيتاً، ومثله السليط والقاز عندنا وقصد به الإسراج للتنوير تعظيماً للبقعة أو القبر أو التقرب إلى من دفن فيها أو نسبت إليه كما يعتقد بعض العامة فإنهم يعتقدون أن لهذه الأماكن خصوصيات بنفسها ويرون أن التصديق عليها مما يندفع به البلاء .) <sup>٢</sup> أقول واضح من هذا النقل أن هذا الفقيه يوافق في قوله هذا القول الصحيح من أن

<sup>١</sup> الفتاوى النافعة ص ( ٢٤٩ ) .

<sup>٢</sup> الأمل يشبه نذر المكافأة كأن يقول إن شفي مريض فللولي الفلاني كذا كذا .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٢٤٨-٢٤٩) .

النذر لغير الله شرك إذا كان عن اعتقاد في المنذوره، وهذا على قول من يجعل النذر بمعنى الهبة أو العطية، وأما من يقول إن النذر لا يسمى نذراً إلا إذا كان عبادة؛ فإنه يكون النذر - على قولهم - وعلى من نذر على هذا الوجه - شركاً ولولم يصحبه تعظيم.

يقول السيد عبدالرحمن المشهور في التفريق بين الكرامة والسحر والإشارة إلى أن بعض من يدعي الولاية قد يكون من السحرة المشعوذين والتنصيص على بعض المجاذيب من أتباع الرفاعي أو أحمد بن علوان أن بعضهم إنما يفعل ذلك بطريق السحر وتأكيده على أن الكرامة لا تكون على يد فاسق ولا يتعلم من حصلت على يده سببها ولا يسعى إليها وأن من التشبه بأصحاب الكرامات من ليسوا منهم من يستعملون الجان يقول في ذلك كله: "مسألة ى" (خوارق العادة على أربعة أقسام: المعجزة المقرونة بدعوى النبوة المعجوز عن معارضتها الحاصلة بغير اكتساب وتعلم، والكرامة وهي ما تظهر على يد كامل المتابعة لنبيه من غير تعلم ومباشرة أعمال مخصوصة، وتنقسم إلى ما هو إرهاب وهو ما يظهر على يد النبي قبل دعوى النبوة، وما هو معونة وهو ما يظهر على يد المؤمن الذي لم يفسق ولم يفتر به، والاستدراج وهو ما يظهر على يد الفاسق المغتر، والسحر وهو ما يحصل بتعلم ومباشرة سبب على يد فاسق، أو كافر، كالشعوذة وهي خفة اليد بالأعمال وحمل الحيات ولدغها له، واللعب بالنار من غير تأثير، والطلاسم والتعزيمات المحرمة، واستخدام الجان وغير ذلك. إذا عرفت ذلك علمت أن ما يتعاطاه الذين يضربون صدورهم بدبوس أو سكين أو يطعنون أعينهم أو يحملون النار أو يأكلونها وينتمون إلى سيدي أحمد الرفاعي أو سيدي أحمد بن علوان أو غيرهما من الأولياء أنهم إن كانوا مستقيمين على الشريعة قائمين بالأوامر تاركين للمناهي عاملين بالغرض العيني من العلم عاملين به

<sup>1</sup> أي أن هذا النقل عن الشيخ عبدالله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى كما في المقدمة (٢).

لم يتعلموا السبب المحصل لهذا العمل فهو من حيز الكرامة وإلا فهو من حيز السحر إذ الإجماع منعقد على أن الكرامة لا تظهر على يد فاسق وأنها لا تحصل بتعلم أقوال وأعمال وأن ما يظهر على يد الفاسق من الخوارق من السحر المحرم تعلمه وتعليمه وفعله ويجب زجر فاعله ومدعيه، ومتى حكمنا بأنه سحر وضلال حرم التفرج عليه؛ إذ القاعدة أن التفرج على الحرام حرام؛ كدخول محل الصور المحرمة، وحرم المال المأخوذ عليه، والفرق بين معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء وبين نحو السحر أن السحر والطلسمات والسيمياء وجميع هذه الأمور ليس فيها شيء من خوارق العادة؛ بل جرت بترتيب مسببات على أسباب، غير أن تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس، بخلاف المعجزة والكرامة فليس لهما سبيل في العادة، وإن السحر مختص بمن عمل له، حتى أن أهل هذه الحرف إذا طلب منهم الملوك مثلاً صنعها طلبوا منهم أن يكتب لهم أسماء من يحضر ذلك المجلس فيصنعون ذلك إن سمي لهم فلو حضر آخر لم ير شيئاً وأن قرائن الأحوال المفيدة للعلم القطعي المحتقة بالأنبياء والأولياء من الفضل والشرف وحس الخلق والصدق والحياء والزهد والفتوة وترك الرذائل وكمال العلم وصلاح العمل وغيرهما، والساحر على الضد من ذلك<sup>1</sup>.

وهذا تفصيل حسن لخوارق العادات وتمييز للمعجزة عن الكرامة من الاستدراج والسحر. والفائدة الكبيرة والقاعدة العظيمة التي تجلي الفرق بين الكرامة والسحر، أن الكرامة لا تكون بتعلم لما يحدث ذلك الأمر فإن كان ذلك الخارق ناتجاً عن سبب ظاهر وتعلم له، كان الخارق من حيز السحر لا من حيز الكرامة ولو أننا مع الصوفية جميعاً وقفنا عند هذه القاعدة وطبقناها تطبيقاً حاسماً وسليماً لانتضح أن معظم ما تطفح به كتب الصوفية في مناقب أوليائهم مما صح نسبته إليهم من باب السحر لا

<sup>1</sup> بغية المسترشدين ص (٢٩٨ - ٢٩٩).

من باب الكرامة لأن جماعات منهم اشتهروا أو ثبت عنهم تعلم السمياء أو علم الحروف وذلك من السحر كما في هذا النقل وغيره، فمن ثبت أنه عالم بذلك مستعمل له فاسم الفسق قد وقع عليه، ثم ذلك الخارق قد أصبح صادراً عن تعلم فاتقى أن يكون من حيز الكرامة ولم يبق إلا أن يكون من حيز السحر وكذلك من يتعاطى الرياضة التي هي في صورة عبادات لم يشرعها النبي ﷺ فإن تلك الرياضة سبب يتوصل به إلى إظهار خوارق للعادات، وقد نص الشعراي على أن بعض النصابين يمارسون الرياضات ليوهموها الناس أنهم من الأولياء ذوي الكرامات<sup>١</sup>

فاتضح أن هناك فارقين أساسيين بين الكرامة والسحر أو الاستدراج وهما: التعلم واتخاذ الأسباب، فمتى وجد هذا الفرق حكم على الخارق بأنه سحر، ولو كان على يد من يظهر عليه سيما الصلاح؛ لأنه قد يكون في الباطن بخلاف ذلك. وأما الفرق الثاني: وهو الاستقامة للكرامة، والفسق للسحر والاستدراج؛ فإنه قد تحايل عليه الصوفية ولم يبق له أثر لديهم ولا لدي أتباعهم؛ حيث قرروا أصلاً خطيراً وهو أن الولي يتجزأ ويظهر بمظاهر مختلفة وأن ما تراه لديه مما ظاهره الفسق فإنه في الباطن شيء آخر، بل إن الخمر إذا رأته يشربها فإما أنها خمر لدنية من الحضرة الربانية وإما أنها مشروب آخر ظهر لمصلحة في صورة الخمر، وكل ذلك قد ضربت عليه أمثلة، وأيضاً نقلت عنهم كيف يعتذرون لمن لم ير يصلي قط وأنه فحوص فظهر أن له عشر صور، صورة واحدة هي التي رآها المعارض لا تصلي بينما تسع صور دائبة في العبادة وصدقهم من رأى ذلك ونقل الحادث على أنه كرامة من أشهر وأكبر كرامات ذلك الولي. فلنتأمل هذا الفرق ثم نحكم بموجبه على كل خارق من الخوارق على يد من كان من الناس.

<sup>١</sup> انظر الطبقات الكبرى (١/ ١٠٨).



## شهادة حق من أصحاب وحدة الوجود:

قلت في مبحث سابق إنني لم أجد لعلماء حضرموت قولاً فاصلاً واضحاً في أصحاب وحدة الوجود مع عموم إحسان الظن بهم واعتبارهم من الأولياء، ولكنني اطلعت أخيراً على نقل نقله علوي بن طاهر الحداد عن الشيخين الشافعيين الشهاب الرملي وابن حجر المكي يدل على أنه موافق لها فيه، وهذا النقل مهم جداً خصوصاً عن ابن حجر المكي الذي اشتهر عنه التأويل لأصحاب وحدة الوجود يقول الحداد:

(وسئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود فقال: يقتل هذا المرتد وترى جيقة للكلاب؛ لأن قوله هذا لا يقبل تأويلاً. وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى، واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصوفة القائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل.)<sup>١</sup>

## وأخيراً طعنة من الحداد في صميم دعاوى قومه:

قال جامع كتاب النفائس العلوية في المسائل الصوفية: (وسأله بعض الأصحاب أيضاً عن الكبش الذي يعتاد أهل الغيل تركه في بيوتهم ويسمونه مسائراً. فأجاب رضي الله عنه ونفعنا به: أما الكبش الذي يعتاد تركه أهل الغيل في بيوتهم ويسمونه " مسائراً " وكلما ذهب أبدلوه بغيره. فهذا والعياذ بالله من الشرك بالله والشرك ظلم عظيم، وهو وأمثاله سبب تسلط الشيطان وجنوده على العاملين به. فإن الله تعالى قد ساط الشيطان على من يتبعه من بني آدم، وهذا من الاتباع له قال الله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سبطان إلا من اتبعك من الغاوين)<sup>٢</sup> موضع الشاهد أنه جعل اتخاذ هذا

<sup>١</sup> عقود الأملس ( ١٠٤/١ ) .

<sup>٢</sup> الحجر ( ٤٢ ) .

الكبش شركاً. ومن المعلوم ضرورة أن متخذه لم يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله قطعاً؛ لأنه يعرف هذا الكبش ويعرف حقيقته ومن أين جاء، وكيف يموت وينتهي، ومع ذلك كان اتخاذه شركاً. إذن فكيف لا يكون من يدعو غير الله مشركاً إلا إن كان يعتقد استقلاله بالضر والنفع من دون الله، وصورة الدعاء لغير الله أظهر في الإشراك من صورة اتخاذه هذا الكبش؟

#### المطلب الرابع: فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية:

لكي يعلم القاريء الكريم أن موقف علماء اليمن المعاصرين هو موقف أسلافهم الكرام الراض للقبورية بعقائدها وأعمالها، أسوق في هذا المطلب عدداً من الفتاوى والبيانات الجماعية، التي انتقد كاتبوها والموقعون عليها أعمالاً من أعمال القبورية أو أيدوا خلافها وهي تناول البناء على القبور وبعض الزيارات والشعائر القبورية وادعاء علم الغيب.

**الفتوى الأولى:** كانت رداً على سؤال بعث به أحد القائمين على بعض القباب في جهة تهامة ونص السؤال هو: (ماقولكم سادتي العلماء رضي الله عنكم في قضية عظيمة الخطر هي مايمارس الناس من أعمال، فهم يقربون الذبائح إلى القبور وينذرون لها ويذبحون لها ويستعيدون بها ويعتقدون فيها النفع والضر والحياة والموت " ورأس برأس " فهل هذا يرضاه الإسلام يا علماء الإسلام، وهل ارتفاع القبور والقباب من الإسلام في شيء، وهل يؤجر عليها فاعله، فأنا منصوب قبة الشيخ داود بن الزين والناس يأتون إلي بريالات وكباش وعجلان وأشياء أخرى يقولون هذه حق الشيخ داود وإذا نهيتهم قالوا الولي سيضرك، أولئك كانوا يعملون ويقبلون، فلماذا لا تسير على ما ساروا عليه، قولوا لنا كلمة

<sup>1</sup> النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص ( ١٢٧ - ١٢٨ ) لعبدالله بن علوي الحداد طبع دار الحواصي الطبعة الأولى

( ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ) .

الإسلام في الموضوع - وفقكم الله - ، والسائل مستفيد وهناك قباب كثيرة ومناصب أخرى والعمل هو العمل ويأتي جهلة بدوان ويقومون بحركات ورعشات، أقفونا لا خلا عنكم الوجود؟

وقد جاءت الفتوى هكذا (الحمد لله حيث كان الحال ماشرحه السائل، فالتقرب بالذبايح إلى القبور والأولياء والإستعانة بهم والنذر لهم دائر بين أمرين خطيرين، إما كفر بواح، وإما وسيلة إلى الكفر، ذلك أنه إذا صدر هذا الفعل الشنيع ممن نشأ في دار الإسلام عالماً بأحكام الشرع في مثل هذا معتقداً النفع والضر من الولي يكفر فاعله، فتجري عليه أحكام الردة جميعها وإن كان قريب عهد بالإسلام أو نشأ في غير دار الإسلام، أو في دار الإسلام نائياً عن أماكن المعرفة، فيكون هذا الفعل في حقه وسيلة من وسائل الكفر، فيجب تعليمه وتبيين الأدلة له وإقامة الحججة عليه فإن انتهى بعد ذلك منها وإلا فحكمه أن يكفر.

فعلى كل يجب على ولاية الأمر الردع من مثل هذه الأمور والأخذ بيد من حديد، لكل من يقدم على هذا المنكر الفظيع ولو أدى ذلك إلى هدم القباب الموضوعة على القبور سداً للذرائع، هذا ما نعتقده في هذا الموضوع والله على ما نقول وكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).  
وقد كتب الفتوى أحد كبار علماء زبيد المعاصرين وهو الشيخ أسد بن حمزة بن عبدالقادر وصادق عليها جمع من علماء زبيد وغيرها، ومنهم: محمد بن محمد بن سليمان الأهدل، محمد بن علي البطاح الأهدل، أحمد بن عبدالقهار بن صالح، محمد بن عبد الجليل العزي، عبد الجليل بن علي خليل، محمد ابن عبدالله بازي، محمد بن عيدروس علوي، عبد المجيد بن عزيز الزندانى، عمر بن أحمد سيف، علي ابن محمد واصل، حامد بن مختار شرف، محمد بن أحمد كديش " عضو محكمة الحديدية التجارية "، محمد بن علي مكرم، حسين بن محمد عثمان الوصابي، أحمد بن عبدالله سعيد

الضافري، عبدالله بن قاسم الوشلي، أحمد بن محمد عامر، وعلي بن محمد الوشلي، محمد بن محمد عزيز القديمي، وإبراهيم ابن حسين صائم الدهر، عبدالرحمن الوشلي، عبدالرحمن بن عبدالله الأهدل، هذه الأسماء التي تبيّنتها وهناك أسماء لم أتبيّنها .

وقد علق حاكم زبيد السابق - رحمه الله - عبدالله الأنباري على الفتوى فقال: (أنا أقرر ما قرره الأئمة السادة العلماء بمنع كل بدعة قبيحة تخالف منهج الشريعة المطهرة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فالضر والنفع بيد الله سبحانه وتعالى، والذبح لغير الله لا يجوز، ومن ثبت تعاطيه لذلك فيمنع ويضبط حتى يتوب . وفق الله الجميع لخدمة كتابه وسنة رسوله ﷺ والاهتداء بهدية وجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم وصلى الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.)<sup>١</sup>

الفتوى الثانية: كما وزعت فتوى أخرى على شكل ملصق علق في المساجد وغيرها يحتوي على فتوى مقارنة للفتوى السابقة ملخصة من مجموع ما أفتى به العلماء، وإليك نص السؤال وملخص الجواب:

نص السؤال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإن في بلادنا قبور رجال صالحين، مرفوعة ببناء فوق الأرض، فيها حفرة صغيرة، بداخلها تراب يتبرك به ويستشفى به، وتقام لهذه القبور زيارات سنوية موسمية في شهر رجب الحرام وغيره، يذبح فيها الكباش لأصحاب القبور، ويجمع عندها الرجال والنساء والباعة والألعاب، ويحتفل بهذه الزيارات كالأحتفال بيوم العيد، وتهان فيها القبور أيما إهانة .

<sup>١</sup> لدي صورة طبق الأصل من هذه الفتوى وقد وردت ضمن كتيب بعنوان "الفتاوى اليمينية في تحريم رفع القبور والزيارات البدعية والشركية" وهو من سلسلة باسم (السلسلة الدعوية) رقم (٩) ويوزع مجاناً بدون تاريخ .

فما هو قول السادة العلماء والأئمة الفضلاء في رفع القبور بالبناء؟ وما حكم هذه الزيارات؟ وهل هي الزيارات الشرعية التي حث عليها أبو القاسم محمد عليه السلام؟ أفتونا ماجورين. نفع الله بكم الإسلام والمسلمين.

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على هذا الاستفتاء. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم:  
أولاً: أوضح العلماء في فتاواهم على أنه لا أحد من الخلق لا ملك ولا نبي ولا ولي يضر أو ينفع، وأن الأموات لا ينفعون الأحياء ولا يغنون عنهم من الله شيئاً بل الأموات بحاجة إلى دعاء الأحياء لهم، والاستغفار لهم، وإذا كان سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه السلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملك ذلك غيره ممن هو دونه، وعليه فلا يجوز اعتقاد النفع والضرر في أصحاب القبور مطلقاً، لأنه من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

ثانياً: أوضح العلماء أن شد الرحال إلى القبور بدعة محدثة منكرة وقد جاء الشرع بالنهي عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

ثالثاً: أكد العلماء على حرمة رفع القبور أكثر من شبر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: ((لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)) أخرجه مسلم.

رابعاً: أكد العلماء على حرمة البناء على القبور مطلقاً، وتخصيصها، والكتابة عليها، والقعود عليها، لحديث جابر بن عبد الله: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد على القبر، وأن يخصص أو يبنى عليه)) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وفي رواية: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء)) أخرجه أبو داود وابن ماجه.

خامساً: بين العلماء الفرق بين الزيارة الشرعية للقبور، التي تكون للعتة، والاعتبار، وتذكر الآخرة، والدعاء والاستغفار للميت. وبين الزيارات البدعية والشركية التي يتقرب فيها إلى أصحاب القبور، بالذبايح، والندور، والاستغاثات، وما إلى ذلك من أمور الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وأن هذه الأمور لا تكون إلا لله ﷻ وحده لا شريك له، لقوله تعالى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ولقوله تعالى: ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ ولقول النبي ﷺ: ((لعن الله من ذبح لغير الله)) أخرجه مسلم.

سادساً: أكد العلماء على أن وضع حفرة على القبر وجعل التراب فيها للتبرك والاستشفاء به من وسائل الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام.

سابعاً: أكد العلماء على تحريم، وخطورة ما يجري في هذه الزيارات، من الاختلاط بين الرجال، والنساء، وخروج الباعة، والطبول، وما يجره من الفتن، والفواحش والموبقات، علماً أن النبي ﷺ: ((لعن زورات القبور)) أخرجه أحمد والترمذي.

ثامناً: أوضح العلماء تحريم تخصيص شهر من السنة، لزيارات قبور الأولياء، خاصة في شهر رجب الحرام، وأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك، الذي لا يغفره الله ﷻ - إن مات صاحبه عليه - لقول النبي ﷺ: ((لا تجعلوا قبوري عيداً)) أخرجه أبو داود.

وإليك أسماء بعض العلماء والمشايخ الذين أفتوا ووقعوا على هذه الفتوى.

- (١) محمد بن إسماعيل العمراني (٢) مقبل بن هادي الوادعي (٣) د. إبراهيم القريبي (٤) د. عبدالوهاب الديلمي (٥) محمد الصادق مغلس (٦) عبد المجيد الزندانى (٧) عبدالعزيز الدبعي (٨) عبدالحسن ثابت (٩) عبدالمجيد الريمي (١٠) عقيل المقطري (١١) محمد بن عبدالوهاب الوصابي

(١٢) د . أحمد محمد زبيدة (١٣) أحمد حسن المعلم (١٤) إسماعيل العنسي (١٥) محمد المهدي  
(١٦) عبدالرحمن ابن عبدالله شميلة (١٧) حسين بن محفوظ (١٨) عمر أحمد سيف (١٩)  
عبدالقادر الشيباني (٢٠) صالح الوادعي (٢١) طارق عبدالواسع (٢٢) عبدالله الحاشدي (٢٣)  
ناصر الكريمي (٢٤) عيسى شريف (٢٥) أحمد حسان (٢٦) علي بارويس (٢٧) علي بن فتيني  
(٢٨) عبدالله الحميري (٢٩) أحمد أهيف (٣٠) أمين جعفر (٣١) عمّار ناشر (٣٢) محمد  
الوادعي (٣٣) عارف أنور (٣٤) علي مقبول الأهدل (٣٥) محمد سالم الزبيدي (٣٦) محمد سعد  
الحطامي (٣٧) حسن صغير الأهدل (٣٨) مراد القدسي (٣٩) إسماعيل عبد الباري (٤٠) حسن  
الزومي (٤١) حاكم زبيد عبدالكريم النعماني (٤٢) محمد المعمرى (٤٣) عبدالله فيصل الأهدل  
(٤٤) عمر سقيم .

الفتوى الثالثة: نص السؤال: ما حكم الشرع في هذه النتيجة التي يصدرها هذا الرجل، والتي يذكر  
فيها ما سيحدث للأشخاص والبلدان، وكذلك مختلف الأحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية  
والكوارث وغير ذلك، معتمداً كما يقول على علم الجفر والنجوم وغيرها ؟ وهل يجوز إصدارها أو  
بيعها وشراؤها ؟

وقد تفضل أصحاب الفضيلة بالإجابة عن التساؤل، ننشر هنا خلاصة تلك الإجابات، آمليْن أن  
تتمكن مستقبلاً من نشر إجابات العلماء مفصلة . . والله الموفق .

ركز العلماء على أن عمل هذا الرجل هو ادعاء لعلم الغيب، وأن من أصول العقيدة الإسلامية  
المقررة عند أهل الملة أن الله استأثر بعلم الغيب فلا يعلمه أحد سواه، وأدلة ذلك جدّ كثيرة، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ "النمل" ٦٥

٢- وقوله تعالى: ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ "آل عمران ١٧٩"

٣- وقوله تعالى: ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو. ﴾ "الأنعام ٥٩".

٤- وقوله تعالى: ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الغيب لله ﴾ "يونس ٢٠".

٥- وقوله تعالى: ﴿ والله غيب السموات والأرض ﴾ "النحل ٧٧".

٦- وقوله تعالى: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ "الجن ٢٦".

وعلى هذا فعلم الغيب محجوب عن جميع الخلق، بما في ذلك الملائكة والنبين، قال الله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ "البقرة ٣٢". وقال الله حكاية عن محمد ﷺ: ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ "الأعراف ١٨٨". وقال الله أمراً نبيه محمد ﷺ: ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾ "الأنعام ٥٠"، وقال الله: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ "الجن ٢٦". وقال الله عن الجن: ﴿ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ "سبا ١٤"، ويقول تعالى: ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ "لقمان ٣٤".

فإنه قد حجب علم الغيب عن أكرم خلقه وهم الأنبياء والملائكة إلا ما أعلمه الله لهم، أبعد هذا يأتي هذا ويدعي معرفة الغيب؟! . إن من ادعى علم الغيب قد نازع الله، وكذب القرآن، وفارق هذه الملة.



ركز العلماء في إجابتهم على أن هذا العمل من الكهانة التي جاء الإسلام بتحريمها؛ إذ أن الكاهن هو الذي يدعي معرفة علم الغيب، وما سيقع من أحداث مستقبلية، وأن صاحب هذا العمل كاهن، والرسول ﷺ يقول: ((ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له)) رواه البزار والطبراني .  
وأن من أتى كاهناً، فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوماً، كما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ، أما إن سأله وصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد، كما جاء عن النبي ﷺ في سنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في الإرواء "٢٠٠٦"، هذا في السائل فما بالك بالمسؤول .

-علم النجوم الذي يدعي صاحب هذه النتيجة الاعتماد عليه في معرفة علم الغيب - يقول فيه الرسول ﷺ: ((من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)). رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني في السلسلة " ٧٩٣ " .

وقد جاء في البخاري عن قتادة: (خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة السماء، وعلامات يهتدى بها، ورجوم للشياطين، فمن تأول فيها غير ذلك، أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكف ما لا علم له به .  
وقال الإمام الخطابي في معالم السنن: (علم النجوم المنهي عنه هو: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات، وهذا منهم تحكّم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه) .

- وأما علم الجفر (وأنه العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والذي يحتوي على ما كان ويكون وأن الرسول خصّ به علياً وذريته من بعده)، فأمر وهمي لا حقيقة له . وأدلة ذلك كثيرة ويكفي منها:

ما جاء عند البخاري من سؤال أبي جحيفة لعلي عليه السلام - : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو ليس عند الناس؟ . فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر. وما جاء عند مسلم برقم " ١٩٨٧ " عن علي قوله: (ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا) وأخرج صحيفة مكتوب فيها: ((لعن الله من ذبح لغير الله...)).

فعلم الجفر باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

وبناءً على ما سبق؛ فقد أكد العلماء على أنه لا يجوز التصريح بإصدارها، كما أنه لا يجوز طبعها، ولا بيعها، ولا شراؤها، ولا تداولها. وأنه يجب على الجهات المختصة مصادرتها والأخذ على يد صاحبها ومحاكمته، وأنه يجب عليه التوبة إلى الله والابتعاد عن هذه الضلالات، وأنه يجب إسداء النصيحة لكل من يقتنيها أو يطلع عليها، وتبيين مخاطر ذلك على العقيدة والتوحيد لعموم المسلمين. تلك هي بعض أهم النقاط التي ركز عليها العلماء سارعنا في إخراجها؛ إقامة للحجة؛ وتوضيحاً للحق؛ ونصحاً للخلق.

أما العلماء الذين تكرموا بالإجابة على هذا التساؤل فهم:

محمد بن إسماعيل العمراني، عمر أحمد سيف، عبد المجيد الريمي، محمد الصادق، حسين عمر محفوظ، محمد المؤيد، حسن حيدر الوصابي، علي العديني، مراد القدسي، أحمد حسان، عارف أنور عمار بن ناشر، عبد الله بن أحمد المرفدي، أحمد مقبل بن نصر، عبد الرحمن قحطان، عقيل المقطري، عبد الله سيف، عبد الله سنان، طارق عبد الواسع، عبد الملك داود، عبد القادر

الشيبياني، فاضل محمد عبدالله، يحيى الجهراي، د. حسن الأهدل، أمين عبدالله جعفر، د. عبد الله الأهدل، محمد سعيد الخطامي، عمر علي سقيم، حسن صغير الأهدل، عبد الرحمن عبد الله الأهدل، أحمد حسن المعلم، عبده عبدالله الحميدي، حميد عقيل، محمد المهدي، القاضي علي البعداني، محمد بن علي الرحبي، عبد الله بن غالب الحميري، عبد الرحيم الشرعبي، عبد الله عبده الإبي، يحيى السوسوة.

كما تم الاعتماد على فتوى حول الموضوع لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ومعه لجنة الافتاء الدائمة المكونة من كل من:، عبد العزيز آل الشيخ، صالح الفوزان، بكر أبو زيد، عبد الله الغديان.

الفتوى الرابعة:السؤال: ما حكم شد الرجال إلى الجند من قبل الرجال والنساء؟ وما صحة ما ينسب إلى النبي ﷺ في ذلك؟

- ما حكم الموالد التي تقام داخل المسجد ليلة ذلك اليوم؟ وما حكم ما يفعله المجاذيب من طعن الرؤوس؟

- ما حكم اختلاط الرجال بالنساء داخل المسجد؟

- ما صحة ما يشاع من أن الذهاب هو حج الفقراء؟

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على تلك الأسئلة. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم،  
أملين أن تتمكن من نشرها كاملة ومفصلة.

أولاً: أكد أصحاب الفضيلة على شد الرحال إلى الجند بقصد التقرب والتعبد بدعة محدثة منكرة.  
وقد جاء الشرع بالنهي عن الابتداع. فالنص النبوي يقول: ((وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))  
ويقول: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)). وفي رواية: ((من عمل عملاً ليس عليه  
أمرنا فهو رد)).

هذا وقد جاء نص نبوي آخر له صلة بجرمة شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد يقول الرسول ﷺ:  
((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا))،  
وأما ما يردده بعض الجهال أن الرسول ﷺ قال: ((إلى أربعة مساجد)) بإضافة مسجد الجند،  
فكذب على النبي ﷺ والرسول يقول: ((ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار)).  
ولا يخفى على أحد خطورة الابتداع في الدين، ويكفي في ذلك قوله ﷺ: ((إن الله حجب التوبة عن  
كل صاحب بدعة حتى يدعها)) حسنه الألباني.

ومما يزيد النكارة، ويشدد الحرمة ممارسة منكرات أخرى في ليلة ذلك اليوم في ذلك المكان، ومنها:  
(السحر الذي يفعله المجاذيب، وامتهان المسجد باختلاط الرجال والنساء - وهو منكر في حد ذاته  
- ومضع القات وغير ذلك..).

ثانياً: أكد العلماء على أن تخصيص أول جمعة من رجب، هو بدعة أخرى لا دليل عليها، وكذلك  
اتخاذ ذلك المكان بعينه في ذلك الوقت ومن باب اتخاذ عيداً، مع العلم أن الرسول ﷺ، نهى عن  
اتخاذ قبره عيداً، فهذا المكان من باب أولى.

ثالثاً: أكد العلماء على أهمية محبة الرسول ﷺ، وعلى أنها من الأمور الواجبة على كل مسلم، بل لا يتم إيمان المرء حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، كما أكدوا على أهمية تدارس سيرته وتعلمها وتعليمها، وليس من ذلك إقامة الموالد، سواء في تلك المناسبة أو في غيرها، بل الموالد أمر محدث لم ينص عليه كتاب ولا سنه، ولم يفعل في عهده ﷺ، ولا في عهد صحابته الكرام، ولا في عهد التابعين، ولا في عهد الأئمة الأربعة، وهم أكمل الناس حبا لرسول الله، وأكثرهم تعظيماً له وقد كمل الله دينه، وأخبر عن ذلك بقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ وليست هذه الموالد من الدين الذي أكمله الله، بل تدخل في قوله ﷺ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).

رابعاً: أكد العلماء على أن ما يحصل ممن يُسَمَّون بالمجاذيب هو نوع من السحر المعلوم حُرْمته، ومعلوم ما جاء في صحيح البخاري أن عمر كتب إلى ولاته: (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة) وقوله تعالى: ﴿وما كهر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر﴾ الآية.

خامساً: أكد أصحاب الفضيلة على حرمة الاختلاط في ذلك المكان وفي غيره، وعلى النكارة الشديدة لشد الرحال من قبل النساء إلى ذلك المكان، فإذا كانت المرأة لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها للصلاة جماعة؛ إذا ترتب على خروجها فتنة، فهذا من باب أولى.

والاختلاط أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات وسبب في كثرة الفواحش. سادساً: أشار العلماء إلى أنه لم يثبت في فضل رجب أو في فضل العمل فيه رجب شيء، وأنه كغيره من الشهور. غير أنه فقط من الأشهر الحرم، وقد ألف الحافظ ابن حجر رسالة في ذلك..

سابعاً: ذكر بعض الباحثين ممن أجاب على السؤال: أن مسألة بناء معاذ لمسجد في الجند بحاجة إلى مزيد من البحث والتحري وحتى لو ثبت ذلك فليس في ذلك أدنى دليل على ما يفعله من شد الرحال إلى هناك، فالصحابه بنوا العديد من المساجد في الشام والعراق ومصر وغيرها، ولم يكن ذلك البناء مدعاة إلى شد الرحال إليها .

ثامناً: أكد العلماء على أهمية دور العلماء والمرشدين في إنكار مثل هذه البدع؛ قياماً بواجب النصيحة ((الدين النصيحة))، وقوله ﷺ: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه...))

وأكدوا على أهمية دور أصحاب السلطات في ردع المنتفعين من ذلك؛ لما يقومون به من التغيرير بالعامّة والتلبيس عليهم، وأكدوا - أيضاً - على أهمية تظافر الجهود في إزالة هذا المحدث وغيره من المحدثات .

تاسعاً: أكد العلماء على أن القول بأن الذهاب إلى هناك يعدل حجة هو من الكذب على الله، ومعلوم قوله تعالى: ﴿ لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع قليل ولهم عذاب اليم ﴾ .

عبد الله سيف الحيدري، أحمد حسن المعلم، عقيل بن محمد المقطري، عبد الله بن غالب الحميري، محمد بن محمد المهدي، عبده عبد الله الحميدي، علي بن علي البعداني، عبد الرحيم الشرعي، محمد بن علي الرحيبي، علي بن يحيى شمسان، حميد قاسم عقيل، عبد الملك داود عبد الصمد، عبد القادر الشيباني، يحيى بن محسن الجهراي، فاضل محمد عبدالله، عبد العزيز الدبعي، سعيد بن سعيد حزام، أحمد مقبل

ابن نصر، عبد الله سنان، د • حسن شبالة، عبد الله بن فيصل الأهدل، عبد المجيد الرمي، عبد الرحمن سعيد البرهبي، عبد الله بن سعيد الحاشدي، كمال بن عبيد القادر باخرمة، محمد الصادق مغلس ن عبد الله علي صعتر، عبد المجيد الزنداني ن عبد الوهاب لطف الديلمي، صالح الضبياني، علي ابن عبد الله العديني، حسن بن محمد حيدر الوصابي، مراد بن أحمد القدسي، مهيب بن حسين المعولي، د • علي مقبول الأهدل، عبد الله عبده الإبي، القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، محمد عبد الرحمن غنيم، د • صالح صواب، حسين عمر محفوظ ن محمد بم علي الوادعي، صالح ابن علي الوادعي، أحمد حسان، محمد بن علي المؤيد، طارق بن عبد الواسع، عبد العزيز البرعي.

**الفتوى الخامسة:** فتوى بمنع ما يسمى " زف الختاميات " التي يقيمها القبورية في بعض مدن حضرموت كالمكلا والشحر وغيرها، والزف هو السير الجماعي من المسجد الذي يقام فيه الحفل " حفل ختم القرآن " إلى قبر ومشهد معين، ويصحب ذلك السماع الصوفي بالدفوف والطبول وأنواع من الملاهي ويحتشد لحضوره جمع كبير من الناس رجالاً ونساءً وأطفالاً، ويحصل فيه مفاسد كبيرة، يقول أخونا الشيخ أحمد برعود في كتابه " الأضواء المضيئة على بعض العادات الحضرية " وهو يتكلم عن تلك العادة " البدعة " بدعة الختاميات: (ولقد أمليت على هذه الفتوى وكتبتها بيدي ووقع عليها المشايخ المذكورون في نفس الجلسة عدا السيد عباس حامد الحداد لم يكن حاضراً، كما زكى الفتوى السيد عبدالله بن محفوظ الحداد . فإليك أخي القارئ نص الفتوى:

" بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وبعد: فقد اتفق طلبة العلم بمدينة الشحر على أن تمتع زفوف الختاميات بعد نهاية الصلاة والقرآن لما

يترتب على ذلك من المفاسد والمنكرات التي لا تتفق مع الشرع الشريف، فعليه نطلب من حكومتنا الموقرة أن تمنع وأن تلاحظ من يخالف هذا الأمر؛ لأن الرسول ﷺ يقول: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))، كما نطلب من السيد الفاضل عبدالله بن محفوظ الحداد في هذا الموضوع أن يصدر فتوى لمنع الزفوف منعاً لما يحصل بسببها من المنكرات والمفاسد، وبعد هذه الفتوى ينبغي ويلزم كل مسلم أن يمنع أهله من الحضور لمثل هذه المجموعات التي تحصل فيها المنكرات حصولاً ظاهراً، ومع العلم أنه ليس هناك ختم حقيقي للقرآن الكريم كما كان السلف يقرأون من أوله في الصلاة ثم يختمونه في إحدى اليالي ويدعون الله بعد الختم ويحضره الناس في المسجد ثم يتفرقون إلى بيوتهم هذا وبالله التوفيق.

وكذلك نعلم حكومتنا الموقرة أن هذه الليالي من رمضان يجتمعن كثير من النساء في الأسواق لشراء حوائجهن، فيجتمع بسببهن كثير من السباب فيحتكون بالنساء احتكاكاً متعمداً ياباه الشرع الحكيم وأهل النفوس الزكية، فالمطلوب من حكومتنا الموقرة أن تقوم بملاحظة هؤلاء الناس، ودفعهم عن النساء وهم المسؤولون بين يدي الله سبحانه وتعالى. والله الموفق

٢١/ رمضان ١٤١١هـ

التوقيع:

" الشيخ عبد الكريم عبدالقادر الملاحى، الشيخ سالم خميس حبليل، الشيخ السيد عباس حامد الحداد ".

الحمد لله وأنا بدوري أزكي ما قاله مشايخ الشحر وعلمائها وأضم صوتي إلى صوتهم لتقوم الحكومة بمنع هذه المنكرات المحدثه.



التوقيع:

عبد الله بن محفوظ الحداد<sup>١</sup>.

بيان بشأن أحداث تسوية القبور بعدن بعد انتهاء حرب الانفصال سنة (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) وقد صدرت ردود فعل كثيرة تجاه تلك الحوادث معظمها كانت في معرض النقد والاستهجان لذلك العمل منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي إسلامي أو غير إسلامي كما صدرت عدة بيانات تعبر عن مواقف أصحابها منه ومعظمها إما رسمي يراعي سياسة الدولة التي كانت في موقف محرج أمام الجهة الإعلامية التي جوبه بها الحدث أو كانت منطلقة من منطلق حزبي تعبر عن الموقف الرسمي للحزب فلذا لم يبرز فيها الحكم الشرعي كما هو عند علماء الشرع السالمين من تلك الضغوط والحسابات الأخرى وما رأيت في تلك البيانات والكلمات والمواقف ما يمثل الحكم الشرعي الصريح الا هذا البيان الذي وقعه مجموعة من خيرة من علماء اليمن ونشرته مجلة المنتدى التي كانت تصدر تلك الفترة من صنعاء في عددها .

وهذا نص البيان وأسماء الموقعين عليه: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد ابن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد: فقد تابع العلماء الموقعون على هذا البيان الأحداث الأخيرة في عدن:

الأول منها تج عنه تسوية القباب والقبور التي تعلق بها عوام الناس من قديم حتى أضفوا عليها من القداسة والتعظيم إلى درجة عبادتها من دون الله تعالى متمثلة في دعائها لكشف الضر وتفريج الكرب والذبح والتذر لها .

<sup>١</sup> الأضواء البهية على بعض العادات الحضرية تأليف أحمد بن علي بعود ص ( ٣٧ )، الطبعة الأولى: ( ١٤٢١ - ٢٠٠١ ) .

والحدث الثاني وهو حدث لا صلة له بالأول ألا وهو اشتباك مسلح بين رجال الأمن وبعض الشباب وذلك حول مقر ما يسمى بمليشيا الحزب الاشتراكي وسببه خلاف في ملكية المنزل. كما تابع العلماء البيانات السياسية والمقالات الصحفية ورأوا أن الحقيقة الشرعية ضاعت بين دهاء سياسي وسبق صحفي، وكلا الأمرين لم ينطلقا من ضوابط شرعية وثوابت عقدية في ديننا الإسلامي.

لهذا رأى الموقعون على هذا البيان أن يبينوا الحكم الشرعي في هذه القضية حتى لا يشملهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهَا لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، كما أن هذا البيان ينطلق من قوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا لمن يارسول الله؟ قال: لله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)).

### الشرك وخطره:

من المعلوم من الدين بالضرورة ومن قطعيات الشريعة ويقينياتها خطورة الشرك وأنه مخرج من ملة الإسلام وموجب لصاحبه عدم المغفرة وحبوط العمل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقال تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

وإن أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام قام على محاربة الشرك وتأسيس التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وإن من وسائل

<sup>1</sup> الصحيح أن لحديث من رواية أبي رقية تميم بن أوس الداري

الشرك التي ابتليت بها الأمة تعظيم الصالحين ونصب القباب لهم فكانت نتيجة ذلك الغلو أن يدعوهم من دون الله بحجة أنهم أولياء صالحون، وهذا من تزيين الشيطان وإضلاله، لأن الغلو في التعظيم يجر إلى العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

نعم الواجب توقير أولياء الله ومحبتهم وإثبات الكرامات لهم؛ ولكن لا يجوز دعاؤهم والاستعانة بهم والذبح والنذر لهم كما يفعله الخرافيون.

والزيارة الشرعية لأموات المسلمين سنة لأنها تذكرهم بالآخرة، أما الزيارات المبتدعة التي تكون موسمية ويجمع لها الرجال والنساء ولاعبو القمار ويحدثون حول تلك القبور من المفاسد البدعية والشركية والسلوكية ما لا يرضى بها عاقل، بل هي من المنكرات والصور التي شوهت جمال الإسلام وصفاءه، ويجب على العلماء إنكارها والبراءة منها.

وقد أنكر العلماء قديماً وحديثاً هذه الظواهر، وهذه أقوالهم:

١- قال ابن حجر الهيثمي المكي:

(وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قندل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره) اهـ. - الزواجر عن اقتراف الكبائر " ١٤٩/١ .

٢- الإمام الشوكاني:

وقال في الدر النضيد ص ٢٢: (وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب " ذي بين " رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع

والبخور ينفخ في جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله إلى الباب: " أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين ".

٣- قال الإمام الصنعاني في " تطهير الاعتقاد ":

(وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج بيت الله الحرام ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم: " على الله وعليك " ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها .

فأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون: يا زيلعي يا ابن العجيل، وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن: يا ابن علوان) .

٤- قوتى دار الإفتاء المصرية:

هذا وقد صدرت قوتى من دار الإفتاء المصرية في عهد الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ "١٩٢٨/٧/٢م"، ونصها: (اعلم أنه يحرم رفع البناء على القبر ولو للزينة ويكره للإحكام بعد الدفن بل تكره الزيادة العظيمة من التراب على القبر لأنه بمنزلة البناء وهو منهي عنه لما في صحيح مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر وأن يبنى عليه. انتهى من الدر المختار وحاشية رد المحتار .

وحين نقول يجب إنكار الشرك ومظاهره فلا يعني ذلك إعطاء الفرصة للذين يصطادون في الماء العكر ولكن لا بد من الحكمة في ذلك واتخاذ الوسائل الناجحة في استئصال كل المظاهر التي تسيء إلى ديننا وأمتنا ومراعاة المصالح والمفاسد وهدم كل مظاهر الشرك من النفوس والقلوب

أولاً بواسطة نشر الوعي بين المسلمين بالوسائل المشروعة حتى يتيسر هدمها في الواقع، ألا ترى أن النبي ﷺ أوكل إلى خالد ابن الوليد بعد أن استقر في قلبه هدم العزى، حتى قال خالد ﷺ:

يا عَزُّ كُفْرانِك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك

ولقد حرص الحزب الاشتراكي على دعم الخرافيين الذين تحالفوا معه وأيدوه في قرار الانفصال وذلك سعياً منهم في طعن الإسلام وتدميره باسم الإسلام.

وإنه من ما ينبغي التنبيه عليه ان الحامل لبعض الشباب المسلم على تسوية القبور التي قدست من دون الله هو ما قدمنا من مسلمات الدين وضرورياته، وما ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) - متفق عليه - .

وروى مسلم في صحيحه أن علياً ﷺ قال لأبي الهياج الأسدي: ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته .)).

إلا أن بعض الساعين إلى الفتنة والحاقدين على وحدة الأمة استغل الحدث أبشع استغلال بغية ضرب المسلمين بعضهم بعض وشق صفهم ولبس الحق بالباطل، وتشويه الحقائق حتى صيروا المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وأدخلت قضيتان في بعضهما مع أن كلاً منهما منفصلة عن الأخرى، فقضية تسوية القبور كانت يوم الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ وما قبلها من أيام ومرت بسلام.

وقضية الصراع حول مركز المليشيا كانت يوم السبت ٢٨ ربيع الأول ١٤١٥هـ وهي القضية المؤسفة جداً التي أدت إلى سفك دماء الأبرياء سواء من الأمن أو الشباب، فسفك الدماء بهذه الطريقة يدل على عدم مسؤولية وتصرف أرعن يجب التحقيق المنصف لمعرفة المتسبب لهذه

الحادثة، وحتى لا يكون بداية سيئة وخطرة يستغلها أعداء شعبنا لتفجير صراعات داخلية واستغلالها سياسياً في الخارج وتلك هي أمنية الانفصاليين.

وعلى ضوء ما تقدم نوصي بالتالي:

- ١- على ولاية الأمر والعلماء القيام بواجبهم الشرعي في محاربة الشرك ومظاهره واتخاذ الوسائل الشرعية لذلك وتكوين هيئة للأمر بالمعروف والنهي للتعلى محاربة جميع ظواهر الفساد، وهذا يسد أبواب الفوضى والاضطراب.
- ٢- اتحاد كلمة العلماء وخصوصاً في مثل هذه المواقف الخطرة وأن يصدروا عن مواقف مشتركة ومنسقة تخدم دين الله ﷻ.
- ٣- على الشباب الرجوع إلى العلماء والالتفاف حولهم وأن لا يقدموا على عمل دون الرجوع إلى العلماء ومعرفة توجيهاتهم والحكم الشرعي في ذلك، مع العلم أن ما حصل في عدن لم يكن بمشاوره العلماء مما أدى إلى هذه النتيجة غير المرضية.
- ٤- أن يتم تغيير المنكرات بالحكمة ومراعاة الواقع وقاعدة المصالح والمفاسد.
- ٥- أن يحذر المسلمون الفرقة والتنازع لأن هذا مما يضعفهم ويقر عيون أعداء الإسلام.
- ٦- تشكيل لجنة من العلماء والالتقاء بالشباب لمعرفة ملابسات الحادث والعمل على إطلاق سراحهم.

٧- أن يقوم ولاة الأمر برعاية مصالح الأمة وشبابها وصيانة دينها فكلكم راع  
وكلكم مسؤول عن رعيته.

٨- يجب عدم إعادة الأضرحة وتشييدها وخاصة بعد معرفة الحكم الشرعي  
في ذلك ويجب إنفاق الأموال المرصودة لذلك للمتضررين من الحرب وخاصة  
في المحافظات الجنوبية.

والله من وراء القصد

صادر عن مجموعة من علماء اليمن بتاريخ ١١ ربيع الآخر ١٤١٥هـ

العلماء الموقعون على البيان هم:

عقيل المقطري، عمار بن ناشر، طارق عبد الواسع، عبد العزيز الدبعي، عبد القادر الشيباني،  
أحمد علي معوضة، علي محمد بارويس، عارف أنور، أحمد الشيباني، عبد الكريم الضراسي،  
زيد بن ثابت، عبد الله سنان، مجاهد الوصابي، علي صالح عنان محمد، عبد المجيد الريمي،  
محمد عبد الله الإمام، يحيى الجهراني، د. عبد الوهاب الديلمي، حمود علي ناصر السعيد،  
علي العديني، عبد الله الحاشدي، مراد القدسي، يحيى علي محمد جفمان، صالح الوادعي،  
محمد الوادعي، أحمد مقبل، خالد أحمد سعيد.

## المبحث الرابع

### الجهود العملية لمواجهة القبورية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على القبورية:

#### (٤) التعريف:

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة تجديدية، هدفها إعادة الأمة إلى ما كان عليه الأمر في عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وذلك بالدعوة إلى التوحيد الخالص، وتنقية عقائد الأمة مما داخلها من



عقائد ومفاهيم منحرفة، أدت إلى الشرك بالله تعالى، ودعوة للاتباع الكامل للنبي ﷺ، وتنقية عبادات الأمة مما ألصق بها من البدع والمحدثات، والمجاهدة؛ لإقامة الشرع في حياة الأمة وإزالة ما يخالفه. هذا ملخص ما يمكن أن تُعرّف به دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

### نشأتها:

نشأت الدعوة السلفية التي جردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب "دعوة الإسلام الأولى" في ذهنه، بعد أن بدأ في طلب العلم، وبدأ يقارن بين ما يتعلمه من مبادئ الشرع وأحكامه وما يرى عليه الناس، ثم بدأ فعلاً عندما عاد من رحلاته إلى بلده، ولكن الدعوة راوحت مكانها بل كاد أن يُقضى عليها بالقضاء على الشيخ نفسه، حينما عزم أمير العيينة على تصفيته جسدياً، فهاجر من العيينة إلى الدرعية وفيها نشأت الدعوة النشأة الأخيرة العملية، ومنها انطلقت حينما وجد الشيخ المناصرة الكاملة من قبل أميرها محمد بن سعود - رحمه الله - وذلك سنة (١١٥٧ هـ).

وبعد أن تقبلت الدرعية وأهلها دعوة الشيخ وآمنت بها، وصدقت في ولائها، انطلق دعائها حاملين مبادئها إلى ما حولها من ديار نجد، ثم إلى الأحساء والمناطق الشرقية، وإلى الحجاز وسائر أرجاء الجزيرة العربية، وكان بعض ذلك في حياة الشيخ والإمام محمد بن سعود وبعضه بعد موتها في أيام عبد العزيز ابن محمد بن سعود على يد ابنه سعود، وكان من فضل الله على عباده أنه في زمن قصير تحقق للدعوة نجاح كبير، وطُهرت نجد وما حولها من البدع والشركيات ووسائلها، ثم أخذ أئمة الدعوة من أبناء وأحفاد الإمامين يسيرون في الأرض دعاة مجاهدين، فمن أجاب قبلوا منه، ومن أبى قاتلوه.

<sup>١</sup> عنوان المجد في تاريخ نجد ص (١١) تأليف عثمان بن بشر - طبع مكتبة الرياض الحديثة - بدون تاريخ.

## المآخذ على الدعوة النجدية:

وعندما تكاثرت الأتباع والأنصار حدث من بعضهم حوادث غير مرضية، وقضايا على خلاف مقتضى الشرع.

وهذا طبيعي فليس كل الجند بل ولا كل القادة هم من العلماء العاملين والدعاة المخلصين، وإنما هناك من يركب الموجة، وهناك من يطمع في الغنيمة، وهناك أصناف من الناس مختلفو المقاصد وجرائهم كلها تلقى على كاهل الشيخ ودعوته، ولقد صار لتلك الدعوة صدىً واسعاً، وانتشر لجيوشها رعب كبير بين الناس، وخاف كل ذي سلطة على سلطته من أمراء وأشرف وشيوخ طرق، كلهم رأوا أن الدعوة تهددهم، فبدأت الحرب بشتى وسائلها، الحرب العسكرية والحرب الدعائية، وغيرها من أنواع الحروب، وكان الذي تولى كبر ذلك الدولة العثمانية بإسطنبول، وذلك لأمرين أساسيين:

**الأمر الأول:** السياسة، إذ خشيت على أجزاء كبيرة من أطراف مملكتها، ومن أهم تلك الأطراف الحجاز بما فيه مكة والمدينة، أن تخرج عن سيطرتها.

**الأمر الآخر:** إن الصوفية الاتحادية، كانت هي المسيطرة على الخلفاء، وهم أعدى أعداء هذه الدعوة للاختلاف العقدي بينهما.

فمن هناك طارت الدعايات، وانتشرت الشائعات ضد دعوة الشيخ -رحمه الله تعالى- وكانت كما وصفها الشيخ الإمام ابن الأمير (وأنتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف) واستغل خصومها بعض الهفوات التي يقع فيها بعض المحسوبين على

<sup>1</sup> الديوان ص ( ١٧٢ ) .

الدعوة فضخموها، وزادوا فيها، واتخذوها أدلة على ضلال الدعوة وانحرافها، ولكن ذلك كله ما زاد الدعوة التجديدية هذه إلا رسوخاً وانتشاراً وقبولاً في الأرض؛ خصوصاً بعد أن دخلت الحجاز، وحكمت الحرمين، والتقى دعائها بالحجاج من كل مكان مباشرة، فعرف الناس الحقيقة، وتبين لهم زيف الدعايات التي كانوا يسمعونها، فحملوا هذه الدعوة إلى بلادهم، ونشروها بين أهلهم وإخوانهم، وهاهي الدعوة " الوهابية " كما سميت وشاع ذلك عنها، هاهي لا يخلو بلد من بلدان المسلمين من حاملين لها فيه، وكم من علماء وجمعيات وهيئات علمية ودعوية تسير على الخط السلفي الذي جدده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في مشارق الأرض ومغاربها، رغم أن الدولة العثمانية وبواسطة واليها على مصر محمد علي باشا قد حاولوا القضاء عليها، وتمكنوا من القضاء على الدولة والقوة العسكرية والكيان السياسي، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على ما أشربته قلوب الناس من الحق، فما خرج الجنود الغزاة من نجد حتى عادت الدعوة والقوة والدولة بشكل قوي، ربما أقوى من ذي قبل، وهاهي قائمة إلى اليوم في أوسع مداها وأقصى انتشارها .

#### علاقة الدعوة النجدية باليمن:

من الطبيعي أن الداعية الموقن بصحة ما يدعو إليه المخلص لمبادئه محب الخير لأمته، لا تقف همته عند حد، ولا يكتفي في نشر دعوته ببلد دون بلد؛ لذا فإنه قد كان اليمن كل اليمن مستهدفاً للدعوة مُعرضاً لدعاتها وجيوشها، ولقد شقت جيوشها الطريق إلى اليمن من جهتين، من الغرب عبر الحجاز وجبال السراة حتى وصلت إلى مناطق عسير جبالها وتهايمها، فكانت القاعدة لها بعد أن انضم

أهلها إليها، وفتنوا بمبادئها، ودخل بعض أشرفها وأمرائها مع النجديين، وأزروهم على نشر الدعوة حتى وصلوا إلى الحديدة، بل إلى زبيد وحيس وما حولها<sup>١</sup>.

وحيثما بلغت الدعوة النجدية تلك المكانة من الاستيلاء على البلاد ودخول القبائل معها والقبول بما تدعو إليه، تجاوزت القبائل اليمنية لذلك، وشعرت بضعف دولة صنعاء في عهد الإمام " المنصور " أحد الأئمة الذين عاصروهم الإمام الشوكاني، وتقدمت تلك القبائل حتى حاصرت صنعاء بعد عام (١٢١٦هـ)؛ وكانت الرسل في أثناء ذلك ترد إلى صنعاء من الدرعية بالدعوة إلى التوحيد وهدم القباب والمشاهد، وحيثما أحس الإمام المتوكل بالضغط الشديد شاوور من مجزته في هدم تلك القباب والمشاهد، فقالوا له: إن كان هذا الهدم لوجه الله وتنفيذاً للشريعة فنعماً هو، وإن كان إنما هو مجاملة لأصحاب نجد فلا فائدة<sup>٢</sup>، قال الشوكاني: (ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها)؛ كما أنني لا أشك أنهم عندما مروا بدمن وقرى تهامه قد أزالوا ما فيها من مشاهد وقباب وسواها ما فيها من قبور مشرفة؛ لأن هذه هي عادتهم في كل مكان يستولون عليه، وإن لم أظفر بذلك في مرجع خاص، والفرقة الأخرى من جهة الصحراء حتى وصلت حضرموت.

### وصول الدعوة النجدية إلى حضرموت:

<sup>١</sup> البدر الطالع - ترجمة الشريف حمود بن محمد صاحب أبي عريش ( ١ / ٢٤٠-٢٤١ ) .

<sup>٢</sup> فرجة الموم والحزن للواسعي ص ( ٢٣٤ ) و الشوكاني حياته وفكره ص ( ٥٥ ) .

<sup>٣</sup> حوليات يمانية ص ( ٢٢-٢٣ ) .

<sup>٤</sup> البدر الطالع ( ١ / ٢٦٢-٢٦٣ ) .

وصلت الدعوة النجدية إلى حضرموت رسمياً بوصول الجيش النجدي الذي يقوده ناجي بن قملا وكان ذلك في سنة (١٢٢٤هـ)، فاستولوا على الكسور، وفيها حورة وهينن وحواليهما، وصالح ابن قملا القبائل الياضية والنهدية والشنفرية، وهدم غالب رؤوس القباب المبنية على القبور من دوعن غرباً إلى قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شرقاً، ولم يكن التأثير مقتصرًا على هدم القباب فقط، بل وصل إلى إقناع القبائل وجماعات من أبناء حضرموت بهذه الدعوة وحملهم لها ورفضهم للخرافات والعقائد القبورية التي كانت سائدة في البلاد، ومن تلك القبائل قبيلة "آل علي جابر" ببلد خشامر وما حولها في منطقة العقاد بين القطن وشبام، وحتى بعض رجال السادة العلويين تابعوهم على ذلك، كما ذكر ابن عبيدالله في "إدام القوت" عند كلامه على الحوطه "حوطه أحمد ابن زين" وبشكل أوسع في منطقة "المحيضرة" إحدى ضواحي تريم وهو يتكلم، عن السلطان عبدالله عوض غرامة، فقد قال: (وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقه آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة والذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، المتوفى بتريم سنة (١٢٤٨هـ)، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذه الناس بمقتضاها، فتأمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير، ولم يقدر عبدالله غرامة على حمايته بتريم؛ لأن غرامة لا يملكها كلها، وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى تريم سنة (١٢٢٤)

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت المسمى بـ (العدة المفيدة) (٣٢١/١) للشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي . تحقيق عبدالله محمد الحبشي . مكتبة الإرشاد . صنعاء ( الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ) ، وتاج الأعراس ( ١ / ١٧٤ ) .

<sup>٢</sup> انظر إدام القوت لابن عبيدالله ص ( ٢٢٧ ) .

هـ)، بقيادة الأمير علي<sup>١</sup> بن قملا، فطوى بهم حضرموت، ولم يفسد حرثاً، ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب، وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل، بدون مبرر من الدليل، وأقاموا بتريم نحو أربعين يوماً، وعاهده عبدالله عوض غرامة، وعبدالله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عن بلادهما، على شرط أن يقوما بنشر دعوته، التي لاقت هوى من نفوسهم وقبولاً من خواطرهم)<sup>٢</sup>.

إذاً فهذا إمام كبير وعلامة شهير من سادة تريم، كان يوافق أهل نجد على منهجهم، وقد اتهم بنشر هذا المنهج وتعليمه لهذا السلطان، حتى أن السلطان عبدالله عوض غرامة أرسل رسالة عزاء في قتل قتل في مشاجرة بغير قصد، جاء فيها: (إننا لا نريد ذلك ولا نحبه، وإنما كان قتله على غير اختيار منا، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب، وسيجر عليكم ما هو أعظم)، قال ابن عبيدالله: (ويقال أن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم، ذكره السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، والله أعلم)<sup>٣</sup>، بل هناك نص أوضح وأصرح في استجابة الكثير من قبائل حضرموت وبعض السادة العلويين للدعوة الوهابية، بل وطلبهم وصول دعواتها إلى حضرموت، يقول ابن عبيد الله في ترجمة أحمد بن سالم منصب عينات: (وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى حضرموت، بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير، وإنما كانوا ينشرون دعوتهم، ويستجيب لهم الناس، وكان ممن استجاب لهم آل

<sup>١</sup> كذا قال والصواب ناجي بن قملا .

<sup>٢</sup> إدام القوت الحلقة (٤٠) في مجلة العري التي تصدر في الرياض .

<sup>٣</sup> إدام القوت ص (١٢٣) .

علي جابر بخشامر، غربي شبام، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبدالله عوض غرامة بتريم) ، ولكن وجود النجديين في حضرموت لم يدم طويلاً حيث كان وصولهم إليها في آخر عمر الدولة السعودية الأولى، والتي انتهت بوصول القوات المصرية إلى الدرعية سنة (١٢٣٣هـ) ، وكانت جيوشهم قد وصلت إلى ساحل ينبع سنة (١٢٢٦ هـ) ، وما بين هذين التاريخين كان أهل نجد مشغولين بقتال القوات المصرية، ومن هنا قلت إمداداتهم إلى جيوشهم التي تقاتل في أطراف الجزيرة العربية ومنها الجيش الذي بحضرموت؛ ولذلك فقد هزم هذا الجيش بالقرب من حريضة على يد قبائل الجعدة وقيادة السادة آل العطاس، ورجعوا إلى بلادهم.

ولكن آثار دعوتهم ما زالت موجودة، وكان أشهر بلد استقرت على مبادئ هذه الدعوة هي بلد خشامر وأهلها آل علي جابر؛ لذلك كانت من النوادر أن أحداً إذا أراد من ولي كرامة فلم تحصل يهدده باللجوء إلى آل علي جابر في خشامر، كما ذكر في تذكير الناس قول الذي قال في زيارة المشهد:

زوار جينا بانزورك يا علي لي تكرم القاصد وترحب بالغريب

إن شيء كرامة با تقع ذا حلها والا رجعنا لا قدأ صالح حبيب .

أي إذا لم تكرمنا فإننا سنذهب إلى صالح حبيب شيخ آل علي جابر الوهابيين، وقول الآخر حينما جاء إلى الحسن بن صالح البحر، وله ولد مريض، فخاطبه بقوله: (وعزة المعبود إن لم تذهب الحمى

من

<sup>١</sup> إدام القوات ص (٤٣) .

<sup>٢</sup> عنوان المجد (ص ١٩١ - ٢١٤) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (١٥٧) .

<sup>٤</sup> انظر تاج الأعراس ( ١ / ٢٣٠-٢٣٧ )

<sup>٥</sup> تذكير الناس ص (٢١٩) .

ولدي محمد لأصبح في خشامر عند بن علي جابر<sup>١</sup>. وكل ذلك قد تقدم.  
ومالبت الناس بعد ذهاب النجديين إلا سيراً، فنشأت جمعية الإرشاد بإندونيسيا، فتواصل التأثير،  
ولله الحمد، حتى جاء الله بهذه الصحوة التي هي سلفية سنوية منابذة للقبورية متمسكة بمنهج السلف  
الصالح رضوان الله، عليهم نسأل الله أن يتم نوره، ويعلي كلمته، ويهدي الجميع للتمسك بما يرضيه

### المطلب الثاني: دعوة الإرشاد بإندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن:

من خلال العوامل التي أدت إلى قيام دعوة الإرشاد يمكننا أن نعرف على أهم ملامحها، فالعوامل التي  
أدت إلى قيامها هي:

(١) الجهل المركب الذي يسود العرب في إندونيسيا .

(٢) تمادي العنصرين في استعلائهم على الناس واستغفالهم لهؤلاء مادياً واجتماعياً .

(٣) كثرة البدع والخرافات .

من خلال هذه العوامل يتضح أن هذه الدعوة كانت ثورة على الجهل الذي كان يسود العرب في  
مهبجرهم، ووسيلة إزالته العلم، وثورة على التعالي العنصري، والمطلوب هو التساوي والعدل الذي  
جاء به الإسلام، وثورة على البدع والخرافات، وسبيل ذلك هو نشر التوحيد والاتباع وتعلم الإسلام  
الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ومن مجموع ذلك نعرف على جمعية الإرشاد الإسلامية بإندونيسيا، فنراها تقوم على ثلاثة أصول:

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ٢٢٠ ) .

<sup>٢</sup> تاريخ الإرشاد ص (٦) .



(١) نشر العلم وإفشائه بين سائر الطبقات .

(٢) المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الشرائح في المجتمع .

(٣) محاربة البدع والخرافات ونشر ضدها من التوحيد والاتباع .

وهذه الأصول كلها تقض لبعض أركان القبورية في اليمن، وقد سبق ذكرها مفصلة في الباب الثاني في آثار القبورية .

وقد وصلت هذه الدعوة إلى اليمن وإلى حضرموت بوجه خاص موطن، مؤسسي هذه الجمعية، وكان لها أثرها الطيب؛ حيث تنبه الناس من غفلتهم واستيقظوا من رقدتهم، فهرعوا إلى العلم، ورفضوا التمايز الطبقي، ودعوا إلى التوحيد والسنة ورفض البدع والخرافات والشركيات، وقام بعضهم بتسوية بعض القبور في مناطقهم، وأذكر أن أحدهم في قريتنا عمَدَ إلى ثوب كان يكسى به صناديق مكتبة الشيخ عمر بن أحمد العمودي الشهيرة والمعروفة عند المؤرخين بـ " المكتبة الشعبية " وعند العوام بحزانة

الشيخ عمر بن أحمد، قام بأخذ هذا الثوب الذي تكسى به صناديق الكتب -على جهة التعظيم- وألقاه في بئر معطلة بالقرب من الحزانة، وذلك الرجل هو الشيخ عبدالرحيم ابن محمد المهجوس العمودي رحمه الله، وكان أول من أعلن الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع والشركيات في ذلك البلد .

وهكذا لم يبق وادٍ أو منطقة من مناطق حضرموت إلا ووجد فيها مثل ذلك الرجل، وفي كثير من الأماكن كان لهؤلاء أنصار وأعوان، يحملون هذه الدعوة ولو في أنفسهم وأقاربهم .

ومما يدل على وجود هذا الأثر ضجة القبوريين من هذه الدعوة والشكوى منها ونشر الدعاية ضدها، من ذلك ما هو مكتوب، ومنه ما هو على الألسنة .

### المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبرية:

إن القبرية لم تترسخ في اليمن الأعلى مثلما ترسخت في بقية مناطق اليمن، وذلك أن الفرقة الزيدية والمذهب الهادي ليس فيهما من الغلو ما في مذاهب أهل الرفض والباطنية من الإسماعيلية والصوفية الغلاة، لذلك لم يكن في أصل المذهب الهادي ترخيص في البناء على القبور، ولا في عقائد الزيدية اليمنية الأولى شيء من ذلك، وإنما طرأت تلك الأقوال في القرن السابع عندما توافد الصوفية على اليمن وحينما بنى بنو أيوب المشاهد على قبور سلاطينهم، وميزوها عن قبور الناس، عند ذلك سرت العدوى إلى ديار الزيدية، وبقيت محصورة على الأئمة الحاكمين وأسرهم ومقربيهم، فهي قوى سياسية أكثر منها شرعية واعتماد على إلحاح الواقع لا على أدلة الشرع؛ ولذلك فليس هناك تعظيم للقبور التي في ذلك الجزء من اليمن كما هو في بقية الأجزاء الأخرى، وليس هناك فلسفة لزيارتها كما يوجد عند الصوفية؛ لذلك كله كان من السهل على علماء تلك البلاد وبعض حكامها أن يدركوا الحكم الصحيح لتلك المشاهد وأن يتمكنوا من هدمها وإزالتها بيسر أكثر مما عليه الحال في مناطق الصوفية، كذلك فقد كانت هناك جولات لبعض العلماء وبعض الأئمة وجهود عملية؛ لإزالة بعض تلك المشاهد وتسوية القبور المعظمة عند بعض العامة، وقد اطلعت على جولتين من تلك الجولات.

**الجولة الأولى:** على عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسم المولود (١١٣١هـ) والمتوفى سنة (١١٨٩هـ) والذي كان معاصراً للإمام ابن الأمير الصنعاني رحمه الله المتوفى (١١٨٢هـ)، فقد قام هذا الإمام بهدم كثير من تلك المشاهد والقبور المعظمة بتحريض جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت -رضوان الله عليهم- ومن أتباعهم رحمهم الله، في هذه المسألة بما يشفي ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر من كان منهم

نكلاً على القبورين، وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية، مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين ابن القاسم رحمه الله، فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسبباً لضلالهم، وأتى على غالبها، ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها، وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل، وكان ذلك الحامل له على نصرة الدين بهدم طواغيت القبورين<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> الدر النضيد ص (١٢٦ - ١٢٧).

أما الجولة الثانية: فقد تم فيها إزالة القباب والمشاهد في اليمن الأعلى بجهود علماء صنعاء وحث أئمة الدعوة النجدية، قال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في ترجمة سعود بن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود في البدر الطالع: (وما زال الوافدون من سعود يفتدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، ويكتب إلي أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأماكن المجاورة لها وفي جهة ذمار، وما يتصل بها)<sup>١</sup>.

وقد ورد هذا الخبر مزيداً ومفصلاً في كتاب "حوليات يمانية" الذي حققه ونشره السيد عبدالله الحبشي حيث قال: (وفي سنة (١٢٢٩ هـ) تهيأ المتوكل على خروجه على النجدي على تهامة، وعلى الشريف وعاهد الإمام القاضي عبدالله العكام، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى ذمار، وبقي خارج ذمار، وطلب المغلبات من الإمام، ولم يتم منه شيء ونهب محل اليهود في ذمار لا رحمه الله، وتعدى إلى الطريق المسبلة، ورحل خارج اليمن، وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب.

وفيها وقعة السرايم خارج جبلة، وخاب السعي من النفوذ على تهامة، فكلما هياهم المتوكل للتحضير على المخالفين طلبوا المغلبات، وما مقصدهم إلا الفساد، ووقع لهم شيء من المال ورجعوا بلادهم، ورجع الإمام إلى صنعاء، ورجح مكاتبة النجدي ومداهنته، حتى وصل من الدرعية المطاوعة الآخرون الأمير محمد، ويوسف القرماني وجماعة معهم، وخاطبوا المتوكل في خراب المشاهد والقباب المنصوبة على قبور الصالحين والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء بأنه إذا كان العمل بالشرعية حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي

<sup>١</sup> البدر الطالع (١/٢٦٢-٢٦٣).

وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لاعلى الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهدمها وهدمت الذي في صنعاء وما حولها قبة صلاح الدين، وقبة المنصور حسين في الأبر، وقبة الفليحي، وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر، ولم يبق إلا قبة المتوكل للصلاة، وهدمت قبة أحمد بن أحسن في الغراس وأرسل على بقية النواحي بهذا<sup>١</sup>.

ومن هذا النص نفهم أن أصحاب نجد قد شددوا على الإمام في صنعاء في هذا الأمر وقد وجد الإمام نفسه مضطراً لقبول ضغوطهم والعمل بما يدعون إليه، ولكن أراد أن يحمل المسؤولية العلماء بدل أن يتحملها بمفرده، وكان العلماء يتحينون هذه الفرصة؛ لأنها تحقق جزءاً مهماً من دعوتهم، ولذلك كان جوابهم: (بأنه إذا كان العمل بالشرعية حقيقة لا على أنها مDAHنة للنجدي، وقبول لقوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهدمها)<sup>٢</sup>. فهذا جهد كبير كان الدافع له دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتنفيذه برغبة وقناعة تامة من علماء اليمن، والنتيجة هي هدم تلك القباب وتسوية تلك القبور المشرفة وإن كانت قد أعيدت إلى سالف عهدا فيما بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونموذج آخر قام به أحد الأئمة ولكن، هناك شكوك في دوافعه، تلك الجهود هي التي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حينما كان ولياً للعهد في أيام أبيه وحاكماً للواء تعز، فقد قام بهدم قبة أحمد ابن موسى بن العجيل في مدينة بيت الفقيه عام (١٣٤٨هـ)، وتحطيم تابوت أحمد ابن علوان

<sup>١</sup> حوليات بمانية ص (٢٢-٢٣).

<sup>٢</sup> هنا في التعليق على الكتاب ص (٢٢) رقم (٧) قلت: وفي هذه المناسبة ألف العلامة محمد بن علي الشوكاني رسالة (شرح الصدور في تحريم رفع القبور).

وأخراج رفاتة ثم دفنه في مكان مجهول عام (١٣٧٢هـ)، وهذا العمل من حيث أنه تحقق به أمر مطلوب شرعاً فهو جيد، ولكن الشكوك ساورت الناس حينما اقتصر على هدم مشاهد البلاد الشافعية بينما البلاد الزيدية فيها مشاهد كثيرة، ومنها ما قد فتن به بعض الناس، ومع ذلك لم يمسه بشيء من ذلك، قال القاضي إسماعيل الأكوخ في "هجر العلم" بعد أن ذكر هدم الإمام أحمد لهذين المشهدين: (وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعاً في كلتا الحالين، ولو أن يده امتدت إلى سائر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولا سيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة، ويرجون منها النفع ودفع الضر والشر، ثم استطرد في الموضوع إلى أن قال: (وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركات؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ).<sup>١</sup>

قلت: وفي هذا إشارة إلى أن الإمام أحمد ما فعل ما يجب عليه، وما كان مقصده تطبيق أمر الشرع بشكل خالص؛ وإلا لعمم ذلك، وربما يعتذر له بأن هذه المشاهد تحت سلطته بينما غيرها ليس له عليها سلطة، فقد مر أن أباه كان يؤيد تلك المشاهد التي على قبور الأئمة، وقد أمر ببناء واحد منها في منطقة أرحب على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفى سنة (١٢٦٩ هـ) والمدفون في (دار أعلا من أرحب للتبرك به، وهددهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه سينقل رفاتة إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة، ووضعوا على قبره تابوتاً).<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> هجر العلم (١/ ٢٢٣).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١/ ٢٢٥).

<sup>٣</sup> المصدر السابق (١/ ٢٢٥).

والخلاصة أن هناك جهوداً عملية قام بها أئمة وعلماء في هذه المناطق، وقضوا ما عليهم، وقاموا بما أمروا به، فمن كان منهم مخلصاً فأجره على الله، ومن كان له مقصد آخر؛ فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.

### المطلب الرابع: الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن:

إن الجهود العملية لتسوية القبور المشرفة كانت من عهد النبي ﷺ ولا تزال إلى اليوم، وقد مر في الباب التمهيدي حديث علي -رضي الله عنه- حين قال لأبي الهياج الأسدي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)، وهو يدل على أن النبي ﷺ بذل جهوداً في محاربة القبور المشرفة، وكذلك علي -رضي الله عنه- في أيام خلافته وقبل ذلك في أيام عثمان حيث كان يتفقد المقابر بنفسه، ويأمر بتسويتها، وقد مر هناك.

ثم مازال ولاة الأمور يتابعون هدم ما بني في المقابر، كما صرح الإمام الشافعي -رحمه الله- بذلك في الأم وتقلته في الباب التمهيدي، وإنما تحاذل ولاة الأمر في ذلك بعد تمكن الباطنية من مقاليد الأمر في القرن الرابع كما مر كذلك، وفي القرون المتأخرة أصبح السلاطين يؤيدون القبورية؛ لأغراض سياسية فعمقوها وجذروها في الأمة، وأصبحت الجريمة ليست هي بناء المساجد والمشاهد على القبور، وإنما هدم وإزالة تلك الأبنية.

وبالمناسبة أقول: إنه لدينا في اليمن تجري السلطة على نفس منهج السلاطين المتقدمين من مجارة للقبورية ومداهنة لهم، وتوهم أنهما بذلك يكسبونهم ويكسبون الأمة من ورائهم، وهذا وهم كاذب، فالصوفية لا تحب هذا النظام أو تنصح له، وأكبر دليل ما حصل منها أثناء حرب الانفصال وكل الناس

<sup>1</sup> انظر الباب التمهيدي ( ) .

يعرفون موقفها من ذلك، وعندما يقوم فرد أو مجموعة من الغيورين بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ فيسبون قبراً أو يهدمون مشهداً، تقوم عليهم الدنيا ولا تقعد ويساقون إلى السجون، وتشهر بهم الصحف المأجورة، ويتناولهم بأنواع السباب والشتائم من لا علم ولا دين ولا خلق له، والعلة في ذلك حسب زعمهم هي: إثارة العوام، وإثارة القلاقل، والإخلال بالأمن، واحتمال وقوع الفتن والقتل، ونحو ذلك من العلل.

وأقول: إنه قد يحصل شيء من هذا، لكن أليس ما يقوم به القبورية اليوم على مرأى ومسمع من الجميع من بناء مشاهد جديدة وترميم وإصلاح المشاهد القديمة وبعث العادات والبدع القبورية الميتة، أليس هذا كله يستفز الأمة التي قد وعت وعرفت أن ذلك حرام ووسيلة من وسائل الشرك؟ وجميع المسؤولين والمهاجمين لمعارض القبورية معترفون به، فإذا لم تجوز الإثارة من قبلهم ولا تجوز من قبل معارضيهم؟ مع أنهم على باطل ومعارضوهم على حق باعتراف قيادات الأمن وقضاة المحاكم وأساطين الصحافة؟ هل لأن الدعاة لا يلجأون للإثارة وتهيج الجموع؟ والقبورية يتقنون ذلك؟ أم أن هناك إحصاءً بذلك من جهات لا نعرفها؟ يجب أن نسمع جواباً شافياً على هذا التساؤل وعدلاً وإنصافاً مع الأطراف المختلفة والتخلي عن محاباة طرف على حساب الآخر.

ويجب أن يزول كذلك وهم أن الصوفية القبورية ومن على شاكلتهم قادرون على أن يحققوا لبعض الأحزاب أهدافها، فوالله ما هم بفاعلين؛ لأنهم إنما يسعون لمصلحة مبادئهم ومناهجهم للمصلحة أحد سواهم، ولو فرض إرادتهم نفع هذا الحزب أو ذاك فلم يعودوا قادرين عليه؛ لأن الأمة قد سحبت ثقتها منهم ولم يعد نفوذهم يسيّرهما.



## نماذج من تلك الجهود:

بعد هذه المقدمة التي أطلت فيها حيث لم أستطع تجاوز هذا الموضوع بدونها أقول: (إن هناك نماذج مشرقة في مواجهة القبورية في اليمن مواجهة فعلية، وتقدم قريباً ما فعل علماء صنعاء عندما واتت الفرصة لهم، كما سبق في مبحث من مباحث هذا الباب، ما فعله القاضي العلامة عبدالله عوض بكير وزملاؤه أعضاء لجنة الشؤون الدينية حينما قامت اللجنة الشرعية وأعطى لها الصلاحيات من إزالة الكثير من مناكر الزيارات القبورية، وكذلك ما فعله بحكم منصبه القضائي من إغلاق لمشهد "علوية" بمدينة المكلا ومنع إقامة الحضرة فيه.

ولقد تساند بعض القضاة الصالحون مع بعض مسؤولي النواحي في - ما كان يعرف بالشرط الشمالي من اليمن - فقاموا بجهود مشكورة ومساندة للدعاة لإزالة بعض المشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة وهاك مثالاً على ذلك وهو ما أخبرني به الأخ الشيخ محمد بن علي الغيلي من احتساب، قام به الشاب الغيور الداعية إلى الله في بلاد المحابشة من محافظة حجة الأستاذ الشهيد - إن شاء الله - " أحمد بن أحمد الأمين " مع مجموعة من إخوانه طلبة العلم والدعاة حيث قرروا إزالة هذه المشاهد وما يترتب عليها من مفسد، وبدأوا بالتوعية والتهيأة لذلك، ثم اتصلوا بالعلماء فوجدوهم مجتمعين على أن ذلك من البدع المنكرة، غير أنهم ما كان بمقدورهم الإفصاح عن ذلك، ثم اتصلوا بالمسؤولين "العامل والقاضي ومسؤول الأوقاف"، وقد وافقهم الجميع، ثم أخذوا أمراً من القاضي " محمد بن علي الخزان " حاكم القضاء، هذا نصه:

نأمر المذكورين المحررة أسمائهم بالعزم بمعية الولدين محمد علي الغيلي، وأحمد الأمين لهدم مشهد "الصوفرة" ليزول الاعتقاد والفساد لدى العوام وفي ذلك عمل صالح تخدمون به الإسلام والعقيدة الحقّة، اعتمدوا هذا .

١١/شعبان سنة ١٣٩٤هـ حاكم القضاء

محمد بن علي الخزان

وذكر أسماء المكلفين بذلك، وقد نفذت العملية صبيحة يوم الرابع عشر من شعبان عام (١٣٩٤هـ) وذلك من قبل الشباب المذكورين، ومعهم عدد من الجنود المسلحين، ولم يحدث شيء يذكر من فتنة ولاغيرها ثم قضى على بقية المشاهد في المنطقة، والحمد لله رب العالمين .

هذا ملخص ما حكاه الشيخ محمد الغيلي حفظه الله، وصورة أمر القاضي موجودة لدي، وإليك مثالا ثانياً على المواجهة العملية للقبورية في اليمن من محافظة شبوة حيث قام مجموعة من المهاجرين إلى الحجاز الذين جالسوا علماء مكة والمدينة وعرفوا منهم الحق في موضوع القبورية قاموا بعمل ملفت حيث اتفقوا مع الشيخ الجليل والداعية المعروف الشيخ محمد بن عبد الوهاب البناء المصري أحد أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية، والذي كان مقيماً في المدينة حيناً وفي مكة حيناً آخر، اتفقوا أن يصحبوه إلى بلادهم للدعوة إلى الله عزوجل ونشر السنة والتوحيد وإصلاح ما أفسدته القبورية، فارتحل معهم وذلك قبيل استقلال البلد عن الاستعمار البريطاني بقليل، حتى وصلوا إلى بلادهم والتي كانت تسمى "سلطنة الواحدي" ومكثوا مدة طويلة فيها، يدعو الشيخ ويعلم الناس، وتلك المجموعة تناصره وتحميه، وقد اتصل بالمسؤولين والعلماء وكبار الناس في المنطقة، وكان لدعوته أثر طيب، منه قيام أولئك نفر ومن تأثر بهم بهدم بعض القباب والمشاهد وتسوية بعض القبور

المعظمة، ومنها القبر المزعوم والمنسوب إلى من قالوا أنه النبي (دانيال ابن هادون بن هود)، ولا أدري كيف أجازوا إضافة نبي لم يخبر به كتاب ولا سنة ولا أثر صحيح، المهم اكتشف القبر ورسخ في عقول ونفوس الناس أنه قبر هذا النبي " المزعوم "، فصار مشهداً تقام له زيارة سنوية في رجب، وتحصل فيها اجتماعات وكرامات، هذا القبر الذي فتن الناس به، هدمه أولئك الرجال جزاهم الله خيراً<sup>١</sup>.

ومن العجب -وكل أمر القبورية عجب- أن بعض الإخوة الذين عاصروا هدم ذلك القبر أخبرني أنه عندما هدمت القبة، وأزيل ما على القبر لم يوجد به أي قبر وإنما وجدوا صفاة صماء لا حفر فيها ولا أي أثر يدل على أنه قد دفن فيه أحد.

**ومثال ثالث أخير على المواجهة العملية وهو من محافظة عدن، وهي الحادثة التي كان من نتائجها تسوية القبور المشرفة، وهدم القباب المرتفعة، وتحطيم التوابيت التي على قبور من يدعون أنهم أولياء،** فيفتن بهم عامة المسلمين، تلك الحادثة وقعت في عدن عقب انتهاء حرب الانفصال في عام (١٤١٥هـ) والتي قام بها مجموعة كبيرة من شباب الصحوة من سائر فصائل العمل الإسلامي، بعد أن رتبوا أو على الأقل أبغوا الجهات الأمنية ولم تجد معارضة لفعلهم، غير أنه وبعد يومين من بداية الحملة انعكس توجه الحكومة ويبدو أن ذلك كان تحت ضغوط داخلية وخارجية كبيرة، وبدأوا يلاحقون الشباب الذين شاركوا في تلك الحملة، وزجوا بمجموعة كبيرة منهم في السجون، وقد ضخمت تلك الحادثة في وسائل الإعلام تضخيماً كبيراً، ووصف القاتمون بذلك العمل بشتى الأوصاف القبيحة من إرهابيين ومجرمين وجبناء وغير ذلك، وكان من نتيجة ذلك هدم قبة الهاشمي وتسوية ما بداخلها من القبور المشرفة وكذلك قبة العثماني وكلاهما في الشيخ عثمان، وتحطيم تابوت العيدروس وما بجواره

<sup>١</sup> انظر ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان تأليف السيد / محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الحوت المحضار لم تذكر له دار نشر وتاريخ ص ( ٣٣ ) .

من القبور المشرفة، وعددها حوالي اثني عشر قبراً، ثم إخراج القبور من المساجد وهي قبر العراقي من مسجد حسين، وقبر مجاور للمسجد، وقبر المهدي وقبر حسين الأهدل وقبر في مسجد العلوي بالقطيع وقبر الحامد من مسجد بالزعران وتسوية قبر أو قبرين بـ (صيره) .

وربما كان هناك أخطاء في تلك الحملة قبل البدء فيها حيث لم ينظر بدقة إلى عواقب الأمر، وما سترتب على ذلك العمل من نتائج وفي ظل أجواء مشحونة بالتوتر ووجود قوات مهزومة، لم يبق لها إلا سلاح الدعاية والإشاعات الخبيثة، وتوجه إعلامي كامل نحو اليمن إثر الحرب التي انتهت قبل أيام .

كما حصل أثناء الحملة بعض الأخطاء، مثل: الحفر عن بعض القبور، وإخراج جثث الموتى منها، ولا أدري في أي مكان دفنت بعد ذلك، فهذه بعض المفاصد وهي طفيفة، وأما المصالح فكانت كثيرة فمنها: امتثال أمر النبي ﷺ الخاص بتسوية القبور المشرفة، ومنها: إزالة أماكن المنكر والفتنة التي يضل بها فئام من الناس كل حين، ومنها: إقامة البرهان على كذب الدعاوى العريضة التي كان سدنة تلك المشاهد يرددونها حول الكرامات الخارقة التي يزعمونها لأولئك الأولياء، ومنها: هذه الكرامة التي ينسبونها للعيدروس حيث يقولون: (إن القطب أبا بكر العيدروس كان يمازح الولي الشهير سعد السويني، والعيدروس بعدن، والسويني مجزوموت، إذ ضجر السويني من ممازحة العيدروس، فرماه بمسواكه فأقبل المسواك " كالمسواك سكود " فاكشفه العيدروس وأمر طلابه بأن يخفضوا رؤوسهم حتى لا يصيبهم، ولكن المسواك ارتفع عن المسجد ومن فيه ووقع في الجبل القريب منهم فأحدث فتحة كبيرة، لاتزال موجودة إلى اليوم)، هكذا يقولون للسذج من الناس ويصدقهم الكثير منهم، ويلغون عقولهم فلا يفكرون في إمكانية ذلك من عدم إمكانية، فلما كسر التابوت وحطم أجزاء من المباني حوله بل وحفر القبر ورفع الرفات المتبقي من تلك الجثة، أيقن العقلاء أن ذلك هراء ودجل صريح،

فهذه الفائدة كبيرة جداً، وإن كان بعض المخدوعين مازالوا يعتقدون بتصرف العيروس في الكون حياً وميتاً، ولم يعدم السدنة والمضللون من القبورية حيلاً يبررون بها ما جرى، والله الأمر من قبل ومن بعد .

ولعمري لقد أدى أولئك الشباب واجباً، وقاموا بفرض تحلى عنه الآخرون، فجزاهم الله خير الجزاء، وغفر لهم ما فيه من أخطاء .

ولقد تباينت ردود الأفعال كثيراً حول تلك الحادثة، وقال كلُّ بما أراد أن يقول، إما عن اجتهاد أو هوى، وقد صدرت على إثر ذلك الحادث بيانات وكتب مقالات، كان الغالب عليها مراعاة الحالة السياسية والوضع الذي تمر به البلاد والتأثر بما قامت به وسائل الإعلام العالمية من هجوم ضد منفذي هذه العملية، ولم أر من تلك البيانات والمقالات أكثر تجرداً، ولا أوضح تناولاً، ولا أنصح من بيان العلماء الذي سبق نقله في المبحث الثالث من هذا الفصل؛ لأن الموقعين عليه من العلماء العاملين والدعاة المخلصين والمتجردين من الضغوط والأهواء المختلفة، فهو بحق يمثل الموقف الشرعي الصحيح إزاء ذلك الحادث، ويعتمد على الأدلة الصحيحة والبراهين الناصعة، فجزى الله من أصدره خير الجزاء .

# الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليّ نعمه، ووالى عليّ مننه، وأعانني فأكملت هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه، وأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منه، وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج من أهمها:

١. أن بني آدم كانوا على التوحيد الكامل حتى طرأ عليهم الشرك وذلك بالغلو في الصالحين ولم يعرف شرك في البشرية قبل ذلك.
٢. أن اليهود والنصارى واليونان كانوا قبورية متعلقين بالقبور معظمين لها معتقدين فيها عقائد باطلة وقد أخبر الرسول ﷺ أن هذه الأمة ستتبعهم في ذلك.
٣. أن العرب كانوا موحدين على ملة أبيهم إبراهيم، حتى حرفهم عمرو بن لحي الخزاعي وكان من أسباب انحرافهم الغلو في بعض البشر، كما حصل عندما أحبوا (اللات) وعظموا موضعه، ثم اتخذوه إلهاً، وبالغلو في آثار الأنبياء حتى عظموا الحرم وحملوا حجارته معهم تعظيماً له، ثم أنهم عبدوا تلك الأحجار بعد مدة.
٤. أن الشرك بعد ذلك عمّ جزيرة العرب والعالم كله حتى مقتهم الله تعالى إلا بقايا من أهل الكتاب ومعهم عدد قليل من حنفاء العرب.
٥. أن رسول الله ﷺ لم يمت إلا وقد طهر الجزيرة العربية من الشرك وعلم أمته طرق حماية التوحيد وحذرهم من الشرك ووسائله أبلغ تحذير.
٦. أن القرون المفضلة كانت خالية من جميع مظاهر القبورية، وأن الصحابة والتابعين وأتباعهم من علماء وأمرء عملوا على إزالة أي مظهر من مظاهر القبورية المتمثلة في البناء على القبور، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم حتى أن الخلفاء والأمرء كانوا يتولون ذلك بأنفسهم أو بوكلائهم، وأن ما يستدل به القبورية على وجود مبان وقبور مرتفعة في ذلك الوقت إنما هو مجرد شبه لا وزن لها.
٧. أن الشيعة كانوا يحاولون منذ زمن مبكر إنشاء مبان على قبر الحسين ﷺ وإقامة مراسيم بدعية له، ولكن الخلفاء كانوا يمنعونهم من ذلك، ويشددون في المنع، ويزيلون ما يحدث في حين الغفلة، وأن ذلك كان بدافع الحرص على منع الابتداع في الدين وليس كما يقول الرافضة بسبب بغض الحسين وأهل بيته.

٨. أن الشيعة الغالية من رافضة وإسماعيلية وباطنية هم الذين أنشأوا المظاهر القبورية في العالم الإسلامي ضمن بدع كثيرة ابتدعوها حينما حكموا بلاد المسلمين أواخر القرن الثالث وسائر القرن الرابع وبعض الخامس وأن تلك المظاهر قد ألفتها المسلمون منذ ذلك الحين ولذلك فإن الدول السنية التي جاءت بعدهم قد قلدتهم في ذلك ونشرت تلك المظاهر في البلاد التي لم تصلها الدولة الشيعية.

٩. أن الصوفية المتأخرة القائمة على الفلسفة هي نبتة غريبة على الإسلام ولا علاقة لها بالزهد الذي حث الشرع عليه، وليس لها قدوة من صحابي أو تابعي أو إمام معتبر من أئمة المسلمين.

١٠. لقد أخذت باطنية الشيعة جملة من العقائد عن الفلاسفة وغيرهم من الأمم الكافرة وطبقتها على أئمتها وصاغت صياغة تناسب ملتها ثم نشرتها بين اتباعها وحملتهم عليها ثم إن المتأخرين من الصوفية أخذوا ذلك عنهم ودمجوه في منهجهم وعملوا به واعتقدوه ومن ذلك عقيدة القطبية والتصرف في الكون التي انبثقت عنها معظم العقائد الضالة في الأولياء والكرامات.

١١. كما أخذت الباطنية الشيعية والصوفية بعلة الزيارة التي قررها الفلاسفة وأصبحوا يزورون القبور بمقتضاها لا بمقتضى العلة الشرعية التي علمها رسول الله ﷺ لأئمة وتلك العلة المأخوذة عن الفلاسفة هي الاستشفاع والاستمداد من أرواح الأموات المزورين واعتقاد أنها تمتد من استمد منها

١٢. إن الصوفية الغالية الحريصة على إظهار الخوارق وعدها كرامات تدل على ولاية من جرت على يديه قد أخذوا بعدد من علوم السحر واستخدموها ونشروها في الأمة ومنهم من كان يعاني أنواعاً من الرياضات للوصول للكشف وخرق العادة على طريقة سحرة الهند وغيرهم.

١٣. ليس ما ذكرته عن الصوفية منطبقاً على كل من انتمى إليهم أو وصف بولاية منهم، بل ممن نسب إليهم من هو برئ مما نسب إليه، وهناك من اعتقد عقائدهم وعمل ببدعهم؛ تقليداً لهم وإحساناً للظن بهم، فهؤلاء أمرهم إلى الله، وأما ما نسب إليهم من ذلك فهو باطل وانحراف وهو إدانة للمنهج الصوفي ودليل على بطلانه؛ لأن الصوفية هم الذين نسبوا ذلك إلى شيوخهم ونشروه مرتضين له، بل يعدونه من أعظم فضائلهم.

١٤. أثبتت هذه الدراسة أن أهل اليمن كانوا على منهج السلف الصالح في عقيدتهم وأحكامهم وأن مصادر علمهم هي كتب السنة قبل دخول الكتب الفقهية والمذاهب المختلفة وكتب الفرق المخالفة لذلك المنهج، وأن منهج السلف الصالح ظل قائماً حتى بداية القرن الثامن في البلاد الشافعية وأنه ما كاد يغلب على تلك البلاد المذهب الأشعري حتى قام منهج السلف الصالح في البلاد الزيدية على يد الإمام مُجَدِّد بن إبراهيم الوزير وأتباعه وهذا المنهج ما زال قائماً إلى اليوم والحمد لله.

١٥. كما عرفنا أن جميع المذاهب المخالفة لمذهب السلف الصالح إنما هي وافدة على اليمن وليست أصيلة فيه وأن الصوفية القبورية لم تعرف بفلسفتها المبتدعة في اليمن إلا منذ القرن السادس ولم تستقر ولم تنتشر إلا في القرن السابع.

١٦. أن جميع ما لدى صوفية العالم الإسلامي من عقائد ضالة وبدع باطلة ومخالفات ظاهرة أو خفية أو دعاوى وشطح كل ذلك قد قلدهم فيه صوفية اليمن في وقت ما أو مكان ما.

١٧. كما أظهرت الدراسة أن لسلطين اليمن السنيين وأئمتهم الزيديين دوراً كبيراً في نشر القبورية وتعميقها في البلاد

١٨. كما أظهرت الدراسة أن لوجود القبورية وانتشارها آثاراً سيئة كثيرة منها:

(أ) إفساد عقائد كثير من الناس بالشرك الأكبر والأصغر لتعلقهم بالأولياء وإيهاهم أنهم يمدون من استمد منهم، ويعطون من دعاهم، وينفعونهم ويضرونهم بما لا يقدر عليه إلا الله.

(ب) نشر الخرافة في الأمة حتى أصبحت جزءاً من حياتها.

(ج) نشر السحر واستخدامه باسم الكرامة والولاية، حتى أصبحت تقرأ عن أولياء يوصفون بأوصاف جليلة جداً، وتنسب إليهم كرامات عظيمة، وربما في نفس الترجمة يوصف بأنه يتقن علم أسرار الحروف والأوفاق والرمل وما أشبه ذلك، ويتصرف بها وهي من علوم السحر والكهانة مما يجعل الباحث في شك كبير من غالب أولئك الأولياء وتلك الكرامات لاختلاط الكرامة بالسحر والكهانة وعدم التقيد في صفة الأولياء بالضوابط الشرعية.



د) كما أنه ترتب على ذلك نقص العلم الشرعي وتجهيل الأمة وحصر التعلم في فئات محدودة.

هـ) وترتب على ذلك أيضاً وجود تمايز طبقي وترفع بعض الفئات على بعض مما كان له نتائج سيئة على المجتمع.

١٩. واجه علماء اليمن القبورية وتصدوا لها رغم ما كانت تقوم به من أساليب كثيرة لمواجهة هؤلاء العلماء، منها اللجوء إلى السلطان، وتسخير القبائل لضرب من ينازعوها واستخدام الاختراق والاحتواء والتشويه للخصم، وقد يصل الأمر إلى التصفية الجسدية أو الضرب المبرح.

١٩. لعلماء اليمن مؤلفات قيمة نافعة في مواجهة القبورية كتبها علماء من سائر الجهات اليمنية.

٢٠. لقد كان لحركات التجديد السنية أثرها البالغ على القبورية في اليمن من حيث كبح جماحها، وتبصير الناس بمعاييها، وصددهم عن متابعتها، والحركات التي كان لها بالغ الأثر هي مدرسة التجديد والاجتهاد التي ابتدأها ابن الوزير وتبعه عليها ابن الأمير والشوكاني وغيرهم من علماء اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، ودعوة الإرشاد بإندونيسيا، وقد ترتب على ظهور هذه الدعوات هدم الكثير من المشاهد والقباب المقامة على أضرحة الأئمة والأولياء في فترات مختلفة.

هذه أهم النتائج التي خرجت بها، ولا شك أن هناك فوائد ونتائج أخرى سيلمسه القارئ من خلال مطالعته لهذه الرسالة، أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه، سالمة من الأغراض والأهواء، نافعة لي وإخواني المسلمين إنه سميع مجيب، والحمد لله أولاً وآخراً.